مركز تحقيق التراث

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء السابع عشر

تحقيق

علي محمد البجاوي

إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني

بإشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكتب التى قامت « دار الكتب » بإخراجها ضمن ما أخرجته من كتب التراث العربى القديم ؛ « كتاب الأغانى » ، لأبى الفرج الأصفهانى ، وقد أصدرت منه ستة عشر جزءا ، قام بتحقيقها « القسم الأدبى » ومن عاونه من العلماء المتخصصين .

وفى سبيل إتمام هذا الكتاب تقوم « الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر » بإصدار الجزء السابع عشر ، ضمن مشروع إصـــدار كتاب الأغانى كاملا ، فى طبعة جديدة ، مع عمل فهارس ضافية لكل جزء ، وذلك بإشراف اللجنة المشكلة لهذا الغرض .

وقد شرع فى تحقيق هذا الجزء بتكليف من الهيئة المرحوم الأستاذ « السباعى بيومى » ، وحال مرضه ، ثم وفاته — رحمه الله — دون إتمامه ؛ فقام الأستاذ « على محمد البجاوى » بإعادة تحقيقه على النسخ الخطية للأجزاء السابقة وغيرها من النسخ التى لم تكن أمام السادة المحققين ، وبيان هذه النسخ مذكور فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

وقد قمت بمراجعة هذا الجزء على أصوله ، كما قام الأستاذ « زكى غنيم » بمراجعة فهارسه .

والأجزاء : من الثامن عشر إلى آخر الكتاب يجرى العمل فى طبعها وإخراجها ، وعمل فهارسها .

أما الأجزاء الستة عشر الأولى من الكتاب فإن اللجنة ماضية فى مقابلة كل جزء منها على النسخ الخطية التى لم يرجع إليها السادة محققو دار الكتب ، بالإضافة إلى النسخ التى رجعوا إليها من قبل ، وإجراء ما تقتضيه هذه المقابلات من الإضافة إلى النص ، والتعديل فى التعليقات .

وقد قطعت اللجنة شوطاً فى هذا السبيل ، وسيصدر الجزء الأول قريباً ، إن شاء الله ، وتصدر بعده الأجزاء الأخرى تباعاً حتى يتم هذا الكتاب الهام فى طبعة علمية تليق بمكانته فى تاريخ الأدب العربى .

والله الموفق للصواب .

ذو القعدة سنة ١٣٨٩ هـ
يناير سنة ١٩٧٠ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الكُمَيت ونسبه وخبره

نسبه

هو الكميت[١] بن زيد بن خُنَيس[٢] بن مُجَالد بن وُهَيْب بن عَمْرو ابن سُبَيْع. وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس ابن عمرو بن سُبَيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقدّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصّبين على القحطانية، المقارنين المقارِعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بنى أميّة، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة، ومات قبلها. وكان معروفا بالتشيّع لبنى هاشم، مشهورا بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره.

تشيعه لبنى هاشم

ولم تزل عصبيّته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دِعبلٌ وابنُ أبى عُيَيْنةَ قصيدتَه المُذْهَبة[٣] بعد وفاته، وأجابهما أبو البَلْقاء[٤] البَصْرىّ مولى بنى هاشم عنها، وذلك يذكر فى موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله[٥].

مناقضة دعبل وابن أبى عيينة لقصيدته المذهبة

---

(١) من يقال له الكميت ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة؛ هم: الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل ابن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس. والكميت بن معروف بن الكميت الأكبر. والكميت بن زيد هذا. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٢٥٧).

(٢) وكذا فى تاريخ الإسلام للذهبى ٥ : ١٢٧، وفى المؤتلف والمختلف، واللآلئ، والخزانة: الأخنس، وفى تجريد الأغانى: حبيش، بالحاء المهملة، تصحيف.

(٣) المذهبات التى فى جمهرة أشعار العرب ليس من بينها قصيدة الكميت.

(٤) فى هب: «أبو الذلفاء»، وفى ب، س، والمختار: «أبو الزلفاء».

(٥) هذا الموضع هو ترجمة دعبل فى الجزء الثامن عشر ص ٢٩ (بولاق).

أما الأجزاء الستة عشر الأولى من الكتاب فإن اللجنة ماضية فى مقابلة كل جزء منها على النسخ الخطية التى لم يرجع إليها السادة محققو دار الكتب ، بالإضافة إلى النسخ التى رجعوا إليها من قبل ، وإجراء ما تقتضيه هذه المقابلات من الإضافة إلى النص ، والتعديل فى التعليقات .

وقد قطعت اللجنة شوطاً فى هذا السبيل ، وسيصدر الجزء الأول قريباً ، إن شاء الله ، وتصدر بعده الأجزاء الأخرى تباعاً حتى يتم هذا الكتاب الهام فى طبعة علمية تليق بمكانته فى تاريخ الأدب العربى .

والله الموفق للصواب .

ذو القعدة سنة ١٣٨٩ هـ
يناير سنة ١٩٧٠ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الكُمَيت ونسبه وخبره

هو الكميت[1] بن زيد بن خُنَيس[2] بن مُجَالد بن وُهَيْب بن عَمْرو ابن سُبَيْع. وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس ابن عمرو بن سُبَيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار. شاعر مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصّبين على القحطانية، المقارِنين المقارِعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بنى أميّة، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة، ومات قبلها. وكان معروفا بالتشيّع لبنى هاشم، مشهورا بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره.

تشيعه لبنى هاشم

ولم تزل عصبيّته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دِعبلٌ وابنُ أبى عُيَيْنَةَ قصيدتَه المُذْهَبة[3] بعد وفاته، وأجابهما أبو البَلْقاء[4] البصْرىّ مولى بنى هاشم عنها، وذلك يذكر فى موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله[5].

مناقضة دعبل وابن أبى عيينة لقصيدته المذهبة

(1) من يقال له الكميت ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة؛ هم: الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل ابن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس. والكميت بن معروف بن الكميت الأكبر. والكميت بن زيد هذا. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٢٥٧).

(2) وكذا فى تاريخ الإسلام للذهبى ٥: ١٢٧، وفى المؤتلف والمختلف، واللآلئ، والخزانة: الأخنس، وفى تجريد الأغانى: حبيش، بالحاء المهملة، تصحيف.

(3) المذهبات التى فى جمهرة أشعار العرب ليس من بينها قصيدة الكميت.

(4) فى هب: «أبو الذلفاء»، وفى ب، س، والمختار: «أبو الزلفاء».

(5) هذا الموضع هو ترجمة دعبل فى الجزء الثامن عشر ص ٢٩ (بولاق).

كان معلم صبيان

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد عن أبى حاتم ، عن الأصمعىّ ، عن خلَف الأحمر : أنه رأى الكُميت يعلِّم الصبيان فى مسجد بالكوفة .

مودته للطرماح مع اختلاف المذهب والعصبية

قال ابنُ قتيبة فى خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين[1] ، قال[2] : فحدّثنى بعضُ أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، قال : أنشدت الكُميتَ قولَ الطِّرِمّاح : ٥

إذا قُبِضت نفس الطِّرِمّاح أخلقتْ عُرا المجد واسترخَى عِنان القصائدِ

قال : إى والله وعِنان الخطابة والرواية . قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبيّة والدّيانة ؛ كان الكميت شيعيًا عصبيًا عدنانيا من شعراء مضر ، متعصّباً لأهل الكوفة ، والطرمّاح خارجىٌّ صُفْرىّ قحطانىّ عصبىٌّ لقحطان ، من شعراء اليمن ، متعصب لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء[3] ؟ قالا : اتفقنا على بُغْض العامة . ١٠

أخبرنى عمى قال : حدثنى محمد بن سعد الكُرانىّ ، قال : حدّثنا أبو عمر العمرىّ ، عن لَقيط ، قال :

علمه بأيام العرب وأشعارها

اجتمع الكميت بن زيد وحمّاد الراوية فى مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامَها ، فخالفه حماد فى شىء ونازعه ، فقال له الكُميت : أتظنّ أنّك أعلم منّى بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظنّ ! هذا والله هو اليقين . فغضب الكُميت ثم قال له : لكَمْ شاعر بصير ، يقال له عمرو ابن فلان ، ترْوِى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى[4] اسمه فلان ابن عمرو ، ترْوِى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ؛ فجعل الكُميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ، ١٥

١٥
١١٤

(١) الخبر فى الشعر والشعراء ٥٦٢ . ٢٠
(٢) الخبر فى الشعر والشعراء ٥٦٧ .
(٣) فى ا : « مع سائر اختلاف » .
(٤) فى المختار : « لكم شاعر أعمى يقال له فلان ابن عمر » .

ويسأل حمّاداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال: لا ، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا .

مساءلته حمادا عن شيء من الشعر وتفسيره

ثم قال له الكُميت : فإني سائلك عن شيء من الشّعر ، فسأله عن قول الشاعر (١) :

طَرَحُوا أصحابَهُمْ في ورطة قَذْفَكَ المَقْلَةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ (٢)

فلم يعلم حمّاد تفسيرَه ، فسأله عن قول الآخر :

٥ تَدَرَّيْنَنَا بالقَوْلِ حتى كأنما تَدَرَّيْنَ وِلْدَانا تَصِيدُ الرَّهادِنا

فأفحِمَ حمّاد ، فقال له : قد أجَّلْتُك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأتِ بتفسيرهما ، وسأل الكُمَيْتَ أنْ يفسِّرَهما له ، فقال : المَقْلَة : حصاةٌ أو نَوَاة من نَوَى المُقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافرُوا ، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء .

١٠ والشَّطر : النّصيب . والمعتَرك : الموضعُ الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونَها هناك عند الشّرّ . وقوله : « تَدَرَّيْنَنَا » ، يعني النساء ، أي خَتَلْننا فرمَيْننا . والرهادن : طَيْرٌ بمكةَ كالعَصَافير .

سبب حفيظة خالد القسري عليه

وكان خالدُ بنُ عَبْدِ الله القَسْرِيّ — فيما حدّثني به عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ ، وذكره محمد بن أنس

١٥ السّلاميّ عن المستَهِل بن الكُمَيت ، وذكره ابن كُناسة عن جَمَاعةٍ مِنْ بَنِي أسد — [قد بلغه] أنّ الكُميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليَمن ، وهي :

* ألا حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينا (٣) *

(١) هو يزيد بن طعمة الخطمي . اللسان « مقل » ، مجالس العلماء ٢١٦ .

(٢) في ا : « وسط المعترك » .

٢٠ (٣) عجزه :

* وَهَلْ بأسٌ بِقَوْلِ مُسلّمينا *

الخزانة ١ : ٨٦ ، وقوله : « يامدينا » أراد : « يامدينة » فرخّم .

احتيال خالد لإثارة هشام عليه

فأحفظته عليه، فروّى جاريةً حسناء قصائدَه الهاشميات، وأعدَّها ليُهْدِيَها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بنى أُميَّة، وأنفذ إليه قصيدتَه التى يقول فيها:

فيارَبِّ هل إلاَّ بِكَ النَّصْرُ يُبْتَغَى ويا ربِّ هل إلاَّ عَلَيْكَ المُعَوَّلُ؟[1]

وهى طويلةٌ يَرْثى فيها[2] زَيْدَ بن علىّ، وابْنَه الحسين بن زيد، ويمدح بنى هاشم. فلما قرأها أكبرَها وعظُمَتْ عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أنْ يقطعَ لسانَ الكميتِ ويَدَه. فلم يشعر الكميتُ إلاَّ والخيلُ محدِقَةٌ بداره، فأخذ وحُبس فى المُخَيَّس[3]، وكان أبان بن الوليد عاملا على واسِط، وكان الكُميتُ صديقَه، فبعث إليه بغلام على بَغل، وقال له: أنتَ حرٌّ إنْ لحقْتَه، والبَغلُ لكَ. وكتب إليه: قد بلغنى ماصِرْتَ إليه، وهو القَتْل، إلا أنْ يَدْفعَ الله عزّ وجلّ، وأرى لكَ أنْ تبعثَ إلى حُبّى — يعنى زوجة الكميت وهى بنت نُكَيف بن عبد الواحد، وهى ممَّنْ يَتَشَيَّع أيضاً — فإذا دخلَتْ إليك تنقَّبتَ نِقابَها، ولبستَ ثيابَها وخرجتَ، فإنى أرجو ألاَّ يُؤْبه لكَ.

حبسه وكتاب أبان بن الوليد إليه بطريقة هروبه

فأرسل الكميتُ إلى أبى وضّاح حَبيب بن بُدَيْل، وإلى فِتيان من بنى عمّه مِنْ مالك بن سَعيد، فدخل عليه حَبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدّدَ رَأْيَه، ثم بعث إلى حُبّى امرأته، فقصَّ عليها القصةَ، وقال لها: أى ابنة عَمّ، إن الوالىَ لايُقْدِم عليكِ، ولا يُسْلِمك قومك، ولوخِفْتُه عليكِ لما عرّضتُكِ له.

(١) الهاشميات ٧٠.

(٢) فى هامش ا: «هذا غلط من وجهين: أحدهما إيفاد خالد إلى هشام بمرثية زيد، وزيد إنما قتل فى إمارة يوسف بن عمر بعد خالد. والثانى فى جعله الحسين بن زيد مرثيا أيضا والحسين لم يقتل، وكان ممن يرى الخروج».

(٣) المخيس، كمعظم ومحدّث: السجن.

فألبسَتْه ثيابَها وإزارَها وخَمَّرَتْه[1] ، وقالت له : أَقْبِلْ وأَدْبِرْ ، ففعل ، فقالت : ما أُنكِرُ منك شيئاً إلاّ يبساً في كتفك ، فاخْرُجْ على اسمِ اللهِ .

امرأته حمته مكانه في السجن

١٥ وأخرجَتْ معه جاريةً لها ، فخرج وعلى باب السجنِ أبو وضّاح ، ومعه فِتْيانٌ من أسد ، فلم يُؤْبَهْ له ، ومشى والفتيان بين يَدَيْهِ إلى سكّة شبيب

١١٥

٥ بناحية الكُناسة[2] ، فمرّ بمجلس مِنْ مجالسِ بني تميم ، فقال بعضهم : رجل وربِّ الكعبة . وأمرَ غلامه فاتّبعَه ، فصاح به أبو الوضّاح : يا كذا وكذا ، لا أُراك تتبعُ هذه المرأةَ منذ اليوم . وأَوْمأَ إليه بنَعْلِه ، فولّى العبدُ مُدْبِراً ، وأدخله أبو الوضّاح مَنْزِله .

ولمّا طالَ على السجّان الأمرُ نادَى الكُميت فلم يُجِبْهُ ، فدخل ليعرفَ

كشف أمره

١٠ خَبَرَه ، فصاحت به المرأةُ : وراءكَ ، لا أُمَّ لك ! فشقّ ثوبَه ، ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر ، فأحضر حُبَّى فقالَ لها : ياعدوّةَ الله ، احتَلْتِ على أميرِ المؤمنين ، وأخرجْتِ عدوَّه ، لأُمَثِّلَنَّ بك ولأَصْنَعَنَّ ولأَفْعَلَنَّ . فاجتمعَتْ بَنُو أَسَد إليه ، وقالوا : ما سبيلُكَ على امرأةٍ منّا خُدِعَتْ . فخافهم فخلّى سبيلَها .

١٥ قال : وسقط غُرابٌ على الحائطِ فنعَبَ ، فقال الكُمَيتُ لأبي وضّاح : إني لمأخوذٌ ، وإنّ حائطَك لساقط . فقال : سبحانَ الله ! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله . فقال له : لا بُدَّ مِنْ أَنْ تحوِّلَني . فخرج به إلى بني عَلْقَمة — وكانوا يتشيَّعُون — فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائطُ الذي سقط عليه الغراب .

حيرته بزجر الطير

---

٢٠ (١) خمرته : ألبسته خمارها .

(٢) في ب والمختار : «الكناس» ، والكناسة : محلة بالكوفة ، وكناس . موضع في بلاد غنيّ . (ياقوت) .

خروجه إلى الشام

قال ابنُ الأعرابىّ : قال المستهِلّ : وأقام الكميتُ مدةً متوارياً ، حتى إذا أيقن أنَّ الطلبَ قد خَفَّ عنه خرج ليلا فى جماعةٍ من بنى أسَد، على خَوْفٍ ووَجل ، وفيمن معه صاعدٌ غلامُه ، قال : وأخذ الطريقَ على القُطْقُطانةَ[1] — وكان عالماً بالنجوم مُهْتَدِياً بها — فلما صار سُحَيْرٌ[2] صاح بنا : هوِّموا[3] يا فِتْيان ، فهوَّمنا ، وقام يصلّى .

أطعم ذئبا فهداه الطريق

قال المستهِلّ : فرأيتُ شخصا فتضعضعْتُ له ، فقال : مالكَ ؟ قلت : أرى شيئاً مُقْبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئبٌ قد جاء يستطعِمُكم ، فجاء الذئب فربَض ناحيةً ، فأطعمناه يدَ جَزُور ، فتعرَّقها ، ثم أهْوَيْنا له بإناءٍ فيه ماء فشرب منه ، وارتَحَلْنا ، فجعل الذئبُ يَعْوِى ، فقال الكميت : مالَه وَيْلَه ! ألم نُطعمه ونسقه ! وما أعرفَنى بما يريد ! هو يُعلمنا أنّا لسنا على الطريق ؛ تَيامَنُوا يا فِتيان ، فتيامنّا فسكن عُواؤه ، فلم نزَلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ ؛

تواريه وسعى رجالات قريش فى خلاصه

فتوارَى فى بنى أسد وبنى تميم ، وأرسل إلى أشراف قُريش — وكان سيِّدَهم يومئذ عَنْبَسَةُ بن سَعِيد بن العاص — فمشت رجالاتُ قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنْبَسَةَ ، فقالوا : يا أباخالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكُمَيْتُ ابن زَيْد لسانُ مُضَر ، وكان أمير المؤمنين كتب فى قَتْله ، فنجا حتى تخلّص إليك وإلينا . قال : فمُرُوه أنْ يَعُوذَ بِقبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر[4] حَنِيناء . فمضى الكُمَيْتُ ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْره ، ومضى عَنْبَسَةُ فأتى مَسْلَمَةَ ابن هشام ، فقال له : ياأبا شاكر ، مكرمة أتيتُكَ بها تبلغُ الثّريّا إن اعتقدتَها ، فإنْ علمتَ أنكَ تفِى بها وإلاّ كتَمْتَها . قال : وما هى ؟ فأخبره الخبر ،

(١) القطقطانة : موضع بالكوفة ، كان به سجن للنعمان بن المنذر .
(٢) صار هنا تامة .
(٣) هوّموا : ناموا نوماً خفيفا ؛ يريد : استريحوا ، وأغفوا إغفاءة .
(٤) دير حنيناء ، من أعمال دمشق . (ياقوت) .

وقال : إنه قَدْ مدَحَكُم عامّة ، وإياكَ خاصة بما لم يُسمَع بمثله . فقال: عليَّ خلاَصُه.

فدخل على أبيه هشام وهو عند أُمِّهِ فى غير وقت دخولٍ ، فقال هشام : أجئتَ لحاجةٍ ؟ قال : نعم، قال : هى مَقْضِيّةٌ إلاَّ أن يكونَ الكميت . فقال: ماأحبُّ أنْ تستَثنيَ عليَّ فى حاجتى، وما أنا والكميت ! فقالت أُمُّهُ : والله لتقضينَّ حاجتَه كائنةً ما كانت . قال : قد قضيتُها ولو أحاطت بما بَيْنَ قُطْرَيْها . قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين ، وهو آمِنٌ بأمانِ الله عزَّ وجل وأمانى ، وهو شاعرُ مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أَمَّنته ، وأجزتُ أمانَك له ، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُك فيه ما قال فينا .

مسلمة بن هشام يطلب الأمان له

١٥/١١٦

فعقد له ، وعنده الأبرش الكلبيّ ، فتكلَّم بخطبة ارتجلها ما سُمِع بمثلها قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرّائية ، ويقال : إنه قالها ارتجالا ، وهى قوله :

هشام يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه فى بنى أمية

* قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ[1] *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك مِنَ الوُقو ... فِ بها وأنكَ غيرُ صاغرْ

دَرَجَتْ عليها الغاديا ... تُ الرّائحاتُ مِنَ الأعاصر

وفيها يقول :

فالآن صِرْتُ إلى أُميَّـةَ ... والأمورُ إلى المَصايرْ

وجعل هشام يغمز مَسْلمة بقَضيب فى يَدِه ، فيقول : اسمَعْ ، اسمَعْ .

(١) صدر بيت ، وعجزه :

* وتأيَّ إنّكَ غيرُ صاغِرْ *

وتأى : تلبث وامكث .

ثم استأذنه فى مَرْثِيَةِ ابنه معاوية ، فأَذِن له ، فأنشده قوله(١) :

سأَبْكِيكَ للدُّنيا وللدِّين إننى   رأَيْتُ يدَ المعروفِ بعدك شَلَّتِ
فدامَتْ عليكَ بالسلام تحيةٌ   ملائكةُ اللهِ الكرامُ وصلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجبُ فسكّته .

ثم جاء الكميتُ إلى منزله آمناً ، فحشدت له المُضريّة بالهدايا ، وأمر له مَسْلَمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب إلى خالد بأمانِهِ وأمانِ أَهْل بيته ، وأنه لا سلطانَ له عليهم .

قال : وجمعت له بنو أُميّة بينها مالاً كثيراً . قال : ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذ إلاّ ما حفظه الناسُ منها فأُلِف . وسُئل عنها ، فقال : ما أَحفظُ منها شيئاً ؛ إنما هو كلامٌ ارتجلْتُه .

فقال : ووَدّع هشاماً ، وأنشده قوله فيه :

* ذكر القلبُ إِلْفَه المذكورَا *

سبقه الشعراء إلى معنى فى صفة الفرس

قال محمد بن كُنَاسة : وكان الكميتُ يقول : سبقتُ الناسَ فى هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنًى ما سُبقتُ إليه فى صفةِ الفرس حين أقول :

يَبْحثُ التُّرْبَ عن كواسر فى المَشْ   رَبِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرَا

هذه رواية ابنِ عمار . وقد روى فيه غَيْر هذا .

رواية أخرى فى سبب المنافرة بينه وبين خالد

وقيل فى سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا ، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخرّاز ، قال : حدثنى أحمد بن إبراهيم الحاسب ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن داود بن أبى أُميّة البلخىّ ، قال :

(١) الهاشميات ٩٣ .

كان حَكِيم بن عيّاش[١] الأعور الكلبيّ وَلِعاً بهجاء مُضَر ، فكانت شعراء مُضَر تَهْجُوه ويُجيبهم ، وكان الكميت يقول : هو واللهِ أشْعَرُ منكم . قالوا : فأَجِب الرجلَ . قال : إنّ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ محسن إليّ فلا أقدِرُ أَنْ أردَّ عليه ، قالوا : فاسمَعْ بأُذنك ما يقول في بنات عَمّك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ؛ فحمِيَ الكُميت لعشيرته ، فقال المُذْهَبة[٢] :

* أَلاَ حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينَا *

فأحسن فيها ، وبلغ خالداً خَبَرُها ، فقال : لا أُبالِي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكر ، فأنشدوه قوله :

ومِنْ عَجَبٍ عليَّ لَعَمْرُ أمٍّ غذَتك وغير هاتِيا يمينا[٣]
تجاوزت المياهَ بلا دَليل ولا عَلَمٍ تَعَسُّفَ مخطئينا
فإنكَ والتحوّل مِنْ مَعَدّ كهيلةَ قَبْلَنَا والحالبينا[٤]
تخطَّت خيرهم حَلَبا ونَسْئاً[٥] إلى المَوْلَى المغادرِ هاربينا[٦]
كعَنْزِ السّوءِ تنطحُ عَالِفيها وترميها عِصِيُّ الذابحينا[٧]

فبلَغَ ذلك خالداً ، فقال : فعلها ! واللهِ لأقتُلَنَّه . ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيّرهنّ نهايةً في حُسْنِ الوجوهِ والكمال والأدَب ، فروّاهُنّ

(١) في ا : « حكيم بن عباس » .
(٢) المذهبة : لقب هذه القصيدة ، وانظر حاشية ٣ ص ٣ .
(٣) في ما « تيامنينا » ، وفي ا : « تتأيمينا » .
(٤) في ا ، ب : « والجالبينا » .
(٥) النسء : اللبن الرقيق الكثير الماء ، وفي ا : « ومسًّا » .
(٦) في ما : « إلى الوالي » ، والمثبت في ا ، ب .
(٧) في ا : « وترضها » تحريف .

الهاشميَّات ، ودسَّهنَّ مع نخَّاسٍ إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهُنَّ جميعاً ، فلما أنس بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرأهُنَّ القرآنَ ، فقرَأْنَ ، واستنشدهنّ الشعر ، فأنشدْنَه قصائد الكميت الهاشميّات . فقال : ويلكنّ ! مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ قلن : الكُمَيْت بن زَيْد الأَسَدِيّ . قال : وفى أىّ بلدٍ هو ؟ قُلْنَ : فى العراق ، ثم بالكوفة . فكتب إلى خالد وهو ٥ عامِلُه على العراق : ابْعَثْ إلىّ برَأْسِ الكُميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكُميت فى الليل ، فأخذه وأَوْدَعه السِّجْن . ولما كان من الغدِ أقرأ مَنْ حضره مِن مُضَر كتابَ هِشام ، واعتذر إليهم مِنْ قتله ، وآذَنَهم فِى إنْفاذِ الأَمْرِ فيه فى غدٍ ، فقال لأبان بن الوليد البجَلىّ — وكان صَدِيقاً للكُمَيْت — : انظر ما ورد فى صَدِيقك . فقال : عزّ علىّ واللهِ [ما] به ، ثم قام أبان ، ١٠ فبعث إلى الكميت فأنذره ، فوجّه إلى امرأته .

ثم ذكر الخبر فى خروجه ومقامها مكانَه ، كما ذكر مَنْ تقدّمه . وقال فيه : فأتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجارَ به ، فقال : إنى أخشى ألاّ ينفعك جِوارِى عنده ، ولكن استجر بابنهِ مسلمة بن هشام . فقال : كُنْ أنتَ السفير بينى وبينه فى ذلك ، ففعل مسلمة ، وقال لابْنِ أخيه : قد أتيتك بشَرَف الدَّهْرِ ، واعتقادِ ١٥ الصَّنيعةِ فى مُضَر ، وأخبره الخبر ، فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاما فدَعَا به ، ثم قال : أتُجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمْرِه ؟ ! فقال : كلّا ، ولكنى انتظرتُ سكونَ غضَبِه . قال : أحْضِرْنِيهِ الساعة ، فإنه لاجوار لك. فقال مسلمة للكُمَيت : يا أبا المستهلّ ، إنّ أميرَ المؤمنين أمرنى بإحضارك . قال : أتسلمنى يا أبا شاكر ؟ قال : كلّا ، ولكنى أحتَالُ لكَ . ثم قال له : ٢٠ إنّ معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان

مسلمة بن هشام يجيره ويحتال فى خلاصه

من الليل فاضرِبْ رواقَك على قبره ، وأنا أبعثُ إليك بَنِيه يكونون معك في الرّواق ، فإذا دعا بك تقدَّمْتَ إليهم أنْ يربطوا ثيابَهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبْرِ أبينا ، ونحن أحقُّ مَنْ أجاره .

فأصبح هشام على عادتِهِ مُتَطَلِّعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : لعلّه مُسْتَجِيرٌ بالقَبْرِ ! فقال : يُجَارُ مَنْ كان إلاّ الكُمَيْت ؛ فإنه لا جوار له . فقيل : فإنه الكُمَيْت ، قال : يُحْضَر أعْنَف إحضار . فلما دُعِي به رَبط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه . فلما نظر هشام إليهم اغرورَقَت عيناه واستعبَرَ ، وهُم يقولون : يا أميرالمؤمنين ، استجار بِقَبْرِ أبينا ، وقد مات ، ومات حظُّه من الدنيا ، فاجْعَلْهُ هبةً له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به . فبكى هشام حتى انتحَب ، ثم أقبل على الكُميت فقال له : يا كُميت ، أنت القائل :

وإلاَّ تَقُولوا غـــيرها تتعرّفوا نَوَاصِيَها تَرْدِي بِنَا وهي شُزَّبُ[1]

فقال : لا ، والله ، ولا أتانٌ مِنْ أُتن الحجاز وَحْشِيّة . فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على نبيِّه ، ثم قال : أمَّا بعد فإنّي كنتُ أَتَدَهْدَى[2] في غمرة ، وأعُوم في بَحْرِ غواية ، أَخْنَى عليَّ خطلها ، واستفزّني وَهلها[3] ؛ فتحيّرتُ في الضَّلاَلة ، وتسكَّعت في الجهالة ، مُهْرِعاً[4] عن الحقّ ، جائراً عن القَصْدِ ، أقولُ الباطلَ ضلالا ، وأفُوه بالبهتان وَبالا ، وهذا مقامُ العائذِ مُبْصِرِ الهدى ، ورافض العمى[5] فاغسِلْ عنّي يا أمير المؤمنين الحَوْبَة[6] بالتَّوْبَة ، واصْفَح

خطبته بين يدى هشام وإنشاده بعض مدائحه فى بنى أمية

١٥ / ١١٨

(١) ردى يردى ، إذا رجم الأرض رجما بين العدو والمشى الشديد . والشازب : الذى فيه ضمور ، وجمعه شزّب .

(٢) أتدهدى : أتقلّب وأتلوى .

(٣) الوهل : الفزع .

(٤) مهرعا : منصرفا .

(٥) فى ا : « العماية » .

(٦) الحوبة : الخطيئة والإثم .

عن الزّلة ، واعفُ عن الجَرِمَة(١) ، ثم قال(٢) :

كَمْ قالَ قائلُكم : لَعاً ... لك ، عنـد عَثْرتِهِ لعاثِرْ(٣)

وغفرْتُمُ لِذَوِى الذنو ... ب من الأكابرِ والأصاغِرْ

أبنى أميـةَ إنكُمْ ... أهلُ الوسائلِ والأوَامِرْ

ثِقَتى لـكلِّ مُلِمَّةٍ ... وعَشِيرتى دُونَ العَشائرْ

أنتُمْ مَعَادِنُ للخـلا ... فةِ كابرًا مِنْ بَعْدِ كابِرِ

بالتِّسْعَـةِ المتتابعيـ ... ـن خلائفًا وبخَيْرِ عاشِرْ(٤)

وإلى القيـامَةِ لا تزا ... لُ لِشافعٍ منكمْ وَوَاتِرْ

ثم قطع(٥) الإنشادَ وعاد إلى خطبَته ، فقال : إغضاء أمير المؤمنين وسماحتُه وصبَاحتُه ، ومَنَاط المنتجعين بحَبْلِه ، مَنْ لا تُحَلُّ حَبْوتُه لإساءةِ المذنبين ، فضلا عن استشاطةِ غضَبِه بجَهْلِ الجاهلين .

محاورة بينه وبين هشام فى شعر قاله فى بنى أميـة

فقال له : وَيْلَكَ يا كُمَيْت ! مَنْ زيّنَ لك الغَوَاية ، ودَلّاك فى العَمَاية ؟ قال: الذى أخرج أبانا من الجنّة ، وأنساه العَهْد ، فلم يَجِدْ له عَزْما . فقال : إيهٍ ! أنت القائل :

فيا مُوقِدا ناراً لغيرك ضَوْءها ... ويا حاطِباً فى غير حَبْلك تحطِبُ

فقال : بل أنا القائل(٦) :

(١) الجرمة ، مثل كلمة الذنب .
(٢) الهاشميات ٩٢
(٣) يقال للعاثر : لعاً لك ، دعاء له بالإقالة والانتعاش .
(٤) لم يرد فى الهاشميات
(٥) فى ا : « وقطع »
(٦) الهاشميات ٩٣ .

إلى آلِ بَيْتِ أَبِي مالكٍ | مناخٌ هو الأَرْحَبُ الأَسْهَلُ
نَمُتُّ بأَرْحامنا الدَّاخِلا | تِ مِنْ حَيْثُ لا يُنْكَرُ المدخَلُ
بِبَرَّةَ والنَّضْر والمالِكيِ[1] | نَ رَهْطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ
وبا بْنَيْ خُزَيمة بَدْر السما[2] | ءِ والشمس مفتاح ما نَأْمُلُ
وجَدْناَ قريشا قريشَ البِطاح | على ما بَنَى الأَوَّلُ الأَوَّلُ
بِهم صَلُح الناسُ بعد الفساد | وحِيصَ من الفَتْقِ ما رَعْبَلُوا[3]

قال له : وأنت القائل[4] :

لا كعَبْد المَلِيك أو كوَليدٍ | أو سُليمانَ بَعْدُ أو كهشام
مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقيدا ومن[5] يَحْ | يَ فلا ذُو إلٍّ[6] ولا ذُو ذِمام

ويلك يا كميت ! جعلتَنا ممّن لا يَرْقب فى مُؤْمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة ، فقال : بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين[7] :

فالآنَ صِرْتُ إلى أُميّـــةَ والأُمورُ إلى المَصايِرْ
والآنَ صِرتُ بهـا المُصِيـــبَ كمُهْتَدٍ بالأَمْسِ حَائِرْ

---

(١) فى ا والمختار : « بمرة » ، والمثبت من ج ، قال فى هامشه : برة بنت مرّ ، أخت تميم ، كانت عند خزيمة ، فولدت له أسداً ثم مات ، فخلف عليها ابنه كنانة ، فولدت له النضر ، وهو قريش ، أبومالك . فبنو أسد ينتمون إلى قريش لهذا السبب . والبيت ليس فى الهاشميات .

(٢) فى س : « وبارى » ، وفى المختار : « وبابنى خزيمة وبل السماء » . والبيت ساقط من ا ، ب . ولم يرد فى الهاشميات أيضا .

(٣) حيص : رتق وأصلح . ورعبل الثوب : قطعه ومزقه ، أى حفظ من الفتق مامزقوا .

(٤) الهاشميات ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) الهاشميات : « وإن » .

(٦) الإلّ : العهد والحلف . والذمام ، بكسر الذال : الحق والحرمة . وفى ب : « آل » .

(٧) الهاشميات ٩١ .

يا بْنَ العقــائل للعقا ئِلِ والجحاجحةِ الأخايرْ[١]
مِنْ عَبْد شمسٍ والأكا بِرِ مِنْ أُمَيَّةَ فالأكابرْ
إنَّ الخــلافة والإلا فَ برَغمِ ذِى حَسَدٍ ووَاغِرْ[٢]
دَلفا مِنَ الشَّرفِ التَّليــد إليكَ بالرِّفدِ المُوافِرْ
فحللتَ مُعْتَلَــجَ البِطا حِ وحلَّ غيرك بالظواهِرْ[٣] ٥

١٥/١١٩ قال له : إيه ، فأنت القائل[٤] :

فقُلْ لبنى أُميَّةَ حيثُ حَلُّوا وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا[٥]
أجاعَ اللهُ مَنْ أشبعتموه وأشبعَ مَنْ بجَوْرِكُمُ أُجِيعَا
بمَرْضِىٍّ السياســةِ هاشمىٍّ يكونُ حَيًا لأُمَّتِهِ رَبِيعَا

فقال : لا تثريب[٦] يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أنْ تمحُوَ عنِّى قولى ١٠ الكاذب . قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق[٧] :

أورثَتْهُ الحَصانُ أمُّ هشــامٍ حسَبًا ثاقِبًا ووَجْهًا نَضِيرا
وتعاطَى به ابنُ عائشةَ البدْ رَ فأمسى له رَقيبا نَظِيرًا
وكساه أبو الخلائف مرْوَا نُ سَنِىَّ المكارِمِ المأثورَا
لم تجهَّمْ لَهُ البِطاحُ ولـكنْ وَجَدَتْها لَهُ مَغاراً[٨] ودُورا ١٥

(١) الجحاجحة : جمع جحجاح ؛ وهو السيد العظيم .
(٢) الواغر : الحاقد .
(٣) البطاح : جمع بطحاء وأبطح ؛ وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى .
(٤) الهاشميات ٨٢ .
(٥) حاشية ا : « القطيع » : السوط . ٢٠
(٦) التثريب : اللوم .
(٧) الهاشميات ٩٣ .
(٨) فى س والهاشميات : « معانا » .

إعجاب هشام بشعره ورضاؤه عنه

وكان هشامٌ مُتَّكِئًا فاستوى جالسا ، وقال : هكذا فليكن الشعر — يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر ، وكان إلى جانبه — ثم قال : قد رضيتُ عنك يا كُمَيْت ؛ فقبَّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ رأيتَ أنْ تزيدَ في تشريفي ، ولا تجعلَ لخالد عليّ إمارة ! قال : قد فعلت . وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا هِشاميّة . وكتب إلى خالد أن يخلّيَ سبيلَ امرأته ويُعطيَها عشرين ألفا وثلاثين ثوبا . ففعل ذلك .

خالد يضربه مائة سوط

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كُتب له ، منها أنه مرَّ به خالدٌ يوما ، وقد تحدّث الناس بعَزْلِهِ عن العراق ، فلما جاز تمثّل الكميت :

أراها — وإنْ كانت تُحَبُّ — كأنها سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشِعُ حتى يغشاك[1] منها شُؤْبوب بَرَد . ثم أمر به فجُرِّدَ ، فضربه مائةَ سَوْط ، ثم خلّى عنه ومضَى . هذه رواية ابنِ حبيب .

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد ابن سليمان أبو الحسن ، قال : حدثني أبي ، قال :

ينذر هشاما بخالد

كان هِشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله — وكان يُقال : إنه يريد خَلْعَك — فوُجد بباب هشام يوماً رقعةٌ فيها شعر ، فدُخل بها على هشام فقُرِئت عليه ، وهي[2] :

تألَّقَ بَرْقٌ عندنا وتقابَلَتْ أثافٍ لقِدْرِ الحَرْبِ أخشَى اقْتِبالَها

فدونَكَ قِدْرَ الحَرْبِ وهي مُقِرَّةٌ لكفَّيك واجعلْ دُونَ قِدْرٍ جِعالَها[3]

(1) في ا : « يتغشاك » .
(2) الهاشميات ٨٩ .
(3) الجعالة : خرقة تنزل بها القدر .

ولن تنتهى أو يبلغ الأمرُ حَدَّه فنَلْهاَ برِسْل قبل ألاَّ تنالَها[١]
فتجشَّم منها ما جَشِمْتَ مِنَ التى بسُوراءَ هرَّت نحو حالكَ حالَها[٢]
تلافَ أُمورَ الناسِ قبل تفاقُمٍ بعَقْدةِ حَزْمٍ لا تَخافُ انحلالَهَا
فما أبرم[٣] الأقوامُ يَوْماً لِحيلةٍ مِنَ الأمر إلاّ قلَّدُوكَ احتيالَها[٤]
وقد تُخبِرُ الحرْبُ العَوانُ بسرِّها وإن لم تُبِحْ مَنْ لا يُرِيدُ سؤالَها ٥

فأمر هشام أن يُجمع له مَنْ بحضرته من الرُّواة، فجمِعوا. فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شِعرُ مَنْ تُشبه هذه الأبيات؟ فأجمَعُوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنه كلام الكُميت بن زيد الأسدىّ، فقال هشام: نعم، هذا الكميت يُنْذِرُنى بخالد بن عبدالله. ثم كتب إلى خالد يخبِره، وكتب إليه بالأبيات، وخالدٌ يومئذ بواسط. ١٠

١٥/١٢٠

هاشميته اللامية

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأخْذِ الكميت وحَبْسه، وقال لأصحابه: إنه بلغنى أنَّ هذا يمدحُ بنى هاشم ويهجُو بنى أمية، فأتونى من شعره هذا بشىء. فأُتِىَ بقصيدته اللامية التى أوّلها[٥]:

ألاَ هَلْ عَمٍ فى رَأْيِهِ مُتأمِّلُ وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءةِ مُقْبِلُ!

فكتبها وأدْرَجها فى كتابٍ إلى هشام، يقول: هذا شعرُ الكميت؛ فإن كان قد صدق فى هذا فقد صدق فى ذاك. ١٥

(١) الرسل، بكسر الراء: الرفق والتؤدة.

(٢) فى س: «بسوراء أحدث»، والمثبت من ا، ب، وهرت: صوتت. وسوراء: موضع؛ يقال: هو إلى جنب بغداد. والبيت لم يرد فى الهاشميات.

(٣) فى ا، ب: «فما برم»، والمثبت يوافق ما فى الهاشميات. ٢٠

(٤) فى ب: «احتبالها».

(٥) الهاشميات ٦٦.

فلما قرئت على هشام اغتاظ ، فلما قال(١) :

فياساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابكم(٢) ففيكم لعَمْرى ذُو أفانين مِقْوَلُ

اشتَدّ غَيْظُه ، فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطعَ يَدَىِ الكميت ورِجْلَيه ، ويضربَ عنقه ويهدمَ داره ، ويصلبه على تُرابها .

٥ فلما قرأ خالد الكتابَ كره أنْ يَسْتَفْسِدَ عشيرتَه ، وأعلن الأمرَ رجاء أن يتخلّصَ الكميت ، فقال : لقد كتب إلىّ أميرُ المؤمنين ، وإنى لأكرَهُ أن أستَفْسِدَ عشيرته ، وسمّاه ، فعرف عبد الرحمن بن عَنبسة بن سَعِيد ما أرادَ ، فأخرج غلاماً له مولّداً ظريفاً ، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة ، وقال : إنْ أنتَ ورَدْتَ الكوفةَ ، فأنذرْتَ الكميتَ لعله أن يتخلّصَ

ابن عنبسة ينذره ليتخلص من الحبس

١٠ مِنَ الحَبْس ، فأنتَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله ، والبغلةُ لك ، ولك علىَّ بعد ذلك إكرامُك والإحسانُ إليك .

فركب البَغْلة وسار بقيَّةَ يوْمه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها ، فدخل الحبسَ مُتَنكِّرًا ، فخبَّر الكميتَ بالقصة ، فأرسل إلى امرأته وهى ابنةُ عمّه يَأمرها أنْ تجيئه ومعها ثيابٌ مِنْ لباسها وخُفّان ، ففعلت ، فقال :

١٥ ألبِسينى لِبْسَةَ النساء ، ففعلَتْ ، ثم قالت له : أقبِل ، فأقبل ، وأدبِرْ ، فأدبر . فقالت : ما أرى إلاّ يُبْساً فى منكبيك ، اذهب فى حِفْظ الله .

فخرج فمرّ بالسجّان ، فظنّ أنه المرأة ، فلم يعرض له فنجا ، وأنشأ يقول(٣):

(١) الهاشميات ٦٨ .

(٢) فى الهاشميات . « من حديثكم » .

٢٠ (٣) الهاشميات ١٧ .

خرجتُ خروجَ القِدْح قِدْحِ ابن مُقْبِل
على الرَّغْمِ من تلك النوابحِ والمُشْلِى(١)

علىَّ ثيابُ الغانيـات وتحتَهـا
عزيمةُ أمرٍ أشبهَتْ سَـلَّةَ النَّصْلِ

وورد كتابُ خالد على والِى الكوفة يأمرُه فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليُؤْتَى بهِ مِنَ الحَبْس فينُفذَ فيه أمرَ خالد، فدنا من باب البيت فكلَّمتْهم المرأةُ، وخبَّرتْهم أنها فى البيت(٢)، وأنَّ الكميتَ قد خرج؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرَّة كريمة آسَتْ ابنَ عمها بنفسها، وأمر بتَخْليتها، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبىَّ بالشام، فقال قصيدته التى يَرْمِى فيها امرأة الكميت بأهل الحبس، ويقول: أسْوَدِينَ وأحمَرِينا(٣)

هجاؤه أحياء اليمن

فهاج الكميتَ ذلك حتى قال:

* ألاَ حُيِّيتِ عنَّا يا مَدِينا(٤) *

وهى ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا مِنْ أحياء اليَمَنِ إلاَّ هجاهم. وتوارَى، وطُلب، فمضى إلى الشام، فقال شعره الذى يقول فيه:

* قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ *

(١) يضرب المثل بقدح ابن مقبل؛ لأنه وصفه بقوله:

خرُوجٌ من الغُمَّى إذا صكَّ صكة بدا والعيونُ المستكفَّة تَلْمَحُ

(٢) كذا فى الأصول، والمراد بالبيت هنا حجرة السجن وهو مراد الكميت هنا، ومراد عبد الملك فيما كتب به إلى الحجاج.

(٣) البيت كما فى الخزانة ١/٨٦:

فما وَجَدَتْ بناتُ بنِى نِزارٍ حَلائِلَ أسْوَدِينَ وَأحْمَرِينَا

(٤) هامشا «مدينا»، أراد به «مدينة»، والعرب تقول لابن الأمة: «ابن مدينة»، قال الأخطل:

ربَتْ وربا فى كرمها ابنُ مدينةٍ يظل على مسحاته يتَركَّلُ

(اللسان — مدن).

في مسلمة بن عبد الملك ، ويقول :

يا مَسْلَمُ ابنَ أبي[1] الوليـــدِ لميّتٍ إنْ شئتَ ناشِرْ
اليومَ صرتُ إلى أُميّـــة والأمورُ إلى المصايِرْ

١٥/١٢١

قال أبو الحسن : قال أبي : إنما أراد اليوم صرتُ إلى أُميّة والأُمورُ إلى مصايرها ؛ أي بني هاشم . وبذلك احتجّ ابنُه المستهلّ على أبي العباس حين عَيَّره بقول أبيه هذا الشعر .

فأذن له ليلا ، فسأله أنْ يُجيره على هشام ، فقال : إني قد أجَرْت على أمير المؤمنين فأخفر جِوارى ، وقبيحٌ برجل مِثْلي أن يُخْفرَ في كلّ يوم ، ولكنّي أدُلّك ، فاستجرْ بمسلمة بن هشام وبأمّه أمِّ الحكم[2] بنت يحيى ابن الحكم ؛ فإن أميرَ المؤمنين قد رشّحه لولايةِ العهد .

فقال الكميت : بئس الرَّأْيُ ! أُضيعُ دَمِي بين صَبِيّ وامرأة ! فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه ، وقد جعل أميرُ المؤمنين على نَفْسِهِ أن يزورَ قَبْرَه في كلّ أسبوع يوما — وسمّى يوما بعَيْنِه — وهو يزورُه في ذلك اليوم ، فامْضِ فاضرِبْ بناءك عند قبره ، واستجِرْ به ، فإني سأحضر معه وأكلّمه بأكثر منَ الجوار .

استجارته بقبر معاوية بن هشام

ففعل ذلك الكميتُ في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى البناء ، فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكميت ابن زيد مُستجير بقَبْر معاوية ابن أمير المؤمنين . فأمر بقتله ، فكلّمه مسلمة وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إخفارَ الأمواتِ عارٌ على الأحياء ، فلم يزل يعظِّمُ عليه الأمرَ حتى أجاره .

(١) في س : « ويابن أبي الوليد » ، والبيت ليس في الهاشميات .

(٢) حاشية ا : « حكيم » وعليها علامة الصحة .

فحدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنا سليمان بن أبى شَيْخ ، قال : حدثنا حَجر بن عبد الجبّار ، قال :

خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب وتحريقهم

خرجت الجعفرية على خالد بن عَبد الله القَسْرىّ وهو يخطبُ على المنبر وهو لا يعلمُ بهم ، فخرجوا فى التبابين[1] ، ينادون : لبّيك جعفر ، لبّيك جعفر ! وعرف خالدٌ خبرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعْلم مايقول فَزَعاً ، فقال : أَطعمونى ماء ، ثم خرج الناسُ إليهم فأخذوا ، فجعل يجىء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طُنّ[2] قصَب فيُطْلى بالنِّفْط ، ويُقال للرجل احتضنه ، ويُضرَب حتى يفعل ، ثم يحرَق ، فحرّقهم جميعاً .

تعريضه بخالد

فلما قدم يوسف بن عُمر دخل عليه الكميتُ وقد مدحه بعد قتله زَيْد ابن علىّ ، فأنشده قوله فيه :

خرجْتَ لهم تَمْشِى البَراحَ ولم تكُنْ   كَمَنْ حِصْنُهُ فيه الرِّتَاجُ المضبَّبُ[3]
وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماء فاغِراً   بِعدْلِكَ والدّاعِى إلى الموت ينعَب

الجند يقتلونه تعصبا لخالد

قال : والجندُ قِيامٌ على رَأْسِ يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصَّبُوا لخالد ، فوضعوا ذُبَابَ سيُوفهم فى بَطْنِ الكميت ، فوجئوه[4] بها ، وقالوا : أتنشدُ الأميرَ ولم تَسْتَأْمِرْه ! فلم يزل ينزفه الدّمُ حتى مات .

وأخبرنى عمّى ، قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثنا إبراهيم ابن عبد الله الطلحىّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، قال :

(١) التبابين : جمع تبان ، وهو سر اويل صغير يكون للملاحين والمصارعين ، وتشبه أن تكون البيانيين وهم أتباع بيان ، فقد ورد فى الطبرى حوادث سنة ١١٩ خروجهم على خالد وتحريقه لهم .

(٢) طن القصب ، بضم الطاء : الحزمة منه .

(٣) الرتاج : الباب العظيم ؛ والمضبب : المغلق .

(٤) وجئوه : ضربوه .

لما دخل الكميتُ بن زَيْد على هشام ، سلَّم ثم قال : يا أميرَ المؤْمنين ، غائب آبَ ، ومذنب تاب ، محَا بالإِنَابة ذَنْبَه ، وبالصِّدْقِ كذبه ، والتوبةُ تُذهب الحَوْبَة ، ومِثلُك حَلُم عن ذى الجريمة ، وصفح عن ذى الرِّيبَة .

اعتذاره لهشام من ذنبه

فقال له هشام : ما الذى نجّاك من القَسْرىّ ؟ قال : صِدْقُ النيّة فى التوبة . قال : ومَنْ سنَّ لك الغىَّ وأوْرَطك فيه ؟ قال : الذى أغْوَى آدم فنَسِىَ ولم يَجِدْ له عَزْما ، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين — فَدَتْكَ نفسى — أَنْ تأذن لى بِمَحْو الباطل بالحقّ ، بالاستماع لما قلتُه ! فأنشده[1] :

ذَكَرَ القلبُ إلْفَهُ المذكورا[2] وتلافَى مِنَ الشباب أخيرا

١٥ / ١٢٢

حدثنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزىّ ، قال : حدثنى أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ ، قال : [حدثنى محمد ابن أنس ، قال[3]] : حدثنى محمد بن سهل الأسدىّ ، قال :

دخل المستهلّ بن الكميت على عبد الصمد بن علىّ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فأخبره ، فقال : لاحَيَّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباك ، هو الذى يقول :

ابنه المستهل وعبد الصمد بن على

فالآن صرتُ إلى أُميّــــة والأمورُ إلى المصايرْ

قال : فأطرقْتُ استحياء مما قال ، وعرفْتُ البيتَ . قال : ثم قال لى : ارْفَع رَأْسَك يابنىّ ، فلئن كان قال هذا ، فلقد قال :

بخاتمكم كرهاً تجوزُ أمورُهم فلم أرَ غَصْبًا مِثْله حين يُغْصَبُ[4]

قال : فسلَّى بعضَ ما كان بى ، وحادثنى ساعةً ، ثم قال : ما يعجبُك من النساء يامستهلّ ؟ قلت :

(١) الهاشميات : ١٨ . (٢) فى الهاشميات : « إلفه المهجورا » .
(٣) زيادة تقتضيها صحة السند ، وانظر ص ٢٩ .
(٤) الهاشميات ٤٠ ، وفى س : « لخاتمكم » .

غَرّاء تَسْحَبُ مِنْ قيامٍ فَرْعَها جَثْلا يُزَيِّنُه سَوَادُ أَسْحَمُ[١]
فكأنها فيه نَهارٌ مُشْرِقٌ وكأنَّهُ ليلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

قال : يا بنىّ ، هذه لا تصابُ إلاّ فى الفردوس ، وأمَرَ له بجائزة .

أخبرنى عَمّى قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثنى إبراهيم ابن عبد الله الخصّاف الطلحىُّ ، عن محمد بن أنس السّلامىّ ، قال :

شعره يصلح بين هشام وجاريته صدوف

كان هشامُ بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صَدُوف مَدَنيّة[٢] اشتُريت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها ، وحلف ألاّ يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكميْتُ وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراكَ مغموما يا أميرَ المؤمنين ، لا غمَّكَ اللهُ ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعةً ثم أنشأ يقول[٣] :

أعتبْتَ أمْ عَتَبَتْ عليكَ صَدُوفُ وعِتابُ مِثْلك مِثْلَها تَشريفُ
لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَكَ دَائبا فيها وأنتَ بحُبِّها مشغوفُ
إنَّ الصريمةَ لا يقومُ بثِقْلِها[٤] إلاَّ القوىُّ بها ، وأنْتَ ضَعيفُ

فقال هشام : صدقتَ واللهِ ، ونهض مِنْ مجلسه ، فدخل إليها ، ونهضَتْ إليه فاعتنقته . وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألفِ دينار ، وبعثَتْ إليه بمثلها .

(١) الشعر لبكر بن النطاح . الحماسة ٢ : ٧٠ (طبعة الرافعى) .
(٢) كذا فى س ، وهو الوجه فى النسبة إلى مدينة الرسول تفرقة بينها وبين مدينة المنصور ، فالنسبة إليها مدينىّ ، وفى ا : « مدينية » .
(٣) الهاشميات ٩٤ .
(٤) فى ب : « بمثلها » والمثبت ما فى الهاشميات .

قال الطلحيّ : أخبرني حُبيش بن الكميت أخو المستهلّ بن الكميت ابن زيد ، قال :

وفوده على يزيد ابن عبد الملك

وفد الكميتُ بن زَيْد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشتُريت له سلّامة القسّ ، فأدخلها إليه والكميتُ حاضرٌ فقال له : يا أبا المستهلّ ، هذه جاريةٌ تُباع ، أفترَى أن نَبْتَاعها ؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أنّ لها مِثْلا فى الدنيا فلا تفوتنّك ، قال : فصِفْها لى فى شِعْرٍ حتى أقبلَ رأيك ، فقال الكميت[1] :

شعره فى سلامة القس

هى شمسُ النهار فى الحُسْنِ إلاّ أنها فُضّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ
غَضّةٌ بَضّةٌ رَخِيمٌ لَعُوبٌ وَعْثَةُ المتن شَخْتَة الأطراف[2]
زانها دَلُّها وثَغْرٌ نَقِيٌّ وحَدِيثٌ مُرَتّل غَيْرِ جَافِي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ المتمنّى فاقْبَلِ النُّصحَ يابْنَ عَبْدِ مَنَافِ

١٥/١٢٣

فضحك يزيد ، وقال : قد قبِلْنا نُصْحك يا أبا المستهلّ ، وأمر له بجائزةٍ سنيّة .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ ، قال : أخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قُتيبة ، قال :

لقاؤه بالفرزدق وهو صبى

مرّ الفرزدق بالكُميت وهو ينشِدُ — والكميتُ يومئذ صَبىٌّ — فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرُّك أنى أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرُّنى أن تكون أُمّى ! فَحَصِرَ[3] الفرزدق ، فأقبل على جلسائه وقال : ما مرّ بى مثلُ هذا قط .

أخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدَانىّ بن عُقْدة ، قال: أخبرنا علىّ بن محمد

---

(١) الهاشميات ٩٤

(٢) المتن : الظهر . ووعثة : سمينة . شختة الأطراف : ضامرتها لاهزالا .

(٣) الحصر ، بالتحريك : العى فى المنطق .

الحسينىّ ، قال : حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال ، قال : حدثنا مصبِّح بن الهِلقام ، قال : حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت ، قال :

إنشاده أباعبدالله جعفر بن محمد

دخلتُ مع الكميت على أبى عبدالله جَعْفر بن محمد عليهما السلام، فقال له : جُعِلتُ فِدَاكَ ! ألا أُنشدك ؟ قال : إنها أيامٌ عِظام ، قال : إنها فيكم ، قال : هاتِ — وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرُب — فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت[1] :

يُصيبُ به الرّامون عن قَوْسِ غيرِهم   فيا آخِراً سَدّى له الغَىَّ أوّلُ[2]

فرفع أبو عبد الله — عليه السلام — يَدَيْه فقال : اللهم اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدَّم وما أخَّر ، وما أسرَّ وما أعلن ، وأَعطِه حتى يَرْضَى .

أخبرنى حبيب بن نصر المهَلّبىّ ، قال : حدثنا عُمَر بن شبَّة قال : قال محمد بن كُناسة : حدثنى صاعِد مولى الكميت ، قال :

إنشاده أبا جعفر محمد بن على

دخلْنا على أبى جعفر محمد بن علىّ — عليهما السلام — فأنشده الكميتُ قصيدتَه التى أولها :

* مَنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ ؟ *

فقال : اللهم اغفر للكُمَيت ، اللهم اغْفِرْ للكميت .

قبوله كسوة أبى جعفر ورده المال

قال : ودَخَلْنا يومًا على أبى جَعْفر محمد بن علىّ ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة ، فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُ الدنيا لأتَيْتُ مَنْ هِىَ فى يَدَيْه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ؛ فأما الثيابُ التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبَرَكاتها ، وأمّا المالُ فلا أقبله ، فردّه وقَبِل الثياب .

(١) الهاشميات ٧١ .   (٢) فى الهاشميات : أسدى .

فاطمة بنت الحسين تحتفي به

قال: ودخلنا على فاطمةَ بنت الحسين — عليهما السلام — فقالت: هذا شاعرُنا أهلَ البيت، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق، فحركته بيدها وسقت الكُمَيت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومَرْكب، فهمَلت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها، إنى لم أحبّكم للدنيا.

٥ أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىُّ، قال: أخبرنى عمّى، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابنِ كُناسة، قال:

احتجاج بنى أسد على المستهل بن الكميت ببيت لأبيه

لما جاءت المُسوّدَة سخروا[1] بالمستهلّ بن الكميت، وحمّلوا عليه حملاً ثقيلا، وضربُوه، فمرَّ ببنى أسد، فقال: أترضوْن أن يُفعل بى هذا الفعل؟ قالوا له: هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم[2]:

١٠ والمُصيبون بابَ ما أخطأ النَّا ... س ومُرْسُو قواعِد الإسلام[3]

قد أصابوا فيك، فلا نكذب أباك.

المستهل وأبو مسلم

قال: ودخل المستهلّ على أبى مُسلم، فقال له: أبوك الذى كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذى يقول:

بخاتمكم كُرْهاً تجوزُ أمورُهم[4] ... فلم أر غصْبًا مثلَه حين يُغْصَبُ

١٥ فأطرق أبو مسلم مستحيياً منه.

أخبرنى عمّى، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرانىّ، قال حدثنا الحسن ابن بشر السَّعدىّ، قال:

---

(١) ا: «سجروا» تحريف.

(٢) الهاشميات ٢٢.

(٣) فى الهاشميات: «والمصيبين ... ومرسى».

(٤) فى ط: «لخاتمكم»، والمثبت من ا، ب والهاشميات.

المستهل يشكو إلى أبى جعفر

أخذ العَسَس المستهلّ بن الكميت فى أيام أبى جعفر ، وكان الأمر صَعْبًا ، فحبس ، فكتب إلى أبى جعفر يشكو حالَه ، وكتب فى آخر الرُّقعة :

١٥/١٢٤

لئنْ نحن خِفْنا فى زمانِ عدوّكم   وخِفْناكُمُ إنَّ البلاء لراكِدُ

فلما قرأها أبوجعفر قال : صدق المستهلّ ، وأمر بتَخليتِه .

٥

حدثنى علىُّ بن محمد بن علىّ إمام مسجد الكوفة ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن علىّ الخزاعىّ — ابن أخى دعبل — قال : حدثنى عمّى دِعْبل بن علىّ قال :

خبر لدعبل فى رؤياه النبى

رأيتُ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : مالك وللكميت ابن زيد ؟ فقلت : يارسول الله ، ما بينى وبينه إلاّ كما بين الشعراء ، فقال : لا تفعل ، أليس هو القائل :

١٠

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونَنِى   ولا زِلْتُ فى أشْياعِهم أتقلَّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت . قال : فانتهيتُ عن الكميت بعدها .

حدثنى علىُّ بن محمد ، قال : حدثنى إسماعيل بن علىّ ، قال : حدثنى إبراهيم ابن سعد الأسدىّ ، قال :

خبر لسعد الأسدى فى رؤياه النبى

سمعتُ أبى يقول : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال : مِنْ أىِّ الناسِ أنت ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلم ، فمِنْ أىِّ العرب ؟ قلت : من بنى أسد ، قال : من أسَد بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال لى : أهلالِىٌّ أنتَ ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرِفُ الكميت بن زيد ؟ قلت : يارسول الله ، عمِّى ومِنْ قبيلتى ، قال : أتحفظُ مِن شعره شيئا ؟ قلت : نعم . قال : أنشدنى(١) :

١٥

* طرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ *

(١) الهاشميات ٣٦ ، وبقية البيت :

* ولا لَعِباً منى وذُو الشَّوْق يَلْعَبُ *

٢٠

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله[١] :

فـالِيَ إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعةٌ ومالِيَ إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

فقال لى : إذا أصبحتَ فاقرَأْ عليه السلام ، وقل له : قد غفر اللهُ لكَ بهذه القصيدة .

٥ وجَدْتُ فى كتاب بخط المرْهبىّ الكوفىّ : حدثنى سليمان بن الربيع ابن هشام النهدىّ[٢] الخراز ، قال :

نصر بن مزاحم يراه فى نومه ينشد بين يدى النبى

حدثنى نَصْر بن مُزَاحم المِنْقَرِىّ ، أنّه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

* من لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهامِ ؟[٣] *

١٠ قال : فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الكُمَيْتُ بن زَيْد الأَسدىّ ، قال : فجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول له : جَزَاكَ اللهُ خيرا ! وأثنى عليه .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف ، قال : حدثنا الحسَن بن عُلَيل العَنَزىّ ، قال : حدثنى أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ ، قال : حدثنى محمد بن أنس السَّلامىّ ، قال : حدثنى محمد بن سَهْل راوية الكميت ، قال :

نقد الفرزدق شعره

١٥ جاء الكُميتُ إلى الفرزدق لما قدم الكوفة ، فقال له : إنى قد قلْتُ شيئا فاسْمَعْهُ منى يا أبا فِراس . قال : هاتِه ، فأنشده قوله :[٤]

(١) الهاشميات ٣٩ .

(٢) فى ب : «السمرى» .

(٣) فى ا : « مشتاق » ، وبقيته :

٢٠ * غيرَ ما صَبْوةٍ ولا أحْلاَمِ *

(٤) الهاشميات ٣٦ .

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أَطربُ ولا لَعِباً منى وذو الشيب يَلْعَبُ[١]
ولـكِنْ إلى أهل الفضائلِ والنُّهَى وخَيْرِ بَنى حَوَّاء والخيرُ يُطْلَبُ

فقال له : قد طربْتَ إلى شىءٍ ما طرِبَ إليه أحَدٌ قبلك ، فأما نحن فما لطربُ ، ولا طرب مَنْ كان قبلنا إلاّ إلى ما تركتَ أنتَ الطَّرَبَ إليه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهَرِىّ ، قال : حدثنا محمد بن علىّ النَّوْفَلِىّ ، قال : سمعتُ أبى يقول : ٥

يعرض شعره على الفرزدق قبل إذاعته

لما قال الـكميت بن زيد الشعرَ كان أول ما قال الهاشميّات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق بن غالب ، فقال له : يا أبا فراس ، إنكَ شيخُ مُضَر وشاعِرُها ، وأنا ابنُ أخيك الـكميت بن زيد الأَسدىّ . قال له : صدَقْتَ ، أنتَ ابنُ أخى ، فما حاجَتُكَ ؟ قال : نُفِثَ على لسانى[٢] فقلت شعرا ، فأحببْتُ أن أعرضَهَ عليك ؛ فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحا أمَرْتَنى بسَتْره ، وكنْتَ أولى مَنْ سَتَره علىّ . فقال له الفرزدق : أمّا عقلك فحسَن ، وإنى لأَرجو أن يكونَ شِعْرُكَ على قَدْرِ عقلك ، فأنشِدنى ما قلت ، فأنشده : ١٠

١٥/١٢٥

* طربْتُ وما شوقا إلى البيض أطْرَبُ[٣] * ١٥

قال : فقال لى : فيمَ تطربُ يابْنَ أخى ؟ فقال :

* ولا لعِباً منى وذو الشيب يَلْعب *

فقال : بلى يابْنَ أخى ، فالْعَبْ ، فإنك فى أوان اللعب ، فقال :

ولم يُلْهِنِى دَارٌ ولا رسْم منزلٍ ولم يتطَرَّبْنِى بَنَانٌ مخضَّب

(١) حاشية ا : «وذو الشوق» ، وعليها علامة الصحة ، وهى رواية الهاشميات . ٢٠
(٢) نفث على لسانى : أوحى إلى بالشعر . (٣) الهاشميات ٢٦ .

فقال : ما يُطربك يابْنَ أخي ؟ فقال :

ولا السانحاتُ البارِحاتُ عشيةً أمَرَّ سليمُ القَرْنِ أمْ مرَّ أعضَبُ ؟

فقال : أجل ، لا تتطيَّر ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهَى وخيرِ بنى حوَّاء والخيرُ يُطلَبُ

٥ فقال : ومَنْ هؤلاء ؟ وَيْحَك ! فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الَّذينَ بِحُبِّهم إلى اللهِ فيما نابَني أتَقَرَّبُ

قال : أرِحني وَيْحَك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال :

بَني هاشمٍ رَهْطِ النبيِّ فإنني بِهم ولَهُمْ أرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

خفَضْتُ لهم مِنّي جَنَاحَيْ مَوَدّةٍ إلى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أهلٌ ومَرْحَبُ

١٠ وكنتُ لهم مِنْ هؤلاء وهؤلا مُحبّاً[1] ، على أنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[2]

وأُرْمَى وأَرْمِي بالعَدَاوَةِ أهلَها وإنّي لأُوذَى فيهمُ وأُؤَنَّبُ

فقال له الفرزدق : يابْنَ أخى ، أذِع ثم أذِعْ ؛ فأنتَ واللهِ أشعرُ مَنْ مضى ، وأشعر من بقى .

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزىّ ، قال : حدثنى

١٥ أحمد بن بُكير ، قال : حدثنى محمد بن أنس ، قال : حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت ، قال :

معارضته قصيدة لذى الرمة

لما قدم ذو الرُّمة أتيتُه فقلت له : إنى قد قلتُ قصيدةً عارضْتُ بها قصيدتك :

(١) الهاشميات : « مجنّا » .

٢٠ (٢) فى س : « وأعضب » . وقصبه ، أى عابه وشتمه ، والمثبت ما فى الهاشميات .

* ما بال عَيْنِك منها الماء ينسكب[١] *

فقال لى : وأىّ شىء قلت ؟ قال : قلتُ :

هل أنتَ عن طَلَب الأيْفَاعِ[٢] مُنْقَلِبُ
أم كيف يحسنُ مِنْ ذى الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ ؟!

٥ حتى أنشدتُه إياها ، فقال لى : وَيْحك ! إنك لتقولُ قولاً ما يقدِرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأت ، وذلك أنك تصِفُ الشىء فلا تجىء به ، ولا تقَعُ بعيدًا منه ، بل تقع قريباً . قلت له : أوَ تدرى لِمَ ذلك ؟ قال : لا . قلتُ : لأنك تصفُ شيئاً رأيتَه بعَيْنك ، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِف لى ، وليست المعاينةُ كالوصف . قال : فسكت[٣] .

١٠ أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثنى إسماعيل بن عبد الله الطلحىّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، عن حمّاد الراوية ، قال :

علمه بالبادية عن وصف جدتيه

كانت للكُميت جدّتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصِفَان له البادية وأُمورَها وتُخْبِرانه بأخبارِ الناس فى الجاهلية ، فإذا شكّ فى شِعْر أو خَبَر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمِنْ هناك كان عِلْمه .

١٥

١٥ / ١٢٦

أخبرنى الحسن بن القاسم البَجَلىُّ الكوفىُّ ، قال : حدثنا علىّ بن إبراهيم ابن المُعَلَّى ، قال : حدثنا محمد بن فُضَيل — يعنى الصَّيْرَفىّ — عن أبى بكر الحضْرمىّ ، قال :

---

(١) ديوانه ا ، وتمامه :

* كأنه من كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبُ *

٢٠

(٢) الأيماع ، يريد بالأيفاع الكواعب التى شارفت البلوغ .

(٣) الموشح ٣٠٧ ، والأغانى ١ . ٣٤٨ .

استأذنتُ للكميت على أبى جعفر محمد بن علىٍّ — عليهما السلام — فى أيام التَّشريق بمنًى ، فأذن له ، فقال له الكميت : جُعلت فِداك ! إنِّى قلتُ فيكم شِعْراً أُحِبُّ أن أنشدكَهُ . فقال : يا كميت ، اذكر الله فى هذه الأيام المعلومات ، وفى هذه الأيام المعدودات ، فأعاد عليه الكميت القولَ ، فرقَّ له ٥ أبو جعفر عليه السلام ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ[1] :

يُصِيب به الرَّامُون عن قَوْسِ غيرهمْ فيا آخراً سَدَّى له الغَىَّ أوَّلُ[2]

فرفع أبو جعفر يدَيه إلى السماء وقال : اللهم اغفرْ للكميت .

أخبرنى جعفر بن محمد بن مروان الغَزَّال الكوفىّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا أرطاة بن حبيب ، عن فُضَيل الرَّسَّان ، عن ورد بن زَيْد أخى ١٠ الكميت ، قال :

استئذانه أبا جعفر فى مدح بنى أمية

أرسلنى الكميت إلى أبى جعفر ، فقلت له : إن الكميت أرسلنى إليك ، وقد صُنِع بنفسه ما صُنِع ، فتأذَن له أن يمدحَ بنى أمية ؟ قال : نعم ، هو فى حِلٍّ فلْيَقُلْ ما شاء .

أخبرنى محمد بن العباس ، قال : أخبرنى عمِّى عن عُبيد الله بن محمد بن ١٥ حَبيب ، عن ابن كُناسَة ، قال :

مات وَرْدٌ أخو الكميت ، فقيل للكميت : ألاَ ترثى أخاك ؟ فقال : مَرْثيته ومَرْزيته عندى سواء ، وإنى لا أُطيق أن أرثيَه جَزَعاً عليه .

روايته للحديث

وقد رَوى الكميت بن زَيْد الحديث ، ورُوى عنه .

أخبرنى جعفر بن محمد بن عُبيد بن عُتبة فى كتابِه إلىَّ ، قال : حدثنى

٢٠ (١) الهاشميات : ٧١ .
(٢) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٤ .

الحُسين بن محمد بن علىّ الأزدىّ ، قال : حدثنى الوليد بن صالح ، قال : حدثنى محمد بن سعيد بن عُمير الصَّيْداوىّ ، عن أبيه ، عن الكميت بن زَيْد ، قال :

حدثنى عكرمة أنّ عَبْدَ الله بن عبّاس بعثه مع الحسين بن علىّ — عليهما السلام — فجعل يُهِلّ[1] حتى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبة ، أو حين رمى جمرة العقبة ، ٥ فسألْتُه عن ذلك ، فأخبرنى أنّ أباه فَعَلَه ، فحدَّثتُ به ابْنَ عباس ، فقال لى : لا أُمَّ لك ! أتسألنى عن شىء أخبرك به الحُسين بن على عن أبيه ! والله إنها لَسُنَّة.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ ، قال : حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أعين ، عن حَفْص بن محمد الأسدى ، قال : حدثنا الكُمَيت بن زيد عن مذكور مولى زينب ، عن ١٠ زينب ، قالت :

دخل علىّ النبىّ صلى الله عليه وسلم وأنا فُضُلٌ[2] ، قالت : فقلت بيدى هكذا — واستترتُ — قالت : فقال لى : إنّ الله عزّ وجلّ زَوَّجنيكِ .

حدثنى أبو العباس أحمد بن محمد بن سَعيد بن عقدة ، قال : حدثنى ١٥ أحمد بن سراج ، قال : حدثنى الحسن بن أيوب الخَثْعَمِىّ ، قال : حدثنا فُرَات بن حبيب الأسدىّ قال : حدثنى أبى حَبيبُ بن أبى سليمان ، قال :

روايته للتفسير

حدثنى الكُمَيت بن زيد ، قال : سألتُ أباجعفر عن قَوْل الله عزّ وجل:

---

(١) يهل : يرفع صوته .

(٢) فضل ، أى فى ثوب واحد ؛ وفى ا : « أصلى » . ٢٠

«إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرادُّك إلى مَعاد(١)» . قال : دخلتُ أنا وأبى إلى أبى سعيد الخُدْرِىّ ، فسأله أبى عنها ، فقال : مَعَادُ آخِرَتِهِ : الموت .

يعتذر إلى أبى جعفر محمد بن على

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال حدثنى إسحاق بن محمد بن أبان ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مِهْران ، قال : حدثنى رِبْعِىُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبى سَبْرَة ، عن أبيه ، قال :

دخل الكميت بن زيد الأسدىّ على أبى جعفر محمد بن علىّ ، عليهما السلام ، فقال له : يا كميت ، أنت القائل :

فالآن صِرْتُ إلى أُمَيَّـــة والأمورُ إلى المصايِرْ

١٥ / ١٢٧

قال : نعم ، قد قُلْتُ ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدنيا ، ولقد عرفتُ فضلكُم ، قال : أما أنْ قلت ذلك فإنّ التقيّة لتحلّ .

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا الحَسَنُ ابن عبد الرحمن الرَّبَعِى ، قال : حدثنا أحمد بن بُكَير الأسدىّ قال : حدثنا محمد بن أنس السّلامى الأسدىّ قال :

رأى معاذ الهراء فى شعره

سُئل مُعاذ الهرّاء : مَنْ أشعرُ الناسِ ؟ قال : أمِن الجاهليين أم من الإسلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس ، وزُهير ، وعَبيد ابن الأبرص . قالوا : فمِن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والرّاعى . قال : فقيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرتَ الكميت فيمَنْ ذكرت . قال : ذاك أشعر الأوّلين والآخرين .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلاّبىّ ، قال : حدثنا العباس بن بكّار ، قال : حدثنا أبو بكر الهذلىّ ، قال :

(١) سورة القصص ٨٥ .

لم يخرج مع زيد بن على

لمّا خرج زيدُ بن علىّ كتب إلى الكُمَيْتِ : اخرُج معنا يا أُعَيْمِش ، ألستَ القائل[١] :

ما أُبالى — إذا حُفِظْتَ أبا القا سم — فيكم ملامةَ اللوّامِ

فكتب إليه الكُميت :

تجودُ لكم نفسى بما دُون وَثْبَةٍ تظَلُّ لها الغِرْبان حَوْلِى تَحْجِلُ ٥

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنى عَمّى عن عبيد الله ابن محمد بن حبيب ، عن محمد بن كُنَاسة ، قال :

لما أُنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت[٢] :

فَبِهِمْ صرتُ للبعيد ابْنَ عَمٍّ واتّهمت القريبَ أىَّ اتّهامِ

مُبْدِيا صفحتى على الموقف المُعْلَمِ ، باللهِ قوّتِى واعتصامى[٣] ١٠

قال : استَقْتَلَ المُرائى .

مدحه خالد القسرى

قال : ودخل الكُمَيْت على خالد القَسْرىّ ، فأنشده قوله فيه[٤] :

لو قيل للجُود : مَنْ حَليفُكَ ؟ ما إنْ كان إلاّ إليك يَنْتَسِبُ

أنتَ أخوه وأَنْتَ صُورَتُه والرأْسُ منه ، وغيرُك الذَّنَبُ

أحرَزْتَ فَضْلَ النِّضال فى مَهَلٍ فَكُلَّ يومٍ بِكفِّكَ القَصَبُ ١٥

لو أنّ كَعْباً وحاتما نُشِرَا كانا جميعاً مِنْ بَعْضِ ما تَهَبُ

(١) الهاشميات ٣٣ .
(٢) الهاشميات ٣٣ .
(٣) الهاشميات : « عزق » .
(٤) الهاشميات ٩٠ . ٢٠

لا تخلفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا أنتَ عن المُعتَفِين تحتجبُ
ما دُونَكَ اليوم من نَوالٍ ، ولا خَلْفكَ للراغبين مُنْقَلَبُ(١)

فأمر له بمائة ألف درهم .

المستهل وعيسى ابن موسى

قال : وحضر المستهلّ بن الكُمَيْت بابَ عيسى بن موسى — وكان يكرِمُهُ — فبلغه أنه قد غلب عليه الشرابُ ، فاستخفّ به ، وكان آخرَ مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يُقال لهم الرّاشدون يُؤْذَن لهم فى القعود ، فأدخِل المستهلّ معهم ، فقال :

ألم تر أنّىَ لما حضرت دُعِيتُ فكنتُ مع الرَّاشِدينا
ففزْتُ بأحسنِ أسمائهم وأقبَحِ منزلة الدَّاخلينا

أخبرنى حبيب بن نَصْر المهلّبىّ ، قال : حدثنا عمر بن شَبَّة ، قال : دخل الكميت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلب ، فأنشده(٢) :

١٥
١٢٨

إنشاده مخلد بن يزيد بن المهلب

قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِدَاتُه عن ذاكَ فى أشغَالِ(٣)
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهم وسمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأَبطالِ

قال : وقُدَّام مخلد دراهم يقال لها الرُّويجة ، فقال : خُذْ وِقْرَك(٤) منها . فقال له : البغلة بالباب ، وهى أجلد منّى . فقال : خُذْ وِقْرَها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه فى ذلك ، فقال : لا أردُّ مكرُمةً فعلها ابنى .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثنى أبو بكر الأموىّ ، قال : حدثنا ابن فضيل ، قال :

(١) فى ا : « مطّلب » .
(٢) الهاشميات ٨٨ .
(٣) لداته : أنداده .
(٤) الوقر ، بالكسر : الحمل الثّقيل .

لِذا قال أحب أن يحسن

سمعتُ ابن شُبْرُمَةَ، قال: قلت للكُمَيْت: إنك قلتَ فى بنى هاشم فأحسنْتَ، وقلْتَ فى بنى أمية أفضل، قال: إنى إذا قلت أَحببتُ أَنْ أُحسن.

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن عمران الصيرفىّ، قالا: حدثنا الحسن ابن عُليل العَنَزِىّ، قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كُناسة، قال:

طويل أصم لا يجيد الإنشاد

كان الكميت بن زيد طويلاً أصمّ، ولم يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد، فكان إذا استُنْشد أمر ابنه المستهلّ فأنشد، وكان فصيحاً حسن الإنشاد[1].

أخبرنى عمى وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحىّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل:

سبب هجائه أهل اليمن

أنّ سببَ هجاء الكميت أهلَ اليمن، أنَّ شاعِراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عيّاش الكلبىّ كان يهجو علىَّ بن أبى طالب — عليه السلام — وبنى هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بنى أُمية، فانتدبَ له الكميت فهجاه وسبّه، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما، وكان الكميتُ يخافُ أن يفتضحَ فى شعره عن علىّ — عليه السلام — لِما وقع بينه وبين هشام، وكان يُظهر أنَّ هجاءه إياه فى العصبية التى بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصّبّاح ابن الأشعث ابن قيس ووَلَد علقمة بن وائل الحضرمىّ يَرْوُون[2] شِعْرَ الكلبىّ، فهجا أهلَ اليمن جميعا إلاَّ هذين، فإنه قال فى آل علقمة:

ولولا آلُ عَلْقَمَةَ اجتدَعْنَا بقايا من أُنوفٍ مُصَلَّمينا[3]

(١) انظر الأغانى ١٠ : ٣٢١ . والمختار ٦ : ٢٨٧ .
(٢) فى ا : «يردّون» .
(٣) الشعر والشعراء ٥٠٩ ، ٥١٠ .

وقال فى إسماعيل :

فإنّ لإسماعيـــل حقّا ، وإننا له شاعِبُو الصَّدْعِ المُقارِب للشّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يَدٌ ؛ لأنّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام ، وأمُّ إسماعيل من بنى أسد ، فكفّ عنهما لذلك .

٥ قال الطلحىّ : قال أبو سلمة : حدثنى محمد بن سهل ، قال : قال الكلبىّ :

ماسَرّنى أنّ أمّى مِنْ بنى أســدٍ وأنّ رَبّىَ نَجّانِى مِنَ النارِ

وأنهم زوّجــونى من بناتهمُ وأنّ لى كل يوم ألفَ دِينار

فأجابه الكميت :

ياكلب مالك أمٌّ من بنى أسـد معروفة فاحترق ياكلبُ بالنـار

١٠ لـكنّ أمّك مِنْ قوم شُنِئْتَ بهم قد قنّعوك قناعَ الخِزْىِ والعارِ

قال : فقال له الكلبى :

١٥/١٢٩ لن يَبْرَحَ اللؤْمُ هذا الحىَّ من أسد حتى يُفَرَّقَ بين السَّبْتِ والأحدِ[1]

قال محمد بن أنس : حدثنى المستهلّ بن الكميت ، قال : قلت لأبى : يا أبت ، إنك هجوت الكلبىّ ، فقلت :

١٥ ألا يا سَــلْمَ يا تِرْبى[2] أفى أسماء من تِرْب ؟

وغمزتَ عليه فيها ، ففخرتَ ببنى أمية ، وأنتَ تشهد عليها بالكفر ، فألا فخرتَ بعلىّ وبنى هاشم الذين تتَوَلّاهم ! فقال : يا بنىّ ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكلبىّ إلى بنى أمية ، وهم أعداء علىّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليّا لترك

---

(١) فى ا : « حتى أفرق » .

٢٠ (٢) انظر « م » .

ذِكرى ، وأقبلَ على هجائه ، فأكون قد عرَّضْتُ عليًّا له ، ولا أجد له ناصرا مِنْ بنى أُمية ، ففخرت عليه ببنى أمية ، وقلت : إنْ نقضها علىَّ قَتَلُوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غمًّا وغلبتُه ؛ فكان كما قال ، أمسك الكلبىّ عن جوابه ، فغلب عليه ، وأُفحِم الكلبىّ .

وفى أول هذه القصيدة غناء نسبته : ٥

صوت

ألاَ يا سَلْمُ يا ترْبِى[1] أفى أسماء من تِرْبِ ؟
ألاَ يا سَلْمُ حُيِّيتِ سَلِى عنِّى وعن صحبى
ألاَ يا سلْمُ غنِّينا وإنْ هيَّجْتِما حُبِّى
على حادِثةِ الأيا مِ لى نَصْباً من النَّصْبِ[2] ١٠

الغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عَمْرو .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنى أبو سعيد السُّكَّرىّ ، عن محمد بن حبيب ، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحىّ ، قال : قال محمد بن سلمة :

يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلى

كان الكميت مدَّاحاً لأبان بن الوَليد البَجَلىّ ، وكان أبان له مُحِبًّا وإليه مُحْسناً ، فمدح الكميتُ الحكمَ بن الصَّلْت ، وهو يومئذ يخلف يُوسف ١٥ ابن عُمر ، بقصيدته التى أولها :

* طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ *

فلما أنشده إياها وفرغ ، دعا الحكم بخازِنه ليُعطيَه الجائزة ، ثم دعا بأبان ابن الوليد ، فأُدْخِلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحديد ، فطالبه بالمال ، فالتفت الكميتُ

(١) انظر « م » . (٢) غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق منه .

فرآه، فدمعتْ عيناه، وأقبل على الحكم، فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! اجعل جائزتى لأبان، واحتسب بها له من هذا النّجم. فقال له الحكم: قد فعلتُ، ردّوه إلى السجن. فقال له أبان: يا أبا المستهلّ، ما حلّ له علىّ شىء بعدُ. فقال الكميت للحكم: أبى تسخرُ أصلح اللهُ الأمير! فقال الحكم: كذب، قد حلّ عليه المال، ولو لم يحلّ لاحتسَبْنا له مما يحلّ. فقال له حَوْشب بن يزيد الشيبانى ـ وكان خليفة الحكم ـ: أصلح اللهُ الأمير، أتشفّع حمارَ بنى أسد فى عبْد بَجِيلة؟ فقال له الكميت: لئن قلتَ ذاك فوالله ما فَرَرْنا عن آبائنا حتى قُتِلوا، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أنْ ماتُوا — وكان يقال إنّ حوشباً فرّ عن أبيه فى بعض الحروب، فقتل أبوه ونجا هو، ويقال: إنه وطِئ جاريةً لأبيه بعد وفاته — فسكت حوشب مُفْحَماً خجلا، فقال له الحكم: ما كان تعرُّضك للسان الكميت!.

تعريضه بحوشب ابن يزيد الشيبانى

قال: وفى حَوْشَبٍ يقول الشاعر:

نَجّى حُشاشتَه وأسلم شيخَه لمّا رأى وَقْعَ الأسِنّة حَوْشَبُ

١٥/١٣٠

قال الطَّلْحىّ فى هذا الخبر: وحدثنى إبراهيم بن على الأَسدىّ قال:

ابنته ريا وفاطمة بنت أبان بن الوليد

التقتْ ريّا بنت الكميت بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجّتان، فتساءلَتا حتى تعارَفتا، فدفعت بنتُ أبان إلى بنْتِ الكميت خَلْخالَىْ ذَهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت: جزاكم اللهُ خيراً يا آل أبان، فما تتركون برّكُم بنا قديما ولا حديثا! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم اللهُ خيرا؛ فإنّا أعطيناكم ما يَبِيدُ ويَفْنَى، وأعطيتُمونا من المجد والشرَف ما يَبْقَى أبداً ولا يَبِيد، يتناشده الناسُ فى المحافل فيُحْيى ميّتَ الذكْرِ، ويرفع بقية العَقِب.

أخبرنى عمى وابن عمّار ، قالا : حدثنا يعقوب بن نعيم ، قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصّاف الطلحىّ ، قال : قال محمد بن سلَمة ابن أرتبيل :

مولده وموته ومبلغ شعره

وُلد الكميت أيام مَقْتَل الحسين بن علىّ سنة ستين ، ومات فى سنة ستّ وعشرين ومائة ، فى خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا .

وقال يعقوب بن إسرائيل فى رواية عمّى خاصة عنه : حُدِّثْتُ عن المستهلّ ابن الكُمَيت أنه قال : حضرتُ أبى عند الموت وهو يجودُ بنفسه ، ثم أفاقَ ففتح عينيه ، ثم قال : اللهمّ آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .. ثلاثاً ، ثم قال لى : يا بنىّ ، وددت أنى لم أكُنْ هجوتُ نساء بنى كلب بهذا البيت : ١٠

مع العُضْروطِ والعُسَفَاء ألقَوْا ... بَرَادِعَهُنَّ غير مُحَصَّنِينا(١)

وصيته لابنه فى دفنه

فعممتهنّ قَذْفاً بالفجُور ، والله ما خرجتُ بليل قطُّ إلاّ خشيتُ أنْ أُرْمَى بنجوم السماء لذلك . ثم قال : يا بنىّ ، إنه بلغنى فى الروايات أنه يُحْفَر بظَهْر الكوفة خندق يُخرَج فيه الموتى مِنْ قبورهم وينْبشون منها ، فيحوَّلون إلى قُبورٍ غير قبورهم ، فلا تدفنّى فى الظهر ، ولكن إذا متّ فامْض بى إلى موضعٍ يقال له مكْرَان ، فادفنّى فيه . فدُفن فى ذلك الموضع وكان أول مَنْ دُفِنَ فيه ، وهى مقبرة بنى أسد إلى الساعة . ١٥

قال المستهلّ : ومات أبى فى خلافة مَرْوان بن محمد سنة ستٍّ وعشرين ومائة.

---

(١) العضروط : الخادم على طعام بطنه ، والعسيف : الأجير أو العبد المستعان به ، وجمعه عسفاء ، وفى ا : « براذعهن » . وهما بمعنى ٢٠

صــوت

أستعين الذى بكفَّيْهِ نَفْعِى ورَجائى على الَّتى قَتَلَتْنى

ولقد كنتُ قد عرفْتُ وأبصر ت أُموراً لَوْ أنَّها نفَعَتْنى

قلت : إنى أهوَى شِفَا ما أُلاقى مِن خطوب تتابعت فَدَحتْنى

شعر لعمر بن أبى ربيعة

٥ عروضه من السريع[1] ، يقال : إن الشعر لعُمر ، والغناء لابن سُرَيْج ثقيل أول بالوسطى ، عن حمَّاد عن أبيه ، وفيه لحنٌ للهُذلىّ . وقيل : بل لحن ابن سُريج للهُذلىّ ، ذكر ذلك حَبَش . وقيل : بل هو مما نُسِب من غناء ابْنِ سُريج إلى الهذَلىّ .

(١) كذا فى أصول الأغانى ، والبيت عروضه من البحر الخفيف .

خبر ابن سريج
مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام

أخبرنى الحُسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مصعب الزّبيرىّ ، قال : حدثنى شيخ من المكيّين، ووجدتُ هذا الخبرَ أيضاً فى بعض الكُتُبِ مَرْويًّا عن محمد بن سَعْد كاتب الواقدى ، عن مصعب، عن شيخ مِنَ المكيّين، ٥ والروايةُ عنهما متَّفِقَةٌ ، قال :

١٥ / ١٣١

امتناعه من الغناء وقدومه المدينة للاستشفاء

كان ابنُ سُرَيج قد أصابته الريحُ الخبيثة ، وآلى يميناً ألاَّ يغنِّى ، ونَسَك ولزم المسجدَ الحرام حتى عُوفى . ثم خرج وفيه بقيَّةٌ من العِلّة ، فأتى قبْرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم وموضعَ مُصَلاَّه . فلما قدم المدينةَ نزل على بَعضِ إخوانه مِنْ أهل النُّسك والقِراءة ، فكان أهلُ الغناء يأتونَه مسلِّمين عليه ، فلا يأذَنُ ١٠ لهم فى الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حَوْلاً حتى لم يُحِسَّ مِنْ عِلّته بشىء ، وأراد الشخوصَ إلى مكة .

سكينة ترغب فى الاستماع منه

وبلغ ذلك سُكَيْنة بنت الحسين ، فاغتمَّت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذَرْعُها ، وكان أشعبُ يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأشعَب: وَيْلَكَ ! إنَّ ابنَ سُرَيْج شاخِصٌ ، وقد دخل المدينة منذُ حَوْل ، ١٥ ولم أسمع مِنْ غِنائه قليلا ولا كثيراً ، ويعزُّ ذلك على ، فكيف الحيلةُ فى الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟ فقال لها أشعب . جُعِلْتُ فِدَاك ! وأنَّى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه ؟ فارفعى طَمَعَك ، والْحَسِى تَوْرَك[1] تنفعك حلاوة فَمك .

(١) فى بعض النسخ : وامسحى بوزك . والمثبت فى (ج) والتَّوْر بالفتح : إناء يشرب فيه . ٢٠

فأمرت بعضَ جواريها فوَطِئْنَ بَطْنَه حتى كادت أَنْ تخرج أمعاؤه ، وخَنَقْنَه حتى كادت نَفْسُه أن تَتْلَف ، ثم أمرَتْ به فسُحِب على وَجْهِه حتى أُخرج من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوإ الحالات ، واغتمَّ أشعَب غمًّا شديدا ، ونَدِم على مُمَازحتها فى وقتٍ لم يَنْبَغِ له ذلك ؛ فأتى منزلَ ابْنَ سُرَيج ليلا فطرقه ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أشعب ، ففتحوا له ، فرأى على وَجْهِه ولِحْيَتِه التراب ، والدّمَ سائلاً من أنفه وجَبْهته على لحيته ، وثيابه ممزّقة ، وبطنه وصَدْره وحَلْقه قد عصرها الدَّوْس والخَنْقُ ، ومات الدم فيها ، فنظر ابنُ سريج إلى منظرٍ فظيع هالَه وَراعَه ، فقال له : ما هذا وَيْحَك ؟ فقصّ عليه القصة .

امتناعه من الذهاب إليها

فقال ابنُ سُرَيج : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذى سلّم نفسك ، لا تعودَنّ إلى هذه أبداً . قال أشعب : فديتك هى مَوْلاتى ولا بدّ لى منها ، ولكن هل لك حيلةٌ فى أنْ تصيرَ إليها وتُغَنّيَها ؛ فيكون ذلك سبباً لِرَضَاها عنى ؟ قال ابنُ سُرَيج : كلاّ والله لا يكونُ ذلك أبداً بعد أن تركَتْه .

قال أشعب : قد قطعْتَ أملى ورفعتَ رِزْقى ، وتركتَنى حيْرَانَ بالمدينة ، لا يقبلنى أحد وهى ساخطةٌ علىّ ، فاللهَ اللهَ فىّ ، وأنا أنشدك الله إلاّ تحمَّلْت هذا الإثمَ فىّ ، فأبى عليه .

حيلة أشعب لإرغامه

فلما رأى أشعب أنّ عزْمَ ابْنِ سُرَيج قد تمّ على الامتناع قال فى نفسه : لا حيلةَ لى ، وهذا خارجٌ ، وإنْ خرج هلكْتُ ، فصرخ صرخةً آذَنَ أهلَ المدينة لها ، ونَبَّه الجيران مِنْ رُقادهم ، وأقام الناسَ مِنْ فرُشهم ، ثم سكتَ ، فلم يَدْرِ الناسُ ما القصةُ عند خفوتِ الصَّوْتِ بعد أنْ قدْ راعَهُمْ .

فقال له ابنُ سريج : ويلك ! ما هذا ؟ قال : لئن لم تَصِرْ معى إليها

لأصْرُخَنَّ صَرْخَةً أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلاَّ صار بالباب ، ثم لأفْتَحنَّه ولأرِيَنَّهم مابى ، ولأُعلِمنّهم أنك أردْتَ تفعَلُ كذا وكذا بفلان — يعنى غلاماً كان ابنُ سريج مشهوراً به — فمَنَعْتُك ، وخلَّصت الغلام مِنْ يدك حتى فتح الباب ومضى ؛ ففعلت بى هذا غيظاً وتأسّفاً ، وأنك إنما أظهرت النُّسكَ والقراءةَ لتظفرَ بحاجتك منه ، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حالَه معه . ٥

فقال ابنُ سريج : اغرُبْ ، أخزَاكَ الله . قال أشعب : والله الذى لا إله إلا هو ، وإلا فما أملك صدقة[1] ، وامرأته طالق[2] ثلاثا ، وهو نَحِيرٌ[3] فى مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النار ، والقبر قبر أبى رِغَال[4] إنْ أنْتَ لم تنهض معى فى ليلتى هذه لأفعلَنَّ .

١٥
١٣٢

قبوله الذهاب إلى منزل سكينة

فلما رأى ابنُ سريج الجِدَّ منه قال لصاحبه : وَيْحَكَ ! أما تَرَى ما وقَعْنا فيه ؟! وكان صاحِبه الذى نزل عنده ناسكا ؛ فقال : لا أدرى ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث . وتذَمَّمَ ابنُ سُرَيج من الرجل صاحبِ المنزل فقال لأشْعَب : اخرج مِنْ منزل الرجل . فقال : رِجْلِى مع رِجْلك ، فخرجا . ١٠

(١) فى ا : « أصدقه » .

(٢) فى ا : « وامرأته الطلاق ثلاثا » . ١٥

(٣) نحير ، أى مذبوح ؛ والكلمة محرفة فى الأصول .

(٤) فى القاموس : رغال ، ككتاب . وفى سنن أبى داود ، ودلا ئل النبوة وغيرهما عن ابن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا إلى الطائف ، فمررنا بقبر ، فقال : هذا قبر أبى رغال ، وهو من ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وقول الجوهرى : ٢٠ «كان دليلا للحبشة حين توجهوا إلى مكة فات فى الطريق ، غير جيد . وكذا قول ابن سيده : « كان عبداً لشعيب ، وكان عشاراً جائرا » . (رغل) .

فلما صارا فى بعض الطريق قال ابنُ سُرَيج لأشعب : امضِ عَنّى . قال : واللهِ لئن لم تفعل ما قلْتُ لأَصِيحَنَّ الساعة حتى يجتمعَ الناس ، ولأقولنَّ : إنك أخذْتَ منى سِواراً من ذهب لسكينة على أنْ تجيئها فتغنّيها سرًّا ، وإنك كابَرْتَنى عليه وجحدْتَنِى ، وفعلتَ بى هذا الفعل .

٥ فوقع ابن سريج فيما لاحيلةَ له فيه . فقال : أمْضِى ، لا بارك اللهُ فيك . فمضى معه .

فلمّا صار إلى بابِ سُكينة قرع البابَ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أشعب قد جاء بابن سُريج ، ففُتح الباب لهما ، ودخلا إلى حجرةٍ خارجةٍ عن دارِ سكينة، فجلسا ساعةً ، ثم أُذن لهما فدخلا إلى سكينة ، فقالت : ياعُبيد ، ما هذا الجفاء ؟

استعفاؤه وإباء سكينة

١٠ قال : قد علمتِ بأبى أنتِ ما كان منى . قالت : أجَلْ، فتحدّثا ساعة ، وقصَّ عليها ماصنع به أشعب ،فضحكت ، وقالت : لقد أذهب ما كان فى قلبى عليه ، وأمَرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة . ثم قال لها ابنُ سريج : أتـأذنين بأبى أنْتِ ؟ قالت : وأين ؟ قال : المنزل ، قالت ! برئت مِنْ جدّى إن برحت دارِى ثلاثا ، وبرئت من جدّى إن أنْتَ لم تُغَنِّ إن خرجت منْ دَارِى شهراً ،

١٥ وبرئتُ من جدّى إن أقمت فى دارى شهراً إن لم أضربك لـكل يوم تقيم فيه عشرا ، وبرئتُ من جدّى إن حنِثت فى يمينى أو شفّعتُ فيك أحداً .

فقال عبيد : وا سخنةَ عيناه ! وا ذهابَ دُنْياه ! وافضيحتاه ! ثم اندفع يُغنّى :

أستعينُ الذى بِكفّيْه نفعِى ورَجائى على التى قتَلَتْنى

دملج سكينة فى يده

٢٠ الصوت المذكور آنفاً . فقالت له سُكينة : فهل عندك ياعُبَيد مِنْ صَبْر ؟ ثم أخرجت دُمْلُجاً[1] من ذَهب كان فِى عَضُدِها وَزْنُه أربعون مثقالا ، فرمَتْ

(١) الدملج : السوار يلبس فى العضد .

به إليه ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لَمَا أدخلْتَه فى يدك ، ففعل ذلك ، ثم قالت لأشعب : اذهب إلى عزَّة[١] فأقرِئها منى السلام ، وأعلمها أنَّ عُبَيْداً عندنا ، فلْتأتنا مُتَفضِّلةً بالزيارة . فأتاها أشعب فأعلمها ، فأسرعت المجىء ، فتحدّثوا باقىَ لَيْلَتهم . ثم أمرت عُبَيْداً وأشعبَ فخرجا فناما فى حُجْرَةِ مَوَاليها .

استدعاء عزة الميلاء

فلما أصبحَتْ هُيِّئَ لهم غداؤهم ، وأذنت لابْن سُريج فدخل فتغدَّى قريباً منها مع أشعب ومَوَاليها ، وقعدت هى مع عزَّة وخاصةِ جواريها ، فلما فرغوا من الغَدَاء قالت : ياعزّ ، إنْ رأيتِ أنْ تُغنِّينا فافعلى . قالت : إى وعَيْشِك . فتغنَّت لَحْنَها فى شعر عَنْتَرَةَ العَبسىّ[٢] :

مجلس غناء

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُه أقوَى وأقفَر بعــد أُمِّ الهَيْثَمِ
إن كنْتِ أزمعْتِ الفِراقَ فإنما زُمَّتْ[٣] رِكابُكمُ بليْلٍ مُظْلِمِ

فقال ابنُ سريج : أحسنتِ واللهِ يا عزّة ! . وأخرجت سكينة الدُّمْلج الآخر من يَدِها فرمَتْه إلى عزة ، وقالت : صَيِّرِى هذا فى يدك ، ففعلت . ثم قالت لعُبيد : هات غنّنا . فقال : حَسبُك ما سمعتِ البارحة . فقالت : لابُدَّ أنْ تغنينا فى كلّ يوم لحنا . فلما رأى ابنُ سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسألُه غنَّى :

قالت : مَنَ انْتَ ؟ ـ على ذُكْرٍ ـ فقلت لها: أنا الذى ساقَهُ للحَيْن مقْدَارُ[٤]
قد حانَ منكِ ـ فلا تَبْعُدْ بك الدارُ ـ بَيْنٌ وفى البَيْنِ للمَتْبُولِ إضْرَارُ

(١) هى عزّة الميلاء .
(٢) ديوانه : ١٢٩
(٣) زمت ، زممت البعير : خطمته وعلقت عليه الزمام .
(٤) المقدار هنا : القدر ، بفتحتين .

١٥
١٣٣

ثم قالت لعزّةَ فى اليوم الثانى : غَنّى ، فغنّتْ لَحْنَها فى شعر الحارث ابن خالد — ولابن محرز فيه لَحْن — ، ولَحْنُ عزّة أحسنهما :

وقرّتْ بها عَيْني ، وقد كنتُ قَبْلَها كثيرَ البكاء مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِها

وَبِشْرَة خَــوْدٌ مِثْل تمثالِ بِيعَةٍ تظلُّ النصارَى حوله يَوْمَ عِيدِها

٥ قال ابن سُرَيْج : واللهِ ما سمعت مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيبا .

ثم قالت لابن سريج : هاتِ ، فاندفع يغنّى :

أرقتُ فــلم أنَمْ طَرَبا وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا

لِطَيْفِ أحبِّ خَلْقِ الله إنسانا وإنْ غَضِبــا

فــلم أردُدْ مقالَتَهــا ولم أكُ عاتبا عَتَبا[1]

١٠ ولــكنْ صرّمَتْ حَبْلِي فأمسى الحَبْلُ مُنْقَضِبا[2]

فقالت سكينة : قد علمتُ ما أردتَ بهذا ، وقد شفّعناك ، ولم نردّك . وإنما كانت يمينى على ثلاثة أيام ، فاذهَبْ فى حِفْظِ الله وكَلاءته .

ثم قالت لعزّة : إذا شئت . ودَعَتْ لهــا بحُلّة ، ولابْنِ سريج بمثلها . فانصرفَتْ عزّةُ ، وأقام ابنُ سريج حتى انقضت ليلته ، وانصرف ، فمضى ١٥ من وَجْهه إلى مكةَ راجعا .

أشعار وأصواتها

نسبة الأصوات التى فى هذا الخبر

منها :

صــوت

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه أقوَى وأقفر بعد أُمِّ الهَيْثَمِ

٢٠ (١) العتب ، بالتحريك : الكريهة والأمر الشديد .

(٢) بعد هذا البيت فى ا : « وذكر باقى الأبيات الأربعة » ولم يكتب هذه الأبيات .

الشّعر لعَنْتَرة بن شدّاد العبسىّ ، والغناء لعزّةَ المَيْلاء ، وقد كتبَ ذلك فى أول هذه القصيدة وسائر ما يغنّى فيها .

ومنها :

صــوت

أرقْتُ فـلم أنَمْ طرَبا   وبتّ مسهّدا نَصِبا
لِطَيْفِ أحبِّ خلق الله إنسانا وإن غضِبَا
إلى نَفْسى ، وأوْجَهِهم   وإن أمْسَى قد احتجبا
وسرّمَ حبْلَنا ظُلْماً   لبلْغَةِ كاشحٍ كذَبا[1]

عروضه من الوافر . الشعر لعُمر بن أبى ربيعة ، والغِناء لابن سُريج ، ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر .

ومنها قوله :

صــوت

قد حان منك ــ فلا تَبْعُدْ بك الدارُ ــ   بَيْنٌ وفى البيْن للمتْبُول إضْرار
قالت : مَن أنت ؟ ــ على ذُكْرٍ ــ فقلتُ لها :   أنا الذى ساقَنى للحَيْن مِقدارُ

الشعر لعُمر بن أبى ربيعة ، والغِناء لابن سُريج ، رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

ومنها الصوت الذى أوّله :

* وقَرّتْ بها عَيْنى وقد كنتُ قبلها *

أوله قوله :

(١) فى بيروت : لقولة ، والمثبت يتفق مع الديوان . والمبلغة يراد بها التبليغ .

صــوت

لِبَشْرَةَ أَسْرَى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها(١)

وما بَيْنَنَا من حَزْنِ أَرْضٍ وبِيدِها

وقَرَّتْ بها عَيْنِي وقد كنتُ قبْلَها كثيرا بُكائى مُشفقا منْ صُدودِها

٥ وبِشْرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تمثالِ بِيعَةٍ تظلُّ النصارى حَوْلَها يوم عِيدِها

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى الوسطى .

وذكر إسحاق هذه الطريقة فى هذا الصوت ولم يَنْسُبْها إلى أحد، ولابْنِ محرز فى هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر فى مجرى الوسطى ، وفيها لعزّة ١٠ الميلاء خفيف رمل .

الحارث بن خالد المخزومى وبشرة

وبِشْرة هذه — التى ذكرها الحارث بن خالد — أَمَةٌ كانت لعائشة بنت طلحة ، وكان الحارث يكنى عن ذِكْرِ عائشة بها ، وله فيها أشعار كثيرة . منها مما يغنّى فيه قوله :

صــوت

١٥ يا رَبْعَ بِشْرَةَ بالجَنَابِ تَكَلَّمِ وأَبِنْ لنا خَبَراً ولا تَسْتَعْجِمِ

مالِى رأيتُكَ بعد أهلِكَ مُوحِشا خَلَقاً كحوضِ الباقِرِ(٢) المتهدِّمِ

---

(١) الخبت : المتسع من بطون الأرض .

(٢) الباقر : اسم جمع للبقر .

تسقِى الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرَتْ طوعُ الضجيع وغاية المتوسِّمِ
قُبُّ البطون أوانسٌ شِبْهُ الدُّمَى يَخْلِطْنَ ذاكَ بِعِفَّةٍ وتكرُّمِ

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد، ولحنُه من خفيف الرمل بالسبابة فى مَجْرَى البنصر، عن إسحاق.

وفيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق فى رواية عمرو، ومنها: ٥

صـوت

يارَبْعَ بِشْرَةَ إنْ أضَرَّ بكَ البِلَى فلقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا
عَقَبَ الرَّذاذُ خلافَهُ فكأنما بَسطَ الشَّواطِبُ بينهن حَصِيرَا[1]

غنّاه ابنُ سُرَيج، رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لحنٌ لمالك، وقيل: بل هو لابن محرز. وعروضه من الكامل. ١٠

وقوله: «عقَبَ الرَّذاذُ خلافَه» يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عقبَ لفلان غِنًى بعد فقْر. وعقَبَ الرجل أباه، إذا قام بعده مقامه. وعَوَاقب الأمور مأخوذة منه، واحدتها عاقبة. والرذاذ: صغار المطر. وقوله خلافَه: أى بعده. قال متمم بن نويرة:

وفَقْدِى بَنِى أُمٍّ تداعَوْا فلم أَكُنْ خِلافَهُمُ أنْ أستكِينَ[2] وأضْرَعا ١٥

أى بَعْدهم. والشَّوَاطب: النساء اللواتى يشطبْنَ لِحاءَ السَّعَف يعملْنَ منه الحُصْر، ومنه السيف المشطَّب. والشَّطِيبة: الشُّعبةُ من الشىء، ويقال: بعثنا إلى فلان شَطِيبةً من خيلنا، أى قطعة.

---

(١) اللسان «خلف» بنسبته إلى الحارث بن خالد المخزومى.

(٢) فى النسخ: «لأستكين فأضرعا». والمثبت من اللسان. ٢٠

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : كانت مغنّية تختلف إلى صديق لها ، فأتته يوماً ، فوجدته مريضاً لا حراك به ، فدعت بالعود وغنّت :

مغنية وبيت شعر للحارث المخزومى

يارَبْعَ بشرَةَ إنْ أضرَّ بكَ البِلَى فلقَدْ عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا

١٥ / ١٣٥

ومما يغنَّى به فيه من هذه الأبيات الرائية :

صـوت

اعرفتَ أطلالَ الرُّسومِ تنكَّرَتْ بَعْدِى وغُيِّر آيُهُنَّ دُثُورا
وتبدَّلَتْ بَعْدَ الأنيس بأهلهـا عُفْرَ البَواقر[1] يَرْتعِينَ وُعورَا
مِنْ كل مُصْبِيَة الحديثِ تَرَى لها كَفَلاً كرابِيَةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأطلال : ما شخص من آثار الدّيار . الرسومُ : البقايا من الديار ، وهى دون الأطلال وأخْفَى منها . وتنكّرت : تغيّرت . والدّاثر : الدارس . والعُفْر : الظباء ، واحدها أعفر . والوعور : المواضع التى لا أنِيسَ فيها . والرّابية : الأرض المشرفة ، وهى دُونَ الجبل . والكثيب : القطعةُ العالية المرتفعة من الرّمل ، جمعها كُثُب . والوَثِير : التامّ المرتفع ، يقال : فِراش وَثير ، إذا كان مرتفعاً عن الأرض .

لإسحاق الموصلىّ فى البيتين الأوّلين ثانى ثقيل بالبنصر ، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبَّابة فى مجرى الوسطى ، ولطُوَيس فيهما خفيف ثقيل . وقيل إنه ليس له . ولابن سُريج فى الثالث ثم الأول خفيف رَمَل ، وقيل :

(١) فى ا : « عفر اليعافر » واليعافر : جمع يعفور ، وهو الغزال .

بل هو خُلَيْدَة المكّيّة . وفى البيت الأول والثانى لمالك رَمَل بالوسطى ، وقيل : الرمل لطُوَيس ، وخفيف الثقيل لمالك . ولمعبد فى هذا الصوت لحنان : أحدهما ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى ، والآخر خفيف ثقيل أول .

ومنها :

صـــوت

يا دَارُ حَسَّرها البِلَى تَحْسِيرا ... وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورَا

دُقَّ الترابُ بِخَيْلِها[1] فخيِّمٌ ... بِعِراصِهـــا ومُسَيَّرٌ تَسْيِيرا

غنّى فى هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأول بالسبابة فى مجرى الوسطى . وللغريض فى : « أعَرَفْتَ أطلال الرسوم » وما بعده ثقيل أول بالبنصر ، وللغريض أيضاً ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى .

حسَّرها : أذهَب معالمَها ، ومنه حَسَر الرجل عن ذِراعِه وعَن رَأْسِه إذا كشفهما . وحسر الصلعُ شعَرَ الرأس ، إذا حَصَّه[2]. والمُور : التراب ، والمخيِّم : المقيم .

ومنها صوت ، أوله :

مِنْ كُلِّ مُصْبِيَةِ الحديث ترَى لها[3] ... كفَلًا كرابِيَةِ الكَثِيبِ وَثِيرا

يَفْتِنّ ـ لا يألون ـ كُلَّ مغَفَّلٍ ... بِمَلَأَنَه بحديثهن سُرُورَا

(١) المثبت من «ج» .
(٢) الحصّ : حلق الشعر .
(٣) المصبية : التى يشوق حديثها ويستهوى السامع .

ومنها :

صوت

دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائناً قَرَّبن أجمالاً لهُنَّ قُحُورا ؟!
قرَّبْنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتحمِّلٍ بُزْلا تشبُه هَامُهنَّ قبورا

٥ القُحور : واحدها قَحْر ، وهو المسنّ . والمخيَّس : المحبوس للرحلة . والمتحمِّل : معتاد الحمل .

وفى هذه الأربعة الأبيات للغريض اللّحن الذى ذكرناه . ولابن جامع فى :

* دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا *

والذى بعده ثانى ثقيل بالوسطى

١٥ / ١٣٦

١٠ ومنها :

صوت

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا
فلقد أرانى — والجديدُ إلى بِلًى — زمنَاً بِوَصْلكِ راضياً مَسْرُورا
جَذِلاً بمالِى عندكم لا أبتغى للنفس بعدكِ خُلَّةً وعَشِيرا
١٥ كنتِ الهوَى وأعزَّ من وَطِىءَ الحصاَ عندى ، وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

لإبراهيم الموصلىّ ، ويحيى المكّىّ فى هذه الأبيات لحنان ، كلاهما من الثقيل الثانى ؛ فلحْن إبراهيم بالوسطى ، ولَحن يحيى بالبنصر ، ولإسحاق فيهما رمل . وقيل : إنَّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر .

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال :

مغنية تعبر عن حالها ببيتين من شعر الحارث

حدثنى رجل من أهل البصرة ، قال : اشتريتُ جاريةً مغنِّيةً ، فأقامَتْ عِنْدى زمَنَاً وهوِيَتْنِي ، وكرهتُ أنْ يراها أهلى ، فعرضْتُها للبيع ، فجزعتْ ، وقالت : لقد اشتريتَنى وأنا لكَ كارهة ، وإنك لتبيعنى وأنا لذلك كارهةٌ . فقال أخٌ لى : أرِنيها ، فقلت : هى عند فُلانة ، فانظر إليها ، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر ، فلما اعترضها وفرغ مِنْ ذلك غنَّت :

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُولِ تواصُلٍ   خَلَقاً ويُصْبِح بَيْتُكمْ مهجُورا
فلقد أُرانِي — والجديدُ إلى بِلًى —   زمَنًا بوَصْلِكِ راضياً مسرورا

ثم بكت ، وضربت بالعُودِ الأرض فكسَرتْه ، فخيَّرتُها بين أنْ أعتقها أو أبيعها ممن شاءت ، فاختارت البيعَ ، وطلبت موضعاً تَرْضاه حتى أصابته ، فصَيَّرْتُها إليه .

أخبرنى يحيى بن علىّ ، قال : حدثنى أبو أيوب المدائنى ، قال : حدثنى إبراهيم بن على بن هشام ، قال :

حدثتنى جارية يقال لها طِباع — جارية محمد بن سهل بن فَرْخُنْد — قالتْ : غنيتُ إسحاق فى لَحْنِه :

إسحاق ينكر على مخارق فى أداء لحن له

* أعرفت أطلالَ الرسوم تنكرت * بعدى . . . .

فأنكر علىّ فى مقاطعه شيئا ، وقال : ممن أخَذْتِه ؟ فقلت : مِنْ مخارق ، فقال لى : تعثَّر الجوادُ[1] بل هو كما أقول لك ، وردَّه علىّ ، فهو يُقال كما يقول مخارق ، وكما غيَّرَه إسحاق .

(١) فى س : « فقال لى : ليس كما تحدث الحراز » ، والمثبت من ا .

صـــوت

أخشَى على أربدَ الحتُوفَ ولا أرهبُ نَوْء السِّماكِ والأسَدِ[1]
فجَّعنى الرَّعْدُ والصوَّاعِقُ بالْـ فارسِ يَوْمَ الـكريهةِ النَّجُدِ
يا عَيْنُ هلاَّ بـكَيْتِ أرْبَدَ إذْ قُمنا وقام الخصُومُ فى كَبَدِ
٥ إن يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ أو يَقْصِدُوا فى الخِصام يقْتَصِدِ[2]

عروضُه من المنسرح .

النَّجُد : البطَلُ ذو النَّجْدَة . وقال الأصْمعىّ فى النَّجُد مثل ذلك . وقال : النَّجِد — بكسر الجيم — : الذى قد عرق جدًّا . والـكَبَد : الثبات والقيام .

الشعر لِلَبيد بن ربيعة ، والغناء للأبجر ، رمَل بالبنصر عن عَمْرو بن بانَة . ١٠ ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ، أوّله الثالث والرابع ثم الأول والثانى ، وذكرتْ بَذْلُ أنَّ فى الثالث والرابع لَحْناً لِحُنين ابن محرز .

(١) ديوان لبيد ١٥٨ ، ١٥٩ ، وأربد ، أخو لبيد لأمه .
(٢) فى الديوان : « فى الحكوم » ، والحكوم : القضاء عند التحكيم . يقتصد : يأخذ القصد .

١٥/١٣٧

خبر لبيد فى مرثية أخيه

وقد تقدم[١] مِنْ خَبر لبيد ونَسبه ما فيه كِفاية . يرثى أخاه لأمه أربد ابن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب ، وكانت أصابته صاعِقةٌ فأحرقته .

نسب أربد

أخبرنا بالسبب فى ذلك محمد بن جرير الطبرىّ ، قال : حدثنا[٢] محمد ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن عمرو بن قَتادة ، قال :

وفد بنى عامر ابن صعصعة

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بنى عامر بن صَعْصَعة ، فيهم عامِرُ بْنُ الطُّفيل وأَرْبد بن قيس وجَبّار[٣] بنُ سُلْمَى ابن مالك بن جَعْفر بن كلاب ، وكان هؤلاء الثلاثةُ رءوسَ القومِ وشياطينَهم ، فهمَّ عامرُ بن الطُّفَيل بالغَدْر برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له قومُه : يا عامِرُ ، إنَّ الناسَ قد أسلموا فأَسْلِم ، فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألّا أنْتَهِىَ حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبِى ، فأَتْبَع أنا عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأَرْبد : إذا أَقبَلْنا على الرَّجُل فإنى شاغِلٌ عنك وَجْهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه أنْتَ بالسيف .

تآمر عامر وأربد على قتل رسول الله

فلما قدمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر : يا محمد ، خَالِّنِى[٤] قال : لا والله ، حتى تؤمِنَ باللهِ وَحْدَه . قال : يا محمد ، خالّنى ، وجعل

---

(١) الأغانى ، الجزء الرابع عشر .
(٢) الجزء الثالث ص ١٤٤ من تاريخ الطبرى .
(٣) فى ديوان لبيد : « جابرا » ، والمثبت مافى ا ، وتاريخ الطبرى
(٤) خالّ الرجلُ مخالّة وخلالا : وادّه وصادقه وآخاه .

يكلّمه وينتظِرُ مِنْ أرْبَد ما كان أمَره ، فجعل أرْبدُ لا يُحِيرُ شَيْئاً . فلما رأى عامر ما يصنعُ أربد قال : يامحمدّ ، خالّنى . قال : لا ، واللهُ ، حتىَ تؤمِنَ بالله وَحْدَه لا تشرك به . فلما أبَى عليه رسول الله قال : أمَا[1] واللهِ لأملأنّها عليك خَيْلاً حُمْراً ، ورجالا سُمْراً .

محادة عامر لرسول الله

فلما ولّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكْفِنى عامر بن الطُّفَيل . فلما خرجوا مِنْ عِنْدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأرْبَد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أوصَيتُك به ! واللهِ ما كان على ظَهْر الأرض رَجلٌ هو أخوفُ عندى على نفسى مِنك ، وايْمُ الله لا أخافُكَ بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجَلْ على لا أبا لكَ ! والله ما هممتُ بالذى أمرتنى به مِنْ ١٠ مرّةٍ إلا دخلْتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ! أفأضرِبُك بالسيف ! فقال عامر :

دعاء الرسول عليه

بُعِثَ الرسولُ بما تَرَى فكأنما عَمْداً أشُدُّ على المَقانِب غارَا[2]

ولقد وَرَدْنَ بنا المدينةَ شُزَّباً ولقد قتَلْنَ بجوّها الأنْصارَا[3]

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببَعْضِ الطريق بعث اللهُ ١٥ على عامر الطاعونَ فى عنُقه ، فقتله الله ، وإنه لفى بيت امرأةٍ من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يابَنِى عامر ، أغدّةً كغُدّةِ البَكْرِ[4] ، وموت فى بيت امرأةٍ من بنى سَلُولٍ ! فمات .

إصابة عامر بالطاعون وموته قبل عودته

---

(١) فى ا : « أم والله » .

(٢) المقانب ، جمع مقنب ، كنبر ، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين . وفى ا : «المعايب» ٢٠ تصحيف .

(٣) شزّبا : ضمرا .

(٤) فى المختار : «كغدة البعير» .

ثم خرج أصحابُه حين وَارَوْه حتى قدموا أرْضَ بنى عامر ، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءكَ يا أرْبَدُ ؟ فقال : لقد دعانا إلى عبادةِ شىء لوددتُ أنّه عندى الآن فأرْمِيَه بِنَبْلِى هذه حتى أقتُلَه . فخرج بَعْد مقالته هذه بيوم أو يومَيْنِ معه جمَلٌ له يَتْبعه ، فأرسل اللهُ عليه وعلى جَمَلِه صاعقةً فأحرقتهما .

صاعقة تحرق أربد

٥

وكان أرْبَد بن قيس أخَا لبيدِ بنِ ربيعة لأُمّهِ .

نسخت من كتاب يحيى بن حازم ، قال : حدثنا علىّ بن صالح صاحبُ المصلَّى ، قال : حدّثنا ابنُ دَأْب ، قال :

كان أبو بَراء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلَةٌ[1] ، فبعث لَبيدَ بن رَبيعة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له رَواحِلَ ، فقدم بها لَبيد ، وأمره أنْ يستشفِيَه مِنْ وَجَعِه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قبلتُ مِنْ مُشْرِكٍ لقبلتُ منه ، وتناوَلَ من الأرض مَدَرَةً[2] فتفل عليها ، ثم أعطاها لَبيداً ، وقال : دُفْها[3] له بماءٍ ثم اسْقِه إياه.

وفود لبيد إلى الرسول

١٠

١٥ / ١٣٨

وأقام عندهم لَبيد يقرأُ القرآن وكتب منهم: «الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ»[4] فخرج بها ، ولَقِيَهُ أخوه أربد على ليلةٍ من الحىّ ، فقال له : انزِلْ فنزَل ، فقال : يا أخى ، أخبرنى عن هذا الرجل ؛ فإنه لم يَأْته رجل أوْثقُ عندى فيه قَوْلاً منك . فقال : يا أخى ، ما رأيتُ مثْلَه — وجعل يذكر صِدْقه وبِرّه وحُسْنَ حَديثِه . فقال له : هل معك مِنْ قوله شىء ؟ قال : نعم ، فأخرجها له فقرأها

يقرأ القرآن ويكتب سورة الرحمن

١٥

(١) الدبيلة ، كجهينة : داء فى الجوف .

(٢) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدتها بهاء .

(٣) دفها : اخلطها .

(٤) سورة الرحمن : ١ ، ٢

٢٠

عليه، فلما فرغ منها قال له أرْبَد : لوددتُ أنى ألْـقَى الرحمن بتلك البُرْقَة[1] ، فإن لم أضربه بسيفى فعلىّ وعلىّ ...

قال : ولشأت سحابةٌ وقد خَلَّيا عن بعيريهما ، فخرج أرْبَد يريدُ البعيرين ، حتى إذا كان عند تلك البُرْقَة غَشِيَتْه صاعقة فمات .

٥ وقدم لَبِيد على أبى بَرَاء فأخبره خَبَرَ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأمْرَه ، قال : فما فعلَ فيما استشفَيْتَه ؟ قال : تاللهِ ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندى من ذلك ، وأخبره بالخبر . قال : فأيْنَ هى ؟ قال : هاهى ذه معى . قال : هاتها ، فأخرجها له فداَفَها ، ثم شربها فبَرَأ .

قال ابنُ دَأْب : فحدَّثنى حنظلة بن قُطرب بن إياد ، أحد بنى أبى بكر ١٠ ابن كلاب ، قال :

رواية أخرى فى وفوده على الرسول

لما أصاب عامرَ بن الطفيل ما أصابه ، بعث بنو عامر لبيدا ، وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا عِلْمَه . فقدم عليه ، فأسلم ، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد مِنْ حُمًّى ، فرجع إلى قومه بفضْلِ تلك الحمّى ، وجاءهم بِذِكْرِ البعث والجنة والنار ، فقال سُراقة بن عوْف بن الأحوص :

١٥ لعمْرُ لبيدٍ إنه لابْنُ أمِّـه ... ولـكِنْ أبوه مَسَّهُ قِدَمُ العَهْدِ

دَفَنَّاكَ فى أرضِ الحجازِ كأنما ... دفعناك فَحْلاً فوقه قَزَعُ اللِّبدِ[2]

فعالجْتَ حُمَّاه وداء ضُلوعِه ... وتَرْنيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرَفُ الجَهْدِ

وجئتَ بدِين الصابئين تَشُوبُه ... بألواحِ نَجْدٍ بُعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ!

وإنَّ لنا داراً — زعمْتَ — ومَرْجعا ... وثَمَّ إيابُ القارِظَيْنِ وذِى البُرْدِ

٢٠ (١) البرقة : أرض غليظة بحجارة ورمل . وفى ا : « البرقة » ، بفتح الباء .

(٢) اللبد : ما يجعل على ظهر الفرس . والقزع : بقايا الشعر .

قال : فكان عُمر يقول : وايم الله ، إياب القارظَيْن[1] وذى البُرْدِ .

أخبرنى عبد العزيز بن أحمد عمّ أبى ، وحبيب بن نَصْر المهلّبى ، وغيرهما ، قالوا : حدثنا الزُّبَيْر بن بكّار ، قال : حدّثتنى ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوَلَة ، قالت[2] :

وفود عامر بن الطفيل على رسول الله

حدثنى أبى ، عن جدّى مَوَلَة بن كُثَيْف ، أنّ عامرَ بن الطفيل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوَسّده وِسادةً ، ثم قال: أسلم يا عامر . قال : علَى أنّ لى الوَبَر ولك المدَر ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عامرٌ مُغْضَبا فولّى ، وقال : لأملأنّها عليك خَيْلاً جُرْدا ، ورجالا مُرْدا ، ولأربطنّ بكل نخلة فَرَسا . فسألتْه عائشة : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا عامر بن الطفيل ، والذى نفسى بيده لو أسلمَ فأسلمَتْ بَنُو عامر معه لزاحموا قريشا على منابرهم . قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا قوم ، إذا دعوتُ فأمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بنى عامر ، واشْغَل عنّى عامرَ بن الطفيل بما شئتَ ، وكيف شئتَ ، وأنّى شئت . فخرج فأخذته غُدّة مثل غدّةِ البَكْرِ ، فجعل يثب وينزو فى السماء ويقول : ياموت ابرُزْ لى ، ويقول : غدّة مثل غدّة البكر ، وموت فى بيت سَلُولية ؟! ومات .

موت عامر بن الطفيل

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة ، قال : أخبرنى أسعد بن عمرو الجُعفىّ ، قال : أخبرنى خالد بن قَطَنٍ الحارثىّ ، قال :

لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأةٌ من بنى سلول كأنها نخلة حاسرا ، وهى تقول :

[3]أنَعَى عامرَ بن الطفيل وأبقى ... وهل يموتُ عامرٌ من حقا ؟
وما أرى عامراً ماَتَ حَقّا !

(١) القارظان : رجلان خرجا فى طلب القرظ ، يجتنيانه ، فلم يرجعا ، فضرب بهما المثل فى انقطاع الغيبة .

(٢) فى ا : قال « وحدّثنى » . (٣) كذا فى الأصول .

قال : فما رُئِىَ يومٌ أكثر باكيا وباكيةً ، وخمشَ وجوهٍ ، وشقَّ جُيُوبٍ مِن ذلك اليوم .

وقال أبو عبيدة عن الحِرْمازىّ ، قال :

لما مات عامر بن الطفيل بعد مُنْصَرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نصبَتْ عليه بنو عامر أنصاباً مِيلا فى ميل ، حِمًى على قبْره لا تُنْشَر فيه ماشية، ولا يُرْعَى ، ولا يسلكه راكبٌ ولا ماش . وكان جبّار(١) بن سلْمَى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائبا ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حِمًى لقَبر عامر بن الطُّفَيل ، فقال : ضيَّقْتُم على أبي علىّ ، إنَّ أبا علىّ بانَ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجَمَل ، وكان لا يضلّ حتى يضلّ النَّجْم ، وكان لا يَجْبُن حتى يَجْبُنَ السيل .

بنو عامر تحمى قبر عامر بالأنصاب

ثلاث خلال فضل عامر بهن الناس

قال أبو عبيدة : وقدم عامر على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة .

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قوله(٢) :

مراثى لبيد لأخيه

ألاَ ذهب المُحافظُ والمُحامِى ودَافِعُ(٣) ضَيْمِنا يَوْمَ الخِصامِ
وأيقَنْتُ التَّفرُّقَ يومَ قالوا : تَقَسَّمَ(٤) مالُ أربدَ بالسِّهامِ
وَأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذَا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ(٥)

(١) فى س : « حيان » .
(٢) ديوانه : ٢٠١
(٣) الديوان : « ورافع ضيمنا » .
(٤) مختار الأغانى : « نقسم » ، والمثبت يوافق ما فى الديوان أيضا .
(٥) تقعرت : تقوضت من أصلها . وقال ابن قتيبة : المشاجر : مراكب للنساء أكبر من الهودج الواحد مشجر . والفئام : وطاء يكون للهودج ، أو هو الهودج الذى وسع فى أسفله بشىء زيد فيه .

وهى طويلة يقول فيها :

فودِّعْ بالسلامِ أبا حُزَيْزٍ[١] وقلَّ وَداعُ أَرْبَدَ بالسَّلامِ

قال : وكانت كُنية أَرْبد أبا حِزَاز ، فصغّره ضَرُورةً .

وقال فيه أيضا[٢] :

ما إن تَعَدّى[٣] المنونُ مِنْ أحدِ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ ٥

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ

فجعَّنى الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْـ ـفارسِ يومَ الكريهةِ النَّجُدِ

الحاربِ الجابرِ الحَرِيب إذا جاء نَكِيبا وإن يَعُدْ يَعُدِ[٤]

يَعفُو على الجَهْدِ والسُّؤال كما أُنْزِل صَوْبُ الربيع ذى الرَّصَدِ[٥]

لم تبلغ[٦] العَيْنُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسِى الجيادُ كالقِدَدِ[٧] ١٠

كلُّ بنى حُرَّةٍ مَصِيرهمُ قُلٌّ ، وإن أكثرتْ من العَدَدِ

إنْ يُغْبَطوا يُهْبَطُوا[٨] وإن أَمِرُوا يوماً يَصيرُوا للهُلْكِ والنَّفَدِ[٩]

يا عَيْنُ هلاّ بكيتِ أَرْبَدَ إذ قُمْنا وقام الخصومُ فى كَبَدِ[١٠]

---

(١) فى ا : « أبا حدار » ، تصحيف « أباحزاز » وفى حاشية ا : « أربد أبو حرار » بالتشديد والتخفيف . والمثبت كما فى الديوان مصغّر (حزاز) . ١٥

(٢) ديوانه : ١٥٨

(٣) فى الديوان : « ما إن تعرى » قال فى شرحه : تعرّى : تترك .

(٤) الحارب : من يحرب الأموال . الجابر : الذى يجبر من قد حرم ماله . نكيبا : مصابا . وإن يعد لسؤاله ، يعد لعطيته . وفى بيروت : وجاء « بكيئا » .

(٥) يعفو : يكثر . والصّوب : المطر يكون فى أول الزمان . وصوب الربيع : مطره . ٢٠ والرصد : نبات يكمن تحت الثرى ، وذلك فى أول المطر .

(٦) فى ا : « لا تبلغ » .

(٧) القدد : السيور .

(٨) يهبطوا : يموتوا .

(٩) الديوان : « النكد » . ٢٥

(١٠) كذا فى ب ، س ومختار الأغانى والديوان ، وفى ا : « وقال الخصوم » . والكبد : الأمر الشديد .

يا عَيْنُ هلاَّ بكيت أرْبَد إذ أَلْوَتْ رياحُ الشتاء بالعَضَدِ[١]

وأصبحَتْ لاقحا مُصَرَّمةً حين تقضَّتْ غوابرُ المُدَدِ

إنْ يشغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهمُ أو يَقْصِدُوا فى الخصام يَقْتَصِدِ[٢]

حُلْوٌ كريمٌ ، وفى حلاوَتِهِ مُرٌّ ، لطيفُ الأحشاءِ والكبِدِ

١٥ / ١٤٠

٥ نسختُ من كتاب ابن النطاح ، عن المدائنى ، عن علىّ بن مجاهد ، قال :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينشد شعراً له فى رثاء أخيه أربد

أنشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه قول لَبيد فى أخيه أربد[٣] :

لَعَمْرِى لَئِنْ كان المخبِّرُ صادقا لقد رُزِئَتْ فى حادث الدَّهْر جَعْفَرُ

أخٌ لى ، أمَّا[٤] كلَّ شىء سألْته فيُعْطِى ، وأما كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه : ذلك رسولُ الله ، لا أربد بن قيس .

١٠ وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخبَرُ بذكرها .

ومما رثاه به ، وفيه غناء ، قولُه[٥] :

صوت

بَلِينا وما تَبْلَى النجومُ الطَّوالِعُ وتَبْقَى الجبالُ بعدنا والمَصانِعُ

وقد كنتُ فى أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ففارقنى جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ

١٥ فلا جَزِعٌ إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا فكلُّ فتًى يوماً به الدَّهْرُ فاجِعُ

وما المرء إلاَّ كالشِّهاب وضَوْئِهِ يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِعُ

(١) هامش ا : العضد : الشجر المقطوع . وفى شرح الديوان : العضد : الشجر اليابس . وألوت : ذهبت به وطارت .

(٢) الشغب : الجور عن الطريق والقصد . يقتصدوا : يأخذوا القصد .

٢٠ (٣) ديوانه ١٦٧

(٤) فى الديوان : « فتى كان أما » .

(٥) ديوانه ١٦٨

أليسَ وَرائى إنْ تراخَتْ منيَّتى لُزُومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أُخبِّرُ أخبارَ القُرونِ التى مَضَتْ أدبُّ كأنّى كُلّما قمتُ راكعُ
فأصبحْتُ مِثْلَ السيفِ أخْلَقَ جفنه تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنّصلُ قاطعُ
فــلا نَبْعَدَنْ إنّ المنيةَ موعدٌ علينا فَدانٍ للطّلوعِ وطالــعُ
أعاذِلَ ما يُدْرِيك ، إلاّ تَظَنّياً إذا رحل السُّفّار[1] مَنْ هو راجــعُ؟ ٥
أتَجْزَعُ ممــا أحدث الدهرُ للفتى وأىُّ كريمٍ لم تُصِبْهُ القَوارِعُ!

غنّى فى الأول والخامس والسادس والسابع حُنَيْنٌ الحيرىّ خفيف ثقيل أول بالبنصر ، عن الهشامىّ وابن المكىّ وحماد ، وفيها ثقيل أول بالوسطى ، يقال إنه لحنين أيضا ، ويقال إنّه لأحمد النّصْبىّ[2] ، ويقال : إنه مَنْحول .

ومما رثاه به قوله ، وهى من مختار مراثيه[3] : ١٠

طرِبَ الفؤادُ وليْتَه لم يَطْرَبِ وعَنَاه ذِكْرى خُلّة لم تَصْقَبِ[4]
سفَهاً ، ولو أنى أطَعْتُ عَواذلى فيما يُشِرْنَ به بسَفْحِ المِذْنَبِ
لزجَرْتُ قلْباً لا يَرِيعُ لزاجرٍ إنّ الغَوىّ إذا نُهِى لم يُعْتِبِ[5]
فتعزَّ عن هذا ، وقلْ فى غَيْرِه واذكُرْ شمائلَ من أخيك المُنْجِبِ
يا أرْبَدَ الخيْرِ الكريم جدودُه أفردتنى أمشى بقَرْنٍ أعضبِ[6] ١٥
إنّ الرزيَّة لا رَزِيَّة مثلها فِقْدانُ كلّ أخٍ كضَوْءِ الكوكبِ

(١) فى الديوان : « إذا ارتحل الفتيان » .
(٢) فى ب ، س ، ح : النصيبى
(٣) ديوانه ١٥٦
(٤) تصقب : تجاور وتقترب . ٢٠
(٥) لا يريع : لا يرجع ولا نتعظ . لم يعتب : لم يرجع إلى ما يرضى عاتبه .
(٦) أعضب : مكسور أو مقطوع .

ذهب الذين يُعاشُ فى أكنافهم وبقيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ
يتأكَّلون مَغالةً[1] وخِيانةً ويُعابُ قائلُهم وإنْ لم يَشْغَبِ
ولقد أرانى تارةً مِنْ جَعْفَرٍ فى مثل غَيْثِ الوابلِ المتحلِّبِ[2]
مِنْ كل كَهْلٍ كالسِّنان وسَيِّدٍ صَعْبِ المقادَةِ كالفَنيق المُصْعَبِ[3]
٥ مِنْ مَعْشَرٍ سنَّتْ لهم آباؤهم والعزُّ قد يأتِى بغير تَطَلُّبِ
فبرَى عِظامى بعد لحى فَقدُهم والدَّهرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ

١٥ / ١٤١

حدثنا محمد بن جرير الطبرىّ ، قال : حدثنا أبو السائب سالم بن جُنادة ، قال : حدثنا وكيع ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها كانت تنشد بيت لبيد :

١٠ ذهب الذين يُعاشُ فى أكنافهم وبقيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

ثم تقول : رحم الله لبيدا ، فكيف لو أدركَ مَنْ نحن بَيْنَ ظهْرانَيْهم !

قال عروة : رحم الله عائشة ، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم ! .

قال هشام : رحم الله أبى ، فكيف لو أدْركَ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم !

١٥ وقال وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك مَنْ نحن بين ظهرانيهم !

قال أبو السائب : رحم الله وكيعا ، فكيف لوأدرك من نحن بين ظهرانيهم !

قال أبو جعفر : رحم الله أبا السائب ، فكيف لو أدرك مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم!

قال أبو الفرج الأصبهانى : ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصةُّ أعظمُ مِنْ أن تُوصَف !

٢٠ (١) مغالة ، أى اغتيالا .

(٢) جعفر ، يعنى قومه بنى جعفر . فى مثل غيث الوابل ، أى كثرة عدد .

(٣) الفنيق : الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله . المصعب : غير الذلول .

صــوت

فإن كان حَقًّا ما زعمتِ أتيتُه إليكِ فقامَ النائحاتُ على قَبْرى
وإن كان ما بُلِّغْتِه كان باطلا فلا متُّ حتى تَسْهَرِى الليلَ منْ ذكرى

عروضه من الطويل . والشعر للعباس بن الأحنف يقوله فى فَوْز ، وخبرهما يأتى ها هنا ، والغناء لبَذْل ، خفيف رمَل بالبنصر ، وفيه لبَنان ابن عَمْرو ثانى ثقيل بالبنصر ، وفيه لَحَنٌ لابن جامع من كتاب إبراهيم . وزعم أبو العباس أنّ لمعبد اليقطينىّ فيه خفيف رَمل ، وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى . وذكر علىّ بن يحيى المنجم أنه لعُليّة . وقيل : إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقْطة . والصحيح أنه لبَذْل .

ذكر خبر العباس وفوز

كانت جارية لمحمد بن منصور

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق الخراسانىّ ، قال : حدثنا محمد بن النضر ، قال :

كانت فَوْز جاريةً لمحمد بن منصور ، وكان يلقَّب فتى العسكر ، ثم اشتراها بَعْضُ شباب البرامكة فدبَّرها[1] وحجَّ بها . فلما قدمت قال العباس[2] :

٥

ألاَ قد قَدِمَتْ فَوْزُ فقرَّت عَيْنُ عَبَّاسِ
لِمَنْ بَشَّرنِى البشرى على العينين والرّاس
أيا ديباجة الحُسْنِ وَيَارَامُشْنَةَ الآس[3]
يلومونى على الحبّ وما بالحبّ مِنْ باس!

١٠

أخبرنى محمد ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنبارىّ — وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب — قال : حدثنى على بن محمد النوفلىّ قال :

تشبهه فى شعره بأبى العتاهية

كانت فَوْز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان ، وكان العبَّاس يتشبَّهُ فى أشعاره وذكر فَوْز بما قاله أبو العتاهية فى عُتْبة ، فحَجَّ بها مولاها ، فقال العباس[4] :

١٥

يا رَبِّ رُدَّ عَلَيْناَ مَنْ كان أُنساً وَزَيْنا
مَنْ لا نُسَرُّ بعَيْشٍ حتى يكون لَدَيْناَ

١٥ / ١٤٢

(١) دبرها : أعتقها عن دبر ، أى بعد موته . (٢) ديوانه ١٦٥
(٣) قال الشهاب فى شفاء الغليل : « رامشنة » ، قال الصولى : هى ورقة الآس ، لها رأسان وفى ديوانه : ويارائحة الآس . (٤) ديوانه ٢٦٥ .

٢٠

يا مَنْ أتاح لِقَلْبِى هَوَاهُ شُؤْماً وحَيْنا
ما زِلْتُ مُذْ غِبْتِ عَنِّى مِنْ أسْخَنِ الناسِ عَيْنا
ما كان حَجُّكِ عِندى[1] إلاَّ بَلاءً عَلَيْنا

فلما قدمت قال :

ألاَ قد قدمَتْ فوزُ فقرَّت عَيْنُ عَبَّاسِ

وذكر الأبياتَ المتقدمة .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال :

حدثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، عن عمه ، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعباس بن الأحنف بين يَدَيْه ، فقال العباس للفَضْل : دَعْنى أُعابِث الأصمعىّ . قال : لا تفعل ، فليس المزاح مِنْ شأنه . قال : إنْ رأى الأمير أن يَفْعَل . قال : ذاك إليك . قال : فلما دخلتُ قال لى العبَّاس : يا أبا سعيد مَنْ الذى يقول[2] :

معابثة بينه وبين الأصمعى

إذا أحْبَبْتَ[3] أن تصنع شيئاً يعجب النَّاسا
فصَوِّر ها هنا فَوْزا وصوِّر ثَمَّ عبَّاسا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتى ترى رَأْسيهما رَاسَا
فكذِّبها بما قاسَتْ وكذِّبه بما قاسى

فقال لى ابنُ أبى السِّعلاء الشاعر : إنه أرادَ العبَثَ بك ، وهو نَبطىّ ،

(١) فى ديوانه : « ما كان حجك هذا » .
(٢) الأبيات فى الأغانى ٨ : ٣٥٥ ، وهى فى ديوانه ١٦٤
(٣) فى الديوان : « إذا ما شئت » .

فأجبْه على هذا . قال: فقلت له : لا أعرف هذا ، ولكنى أعرف الذى يقول:

إذا أحببت أنْ تبصر شيئاً يعجبُ الخلْقَا
فصوِّرْ ها هنا زوْراً وصوِّر ههنا فَلْقا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتى ترى خَلْقَيهما خلقاً
فكذِّبْها بما لاقتْ وكذِّبه بما يَلْقَى

فعرَّض بالعباس أنه نَبطىّ ، فضحك الفَضْل ، فوجَم العباس ، فقال له [الفضل] : قد كنتُ نهيتُك عنه ، فلم تَقْبَلْ .

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى محمد بن الفضل الهاشمىّ ، قال : حدثنى أبو تَوْبة الحنفىّ ، قال :

فوز تجد صداعا

وَجَّه العباس بن الأحنف رسولا إلى فَوْز ، فعاد فأخبره أنها تجدُ صُدَاعاً ، وأنه رآها معصوبةَ الرَّأسِ ، فقال العباس :

عصبَتْ رأسَها فليتَ صُدَاعاً قد شكَتْه إلىَّ كان براسِي[1]
ثم لا تشتكِي ، وكان لها الأجْرُ ، وكنتُ السَّقامَ عنها أُقاسِي
ذاكَ حتى يقولَ لِي مَنْ رآنى : هكذا يفعلُ المحبُّ المُواسِي

قال : فبرئَتْ ثم نُكِسَتْ ، فقال[2] :

إنَّ التى هامت بها النَّفْسُ عاودَها مِنْ عارضٍ نُكْسُ[3]
كانت إذا ما جاءها المُبْتَلَى أبرأَهُ مِنْ كفِّها اللَّمْسُ[4]

(١) ديوانه ١٦٢
(٢) ديوانه ١٦٠
(٣) فى الديوان . « من سقمها » . (٤) فى الديوان . « من راحتها » .

١٥
١٤٣

وَابِأَبِى الوجْـهُ المليحُ الّذى ... قد عشِقَتْهُ الجنُّ والإنْسُ
إنْ تـكنِ الحمَّى أضرَّتْ به ... فربمـا تَنْـكَسِفُ الشمسُ

فوز ساهرة ذاكرة له

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى أبو العباس الخلنجىّ ، قال : حدثنى أبو عبد كان الـكاتب[1] ، قال : حدثنى أبو توبة الحنفىّ ، قال :

٥

لمّا قال العباس بن الأحنف[2] :

أَمَا والذى أَبْـلَى المحبَّ وزادَنى ... بلاءً ، لقد أسرفْتِ فى الظلم والهَجْرِ
فإنْ كان حقّا ما زعمتِ أتيتُه ... إليك ، فقام النائحاتُ على قبرى
وإنْ كان عُدْوانا علىَّ وباطلا ... فلاميتُ حتى تسهَرِى الليلَ مِنْ ذكرى

بعثَت إليه فوْز : أظنُّنا ظلَمْنَاك يا أبا الفضل ، فاستجيب لك فينا !
ما زلتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرةً لك .

١٠

أخبرنى جحظة البرمكىّ ، قال : حدثنى أبو عبد الله بن حمدون ، عن أحمد ابن إبراهيم ، قال : حدثنى محمد بن سَلاَّم ، قال :

فى خلقه شدة

كان فى خلق العباس بن الأحنف شدّة ، فضرب غلاماً له ، وحلف أنه يَبِيعُه ، فمضى الغلامُ إلى فَوْز فاستشفع بها عليه ، فـكتبت إليه فيه ؛ فقال[3] :

١٥

يا مَنْ أتانا بالشفاعاتِ ... مِنْ عِنْدِ مَنْ فيه لَجاجاتى[4]
إنْ كنتُ مولاكَ فإنَّ التى ... قد شفعَتْ فيكَ لَمَوْلاتى[5]
إرسالها فيـكَ إلينا لنا ... كرامـةٌ فوق الـكرامات

(١) فى س : « أبو عبدان » ، والمثبت من ا . (٢) ديوانه ١٥٣ .
(٣) ديوانه ٦٩ .
(٤) فى الديوان : يا من أتانى ... من عند من أبغيه حاجاتى » .
(٥) فى الديوان : « قد كتبت فيك » .

٢٠

ورَضِيَ عنه ووصله ، وأعتقه .

أخبرنى جحظة ، قال : حدثنا أبو عبد الله بن حمدون ، عن أبيه حمدون ابن إسماعيل ، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل ، قال :

جاءنا العباسُ بن الأحنف يوماً وهو كئيب ، فنشَّطْناه فأبى أنْ ينشط ، فقلنا : ما دَهَاك ؟ فقال : لقيتنى فَوْز اليوم ، فقالت لى : يا شيخ ! وما قالَتْ ذلك إلاَّ من حادثِ مَلالٍ . فقلنا له : هوِّنْ عليك ، فإنها امرأةٌ لا تثبُتُ على حال ، وما أرادَتْ إلا العَبَثَ بك والمُزَاح معك : فقال : إنى والله قد قلتُ أقبحَ مما قالت ، ثم أنشدنا(١) :

اكتئابه من قولة فوز له : ياشيخ !

هزِئَتْ إذ رأت كئيبا مُعَنًّى(٢) أقصدَتْهُ الخطوبُ فهو حزينُ

هزِئَتْ بى ونِلْتُ ما شئتُ منها يا لَقَوْمى فأيُّنا المغبونُ !

فقلت له : قد انتصفتَ وزِدْتَ .

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنا على بن الصَّباح ، قال : حدثنا أبو ذَكْوان ، قال :

كانت لفَوْز جاريةٌ يقال لها يُمْن ، وكانت تجىء إلى العباس برسالتها ، فمضَتْ إلى فَوْز ، وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إيّاه ، وزعمَتْ أنه أرادها ودعاها إلى نَفْسه ، فغضبَتْ فَوْز من ذلك ، فكتب إليها(٣) :

يمن جارية فوز تزعم أنه راودها

لقــد زعمَتْ يُمْنُ بأنى أرَدْتُها على نفسها ، تَبًّا لذلكَ مِنْ فِعْـلِ

سَلُوا عن قميصى مثلَ شاهدِ يُوسفٍ فإنّ قميصى لم يكن قُدَّ مِنْ قُبُـلِ(٤)

(١) الديوان ٢٦٠

(٢) فى ا : « كبيراً » وفى الديوان : « أن رأت غلاما » .

(٣) ديوانه ٢١٣

(٤) إشارة إلى ما جاء فى سورة يوسف ٢٦ : [إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين] .

أخبرنى محمد ، قال حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال: حدثنى سعيد ابن حميد ، قال :

معاتبة فوز له فى جفائه ورده عليها

كانتْ فَوْز قد مالَتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد ، وبلغ ذلك العباس ، فتركها ولم ترْضَ هى البديل بعد ذلك ، فعادت إلى العباس ، وكتبت إليه تُعاتبه فى جفائه ؛ فكتب إليها :

كَتَبتْ تلومُ وتَستريبُ زِيارتى ... وتقولُ:لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ[1]

فأجبتُها ودمــوعُ عينى جَمَّةٌ ... تَجْرِى على الخدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ !

يا فَــوْز لم أهجركُمُ لِمَلالَةٍ ... منِّى ولا لِمَقَالِ واشٍ حاسِــدِ

لكنَّنى جرّبتُكمْ فوجدتُكمْ ... لاَ تصبرونَ على طعامٍ واحِــدِ

سرقته شعر أبى نواس

وقد أنشدنى علىٌّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات ، وقال : سرقها من أبى نواس حيث يقول :

صــوت

ومُظْهِرة لخَلْقِ الله وُدًّا ... وتلْــقى بالتحيّة والسلامِ

أتيتُ فؤادَها أشكو إليه ... فلم أخْلُصْ إليه من الزِّحامِ

فيامَنْ ليس يَكْفيه مُحِبٌ ... ولا ألْفَا مُحِبٍّ كلَّ عامِ

أظنُّكِ مِنْ بقية قوم مُوسى ... فهُمْ لا يصبرون على طَعَامِ

غنّت فيه عَرِيب لحنا ذكره ابن المعتزّ ، ولم يذكر طريقته .

ومما يغنّى فيه من شعر العباس فى فوز قوله :

(١) ديوانه ١٠٦ ، وفيه : «وتستريث زيارتى» .

صـوت

يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسِي وأنْتِ له   ألاَّ يفوزَ بدُنْيَا آلِ عبّاسِ(١)

أبصرتُ شيباً بمولاها فوا عَجباً   منه يراها ويَبْدُو الشَّيْبُ فى الرَّاسِ!

غنّاه سُليم، رمَل مطلق فى مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ.

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الفَضْلِ بن الأسود، قال: قرأتُ على أحمد بن أبى فَنَن شعرَ العباس بن الأحنف، وكان مشغوفاً به، فسمعتهُ يقول: وددت أن أبياتَه التى يقول فيها:

* يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمْسى وأنت له *

لِى بكلِّ شعرى.

(١) ديوانه ١٥٩.

وفى بَذْل يقول عبد الله بن العباس الربيعىّ يخـاطِبُ عَمْراً فى بَذْل بقوله :

صــوت

تَسمَّعْ بحقٍّ الله يا عَمْرُو مِنْ بَذْلِ   فقد أحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلى
كأنّى أرَى حُبِّيك يرجحُ كلّما   تغنّتْ لإعجابى وأفقِد مِنْ عَقْلِى ٥

غنّاه عبد الله بن العباس الربيعىّ ، ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وغنّى فيه عمرو بن بانة خفيف رمَل بالبنصر عن حَبَش .

ذكر بذل وأخبارها

من مولدات المدينة ولها كتاب أغان

كانت بَذْل صفراء مولَّدة من مولَّدات المدينة، ورُبِّيت بالبصرة، وهى إحدى المُحْسناتِ المتقدّمات، الموصوفات بكَثْرَة الرِّواية، يقال: إنها كانت تغنّى ثلاثين ألف صوت. ولها كتابٌ فى الأغانى منسوبُ الأصوات غير مجنّس، يشتمل على اثنى عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعلىّ بن هشام.

٥ وكانت حُلْوَة الوَجْهِ ظَرِيفةً، ضاربةً متقدّمة، وابتاعها جَعْفرُ بن موسى الهادى، فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالا جَزِيلا، فوَلَدُهما جميعا يدَّعون ولاءها. فأخذت بَذْل عن أبى سعيد مولى فائد ودحمان وفُلَيح وابن جامع وإبراهيم، وطبقتهم.

١٠ وقرأتُ على جحظة، عن أبى حَشِيشة فى كتابه الذى جمعه مِنْ أخباره وما شاهده، قال:

١٥ / ١٤٥

أروى خلق الله للغناء

كانت بَذْل من أحسنِ الناسِ غناء فى دَهْرِها، وكانت أستاذَة كلِّ محسن ومحسنة، وكانت صفراء مَدَنية، وكانت أرْوَى خَلْقِ الله تعالى للغناء، ولم يكن لها معرفة.

احتيال الأمين فى أخذها

١٥ وكانت لجعفر بن موسى الهادى، فوُصِفَتْ لمحمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أنْ يُرِيَه إيّاها، فأبى، فزارَه محمد إلى منزله، فسمع شيئا لم يسمَعْ مثلَه، فقال لجعفر: يا أخى، يعْنِى هذه الجارية. فقال: يا سيِّدِى، مِثْلِى لايبيعُ جارية، قال: فَهَبْها لى، قال: هى مُدَبَّرة[1]. فاحْتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببَذْل فحمِلت معه إلى الحرَّاقة، وانصرف بها.

٢٠ (١) المدبرة: المعتقة بعد الموت. وفى هامش ا: «المدبر من الرقيق: الذى يقول له سيده بعد الموت: أنت حر بعد دبر منى»، أى بعد وفاتى.

فلما انتبه سأل عنها فأُخبر بخبرها ، فسكت ، فبعث إليه محمد من الغد ، فجاءه وبَذْل جالسةٌ فلم يَقُلْ شيئا . فلما أراد جعفر أن ينصرفَ قال : أوقِرُوا حَرَّاقَةَ ابْنِ عمّى دراهم ، فأوقرت .

قال : فحدثنى عبد الله بن الحُنَيْنى — وكان أبوه على بَيْتِ مالِ جعفر ابن موسى — أنّ مبلغَ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم . ٥

قال : وبقيت بَذْل فى دَارِ محمدٍ إلى أنْ قُتِل ، ثم خرجت ، فكان وَلَدُ جعفر وولد محمد يدّعون ولاءها. فلما ماتت ورثها وَلَدُ عبدالله بن محمّد بن زبيدة .

وهب لها الأمين من الجوهر ما لم يملك مثله أحد

وقد رَوَى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر ، عن ابن المكّىّ ، عن أبيه ، وقال فيه : إن محمدا وَهب لها من الجوهر شيئا لم يملك أحدٌ مثله ، فسلمَ لها ، فكانت تُخرج منه الشىء بعد الشىء فتبيعُه بالمال العظيم ، فكان ذلك ١٠ مُعْتَمَدها مع ما يَصِلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيّةٌ عظيمة .

إباؤها الزواج حتى موتها

قال : ورغب إليها وجوهُ القُوَّاد والكتّاب والهاشميّين فى التزويج ، فأبَتْ وأقامَتْ على حالها حتى ماتت .

قال أبو حشيشة فى خبره : وكنتُ عند بَذْل يوما وأنا غلام ، وذلك فى أيام المأمون ببغداد ، وهى فى طَارِمة[1] لها تَمْتَشِطُ ، ثم خرجتُ إلى الباب ، ١٥

على بن هشام فى موكبه إليها

فرأيتُ الموكب ، فظننتُ أنّ الخليفة يَمُرّ فى ذلك الموضع ، فرجعتُ إليها فقلتُ : يا سِتّى[2] ، الخليفة يمرّ عَلَى بابك ؟ فقالت : انظرُوا أىّ شىء هذا ؟ إذ دخل بَوّابُها فقال : على بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنعُ به ! فقامت إليها وَشِيكَة[3] جاريتها — وكانت تُرسلها إلى الخليفة وغيره فى حوائجها —

(١) الطارمة : بيت من الخشب ، كالقبة . ٢٠
(٢) سِتّى : كلمة مولدة ، وفى نهاية الأرب : « يا سيدتى » .
(٣) فى مختار الأغانى : « وشيك » ، بغير تاء .

فأكبّتْ على رِجْلها، وقالت : الله، الله! أتحجُبين عليّ بن هشام! فدعَتْ بمندِيل فطرَحَتْ على رأسها ولم تقُمْ إليه، فقال : إنى جئتك بأمْرِ سيدى أمير المؤمنين، وذلك أنه سألنى عنكِ، فقلتُ : لم أرها منذ أيام . فقال : هى عليكَ غَضْبَى، فبِحَيَاتى لا تدخلْ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها .

تكتب اثنى عشر ألف صوت

فقالت : إنْ كنتَ جئْتَ بأمر الخليفة فأنا أقومُ . فقامت فقبَّلَتْ رأْسَه ويَدَيْه[1] وقعد ساعةً وانصرف، فساعةَ خرج قالت : ياوَشيكة، هاتى دواةً وقرطاسا، فجعلت تكتبُ فيه[2] يومَها وليلتَها حتى كتبت اثنى عشرَ ألفَ صوت — وفى بعض النسخ : «رءوسَ سبعة آلاف صوت» — ثم كتبت إليه : يا عليّ بن هشام، تقول : قد استغنَيْتَ عن بَذْل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبتُ هذا وأناضَجِرَة، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبى كلَّه! وختَمَت الكتاب، وقالت لها : امضى به إليه .

فما كان أسرعَ مِنْ أنْ جاء رسولُه — خادمٌ أسود يقال له مخارق — بالجواب يقول فيه : ياستّى، لا واللهِ ما قلتُ الذى بلغَكِ، ولقد كُذِبَ عليَّ عندكِ؛ إنما قلتُ : لاينبغى أنْ يكونَ فى الدنيا غناءٌ أكثرَ من أربعة آلاف صوت، وقد بعثتِ إليَّ بديوانٍ لا أُؤدِّى شكرَكِ عليه أبدا . وبعث إليها عَشرةَ آلاف درهم، وتخوتاً[3] فيها خَزٌّ وَوشْى ومُلَحٌ، وتختا مطبقا فيه ألوان الطِّيب .

١٥ / ١٤٦

على بن هشام يعاتبها فى جفوة نالته منها

أنشدنى عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتِبُ بَذْلا فى جَفْوَة نالَتْه منها :

(١) فى ب، س : «فقبلت رأسه ورجليه» .
(٢) فى ا : «به» .
(٣) التخوت : جمع تخت؛ وهو وعاء تصان فيه الثياب .

تغيَّرْتِ بَعْدِى والزمانُ مُغَيِّرٌ وخِسْتِ بعَهْدِى والملوكُ تَخِيسُ
وأظهرتِ لى هَجْراً وأخفَيْتِ بِغْضَةً وقرَّبْتِ وَعْداً واللسانُ عَبُوسُ
وممَّا شجانى أننى يومَ زُرْتكمْ حُجِبْت وأعدائى لديْكِ جُلوسُ
وفى دُون ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفَتَى على الغَدْرِ مِنْ أحْبابه ويَقِيسُ
كفرتُ بدِينِ الحبِّ إنْ طُرتُ بابَكم[١] وتلك يَمينٌ — ما علمت — غَمُوسُ ٥
فإنْ ذَهَبَتْ نفسى عليكم تشوُّقاً فقد ذهبتْ للعاشقين نفُوسُ
ولو كان نَجْمِى فى السُّعودِ وَصَلْتمُ ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ

وأخبرنى أبو العباس الهشامى المِشك، عن أهله : أنَّ علىَّ بن هشام كان يَهْوَى بَذْلاً ويكتمُ ذلك، وأنها هجَرتْه مدَّةً، فكتب إليها بهذه الأبيات. ١٠

تروى ثلاثين ألف صوت

وذكر محمد بن الحسن أنَّ أبا حارثة حَدَّثه عن أخيه أنَّ معاوية قال: قالت لى بَذْل : كنتُ أرْوِى ثلاثين ألف صوت، فلما تركْتُ الدَّرْسَ أُنسِيتُ نِصفَها، فذكرت قولها لزُرْزُر الكبير، فقال: كَذَبَت الزَّانية !

تغنى مائة صوت لم يعرفها إبراهيم ابن المهدى

قال: وحدثنى أحمد بن محمد الفَيْزُران[٢]، عن بَعْضِ أصحابه — أنَّ إبراهيم بن المهدِى كان يعظِّمها ويتوافَى لها، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها[٣]، فصارت إليه، فدَعا بعُودٍ فغنَّت — فى طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحد وإصبعٍ واحدة — مائةَ صوت، لم يعرف إبراهيمُ منها صوتاً ١٥

(١) طرت بابكم : حمت حوله شغفاً.
(٢) فى ب، س : «العيزران».
(٣) فى المختار : «بنفسه عنها». ٢٠

واحداً ، ووضعت العُودَ وانصرفت ، فلم تدخُلْ دارَه حتى طال طلبُه لها وتَضَرُّعُه إليها فى الرجوع إليه .

تخجيل إسحاق بن إبراهيم الموصلى لجهله أصوات أبيه

وقال محمد بن الحسن ، وذكر أحمد بن سعيد المالكىّ أنّ إسحاق بن إبراهيم الموصلى خالفَ بَذْلا فى نِسْبَةِ صوتٍ غنَّتْه بحضرة المأمون ، فأمسكَتْ عنه ساعةً ، ثم غنَّت ثلاثةَ أصوات فى الثقيل الثانى واحداً بعد واحد ، وسألَتْ إسحاق عن صانِعِها فلم يعرفه ، فقالت للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، هى والله لأبيه ، أخذتُها منْ فِيه ، فإذا كان هذا لا يعرفُ غناء أبيه فكيف يعرفُ غِناء غيره ! فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى رُئِىَ ذلك فيه .

أخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ ، قال : حدثنى حَمّاد بن إسحاق قال : غنَّتْ بَذْل يوماً بين يدى أبى :

إنْ تَرَيْنى ناحِلَ البَدَنِ فلِطول الْهَمِّ والحَزَنِ
كان ماأخشى بواحِدَتى[1] ليتَ واللهِ لَمْ يَكُنِ

إسحاق يطرب ويشرب على غنائها

فطرب أبى والله طرَباً شديداً ، وشرب رِطْلا ، وقال لها : أحسنْتِ يا بنتى ، والله لا تغنِّين صوتاً إلاّ شربتُ عليه رِطْلاً .

قال أبو الفرج : والغناء فى هذا الشعر لبَذْل خفيف رَمَل بالوسطى .

فى مجلس شراب المأمون

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ محمّد بن على بن طاهر بن الحسين حدَّثه أنّ المأمونَ كان يوماً قاعِداً يشربُ وبيده قَدَح إذ غنَّت بَذْل :

* ألاَ لا أرى شيئاً ألَذَّ من الوَعْدِ *

فجعلَتْه :

* ألاَ لا أرى شيئاً ألذ من السَّحْقِ *

(١) فى هامش ا : « شيبنى الحب وأنحلنى » .

فوضع المأمونُ القَدَحَ مِنْ يده والتفت إليها، وقال : بلى يا بَذْل، النّيك أَلَذُّ من السَّحْق[١]، فتشوَّرت[٢] وخافَتْ غضبَه، فأخذ قَدَحه، ثم قال : أتمِّى صوْتَك وزِيدى فيه :

ومِنْ غَفْلةِ الْوَاشِى إذا ما أَتَيْتُها ومِنْ زَوْرَتى أبياتَها خالِياً وَحْدِى

ومِنْ صيحةٍ[٣] فى الْمُلْتَقَى ثم سَكْتَةٍ وكلتاهُما عِنْدِى أَلَذُّ مِنَ الْخُلْدِ

١٥
١٤٧

نسبة هذا الصوت

أَلاَ لا أرَى شيئاً أَلَذَّ من الوَعْد ومن أَمَلِى فيه وإنْ كان لا يُجْدِى

الغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبنصر فى رواية عَمْرو بن بانة .

(١) فى هامش ا : « يبعد أن يكون هذا صدر عن المأمون » .
(٢) تشورت : خجلت .
(٣) فى المختار : «ضجة» .

صوت

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليوم مَتبُولُ متيَّمٌ عندها لم يُجزَ مَكبُولُ[١]
وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا إلاّ أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

الشعر لكَعب[٢] بن زهير بن أبي سُلْمَى المزَنيّ ، والغِناء لابن محرز ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عَمْرو بن بانة والهِشاميّ .

(١) الديوان : « متيم إثرها » .
(٢) ديوانه ٦

أخبار كعب بن زُهير

كعب بن زُهير بن أبى سُلْمَى المُزَنِىّ ، وقد تقدم خبَرُ أبيه(١) ونَسَبه .

نسب أم كعب

وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بنى عبد الله بن غَطفان يقال لها كَبْشة بنت عمّار بن عدىّ بن سُحَيم ، وهى أمُّ سائر أولاد زُهير .

٥

وهو من المخضرمين ، ومن فحول الشّعراء .

وسأله الحطيئة أنْ يقولَ شعراً يقدّم فيه نفسه ، ثم يثنّى به بَعْدَه ، ففعل.

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة ، قالا :

الحطيئة راوية زهير يسأله أن يذكره فى شعره

أتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير — وكان الحطيئةُ راويةَ زهَيْر وآل زهير — فقال له : يا كعب ، قد علمتَ رِوايتى لكم أهلَ البيتِ وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرك ، فلو قلتَ شعرا تذكرُ فيه نفسَك وتَضَعُنِى مَوْضعاً بَعْدَك ! وقال أبو عبيدة فى خبره : تبدأ بنفسك فيه وتثنّى بى ؛ فإنّ الناس لأشعاركم أرْوَى ، وإليها أسرع ، فقال كعب(٢) :

١٠

فَمَنْ للقوافى شانَها مَنْ يَحُوكُها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ(٣)

يقول فلا تعْيَا بشىء يَقولُه ... ومِنْ قائليها مَنْ يُسِىء ويَعْمَلُ(٤)

١٥

(١) فى الجزء التاسع صفحة ١٣٩ وما بعدها .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى الأغانى ٢ : ١٦٥ ، وهى فى ديوان كعب ٥٢٩

(٣) فوّز الرجل : إذا قضى نحبه . شانها : جاء بها شائنة معيبة . وجرول ، هو الحطيئة .

(٤) فى س : « ويعجل » ، والمثبت ما فى ا والديوان . ويعمل ، أى يتصنع ويتكلف .

كفيتُكَ لا تَلْقَى مِن الناسِ واحدا تنخّلَ مِنها مِثْل ما يُتَنخّلُ(١)
يُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها فيَقْصُر عنها كلُّ ما يُتمثّلُ(٢)

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ ، قالا : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا على بن الصباح ، عن هشام ، عن إسحاق بن الجصّاص ، قال :

زهير يجز نصف بيت عجز عنه النابغة

قال زُهير بيتاً ونصفاً ثم أكْدَى(٣) ، فمرّ به النّابغةُ ، فقال له : أبا أُمامة ، أَجِزْ ، فقال : وما قلت ؟ قال : قلت (٤):

تَزِيد الأرضُ إمّا متّ خفّاً(٥) وتَحْيَا إنْ حَيِيتَ بها ثَقِيلا
نزلْتَ بمستقَرّ العَرْضِ(٦) منها

أَجِز ، قال : فأكدى والله النابغة ، وأقبل كَعْب بْنُ زهــير ، وإنه لغلام ، فقال أبوه : أَجِز يابُنَىّ ، فقال : وما أُجيز ؟ فأنشده ، فأجاز النصف بيت ، فقال :

* وتمنع جَانِبَيها أنْ يَزُولاَ(٧) *

فضمّهُ زُهَيْرٌ إليه ، وقال : أشهد أنك ابنى .

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال حماد الراوية :

زهير ينهاه عن الشعر قبل أن يستحكم

تحرّك كعب بن زهير وهو يتكلّم بالشعر ، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أنْ يكون لم يستحكِمْ شِعْرُه ، فيُرْوَى له مالا خَيْرَ فيه ، فكان يَضْرِبُهُ فى ذلك ،

(١) فى الديوان : « مثل ما أتنخل » . وتنخل : اصطفى واختار .
(٢) بمثل هذا البيت ، وتمثل به : ضربه مثلا .
(٣) أكدى ، يريد : امتنع عليه القول فلم يستطع إتمام البيتين .
(٤) الموشح ٥٧ (٥) خفا ، أى خفة .
(٦) فى الموشح : « بمستقر العز » . (٧) فى بيروت : أن يميلا .

فبكلما ضربه يزيدُ فيه فغلبه ، فطال عليه ذلك ، فأخذه فحبسه ، فقال : والذى أحلفُ به لا تتكلم ببيتِ شعر إلاّ ضربتُك ضرباً ينكِّلُك[1] عن ذلك . فمكث محبوساً عدَّة أيام ، ثم أخبر أنه يتكلَّم به ، فدعاه فضربه ضرْباً شديدا ، ثم أطلقه وسرَّحه فى بَهْمه[2] وهو غُلَيِّم صغير ، فانطلق فرَعَى ثم راح عشيَّة ، وهو يرتجز :

كأنما أحْدُو ببَهمِى عِيرَا من القُرَى مُوقَرةً شَعِيرا

زهير يثيره ليعلم تمكنه من الشعر

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان ، فدعا بناقته فكفلها بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كَعْب ، فأخذ بيده فأردَفه خلْفَه ، ثم خرج فضرب ناقتَه وهو يريد أنْ يبعثَ ابنَه كَعْباً ويعلمَ ما عنده من الشعر ، فقال زهير حين برز إلى الحىّ :

إنى لتُعْدِينى على الحىّ[3] جَسْرَةٌ تَخُبُّ بِوَصَّالٍ صَرُومٍ وتُعْنِقُ

ثم ضرب كَعْباً ، وقال له : أجز يا لُكع ، فقال كعب :

كبُنْيانةِ القَرْئِىِّ موضعُ رحلها وآثارُ نِسْعيها من الدَّفِّ أبْلَقُ[4]

فقال زهير :

على لاحِبٍ مثل المجرَّةِ خِلْتَهُ إذا ماعَلا نَشْزاً من الأرضِ مُهْرَقُ[5]

أجز يا لُكع ، فقال كعب :

مُنيرٌ هَداهُ ليلُه كنَهاره جميعٌ ، إذا يَعْلُو الحُزُونةَ أفْرَقُ

---

(١) ينكلك : يصرفك .

(٢) البهم : الصغار من ولد الضأن . (٣) بيروت : « على الهم » .

(٤) فى ب ، س «القرّى» ، وفى حاشية ا : « كقنطرة الرومى » . والدف : المتن ، النسع : سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره والنسعان هنا البطان والحقب والنسع : المفصل بين الكف والساعد .

(٥) اللاحب : الطريق الواضح . مهرق : أملس .

زهير يتعسفه ليعلم ما عنده

قال : فتبدّى[1] زُهَيْر فى نَعْت النعام ، وترك الإبل ، يتعَسَّفُهُ[2] عَمْداً ليعلمَ ماعنده ، قال :

وظَلَّ بوَعْساءِ الكَثِيبِ كأنَّه ... خِباء على صَقْبَىْ بِوَانٍ مُرَوَّقِ

صَقْبَىَ عَمُودَىْ ، بوان : عَمُود من أعمدة البيت ، فقال كعب :

٥ تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى ... سَماوَةَ قَشْراءِ الوَظِيفين عوْهَقِ[3]

فقال زهير :

تَحنُّ إلى مِثْلِ الحَبابِيرِ جُثَّمٍ ... لدَى منتِجٍ مِنْ قَيْضِها[4] المتَفَلِّقِ

الحبابير : جمع حُبارى[5] ، وتجمع أيضاً حُبارَيات ، فقال كعب :

تحطَّمَ عَنْها قَيْضُها عن خَراطِمٍ ... وعَنْ حَدَقٍ كالنَّبْخِ لم يَتَفَتَّقِ

١٠ الخَراطم هاهنا : المناقير ، والنَّبخ : الجُدَرِى ، شبَّهَ أعْيُنَ ولدِ النعامة به .

إذنه له فى قول الشعر

قال : فأخذ زهير بيد ابْنِهِ كعب ، ثم قال له : قد أذِنْتُ لك فى الشِّعْرِ يا بُنَىَّ .

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله — وهو صغير يومئذ — قال[6] :

أبِيتُ فلا أهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ ... بعِرْضِ أبيه فى المعاشر يُنْفِقِ

---

١٥ (١) الديوان : « ثم بدأ زهير » .

(٢) الديوان : « يعتسف به عمدا » .

(٣) تراخى : تطاول . والضحاء للإبل ، مثل الغداء الناس . سماوة : شخص . قشراء الوظيفين ، يعنى الساقين . وعوهق : طويلة العنق .

(٤) القيض : القشرة العليا للبيضة .

٢٠ (٥) الحبارى : طائر معروف . وفى الديوان : « لدى سكن » .

(٦) من قصيدة فى ديوان زهير ٢٤٥ ، مطلعها :

ويَوْمٍ تلافَيْتُ الصِّبا أنْ يَفُوتَنِى ... برحبِ الفُروجِ ذى مَحالٍ مُوَثَّقِ

يقول أبو عمرو : « إن زهيراً وكعباً اشتركا فيها » .

قال : وهى أوّلُ قصيدة قالَها .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنى إبراهيم بن المنذر الحزامىّ ، قال : حدثنى الحجاج بن ذى الرُّقَيْبة بن عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبى سُلمى ، عن أبيه ، عن جدّه قال :

١٥
١٤٩

٥

خروجه وبجير إلى رسول الله

خرج كَعْب وبُجَير ابْنَا زهــير بن أبى سُلْمَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزّاف[١] ، فقال كعب لبُجَير : الْحَقِ الرجل ، وأنا مقيم هاهنا ، فانظرْ ما يقولُ لك . فقدم بُجَير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع منه وأسلم ، وبلغ ذلك كعبا ، فقال[٢] :

إسلام بجير

ألا أبْلِغَا عنّى بُجَــيْراً رِسالةً ... على أىِّ شىء وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا[٣]

١٠

على خُلُق لم تُلْفِ أمًّا ولا أباً ... عَلَيه ولم تُدْرِك عليه أخاً لَكَا

سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رَوِيَّة ... فأنهلَك المأمونُ مِنْها وعلَّكا[٤]

ويروى « المأمور » . قال : فبلغت أبياته هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدر دَمه ، وقال : مَنْ لقى منكم كَعْبَ بن زهير فليَقْتُله .

إهدار الرسول دمه

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد .

١٥

(٢) ديوانه ٣ .

(٣) فى الديوان :

* فهَلْ لكَ فيمَا قلتُ بالخَيفِ هَلْ لَكَا ؟ *

وجعل الشطر الثانى من هذا البيت عجز بيت آخر ، هو :

* وخالَفْتَ أسْبابَ الهَوَى وتبِعْتَه *

٢٠

وويب مثل ويح وويل .

(٤) صدر هذا البيت فى الديوان :

* شَرِبْتَ مع المأمون كأساً رَوِيّةً *

بجير ينذره ويحثه على الإسلام

فكتب إليه أخوه بُجَير بخبره ، وقال له : انجه[1] وما أراك بمُفْلِتٍ .
وكتب إليه بعد ذلك يأمره أنْ يُسْلِمَ ويُقْبِلَ إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقول له : إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسوله قَبِلَ صلّى الله
عليه وسلم منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك . فأسلم كعب ، وقال القصيدة التى
٥ اعتذر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] :

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِى اليومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَها لم يجزَ مَكْبُولُ[3]

إسلامه

قال : ثم أقبل حتى أناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكان مجلسه من أصحابه مكانَ المائدة من القوم حَلْقة ثم حَلْقة ثم حَلْقة ،
وهو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم ، ثم على هؤلاء ، ثم على هؤلاء ،
١٠ فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطَّى حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال : يارسول الله ، الأمان . قال : ومَنْ أنْتَ ؟ قال : كعب بن زهير.
قال : أنْتَ الذى يقول ... كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

سقاكَ أبو بَكْرٍ بكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وأنهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده —
١٥ يعنى كعبا — :

* بانت سعاد فقلبى اليوم مَتْبُول *

قال عمر بن شبّة : فحدثنى الحِزامىّ ، قال : حدثنى محمد بن فُلَيح ، عن
موسى بن عقبة ، وأخبرنى بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ ، قال : حدثنا محمد بن

(١) انجه ، أى انج ، زيدت هاء السكت فى آخره .
٢٠ (٢) ديوانه ٦ .
(٣) انظر ص ٨١ ، هامش (١) .

إسحاق المسيّبىّ ، قال : حدثنا محمد بن فُلَيح ، عن موسى بن عقبة ، قال : أنشدها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، فلما بلغ إلى قوله[1] :

إنّ الرّسولَ لَسَيْفٌ يُستضاء به مهنّدٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ
فى فِتْيَةٍ مِنْ قريش قال قائلُهم ببَطْنِ مكة لَمَّا أسلموا : زُولوا
زَالُوا فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللقاء ولا خُورٌ مَعازيل[2] ٥

أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخِلَق أن يسمعوا شِعْرَ كعب ابن زهير .

قال الحرامىّ : قال علىّ بن المدينى : لم أسمع قطّ فى خَبَرِ كعب بن زهير حديثاً قطّ أتمّ ولا أحسنَ مِنْ هذا ، ولا أُبالى ألاَّ أسمع من خبره غير هذا .

قال أبو زيد عُمر بن شبّة : ومما يُرْوَى مِنْ خبره أنّ زهيراً كان نظّاراً ١٠ متوقّياً ، وأنه رأى فى منامه آتيا أتاه، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتُضِر قصَّ رُؤْياه على وَلده ، وقال : إنى لا أشكُّ أنه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدِى شىء ، فإن كان فتمسّكوا به وسارِعُوا إليه .

١٥/١٥٠ رواية أخرى فى إسلام بجير وكعب

فلما بُعث النبىُّ عليه السلام خرج إليه بُجَير بن زُهَيْر فأسلم ، ثم رجع ١٥ إلى بلادِ قومه ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُجَيْر بالمدينة — وكان من خِيَارِ المسلمين . وشهد يَوْمَ الفَتْح مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ويوم خَيْبَرَ ويوم حُنَيْن وقال فى ذلك[3] :

(١) ديوانه ٢٣ .
(٢) فى الديوان : « ولا ميل » ، والكشف : الذين ينهزمون ولا ينبترن . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت على السرج . والنكس : الضعيف . ٢٠
(٣) ديوانه ٢٤٥ .

صَبَحْناهُمْ بألفٍ من سُلَيْمٍ وألف من بنى عثمانَ وافِ

فرُحْنا والجيادُ تجول فيهم بأرْماحٍ مُثَقَّفَةٍ خِفافِ

وفى أكتافهم طعْنٌ وضَرْبٌ ورَشْقٌ بالمُرَيَّشةِ[1] اللِّطافِ

ثم ذكر خَبره وخَبَر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامىّ، وزاد فى الأبيات التى كتب بها كَعْبٌ إليه :

فخالفتَ أسبابَ الهُدَى وتبعتَهُ فهل لك فيما قُلْتَ بالخَيْفِ هَلْ لكا ؟

ثم قال فى خبره أيضاً : إن كعبا نزل برجل من جُهَينة ، فلما أصبح أتى النبىّ عليه السلام ، فقال : يارسول الله ، أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسْلِماً أتؤَمِّنُه ؟ قال : نعم، قال : فأنا كَعْب بن زهير ، فتواثبت الأنصارُ تقول: يارسولَ الله، ائذَنْ لنا فيه . فقال : وكيف ، وقد أتانى مُسلما ! وكفَّ عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قصيدتَه :

* بانت سُعاد فقَلْبِي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله[2] :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ فى نُحورهمُ وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[3]

هكذا فى رواية عُمَر بن شبة، ورواية غيره « تَعْلِيل » .

فعند ذلك أومأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحِلَقِ[4] حوله أن تسمعَ منه . قال : وعَرَّضَ بالأنصار فى قصيدته فى عدّة مواضع، منها قوله :

كانت مواعيد عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً وما مَوَاعيدُها إلاَّ الأَباطِيلُ

(١) المرىشة : السهام ذات الريش .
(٢) ديوانه ٢٥ .
(٣) فى الديوان : « ما إن بهم »، وتهليل : نكوص وفرار .
(٤) فى س : « الخلق » ، والمثبت من ا .

وعُرْقوب : رجل من الأَوس[١] . فلما سمع المهاجِرُون بذلك قالوا :

مدحه الأنصار

ما مدحنا مَنْ هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، وعُوتب على ذلك فقال[٢] :

مَنْ سرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... فى مِقْنَبٍ مِن صَالحِى الأنصارِ[٣]

الباذِلِينَ نفوسَهمْ لِنَبِيِّهم ... عند الهِياج وسَطْوَةِ الجَبَّارِ[٤]

والناظِرين بأعْيُنٍ محمرَّةٍ ... كالجمْرِ غيْرِ كَلِيلةِ الإبْصارِ

والضَّارِبِين الناسَ عن أديانِهم[٥] ... بالمَشْرَفىِّ وبالقَنا الخَطَّارِ

يتطهَّرُونَ يرَوْنَهُ نسكاً لهم ... بدماء مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكفَّارِ[٦]

صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ... ذَلَّتْ لوَقْعتِها رِقَابُ نِزارِ[٧]

عرقوب المضروب به المثل

قال أبو زيد : الذى[٨] عناه كعب رجلٌ من الأَوس كان وعَدَ رجلا ثمرَ نخْلَةٍ ، فلما أطلعَتْ أتاه فقال : دَعْهَا حتى تلقح[٩] ، فلما لقِحتْ قال : دَعْها حتى تُزْهِى[١٠] ، فلما أَزْهَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تُرْطِب ، ثم أتاه

١٥
١٥١

(١) فى هامش ا : « ليس عرقوب من الأوس ، وإنما هو من العماليق ، ولم يقل إنه من الأوس قائل ، وإنما قيل : إنه من بنى سعد» . وفى شرح ديوان كعب ٨ : « عرقوب بن نصر من العمالقة ، نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى » .

(٢) ديوانه ٢٥

(٣) القنب : الجماعة من الفوارس ، نحو الثلاثين أكثر أو أقل . وقيل . ألف ، وقيل : أقل .

(٤) فى الديوان : « يوم الهياج وقبة » .

(٥) فى الديوان : « والذائدين الناس » .

(٦) فى الديوان . « ينطهرون كأنه نسك لهم » . والنسك : كل شىء ذبح فى الحرم .

(٧) فى الديوان :

صَدَمُوا عليًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ... دَانَتْ علىٌّ بعدها لِنِزَارِ

وقال فى شرحه : هو على بن بكر بن وائل ، أبو قبيلة . ويقال على أخو عبد مناة بن كنانة .

(٨) يريد الذى عناه بقوله : « مواعيد عرقوب » .

(٩) فى هامش ا : « تباج .... أبلج » .

(١٠) تزهى : تظهر الحمرة والصفرة فى الثمر .

فقال : دَعْها حتى تُثْمِر ، فلما أثمرت عَدَا عليها ليلا فجدَّها ، فضُرِب به فى الخُلْفِ المَثَلُ ، وذلك قول الشماخ(١) :

وَوَاعَدَنِى ما لاَ أُحاوِل نَفْعَه مواعيدَ عُرْقُوب أخاه بِيَتْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند :

٥ مَنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه والغَدْرُ عرقوبُ لَهُ مثَلُ

وما قالته الشعراء فى ذِكر عُرقوب يكثُر .

قال إبراهيم بن المنذر : حدّثنى مَعْن بن عيسى ، قال : حدثنى الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومىّ ، قال :

حدثنى علىّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسولَ الله صلى الله

١٠ عليه وسلم هذه القصيدة فى المسجد الحرام ، لا فى مسجد المدينة .

قال إبراهيم : حدثنى محمد بن الضّحّاك بن عثمان عن أبيه ، قال : عنى كعبُ بن زهير بقوله :

* فى فِتْيَـةٍ من قريش قال قائلهم *

عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه .

---

١٥ (١) فى اللسان « تـرب » منسوب إلى الأشجعى ، وكذلك فى البلدان . وفى هامش ا « يترب من أرض اليمامة . ورواه القاسم بن سلام بالباء ، يريد المدينة » .

صوت

أَبِينى أَفى يُمْنَى يَدَيْكِ جعلتِنى فأفرحَ(١) أَمْ صيَّرتِنى فى شِمالِكِ
أَبِيتُ كأنّى بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حذَارَ الرَّدَى أو خِيفَةً من زِيالِكِ(٢)
تَعالَلْتِ كى أشجَى وما بِكِ عِلَّةٌ تُرِيدينَ قَتْلِى، قد ظَفِرْتِ بذلكِ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن الدُّمَيْنَة بعضُه ، وبعضُه ألحقه المغنّون به ، وهو لغيره . والغِناء لابنِ جامع ثانى ثقيل بالوُسطى ، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر .

(١) ا : « فأطمع » .
(٢) زيالك : فراقك .

أخبار ابن الدُّمَيْنة ونسبه

نسبه

الدُّمَيْنة أمُّه ، وهى الدُّمينة بنتُ حذَيْفة السَّلولية ، واسم ابن الدُّمَيْنة عبد الله بن عُبيد الله ، أحد بنى عامر بن تيم الله بن مُبَشِّر بن أَكْلُب ابن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف(١) بن أَفْتَلَ وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش(٢) ابن عَمْرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك .

وقيل : إنَّ أَكْلُب هو ابن ربيعة بن نِزار ليس ابنَ ربيعة بن عِفْرِس ، وإنهم حالفوا خَثْعم ونزلوا فيهم فنُسبوا إليهم .

كنيته

ويُكنى ابنُ الدُّمَينة أبا السَّرِيِّ .

وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سَلُول يأتى امرأتَه ليلا فرَصَده حتى أتاها فقتله ، ثم قتلها بعده ، ثم اغتالَتْه سَلُول بعد ذلك فقتلَتْه .

أخبرنى بخبره علىُّ بن سليمان الأخفش ، قال: حدثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ ، عن محمد بن حَبِيب ، عن أبى عبيدة وابن الأعرابىّ ، وأضفتُ إلى ذلك ما رَواه الزُّبير بن بَكَّار عن أصحابه، وما اتَّفقت الروايتان فيه ، فإذا اختلفتا نسَبْت كل خَبرٍ إلى راويه .

قال الزُّبير : حدثنى موهوب بن رُشَيد الكلابىّ ، وإبراهيم بن سعد السلمىّ ، وعُمَر بن إبراهيم السّعدى ، عن ميناس بن عبد الصمد ، عن مصعب ابن عَمْرو السَّلُولىّ ، أخى مُزاحم بن عمرو ، قالوا جميعا :

(١) كذا ضبط فى ا ، وفى الحاشية من نسخة : « خلف » وفى جمهرة أنساب العرب ٣٩٠ «حلف» ، وقيده بالحاء المهملة غير المنقوطة مضمومة ولام ساكنة، ثم قال : وفى الناس من يقول : « حلف » ، بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة .

(٢) فى س والمختار : « إياس » .

سلولى يرمى بامرأته

إنَّ رجلا من سلول يقال له مُزاحم بن عَمْرو كان يُرمَى بامرأة ابن الدُّمينة ، وكان اسمها حَمّاء ، قال السكرىّ : كان اسمها حَمّادة ، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدُّمَيْنَة من إتيانها ، واشتدَّ عليها ، فقال مزاحم يَذكرُ ذلك — وهذا من رواية ابن حبيب ، وهى أتمُّ وأصحُّ[1] — :

مزاحم يشهر به

يا بْنَ الدُّمينةِ والأخبارُ يرفعُها ... وَخْدُ النّجائبِ والمحقُورُ يُخفِيها

يا بْنَ الدُّمَيْنَة إنْ تغضَبْ لِما فَعلَتْ ... فطال خِزْيُكَ[2] أو تغضَبْ مَوالِيها

أو تُبغضونى فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ ... يَغْذُو خِلالَ اختلاجِ الجَوْفِ غاذيها[3]

جاهَدْتُ فيها لكُمْ إنى لكُمْ أبدًا ... أبْغِى معايبكم عَمْدًا فآتيها

فذاكَ عندى لكم حتّى تُغيِّبَنِى ... غَبْراء مُظْلِمةٌ هارٍ نَواحِيها

أغشَى نساء بنى تَيْم إذا هجعَتْ ... عنِّى العُيُونُ ولا أبغِى مَقارِيها[4]

كم كاعبٍ مِنْ بنى تَيْم قعدْتُ لها ... وعانِسٍ حين ذاقَ النومَ حامِيها

كقِعْدةِ الأعْسرِ العُلْفوف[5] مُنْتَحِياً ... مَتِينةً من متون النَّبْلِ يُنْحِيها[6]

وشَهْقَةٍ عند حسِّ[7] الماء تشهقُها ... وقولِ رُكْبَتِها: قِضْ[8] حين تثنيها

---

(١) معاهد التنصيص ١ / ١٦٠ وفى ديوان ابن الدمينة تروى بعض هذه الأبيات لمزاحم.

(٢) فى ا : « حزنك » .

(٣) فى هامش ا : غذا ، إذا سال ، وفى المختار : « يعدو . . . عاديها » .

(٤) مقاريها : محالّ قراها للضيوف .

(٥) فى هامش ا : «العلفوف : الرجل الضخم» ، وفى اللسان . رجل علفوف : جاف كثير اللحم والشعر .

(٦) فى س والمعاهد : « من متين النبل يرميها » . والمثبت من ا .

(٧) فى المختار : « حبس الماء » .

(٨) فى اللسان قض : حكاية صوت الركبة إذا صاتت ، يقال : قالت ركبته : قض ، وأنشد الشطر الثانى .

عـلامَةٌ كَيَّةٌ ما بَيْنَ عانَتِها وبين سُبَّتِها(١) لا شَلَّ كاوِيها
وتَعدِلُ الأيرَ إن زاغَتْ فتبعثه حتى يقيمَ برفق صَـدْرَه فيها
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ فى مستهدِف ومدٍ(٢) ذِى حَرَّة ذاق طعْمَ الموتِ صاليها
ماذا تَرى ابن عُبَيْد الله فى امرأةٍ ليست بِمُحْصَنةٍ عَذْراء حاويها
٥ أيّام أنْتَ طرِيدٌ لا تقاربُها وصادفَ القَوْسَ فى الغِرَّاتِ باريها
تَرَى عجُوزَ بنى تيم ملفَّعةً(٣) شُمْطًا عوارِضُها رُبْداً دَوَاهِيها(٤)
إذ تجعلُ الدِّفْنِسُ الوَرْهاء عُذْرَتَها قُشارةً من أديم ثم تفريها(٥)
حتى يظلَّ هِدَانُ القوم يَحْسَبُها بِكْراً وقَبْلُ هوًى فى الدار هاوِيها

قال الزُّبير عن رجاله ، وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ :

يستدرج مزاحماً ويقتله

١٠ لمـا بلغ ابنَ الدُّمينة شِعرُ مزاحم أتى امرأتَه فقال لها : قد قال فيكِ هذا الرجلُ ماقال ،وقد بلغك ! قالت : واللهِ مارأى ذلكَمنّى قط . قال : فمن أيْنَ له العلامات؟ قالت:وصفهنّ له النساء.قال:هيهات والله أن يكونَ ذلك كذلك. ثم أمسك مُدَّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزَاحما قد نسِىَ القصّـة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أنَّ ذلك مما وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تمكّنينى ١٥ منه لأقْتُلَنَّكِ . فعلمَتْ أنه سيفعلُ ذلك ، فبعثت إليه وواعَدَتْه ليلا ، وقعد

(١) السبة : الاست .
(٢) ومد : شديد الحر .
(٣) فى ا : « معلقة » .
(٤) عوارضها : جمع عارضة ؛ وهى صفحة الخد . والربد : الغبر ، جمع ربداء .
٢٠ (٥) فى هامش ا : « الدفنس : الهمة المسنة » . وفى اللسان : الدفنس : الحمقاء . والورهاء الكثيرة الشحم . وعذرتها : بكارتها .
(٦) هدان القوم ، الهدان : الأحمق الثقيل .

له ابنُ الدُّمَينة وصاحبٌ له ، فجاءها للمَوْعد ، فجعل يكلِّمها وهى مكانها فلم تكلمه ، فقال لها : يا حمَّاء ، ما هذا الجفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هى بصوتٍ ضعيف : ادخل ، فدخل فأهْوَى بيده ليضَعها عليها ، فوضعها على ابن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصى فى ثَوْب ، فضرب بها كَبِده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميِّتا ، فجاء أهلهُ فاحتملوه ، ولم يَجدوا به أثرَ السلاح ، فعلموا أنَّ ابْنَ الدُّمَيْنة قتله . ٥

يهجو سلولا

قال الزُّبير فى حديثه : وقد قال ابْنُ الدُّمينة فى تحقيق ذلك[1] :

قالوا : هجَتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيةً فاليومَ أهْجُو سَلُولاً لا أُخافيها

قالوا : هجاكَ سَلُولٌ ، فقلتُ لهم : قد أنصف الصَّخْرةَ الصَّماء رَامِيها

رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشِي ونسْوَتُهم شرُّ البريَّةِ واسْتٌ ذَلَّ حامِيها ١٠

يَحْكُكْنَ بالصَّخر أستاهاً بها نُقَبٌ كما يَحُكُّ نِقابَ الجُرْبِ طالِيها

١٥ / ١٥٣

قال : وقال أيضا يذكر دخولَ مُزَاحم ووضْعَه يدَه عليه :

لكَ الخيْرُ إن واعدتَ حَمَّاء فالْقَها نهاراً ، ولا تُدْلِج إذا الليلُ أظلما

فإنكَ لا تَدْرِى أبيضاءَ طَفْلَةً تُعانِقُ أمْ لَيْثاً من القوم قَشْعَما[2]

فلما سَرَى عن ساعِدَىَّ ولحيتى وأيقن أنى لستُ حَمَّاء جَمْجَما ١٥

يقتل امرأته وصغيرة له منها

قالوا جميعا : ثم أتى ابنُ الدُّمينة امرأتَه ، فطرح على وجهها قطيفةً ، ثم جلس عليها حتى قتلها ، فلما ماتت قال[3] :

إذا قَعَدْتُ على عِرْنين جاريةٍ فوق القطيفةِ فادْعُوا لى بحَفَّار

(١) ديوانه : ٨ — معاهد التنصيص ١٦٧ .
(٢) فى المختار : « ضيغما » .
(٣) ديوانه : ١٨٢ — معاهد التنصيص ١٦٧ . ٢٠

فبكت بُنَيَّةٌ له منها ، فضرب بها الأرضَ فقتلها ، وقال متمثلا :

« لا تتخذنّ(١) مِنْ كَلْبِ سَوْءٍ جَرْوَا(٢) » .

قال الزُّبير فى خَبَرِه ، عن عمّه مصعب ، عن حُميد بن أُنيف ، قال :

أخو المقتول يستعدى الوالى

فخرج جَنَاحُ أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْدَاه على ابن الدُّمينة ، فبعث إليه فحبسه .

أم المقتول تحضيض أخويه على الثأر

وقالوا جميعاً : قالت أُمُّ أبان والدة مزاحم بن عَمْرو المقتول ، وهى من خَثْعم ، ترثى ابْنَها ، وتحضّض مُصْعَباً وجَناحاً أخويه(٣) :

بأهلِى ومالِى ، بل بِجُلِّ عَشيرتى قَتيلُ بنى تَيْمٍ بغير سِلاحِ

فهلاَّ قَتَلْتُم بالسِّلاحِ ابْنَ أُختِكم فتظهرَ فيه للشهودِ جِرَاحُ

فلا تطمعوا فى الصّلح مادمْتُ حيّةً وما دامَ حيًّا مُصْعَبٌ وجَنَاحُ

أَلَمْ تعلموا أنَّ الدَّوائرَ بيننا تَدُورُ ، وأنَّ الطالبين شِحاحُ

قالوا : فلما طال حَبْسُه ، ولم يَجِدْ عليه أحمدُ بن إسماعيل سبيلا ولا حجّة خَلَّاه ، وقتلت بنو سلُول رَجُلا من خثعم مكانَ المقتول ، وقتلت خَثْعم بعد ذلك نَفَراً من سَلُول . ولهم فى ذلك قِصَصٌ وأشعارٌ كثيرة .

اشتداد الشر بين خثعم و بنى سلول

قالوا : وأقبل ابنُ الدُّمَيْنَة حاجًّا بعد مدّةٍ طويلة ، فنزل بتَبالة(٤) ، فعدَا عليه مُصْعب أخو المقتول لَمَّا رآه ، وقد كانت أمُّه حرَّضَتْه عليه ، وقالت : اقتُل ابْنَ الدُّمينة ، فإنه قتل أخاك ، وهجا قومَك ، وذَمَّ أُختك ،

مقتله

(١) فى ا ، والمعاهد : « لا تغذوًا » وفى المستقصى : « لاتقتن » .

(٢) المستقصى ٢/٢٥٨ رقم ٨٩٢ .

(٣) ديوان : ٨ - المعاهد : ١/١٦٨ . (٤) بلد باليمن .

وقد كنتُ أعذرك قبلَ هذا ، لأنك كنتَ صغيرا ، وقد كبرت الآن .
فلما أكثرَتْ عليه خرج مِنْ عندها ، وبَصُر بابْنِ الدُّمَينة واقفاً يُنشدالناسَ ،
فغَدَا إلى جزَّار فأخذ شَفْرَته ، وعَدَا على ابْنِ الدُّمينة ، فجرحه جراحَتَيْن ،
فقيل : إنه مات لوَقْتِه . وقيل : بل سَلِم تلكَ الدَّفْعَةَ ، ومرَّ بهِ مصعب بعد
ذلك وهو فى سُوق العَبْلاء يُنْشِدُ ، فعلاهُ بسيفه حتى قتله ، وعَدَا وتَبِعَه الناس ٥
حتّى اقتحم داراً وأغلقها على نَفْسه ، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به :
يا مُصْعَب ، إن لم تضعْ يدَكَ فى يدِ السلطان قتلَتْكَ العامّة فاخرج ،
فلما عرفه قال له : أنا فى ذِمَّتِك حتى تُسلّمنى إلى السلطان ؟ قال : نعم ،
فخرج إليه ووضع يدَه فى يدِه ، فسلّمه إلى السلطان ، فقذَفه فى سجن تَبالة .

يحرض قومه ويوبخهم

قال السُّكَّرِىّ فى خبره : ومكث ابْنُ الدُّمَينة جَريحاً لَيْلَته ، ومات ١٠
فى غَد ، فقال فى تلك الليلة يحرِّضُ قومه(١) ويوبخهم .

هتَفتَ بأكْلُبٍ ودَعَوْتَ قَيْساً فلا خذُلا دعَوْتَ ولا قَليلا
ثأرتَ مزاحِماً وسَرَرت قيْساً وكنتَ لِما هممت بهِ فَعُولا
فــلا تَشلَلْ يدَاكَ ولا تزالاَ تُفيدان الغنائمَ والجَزِيــلاَ
فلو كانَ(٢) ابْنُ عَبْدِ الله حيًّا لصبَّحَ فى منازلِهـا سَـلُولاَ ١٥

١٥
١٥٤

مصعب السلولى يحرض قومه لإنقاذه

فال : وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابْنِ الدُّمينة يُريدون أنْ يقتحموا عليه
سِجْنَ تَبالة فيقتلوه به غِيلة ، فقال يحرِّضُ قومه :

لقيتُ أبا السَّرِىِّ وقد تَـكالا لهُ حقٌّ العداوَةِ فى فؤادِى(٣)
فـكاد الغيظُ يُفرِطُنى إليه بطَعْن دونه طَعْنُ السِّدادِ

(١) ديوانه : ١٠ — معاهد التنصيص : ١٦٩/١ . ٢٠
(٢) ابن عبدالله ، هو رزق بن عبد الله الخثعمى ابن الدمينة .
(٣) ديوانه : ١٢ — معاهد التنصيص : ١٦٩/١ . تكالا : أصله تكالأ بمعنى كمن واستتر .

إذا نبحَتْ كِلابُ السجْنِ حَوْلِي طَمِعْتُ هَشَاشَةً وهفَا فؤادِي
طَمَاعَةَ أنْ يَدُقَّ السجْنَ قَوْمِي وخَوْفاً أنْ يُبَيِّتَنِي الأعَادِي
فما ظَنِّي بقومِي شَرُّ ظَنٍّ ولا أنْ يُسْلِمُونِي فى البلادِ
وقد جدَّلتُ[1] قاتِلَهُم فأمْسَى يَمُجُّ دَمَ الوَتِين على الوِسَادِ

هروب مصعب السلولى إلى صنعاء

٥ فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلا، فكسروا السجْنَ، وأخرجوه منه.

قال مصعب: فلما أفْلتَ من السجن هرب إلى صَنْعاء، فقدم علينا وأبى[2] بها يومئذ والٍ، فنزل على كاتب لأبى كان مولًى لهم، فرأيتُه حينئذ ولم يكن جَلْداً من الرجال.

مما يغنى به من شعره

ومما يغنَّى به من شعر ابن الدُّمَيْنَةِ قولُه من قصيدة أولها[3]:

١٠ أقمْتُ على زِمَّانَ[4] يوماً وليلةً لأنظُرَ ما وَاشِي أُمَيْمَةَ صانِعُ
فقَصْرُكِ[5] منى كلَّ عامٍ قَصِيدة تخُبُّ بها خُوصُ المَطِىِّ النَّزائعُ

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنَّ عبد الله بن شبيب أنشده إياها، عن محمد بن عبد الله السكرانىّ لابْنِ الدُّمينة. والذى يُغَنَّى به منها قوله[6]:

١٥ (١) جدلت: صرعته على الجدالة؛ والجدالة: الأرض. وفى المختار: «وقد جندلت».
(٢) فى ب، س: «وإلى» والمثبت فى ا. (٣) ديوانه: ٨٧.
(٤) زمّان، بكسر أوله وتشديد ثانيه وآخره نون: محلة بنى مازن بالبصرة. وفى ا: «زمان» بفتح أوله. وفى ديوانه: «رمان» بالراء المهملة، ورمان بفتح الراء: جبل فى بلاد طيئ.
٢٠ (٥) س: «فقصدك»، ويقال: قصرك أن تفعل كذا؛ أى حسبك وكفايتك وغايتك، وكذلك قصارك وقصاراك.
(٦) هذه الأبيات الثلاثة، نسبها صاحب الأمالى ٢: ٣١٤، لقيس بن ذريح، وهى من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى، توافقها فى الوزن والقافية. وانظر ديوانه ١: ١٧٠.

صــوت

أُقَضِّى نَهارِى بالحديثِ وبالمُنَى ويجمَعُنى والهمَّ بالليل جَامِــعُ
نَهارِى نَهارُ الناسِ حتى إذا بَدَا لِىَ الليلُ شاقتنى(١) إليكِ المضاجعُ
لقد ثَبَتَتْ فى القَلْبِ مِنْكِ محبَّةٌ كما ثَبَتَتْ فى الرَاحَتَيْن الأصابِــعُ

غنّاه إبراهيم رَمَلاً بالوسطى ، عن عَمْرو بن بانة . ٥

نسخت من كتاب أبى سعيد ، قال : حدثنا ابنُ أبى السَّرِىِّ ، عن هشام ، قال :

يحب أميمة ويتزوجها

هَوِىَ ابْنُ الدُّمينة امرأةً من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مُدَّةً ، فلما وصلَتْه تجنَّى عليها ، وجعل ينقطعُ عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتَبا طَوِيلا ، ثم أقبلت عليه فقالت(٢) : ١٠

صــوت

وأَنْتَ الذِى أَخلفْتَنِى ما وعدتَنى وأَشْمَتَّ بى مَنْ كان فيكَ يَلُومُ
وأبرزْتَنِي للنـــاس ثم تركْتَنِى لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَلِيمُ
فلو أنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدَا بجسمِىَ مِن قَوْلِ الوُشاةِ كُلُومُ

الشعرُ لأُميمة : امرأة ابن الدُّمينة ، والغِناء لإبراهيم الموصلىّ خفيف رَمَل بالوسطى ، عن عَمْرو والهشامى . وذكر حبَش أنَّ لإبراهيم أيضاً فيه ١٥

(١) فى هامش ا من نسخة : « هزتنى » وهى أيضاً رواية الديوان : ٨٨ .
(٢) وكذا فى ديوان ابن الدمينة : ٤٢ البيتان الأول والثانى ، أما الثالث فمنسوب فيه إلى ابن الدمينة ، وانظر معاهد التنصيص : ١ / ١٦٢ وديوان الحماسة : ٣ / ٣١٨ ، وفيه نسبت الأبيات إلى أمامة لا أميمة . ٢٠

١٥
١٥٥

لَحْناً من الثقيل الأول بالوسطى ، وذكر حكم الوادى أنّ هذا اللحنَ ليعقوب الوادى ، وفيه لعريب خفيف ثقيل .

قال : فأجابها ابنُ الدّمينة ، فقال[1] :

وأنتِ التى قطَّعْتِ قلبى حزازةً ... ومزَّقْت قَرْحَ[2] القَلْبِ فَهْوَ كَلِيمُ

٥ وأنتِ التى كلفتِنى دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطا بالجَلْهَتَين[3] جُثومُ

وأنتِ التى أحفظتِ قومى فكلُّهم ... بَعِيدُ الرِّضا دَانِى الصدودِ كظيمُ[4]

قال : ثم تزوَّجها بعد ذلك ، وقُتِل وهى عنده .

فأخبرنى الحسين بن يحيى ، قال : قال حمَّاد بن إسحاق : حدثنى أبى ، قال : حدثنا سعيد بن سَلْم ، عن أبى الحسن الينبعىّ ، قال :

قصة عاشقين

١٠ بينا أنا وصديق لى مِنْ قُرَيش نَمْشِى بالبَلاط[5] ليلاً إذا بِظِلٍّ نسوة فى القَمَرِ ، فالتفتنا فإذا بجماعةِ نِسوةٍ ، فسمعتُ واحدةً منهنَّ وهى تقول : أهُوَ هُو ؟ فقالت الأُخرى : نعم ، والله إنه لهو هو . فدنَتْ منى ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذى معك :

ليسَتْ لَيالِيك فى خَاخٍ[6] بعائدةٍ ... كما عَهِدْتَ ولا أيّام ذِى سَلَمِ

١٥ فقلت له : أَجِبْ ، فقد سمعتَ . فقال : قد والله قطِعَ بى ، وأُرتِجَ علىّ ، فأجِبْ عنّى ، فالتفتّ إليها ثم قلت :

فقلتُ لها : ياعزَّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّت

(١) ديوان الحماسة ٣ : ٣١٨ – ديوانه : ٤٢ .
(٢) فى هامش ا من نسخة : « جرح » .
٢٠ (٣) الجلهتانْ : موضع . (٤) نسب هذا البيت فى رواية ديوانه ٤٢ إلى صاحبته .
(٥) البلاط : موضع بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوق المدينة .
(٦) خاخ . موضع بين مكة والمدينة .

فقالت المرأة : أوه ! ثم مضَتْ ومضَيْنا ، حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضَى الفَتَى إلى منزله ، ومضَيْتُ أنا إلى منزلى ؛ فإذا أنا بجُوَيْرِية تجذبُ ردائى ، فالتفتُّ إليها ، فقالت : المرأةُ التى كلَّمتْكَ تدعُوكَ فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً ، ثم صِرْتُ إلى بيتٍ فيه حَصِير ، وثُنيتْ لى وِسادةٌ فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنيةٍ فطرَحتْها ، وجاءت المرأةُ فجلسَتْ عليها ، وقالت : أنْتَ المُجِيب ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أفظَّ جوابَك وأغلظه ! قلت : واللهِ ماحضرنى غيرُه . فبكتْ ، ثم قالت لى : واللهِ ما خلق اللهُ خَلْقا أحبَّ إلىَّ مِنْ إنسانٍ كان معك . قلت : أنا الضامِنُ لكِ عنه ما تُحبّين . قالت : أوَ تفعل ؟ قلت : نعم . فوعَدْتُها أنْ آتيَها به فى الليلة القابِلة . وانصرفت ، فإذا الفَتَى ببابى ، فقلْتُ : ما جاء بك ؟ قال : علمْتُ أنها سترسلُ إليك ، وسألْتُ عنك فلم أجِدْك فعلمتُ أنكَ عندها ، فجلسْتُ أنتظرك . فقلت : فقد كان كلُّ ماظننْتَ ، ووعدْتُها أنْ آتيَها بك فى الليلة القابلة . فمضى ثم أصبحنا فتهيَّأنا ، ورُحْنا فإذا الجاريةُ تنتظرنا ، فمضَتْ أمامَنا ، حتى دخلنا الدار ، فإذا برائحةِ الطِّيبِ ، وجاءت فجلست مليّا ، ثم أقبلَتْ عليه فعاتَبَتْه طويلا ، ثم قالت :

صــوت

وأَنْتَ الذى أخلفْتَنِي ما وعَدْتَنِى ... وأشمَتَّ بى مَنْ كان فيكَ يَلومُ(١)

وأبرزْتَنِي للنــاس ثم تركْتَنِي ... لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَلِيمُ

فلو أنّ قولا يَــكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدَا ... بِجسْمِيَ مِنْ قولِ الوُشَاةِ كُلُومُ

(١) راجع هامش ٢ من صفحة ١٠٠ .

ثم سكتَتْ ، فسكت الفتى هُنَيهة ، ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أغْدِر[1] وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفى دُونِ هَـذَا للمُحِبِّ عَزَاء

جَزَيْتُكِ ضِعفَ الوُدِّ ثم صَرَمْتِنِى ... فحُبُّكِ فى قلبى إليـك أدَاء

١٥
١٥٦

فالتفتت إلىّ وقالت : ألا تسمعُ ما يقول ؟ قد أخبرتك ! قال : فغمزْتُه

٥ فـكفّ ، ثم قالت[2] :

صـوت

تجاهَلْتَ وَصْلِى حِيْنَ لَجَّتْ عَمايَتِى ... وهلاَّ صرَمْتَ الحَبْلَ إذ أنا مُبْصرُ !

ولِى منْ قُوَى الحبْلِ الذى قد قطعْتَه ... نصيبٌ وإذ رأْيِى جميعٌ مُوَفَّرُ

ولـكنَّما آذَنتَ بالصَّرْمِ[3] بَغْتَةً ... ولستُ على مِثْلِ الذى جِئتَ أقْدِرُ

١٠ غَنَّى فى هذه الأبيات إبراهيم الموصلىّ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وذكر حبَش أن فيها ثانى ثقيل بالبنصر .

قال : فقال الفتى مُجيباً لها[4] :

لقدجعلَتْ نَفْسى — وأنت اجْتَرَمْتِه ... وكنتِ أحبَّ الناسِ — عنكِ تَطِيبُ

فبكتْ ، ثم قالت : أوقدطابَتْ نَفْسُك ! لاَ[5] واللهِ مافيكَ خَيْرٌ بعدها ،

١٥ فعليك السلام . ثم قامت والتفتتْ إلىّ ، وقالت : قد علمت أنكَ لا تفِى بضمانك عنه ، وانصرفنا .

---

(١) كذا ضبط فى ا ، والفعل كضرب ونصر وسمع ، والبيتان فى المعاهد : ١ / ١٦٤ .

(٢) المعاهد : ١ / ١٦٤ .

(٣) فى المعاهد : « بالصبر » .

٢٠ (٤) معاهد التنصيص : ١ / ١٦٤ .

(٥) كذا فى ا وهو الوجه .

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال : حدثنى أبى ، قال : كان العباسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفنى به ، وأفعلُ مثل ذلك ، فجاءنى يوماً ، فوقف بَيْنَ البابَيْن ، وأنشد لابْنِ الدُّمَينة(١) :

العباس بن الأحنف ينشد شعراً له

صـوت

٥

أَلا ياصَبَا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فقد زادَنِى مَسْرَاكَ وَجْداً على وَجْدِ
أَإِنْ هتفَتْ ورْقاءُ فى رَوْنَقِ الضحى ... على فَنَنٍ غَضٍّ النباتِ من الرَّنْدِ(٢)
بَكَيْتَ كما يَبْكِى الحزينُ صبابةً ... وذُبْتَ من الشَّوْقِ المُبَرِّحِ والصَّدِّ
بكيتُ كما يَبْكِى الوَلِيدُ ، ولَمْ تكن ... جَزُوعاً ، وأبديتَ الذى لم تكن تُبْدِى(٣)
وقد زَعَمُوا أنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا ... يَمَلُّ وأنَّ النأْىَ يَشْفِى من الوَجْدِ
بكُلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يُشْفَ ما بِنا ... على أنَّ قُرْبَ الدارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

١٠

وزِيد على ذلك بيت ، وهو :

ولكنَّ قُرْبَ الدّارِ ليس بنافعٍ ... إذا كانَ مَنْ تَهْوَاه ليس بِذِى وُدِّ(٤)

ثم ترنَّح ساعة ، وتَرَجَّح(٥) أُخرى ، ثم قال : أَنطَحُ العمودَ برأْسِى من حُسْنِ هذا ! فقلت : لا ، ارْفُقْ بنفسك .

١٥

(١) ديوانه ٨٥ باختلاف فى الترتيب . الحماسة بشرح التبريزى ٣/١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ / ١٦٠ .

(٢) فى شرح الديوان : الهتاف : رفع الصوت . والورقاء : الحمامة التى لونها إلى السواد ، ومنه قيل للرماد : أورق . والرّونق : البياض . والرند : الأسل .

(٣) فى الديوان « جليدا » ، وهو الوجه .

٢٠

(٤) فى المختار والمعاهد : « على أن قرب الدار » .

(٥) فى س ، ف : « ودبخ » . ودبخ الرجل : قبب ظهره وطأطأ رأسه . وفى المعاهد : « ثم ترنح ساعة ترنح النشوان » .

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لَحْنَان : أحدهما ماخُورىٌّ بالبِنصر أوله البيت الثانى ، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ . قال : حدثنى أحمد بن سعيد عن ابن ٥ زَبَنَّج راوِيةِ ابْنِ هَرْمة ، قال :

ابن هرمة وصديق له

لقى ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبَلاط ، فقال له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : مِنَ المســجد ، قال : فأىّ شىء صنعْتَ هناك ؟ قال : كنْتُ جالساً مع إبراهيم بن الوليد المَخْزُومىّ ، قال : فأىّ شىء قال لك ؟ قال : أمرنى أنْ أُطلِّق امرأتى . قال : فأىّ شىء قلتَ له ؟ قال : ما قلتُ له ١٠ شيئاً . قال : فوالله ما قال لك ذلك إلاّ لأَمْرٍ أظهرْتَه عليه وكتمتنيه ، أفرأيت إن أمَرْتَه بطلاقِ امرأتهِ ، أيُطلِّقُهَا ؟ قال : لا ، والله ، قال : فابْنُ الدُّمينة كان أنصفَ منك ، كانَ يَهْوَى امرأةً من قومه ، فأرسلت إليه : إنّ أهلى قد نَهَوْنى عن لقائك ومُرَاسلتك ، فأرسلَ إليها[1] :

صــوت

١٥ / ١٥٧

أطعْتِ[2] الآمريكِ بقَطْعِ[3] حَبْلِى	مُرِيهِــمْ فى أحبّتهم بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم	وإنْ عاصَوْكِ فاعصى مَنْ عصاكِ
أما والرَّاقِصاتِ بِــكلِّ فَجٍّ[4]	ومَنْ صَــلَّى بنَعْمانِ الأَراكِ
لقــد أضمَرْتُ حُبَّــك فى فؤَادى	وما أضْمرْتُ حُبّاً مِنْ سِواكِ

(١) معاهد التنصيص ١/١٦٠ . وفى شرح الحماسة للتبريزى ٣/١٧٥ نسبت لخليد مولى ٢٠ العباس بن محمد المعروف بابن العميثل ، وكذا فى معجم البلدان (نعمان) .
(٢) فى ا : « أريت الأيك » ، وفى الهامش من نسخة : « أطعت » .
(٣) فى المختار : « بيتّ حبلى » . (٤) فى المختار : « بذات عرق » .

فى هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى ، ولعريب خفيف ثقيل ، ابتداؤه ينشد فى الثالث والرابع ثم الثانى والأول ، وفيه لمتيّم خفيف رمل آخر .

وحدَّثنى بعضُ أصدقائنا ، عن أبى بكر بن دُرَيد — ولم أسمعه منه — قال : حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخى الأصمعىّ ، عن عمِّه ، ووجدتُه أيضا فى بعض الكُتُب بغير هذا الإسناد عن الأصمعىّ ، فجمعت الحكايتَيْن ، قال :

رد عاشق على صاحبته ببيتين له

مررْتُ بالكوفة ، وإذا أنا بجارية تطَلَّعُ من جِدارٍ إلى الطريق ، وفَتًى وَاقفٌ وظهرُه إلىَّ ، وهو يقول لها : أسْهَرُ فيك وتنامين عنى ، وتضحَكين مِنّى وأبكى ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المودَّة وتَمْذُقِينَها[1] لى ، وأصدقُك وتُنافقيننى ، ويأمُرك عدوِّى بهَجْرِى فتطيعينه ، ويأمُرنى نَصيحى بذلك فأعصيه ! ثم تنفَّس وأجْهَش باكيا . فقالت له : إنَّ أهْلى يمنعوننى منك ، وينهوننى عنكَ ، فكيف أصنع ؟ فقال لها :

أطَعْتِ الآمِرِيكِ بصَرْمِ حَبْلِى ... مُرِيهم فى أحِبَّتِهم بذاكِ[2]
فإنْ هُمْ طاوَعُوكِ فطاوِعيهم ... وإنْ عاصَوْكِ فاعصى مَنْ عَصاكِ

ثم التفتَ فرآنى ، فقال : يا فتى ، ما تقول أنتَ فيما قلت ؟ فقلتُ له : والله لو عاش ابنُ أبى ليلى ما حكم إلاَّ بمثل حُكْمك .

تمّتْ أخبارُ ابنِ الدُّمَيْنة .

(١) أمحضك المودة : أخلصها ، وتمذقينها ، من مذق اللبن ، إذا خلطه بالماء ، أى لا تخلصين المودة .

(٢) فى ا : « أريت » وفى هامشها من نسخة : « أطعت » .

صــوت

وإنَّ الذى بَيْنِى وَبَيْنَ بَنِى أبى ... وَبَيْنَ بنى عَمِّى لمُخْتَلِفٌ جِدّا(١)

فما أحمِلُ الحقـد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم من يحمل الحِقدا

وليسوا إلى نَصْرِى سِرَاعاً وإنْ هُمُ ... دعَوْنى إلى نَصْرٍ أتيتهمُ شَدّا

٥ إذا أكلوا لَحْمِى وَفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هدَمُوا مَجْدِى بنيتُ لهم مَجْدَا

يعاتِبُنى فى الدَّينِ قومِى وإنما ... تديَّنْتُ فى أشياءَ تُكسبهم حَمْدا

عروضُه من الطويل . الشعرُ للمقنَّع الكندىّ ، والغناء لابن سُرَيج رمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه مِنْ روايته أيضا لمالك خفيف رمل بالوسطى . وذكر على بن يحيى أنَّ لَحْنَ ابن سريج خفيف ثقيل . وذكر إبراهيم أنَّ فيه ١٠ لِقَفَا النَّجار لحنا لم يذكُرْ طريقته ، وأظنُّه من خفيف الثقيل .

---

(١) الأبيات فى معجم الشعراء ٣٣٣ ، واللآلى ٦١٥ مع اختلاف فى الرواية . وفى اللآلى : « وأنشد يعقوب بن السكيت هذا الشعر لحاتم » .

نسب المقنّع الكندى وأخباره

سبب تلقيبه بالمقنع

المقنّع لقبٌ غلب عليه ، لأنه كان أجملَ الناسِ وَجْهاً ، وكان إذا سفَر اللثام عن وجهه أصابَتْه العَيْن .

١٥
١٥٨

قال الهيثم : كان المقنّع أحسَنَ الناسِ وَجْهاً ، وأمدَّهم قامةً ، وأكملهم خلْقاً ، فكان إذا سفر لُقِع — أى أصابته أعينُ الناس — فيمرض ، ويلحقه عنَتٌ(١) ، فكان لا يمشى إلاّ مُقَنَّعاً . ٥

نسبه

واسمه محمد بن ظَفَرَ بن عُمَير(٢) بن أبى شمر بن فرْعان بن قيس بن الأسود ابن عبْد الله بن الحارث الوَلّادة — سمّى بذلك لكثرة ولده — بن عَمْرو ابن مُعاوية(٣) بن كِنْدَة بن عُفير بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد ابن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ١٠ ابن قحطان . شاعر مُقِلٌّ مِنْ شعراء الدولة الأموية ، وكان له محلٌّ كبير ، وشَرَف ومروءة وسؤدد فى عَشِيرته .

شاعر أموى مقل

قال الهيثم بن عَدِى : كان عُمَير جده سيِّدَ كِنْدَة ، وكان عمُّه عمرو بن أبى شمر يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجِله فيها ، فيقصِّر عنه .

أتلف ماله فى عطاياه

ونشأ محمد بن عُمَير المقنّع ، فكان متخرِّقاً فى عطاياه ، سَمْح اليَد بماله ، ١٥ لا يَرُدُّ سائلا عن شىء حتى أتْلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ ، فاستعلاهُ(٤)

(١) عنت ، أى مشقة . وفى ا : « ويلحقه عيب » .

(٢) فى ا : « عميرة » ، والمثبت يوافق ما فى الشعر والشعراء ايصا ٧١٥ ، وفى اللآلى : « هو محمد بن عميرة » ويقال : ابن عمير » .

(٣) فى المختار : « بن معاوية بن ثور بن مريع بن معاوية بن كندة » . ٢٠

(٤) فى ا : « فاستعداه » .

بنو عمه لم يزوجوه أختهم لفقره ودينه

بَنُو عَمّه عَمْرو بن أبى شَمِرٍ بأموالهم وجاههم ، وهَوِىَ بِنتَ عَمّه عَمْرو فخطبها إلى إخوتها ، فردُّوه وعيَّرُوه بتخرُّقه وفَقْرِه وما عليه مِنَ الدَّيْن ؛ فقال هذه الأبيات المذكورة .

وأخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ ، قال : حدثنى محمد بن زكريا الغِلابىّ ، عن العُتْبىّ ، قال : حدثنى أبو خالد مِنْ وَلَدِ أُميَّة بن خَلف ، قال :

شاعر يفضل شعراً له تعريضا ببخل خليفة

قال عبد الملك بن مَرْوان — وكان أول خليفة ظهر منه بُخْل — : أىّ الشعراء أفضل ؟ فقال له كثير بن هَرَاسَة ، يعرِّض ببُخْل عبد الملك : أفضلهم المقنّع الكندىّ حيث يقول :

إنى أحرِّضُ أهْلَ البُخْل كُلَّهم ... لو كان ينفَعُ أهلَ البخل تَحْرِيضى
ما قَلَّ مَالِىَ إلاَّ زادَنى كَرَماً ... حتى يكونَ برزقِ اللهِ تعويضى
والمالُ يرفعُ مَنْ لَوْلاَ دَراهِمُه ... أمْسَى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ
لن تُخْرِجَ البيضُ عَفْواً من أكفهمُ ... إلاَّ عَلَى وَجَعٍ[1] منهم وتَمْرِيض
كأنَّها مِنْ جلُودِ الباخلين بها ... عند النوائب تُحْذَى بالمقارِيضِ[2]

فقال عبد الملك — وعرف ما أرَاد — : اللهُ أصدق من المقنّع حيث يقول : ﴿ والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتروا ﴾[3].

(١) فى ا : « على وجل » .
(٢) تحذى : تقطع .
(٣) سورة الفرقان ٦٧ .

صـــوت

يابْنَ هشام يا عليّ الندَى فَدَتْكَ نَفْسي ووَقَتْكَ الرَّدَى

نسيتَ عَهْدِي أوْ تناسيْتَنِي لَمَّا عدَانِي عَنْكَ صَرْفُ النَّوَى

الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليّ رمل بالبنصر .

خبر لإسحاق وابن هشام

وهذا الشعر يقولُه فى عَلِىّ بن هشام أيام كان إسحاق بالبَصْرَة ، وله إليه رسالةٌ حسَنة ، هذا موضع ذكرها ، أخبرنا بها عَلِىُّ بن يحيى المنجّم ، عن أبيه ، ووقعَتْ إلينا من عِدَّةِ وُجوه :

رسالته إلى على ابن هشام

٥ أن إسحاق كتب إلى علىٍّ بن هشام : «جُعلتُ فداك ! بعثَ إلىّ أبو نصر مولاك بكتاب مِنْكَ إلىّ يرتفِعُ عن قَدْرِى ، ويقصُر عنه شُكْرِى ، فلولا ما أعرِف من معانيه لظننت أنّ الرسولَ غلط بى فيه ، فالنا ولك يا عبدَ الله ، تَدَعُنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها ، ورجَوْنا السلامةَ مِنْ شرِّها ، أفسدْتَ قلوبَنا وعلّقت أنفسنا ، فلا أنت تُريدنا ، ولا أنت تتركنا ؛ فبأىِّ شىء تستحِلُّ ١٠ هذا ! فأما ما ذكَرْتَه مِنْ شوقك إلىّ فلولا أنك حلَفْتَ عليه لقلت :

١٥ / ١٥٩

يا مَنْ شكا عَبَثاً إلينا شَوْقَهُ ... شَكْوَى المُحِبِّ وليس بالمُشْتاقِ
لو كنْتَ مشتاقاً إلىّ تُريدُنى ... ما طِبْتَ نفسا ساعةً بفِراقِ
وحفِظْتَنى وحِفْظ الخليلِ خليلَه ... ووفيْتَ لى بالعَهْدِ والميثاقِ
هيهاتَ قد حدثَتْ أُمورٌ بَعْدَنا ... وشُغِلْتَ باللذّاتِ عن إسحاقِ

١٥ وقد تركتُ ـ جُعلت فِداك ـ ما كرهتَ من العِتاب فى الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزال أخرجُ بها إلى ظَهْرِ المِرْبَد ، وأستقبِلُ الشَّمال ، وأتنَسّم أرواحكم فيها ، ثم يكونُ ما اللهُ أعلمُ به ، وإن كنتَ تكرهها تركتُها إن شاء الله :

ألاَ قد أرى أنّ الثَّواء قَليلُ ... وأنْ لَيْس يَبْقَى للخليلِ خَليلُ
٢٠ وإنى وإنْ مُكِّنْتُ(١) فى العَيْش حِقْبَةً ... كذِى سَفَرٍ قد حان منه رَحِيلُ

(١) فى هامش ا من نسخة . «وإن مليت» .

فهلْ لى إلى أنْ تنظرَ العَيْنُ مَرَّةً إلى ابْنِ هشامٍ فى الحياةِ سَبِيلُ ؟!
فقد خِفْتُ أنْ أَلْقَى المنايا بحَسْرَةٍ وفى النفْسِ مِنه حاجةٌ وغَلِيلُ

وأمَّا بعد، فإنى أعلمُ أنك — وإن لم تَسَلْ عن حَالِى — تحِبُّ أنْ تعلمَها وأنْ تأتِيَك عَنِّى سلامةٌ ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدنِ ، مريض القَلْبِ .

وبعد : فأنا — جُعِلتُ فداك — فى صَنْعَةِ كتابٍ مَلِيح ظريف ، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم وبلادُهم ، وأسبابُهم وأزمنتهم ، وما اختلفُوا فيه من غِنائهم ، وبعضُ أحاديثهم ، وأحاديثُ قِيان الحجاز والكوفة والبَصْرة المعروفات والمذكورات ، وما قيل فيهنَّ من الأشعار ، ولِمَنْ كُنَّ ، وإلى مَنْ صِرْنَ ، ومَنْ كان يَشْناهُنَّ ، ومَنْ كان يُرَخِّص فى السماع من الفقهاء والأشراف ، فأعْلِمْنِي رَأْيَكَ فيما تشتهى لأعملَ على قَدْرِ ذلك ، إن شاء الله .

يطلب رأى ابن هشام فى كتاب سيصنعه

وقد بعثتُ إليك بأنموذج ، فإنْ كان كما قال القائل : « قبح اللهُ كلَّ دَنٍّ أوَّله دُرْدِيٌّ[1] » ، لم نتجشَّم إتمامَه ، وربحنا العناء[2] فيه ، وإنْ كان كما قال العربىّ : « إن الجوادَ عَيْنُهُ فِرارُه[3] » أعلمْتنا ؛ فأتممْناه مسرورينَ بحُسْنِ رَأْيِك فيه ، إنْ شاء الله » .

وهذا مما يدلُّ على أنَّ كتابَ الأغانى المنسوب إلى إسحاق ليس له ؛ وإنما أُلِّف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء ، غيرَ مختلط بعضها ببعض .

وحشة بعد ألفة

وكان إسحاق يألفُ عليًّا وأحمد ابنَىْ هِشام وسائرَ أهلهما إلفًا شديدا ،

(١) دردى الزيت وغيره . ما يبقى فى أسفله ، وأصل معناه ما يركد فى أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان .
(٢) فى ا : « الغناء » .
(٣) فى اللسان : من أمثالهم : إن الجواد عينه فراره ، أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه . وفى «اللسان — فرر» : رواه الجوهرى بالفتح ، وعن أبى سعيد السيرافى أنه كان يكسر الفاء ويقول : قد لج فى ضم الفاء من لا يعتد به . وانظر المستقصى ١ / ٣١٥ .

ثمّ وقعت بينهم نَبْوَةٌ ووَحْشة فى أمرٍ لم يقعْ إلينا إلاّ لُمَعاً غيرَ مشروحة ، فهجاهم هجاء كثيرا ، وانفرجت الحالُ بينه وبينهم.

فأخبرنى محمد بن خلف وكيع ويحيي بن علىّ بن يحيي وغيرهما ، عن أبى أيوب سليمان المدينىّ ، عن مُصْعَب ، قال :

٥ قال لى أحمد بن هشام : أما تَستَحى أنتَ وصباح بن خاقان ، وأنتما شيخان مِنْ مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شبّب بذكركما إسحاق فى الشعر ، وهو مغنٍّ مذكور ، فيقول :

شعره فى مصعب وصباح

قد نهانا مُصْعَبٌ وصباحُ فعصَيْنا مُصْعَباً وصبَاحا
عَذلاً ما عَذَلا أمْ مَلاماً فاستَرَحْنا منهما فاستراحا

١٠ ويروى :

* علما فى العَذْل أمْ قد ألاما *

ويروى :

* عذلا عَذْلَهما ثم أناما *

١٥/١٦٠

فقلتُ : إن كان فعل فما قال إلاّ خيرا ، إنما ذكرَ أنّا نهيناه عن خمرٍ شربها ، وامرأةٍ عشقها ، وقد أشاد باسمك فى الشعر بأشدّ من هذا ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله :

شعره فى عىّ أحمد بن هشام

وصافيةٍ تَغْشَى[1] العيونَ رقيقةٍ رهينة عامٍ فى الدِّنان وعَامِ
أدَرْنا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِناً من الليل حتى انجابَ كلُّ ظَلَامِ
فما ذَرّ قَرْنُ الشَّمْسِ حتى كأننا من العِىّ نَحكى أحمد بْنَ هِشامِ

٢٠ (١) فى ا : « تعشى العيون » .

قال : أو قد فعل العاضّ بَظْر أُمّه ! قلت[١] : إى والله لقد فعل .

إلى هاهنا رواية مصعب .

ووجدتُ هذا الخبرَ فى غير روايته . وفيه زيادة قد ذكرتُها ، قال : فآلى أحمد بن هشام أنْ يبلُغَ فيه كلَّ مبلغ يقدرُ عليه ، وأن يجتهد فى اغتياله .

أحمد بن هشام يتوعده

قال إسحاق : حضرتُ بدار الخليفة ، وحضر علىّ بن هشام ، فقال لى : أتهجُو أخى وتذكره بما بلغَنى من القبيح ؟ فقلت : أوَ يتعرَّضُ أخوك لى ويتوعدُنى ! فوالله ما أُبالى بما يكون منه ؛ لأنى أعلَمُ أنه لا يقدرُ لى على ضرّ والنفع فلا أُريده منه ، وأنا شاعر مغنٍّ ، والله لأهجونَّه بما أفرى به جِلْدَه ، وأهتك مروءتَه ، ثم لأغنينَّ فى أقبح ما أقولُه فيه غناء تسرى به الركبان . فقال لى : أوَتهبُ لى عِرْضَه ، وأُصلح بينكما ؟ فقلت : ذاك إليك . وإن فعلتَه فلكَ لا لَه . ففعل ذلك ، وفعلته به .

على بن هشام يصلح بينه وبين أخيه أحمد

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنى محمد بن يزيد النحوىّ ، قال : كان صَباح بن خاقان المنقرىّ نديماً لمصعب الزُّبيرى ، فقال عبد الرحمن ابن أبى عبد الرحمن بن عائشة — وكان خليعاً من أهل البصرة — :-

ابن عائشة يهجو مصعبا وصباحا

مَنْ يكن إبطُه كآباطِ ذَا الخلـ ـقِ فإبطاى فى عِداد الفِقاحِ[٢]

لِىَ إبطانِ يرْميانِ جليسى بشبيه السُّلاح بَلْ بالسُّلاحِ

فكأنِّى مِنْ نَتْنِ هذا وهذا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصباحِ

أخبرنى علىّ بن يحيى المنجم ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى إسحاق ،

(١) فى الأصل : قال .

(٢) الفقحة : الدبر ، والجمع فقاح .

ينشد الفضل ابن الربيع

قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : ما عندك ؟ قلت : بيتان أرجو أنْ يكونا فيما يُستطرف ، وأنشدته :

سنُغْضِي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ونصبرُ حتى يصنعَ اللهُ بالفَضْلِ
فتنتصر الأحرارُ ممَّنْ يَضيمُها وتُدْرِكُ أقْصَى ما تطالِبُ من ذَحْلِ[1]

قال : فدمعت عينُه ، وقال : مَن آذاك لعنه الله ؟ فقلت : بنو هاشم ، وأخبرتُه الخبر .

قال يحيى بن علي : ولم يذكر بأي شيء أخبره .

(١) الذحل : الثأر .

صـوت

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِى[١] فما أطعَمُ نوماً غَيْرَ تَهْجاعِ
أَسْعَى على جُلِّ بَنِى مالكٍ كلُّ امرئٍ فى شأنِهِ ساعِ
مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَها مُرًّا ، وتترُكه بجَعْجاعِ[٢]
لا نألم القَتْلَ ونَجْزِى به الـ أعداء كَيْلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ[٣]

الشعر لأبى قيس بن الأسلت ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أول وقيل : بل هو لمعبد .

(١) حصت : أذهبت الشعر من رأسه . والبيضة هنا : الخوذة .

(٢) الجعجاع : الأرض التى لا أحد بها ، واستشهد الجوهرى بهذا البيت على الأرض الغليظة .

(٣) الأبيات فى الجمهرة ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، وابن الأثير ١ : ٤١٤ .

نسب أبى قيس بن الأسلت وأخباره

١٥
———
١٦١

نسبه

أبو قيس لم يقع إلىَّ اسْمُه غير ابن الأسلت[١]، والأسلت لقب أبيه[٢]، واسمه عامر بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأَوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر .

من شعراء الجاهلية

٥ وهو شاعِرٌ من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حَرْبَها، وجعلَتْه رئيساً عليها ، فكفى وسادَ . وأسلم ابنُه عقبة بن أبى قيس ، واستشهد يَوْمَ القادسيّة .

وكان يزيد بن مِرْداس السُّلَمِيّ أخو عباس بن مرداس الشاعر قتَل قَيْس بن أبى قيس بن الأسلت فى بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون ١٠ ابن النعمان بن الأسلت ، حتى تمكَّن مِنْ يزيد بن مرداس ، فقتله بقَيْس ابن أبى قيس ، وهو ابنُ عمه .

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت :

أقيسُ إن هلكتُ وأنْتَ حيٌّ ... فلا تعدَمْ مُواصَلَةَ الفَقِيرِ

وهذا الشِّعْرُ الذى فيه الغِناء يقوله أبو قيس فى حَرْبِ بُعاث[٣] .

رأس الأوس فى حربها

١٥ قال هشام بن الكلبى : كانت الأَوسُ قد أسندوا أمْرَهم فى يوم بُعاث

(١) فى هامش ا : « اسمه صيفى ، وهو أشهر من ألا يقع لأحد » . وقال ابن حجر فى الإصابة : وقيل عبد الله ، وقيل غير ذلك .

(٢) فى ج : «لقب عليه» وفى م: « والأسلت واسمه صيفى ، وهذا أشهر من ألا يقع لأحد ».

(٣) بعاث ، بالضم : موضع من المدينة على ليلتين ، وفى ياقوت : « وحكاه صاحب ٢٠ العين بالغين المعجمة ، ولم يسمع من غيره » .

إلى أبى قيس بن الأسلت الوائلىّ ، فقام فى حَرْبهم وآثرها على كلّ أمْر حتى شَحُبَ وتغيَّر ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة . ثم إنه جاء ليلةً فدقّ على امرأتِه ، وهى كَبْشة بنت ضَمْرَة بن مالك بن عَدِىّ بن عَمْرو بن عوف ، ففتحت له ؛ فأهوى إليها بيده فدفعَتْه ، وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلَّمْتَ . فقال فى ذلك أبو قيس هذه القصيدة ، وأولها[1] :

قالت ولم تَقْصِدْ لقِيلِ الخَنا[2]: مَهْلاً فقد أبلغْتَ أسْماعِى
استنكرَتْ لَوْناً لَهُ شاحِباً[3] والحربُ غُولٌ ذاتُ أوْجاع
مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طعْمَها مُرًّا وتتركْه بجَعْجَاع[4]

[يوم بُعاث]

يوم بعاث وسببه

فأما السبَبُ فى هذا اليوم — وهو يوم بعاث — فيما أخبرنى به محمد ابن جرير الطبرىّ ، قال : حدثنا[5] محمد بن حميد الرازىّ ، قال : حدثنا سلمة ابن الفَضْل ، عن محمد بن إسحاق ، وأضفت إليه ما ذكره ابنُ الكلبىّ عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن أبى عبيدة ، عن محمد بن عمّار بن ياسر ، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغَسِيل ابن أبى عامر الراهب :

الأوس تطلب عون بنى قريظة والنضير

أنّ الأوس كانت استعانت ببَنِى قُرَيظة والنَّضير فى حروبهم التى كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرج ، فبعثت إليهم : إنّ الأوْس فيما بلغنا

(١) من قصيدة مفضلية برقم ٧٥ (ص ٢٨٣) .
(٢) لم تقصد . لم تأت القصد ، وهو الوسط فى الأمور ، وهو العدل . والخنا : الكلام الردىء .
(٣) رواية المفضليات : « أنكرته حين توسمته » .
(٤) المفضليات : « وتحبسه بجعجاع » وانظر رقم ٢ من هامش ص ١١٦ .
(٥) تاريخ الطبرى ٢ . ٣٥٧ .

قد استعانَتْ بكُمْ علينا ، ولن يُعجزنا أنْ نستعينَ بأعدادكم وأكثرَ منكم مِن العرب ، فإنْ ظفرْنا بكم فذاكَ ما تكرهون ، وإنْ ظفرتُمْ لم نَنَمْ عن الطَّلب أبدًا ، فتصيروا إلى ما تكرهون ، ويشغلكم مِنْ شأننا ما أنتُمْ الآن منه خالون ، وأسلَمُ لكم من ذلك أنْ تَدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا .

٥ فلما سمعوا ذلك عَلِموا أنه الحقّ ؛ فأرسلوا إلى الخزرج : إنه قد كان الذى بلغكم ، والتمست الأَوْس نَصْرنا ، وما كنا لِنَنْصُرهم عليكم أبداً . فقالت لهم الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثُوا إلينا برَهائن تكونُ فى أيدينا . فبعثوا إليهم أربعين غلاما منهم ، ففرَّقهم الخزرجُ فى دُورهم فمكثوا بذلك مدةً .

الخزرج تحتفظ برهائن من قريظه والنضير

١٠ ثم إنَّ عَمْرو بن النعمان البَياضِىّ قال لقومه بَياضة : إنَّ عامرا أنزلكم مَنْزِل سُوء بين سَبَخَة ومفازة ، وإنه والله لا يمسّ رأسى غُسْل حتى أُنْزِلكم منازلَ بنى قريْظَة والنَّضِير على عَذْبِ الماء وكريم النَّخْلِ . ثم راسلهم : إمَّا أن تُخلوا بيننا وبين دِياركم لسكنُها ، وإمَّا أنْ نقتل رُهُنَكم ، فهمُّوا أن يَخْرُجوا من دِيارهم ، فقال لهم كَعْب بن أسَد القُرَظىّ : يا قَوْمُ ، امنعوا

عمرو بن النعمان يرغب قومه فى منازل بنى قريظه والنضير

١٥ / ١٦٢

١٥ ديارَكم ، وخلُّوه يقتلُ الرُّهُن ، والله ما هِىَ إلاَّ ليلة يُصيبُ فيها أحدُكم امرأتَه حتَّى يولدَ له غُلام مثل أحد الرُّهن .

فاجتمع رأْيُهم على ذلك ، فأرسلوا إلى عمرو بألّا نُسلِّم لكم دُورَنا ، وانظروا الذى عاهدتمُونا عليه فى رُهننا ، فقوموا لنا به ، فعدا عَمْرو بن النّعمان على رُهنهم هو ومَنْ أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم وأَبَى عَبْدُ الله بن أُبَىّ — وكان سيِّدًا حَليما — وقال : هذا عقوقٌ ومَأْثم وبَغْى ؛ فلستُ مُعِينا عليه ، ولا أحَدٌ من قومى أطاعَنِى . وكان عنده فى الرُّهن سُلَيم [1] بن أسَد القرظىّ —

غدر عمرو بن النعمان بالرهن

٢٠

(١) كذا فى المختار ، وهو يوافق ما فى الإصابة ، وفى الأصول : « سليمان » .

وهو جَدُّ محمد بن كعب القرظىّ — فخَلَّى عنه ، وأطلق ناسٌ مِن الخزرج نَفَراً فلحقوا بأهليهم ، فناوشَتِ الأَوْسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئا مِنْ قتال غير كبير .

اجتماع قريظة والنضير على معاونة الأوس على الخزرج

واجتمعت قريظة والنَّضِير إلى كعب بن أسد، أخى بنى عمرو بن قريظة ، ثم توامروا أن يُعينُوا الأوسَ على الخزرج ؛ فبعث إلى الأوس بذلك ، ثمَّ أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بَيْتٍ من النَّبيت[1] على بيت من قريظة والنضير ، فنزلوا معهم فى دُورهم ، وأرسلوا إلى النّبيت يأمرُونهم بإتيانهم ، وتعاهَدُوا ألاَّ يُسلموهم أبدا ، وأنْ يقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقَى منهم أحد .

بنو قريظة والنضير يؤوون النبيت فى دورهم

فجاءتهم النَّبيت فنزلوا مع[2] قُريظة والنَّضير فى بيوتهم ، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس فى الحرب والقِيام معهم على الخَزْرَج ، فأجابوهم إلى ذلك . فاجتمع المَلأُ منهم ، واستحكم أمْرُهم ، وجدُّوا فى حَرْبهم ، ودخلت معهم قبائلُ مِن أهلِ المدينة ، منهم بنُو ثعلبة — وهم من غسان — وبنو زَعُوراء ، وهم من غَسّان .

فلما سمِعَتْ بذلك الخزرج اجتمعوا ، ثم خرجوا ، وفيهم عَمْرو بن النعمان البَيَاضىّ ، وعمرو بن الجمُوح السُّلمىّ ، حتى جاءوا عَبْدَ الله بن أُبَىّ ، وقالوا له:

مشاورة الخزرج عبد الله بن أبى فى حرب الأوس

قد كان الذى بلغكَ من أمر الأَوْسِ وأمْر قُرَيْظَةَ والنَّضير واجتماعهم على حَرْبنا ، وإنَّا نرى أنْ نُقاتِلَهم ، فإنْ هزَمْناهمْ لم يحْرِزْ أحدٌ منهم مَعْقِلَه ولا ملجأه حتى لا يَبْقَى منهم أحد .

فلما فرغوا من مَقالتهم قام عبدُ الله بن أُبَىٍّ خطيبا وقال : إنَّ هذا بَغْىٌ

(١) النبيت : أبو حى باليمن ، واسمه عمرو بن مالك . «القاموس — نبت» ، وفى جمهرة أنساب العرب ٣١٩ : النبيت بنو عمرو بن مالك بن الأوس .

(٢) كذا فى (ج) والمختار . وفى ب ، م : فنزلوا معهم .

منكم على قومكم وعقوق ، ووالله ما أحب أن رجلا[1] من جراد لقيناهم .
وقد بلغنى أنهم يقولون : هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت ! والله
إنى أرى قوما لا ينتهون أو يهلكوا عامتكم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم
أن ينصروا عليكم لبغيكم عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم ،
٥ فإذا ولوا فخلوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلوا عنكم .
فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سحرك[2] يا أبا الحارث حين
بلغك حلف الأوس قريظة والنضير ! فقال عبد الله : والله لا حضرتكم
أبداً ، ولا أحد أطاعنى أبدا ، ولكأنى أنظر إليك قتيلا تحملك أربعة
فى عباءة[3] .

تحذير عبد الله بن أبى عاقبة الغدر

١٠ وتابع عبد الله بن أبى رجال من الخزرج ، منهم عمرو بن الجموح الحرامى .
واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضى ،
وولوه أمر حربهم ، ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ،
ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب . فأرسلت
الخزرج إلى جهينة وأشجع ، فكان الذى ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس
١٥ ابن شماس ، فأجابوه ، وأقبلوا إليهم ، وأقبلت جهينة إليهم أيضا . وأرسلت
الأوس إلى مزينة ، وذهب حضير الكتائب الأشهلى إلى أبى قيس
ابن الأسلت ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام
حضير ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نمرة[4] تشف عن عورته ، فحرضهم

تولية الخزرج عمرو بن النعمان أمر حربهم

حضير الكتائب يحرض الأوس على القتال

(١) الرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه .
٢٠ (٢) أصل السحر ، بفتح فسكون : « الرئة » . وانتفخ سحرك : جاوزت قدرك .
(٣) العباءة : كساء معروف . « القاموس » .
(٤) النمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

وأمرهم بالجِدِّ فى حَرْبهم ، وذكر ما صنعَتْ بهم الخَزْرَجُ مِنْ إخراج النَّبِيت وإذلال مَنْ تخلَّف من سائر الأَوْس ، فى كلامٍ كثير .

فجعل كُلَّما ذكر ما صنعَتْ بهم الخزرجُ وما رَكِبُوه منهم يستشِيطُ ويَحْمى ، وتَقْلِصُ[(١)] خُصْيتاه ، حتى تَغِيبا ، فإذا كلَّموه بما يُحِبُّ تدَلَّتا حتى ترجعا إلى حالهما . فأجابته أوْسُ الله بالذى يُحِبُّ من النَّصْرة والموازَرة والجِدِّ فى الحرب .

استجابة الأوس لما أراده حضير

قال هشام : فحدثنى عبد المجيد بن أبى عيسى ، عن خير[(٢)] ، عن أشياخ مِنْ قومِهِ : أن الأَوس اجتمعت يومئذ إلى حُضير بموضع يقال له الجباة[(٣)] ، فأجالُوا الرَّأْى ، فقالت الأوس : إن ظفِرْنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحدا ولم نقاتلهم كما كنا نقاتِلهم . فقال حُضير : يا معشر الأَوْس ، ما سُمِّيتم الأوس إلاَّ لأنكم تؤُوسون[(٤)] الأمورَ الواسعة . ثم قال :

يا قوم قد أصْبَحْتُمُ دَوَارا[(٥)] لمعشَرٍ قد قَتَلُوا الخِيارَا

* يُوشِكُ أنْ يستأْصِلُوا الدِّيارا *

قال: ولما اجتمعوا بالجباة طَرَحُوا بين أيديهم تَمْراً ، وجعلوا يأكلون

---

(١) تقلص : تنقبض .

(٢) فى ا : « عن حبر » .

(٣) كذا فى المختار . والجباة : ما حول البئر ، أو أنه مخفف الجبأة ، بمعنى الأكمة .

(٤) فى اللسان « أوس » : وأوس قبيلة من اليمن ، واشتقاقه من آس يؤوس أوساً ، والاسم الإياس ، وهو من العوض .

(٥) أصل الدوار صنم كانت العرب تنصبه ويجعلون موضعا حوله يدورون به ، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار ، وهو بالضم ، وقد يفتح . قال فى اللسان : والأشهر فى اسم الصنم دوار بالفتح . ومنه قول امرئ القيس فى معلقته :

* عذارَى دَوَار فى مُلاءٍ مُذَيَّلِ *

وحُضَيْرُ الكتائب جالسٌ، وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصمَّاء[١]، وما يأكل معهم، ولا يدنو إلى التمر غضبا وحنقا. فقال: يا قوم، اعقدوا لأبي قَيْس ابن الأسلت. فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك؛ فإني لم أُرأَّس على قومٍ في حرْب قطّ إلاّ هُزِموا وتشاءموا برياستي. وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمْر الحرب، وقد بدت خصيتاه من تحت البُرْد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفُتور والتخاذل تقلّصتا غيظاً وغضبا، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدّ والتشمير في الحرب عادتا لحالهما.

عقد الرياسة له

وأجابت إلى ذلك أوسُ مَناة، وجدُّوا في المُوَازرة والمظاهرة. وقدمَتْ مُزَينة على الأوس، فانطلق حُضَير وأبو عامر الراهب بن صَيْفيّ إلى أبي قَيْس بن الأسلت، فقالا: قد جاءتنا مُزَينة، واجتمع إلينا من أهل يثرب ما لا قِبَل للخزرج به، فما الرَّأيُ إنْ نحن ظَهَرْنا عليهم: الإنجاز أم البَقيَّة؟ فقال أبو قَيْس: بل البقيَّة، فقال أبو عامر: والله لوددتُ أنَّ مكانهم ثَعلباً ضَبَّاحا[٢]. فقال أبو قيس: اقتلُوهم حتى يقولوا: بزا بزا[٣] — كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا — فتَشَاجَرُوا في ذلك، وأقسم حُضير ألاّ يشرب الخمر أو يظهرَ ويَهْدم مُزاحِما أُطُمَ عَبْد الله بن أُبيّ.

حضير الكتائب يقسم على هدم مزاحم أطم عبد الله بن أبي

فلبثوا شهرَيْن يُعِدُّون ويستعِدُّون، ثم التقوا بِبُعاث، وتخلّف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنّا والله ما نريد قتالكم.

---

(١) في اللسان: «اشتمال الصماء: أن تجلل جسدك بثوبك، نحو شملة الأعراب بأكسيتهم؛ وهو أن يردّ الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا».

(٢) ضباحا، أي يخرج من فمه صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة. وفي المختار: «صياحا».

(٣) في المختار: «نزا نزا».

فبعثُوا إليهم أن ابْعَثُوا إلينا برُهنٍ منكم يكونون فى أيدينا ، فبعثوا إليهم اثنى عشر رجلا ، منهم خَديج ، أبو رافع بن خديج .

وبعاث : من أموال بنى قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرَى ؛ فلذلك تُدْعَى بُعاث الحرب(١) .

حشد القوات

وحشد الحيَّان فلم يتخلف عنهم إلاَّ مَنْ لا ذِكْرَ له . ولم يكونوا حَشَدوا قبل ذلك فى يوم التقوا فيه ، فلما رأت الأَوْسُ الخزرجَ أعظموهم ، وقالوا لحُضَير : يا أبا أُسَيْد ، لو حاجزْتَ القوم ، وبعثتَ إلى مَنْ تخلَّف من حُلفائك مِنْ مُزَيْنة ! فطرح قوساً كانت فى يده ، ثم قال : أنتظر مُزَيْنةَ ، وقد نظر إلىَّ القوم ونظرتُ إليهم ! الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا ،

فرار الأوس من المعركة

فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فانهزمت الأَوْسُ حين وجَدُوا مَسَّ السلاح ، فولَّوا مُصْعِدِين فى حَرَّة قَوْرَى نحو العُرَيْض(٢) ، وذلك وَجْه طريق نَجْد ، فنزل

الخزرج يعيرون الأوس

حُضَيْر ، وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ؟ ألا إنَّ نجداً سنةٌ — أى مُجْدب — يُعَيِّرُونَهم .

حضير يعقر نفسه ليثبت قومه

فلما سَمِع حُضَير طعن بسنانِ رُمحِه فَخذه ، ونزل وصاح : وا عَقراه ! والله لا أَرِيمُ(٣) حتى أقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أنْ تسلمونى فافعلُوا .

فتعطَّفت عليه الأَوْس ، وقام على رأسه غلامان مِنْ بنى عبد الأشهل ،

١٥ / ١٦٤

(١) فى المختار : « بعاث الخزرج » .

(٢) قورى : موضع بظاهر المدينة ، وقد ضبطت فى ا بضم القاف . والعريض : واد بالمدينة .

(٣) لا أريم : لا أزول ولا أفارق موضعى .

يقال لهما : محمود ولبيد ـ ابنا خليفة بن ثعلبة — وهما يومئذ مِعْرَسان[١] ذَوَا بَطْشٍ ، فجعلا يَرْتَجِزانِ ويقولان :

أيَّ غــلامَيْ ملكٍ ترَانا   في الحَرْبِ إذ دارَتْ بنا رَحانا

* وعدَّدَ الناسُ لَنا مَكانا *

مقتل عمرو بن النعمان

٥ فقاتَلا حتى قُتِلا ، وأقبل سهمٌ حتى أصاب عَمْرو بن النعمان رأْسَ الخزرج فقتلَه ، لا يُدْرَى مَنْ رَمَى به ، إلاَّ أنَّ بني قُرَيْظة تَزْعمُ أنه سَهْمُ رَجُلٍ يقال له أبولُبابَةَ ، فقتله .

فبينا عبدُ الله بن أُبَيّ يتردَّدُ على بَغْلةٍ له قريباً من بُعاث ، يتحسَّسُ أخبارَ القَوْم ، إذ طُلِـعَ عليه بعَمْرو بن النُّعْمان ميِّتا في عَباءةٍ ، يحمله أربعةٌ

١٠ إلى داره . فلما رآه عبدُ الله بن ابيّ قال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عَمْرو بن النعمان . قال : ذُقْ وَبالَ العقوق .

انهزام الخزرج

وانهزمت الخزرجُ ، ووَضَعَت الأوْسُ فيهم السِّلاحَ ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ، أسْجِحوا[٢] ولا تُهلِـكوا إخوتَـكمْ ؛ فجوارُهم خيرٌ مِنْ جوارِ الثَّعالب .

قريظة والنضير تسلبان الخزرج

١٥ فتناهت الأوسُ ، وكفَّت عن سَلبهم بعد إثخانٍ فيهم ، وسلبتْهم قريظةُ والنَّضير ، وحملت الأوس حُضيرا من الجِراح التي به ، وهُمْ يرتجزونَ حوْلَه ويقولون :

كَتيبةٌ زَيَّنَها مَوْلاها   لا كَهْلُها هِدٌّ ولا فَتاها[٣]

---

(١) المعرس ، بكسر الميم : السائق الحاذق بالسياق ؛ أي هما مع حذقهما ذوا بطش .

٢٠ (٢) أسجحوا : أحسنوا العفو .

(٣) الهد بالكسر : الضعيف كأنه مهدود ، وبالفتح الجواد كأنه يهد ماله ، أي يهضمه . وفي هذه المسألة خلاف بين الأصمعي وابن الأعرابي . هامش ا .

تحريق الأوس نخل الخزرج ودورهم

وجعلت الأوسُ تحرِّقُ على الخزرج نخْلها ودُورَها؛ فخرج سَعْد بن مُعاذ الأشهليّ حتى وقف على باب بَنى سَلِمة، وأجارهم وأموالهم جزاءً لهم بيوْمِ الرَّعل(١)، وكان للخزرج على الأوْسِ يومٌ يقال له يوم مُغلّس(٢) ومُضرِّس. وكان(٣) سعد بن معاذ حُمِل يومئذٍ جريحاً إلى عَمْرو بن الجَمُوح الحرامىّ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يَوْمَ رَعل، وهو على الأوس، من القَطْع والحَرْق، فكافأه سعد بمثل ذلك فى يوم بُعاث. ٥

وأقسم كَعْب بن أسد القرظىّ ليُذِلَّنَّ عبد الله بن أُبىّ، وليحلِقَنَّ رَأْسه تحت مزاحم؛ فناداه كعب: انزل يا عدوّ الله. فقال له عبد الله: أنشدك الله وما خذَّلْتُ عنكم. فسأل عما قال، فوجده حقًّا، فرجع عنه.

العدول عن هدم أطم عبدالله بن أبى

وأجمعت الأوس على أن تهدم مُزَاحما أُطمَ عبد الله بن أُبىّ، وحلف حُضير ليهدمنَّه، فكُلِّم فيه، فأمرهم أن يَرِيثوا(٤) فيه، فحفَرُوا فيه كوَّة. وأفلت يومئذ الزبير بن إياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شمّاس أخا بنى الحارث بن الخزرج، وهى النعمة التى كافأه بها ثابتٌ فى الإسلام يوم بنى قُرَيظة. ١٠

١٥/١٦٥

أبوقيس بن الأسلت لايوافق على هدم دور الخزرج

وخرج حُضَير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قَيْس بن الأسلت بعد الهزيمة، فقال له حُضَير: يا أباقيس؛ إنْ رأيْتَ أن تأتىَ الخزرجَ قصراً قصرا ودَاراً دارا، نقتل ونَهْدم، حتى لا يَبْقىَ منهم أحد! فقال ١٥

(١) الرعل: موضع قبل واقم، وفيه قتلت بنو حارثة سماكا أبا حضير الكتائب، وأجلوا حضيراً وقومه عن ديارهم — البكرى ٦٦١.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ١١٩: «وكان من أيام العرب يوم مغرس ومقبس، وهما حائطان كانا لدجينة إلى آكام بنى عدى بن النجار». والحائط: البستان. ٢٠

(٣) فى ا: «وهو أن سعد بن معاذ»

(٤) الريث: الإبطاء، وفى المختار: «يؤثروا».

أبو قيس : واللهِ لا نَفْعَلُ ذلك ؛ فغضب حُضَير ، وقال : ما سُمِّيتم الأوس[1] إلا لأنكم تؤوسون الأمرَ أوْساً . ولو ظفرت منّا الخزرجُ بمثلها ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوسِ ، فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

موت حضير من جروحه

وكان حُضير جُرِح يومئذ جراحةً شديدةً ، فذهب به كُليب[2] بن صَيْفِىّ ابن عبد الأشهل إلى مَنْزِله فى بنى أميّة بن زيد، فلبث عنده أيّاما ثم مات مِنْ الجراحة التى كانت به ، فقبره اليوم فى بنى أمية بن زيد .

يهودى أعمى يتتبع سير القتال

قال : وكان يهودىٌّ أعْمَى من بنى قريظة يومئذٍ فى أطُمٍ من آطامهم ، فقال لابنةٍ له : أشْرِفى على الأطُم ، فانظرى ما فعل القوم ، فأشرفت ، فقالت : أسمَعُ الصوْتَ قد ارتفع فى أعْلى قَوْرَى ، وأسمع قائلا يقول : اضربوا يا آلَ الخزرج . فقال : الدولة إذًا على الأوس ، لاخيرَ فى البقاء . ثم قال : ماذا تسمعين ؟ قالت : أسمعُ رجالا يقولون : يا آل الأوس ، ورجالا يقولون : يا آل الخزرج . قال : الآن حَمِىَ القتال . ثم لبث ساعة ، ثم قال : أشْرِفى فاسمعِى ، فأشرفت ، فقالت : أسمعُ قوماً يقولون :

* نحن بنو صَخْرَةَ أصحابُ الرَّعَلْ *

قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس — وصخرة أمُّهم بنتُ مُرَّة بن ظَفَر أمّ بنى عَبْد الأشهل — ثم وثب فرحاً نحو باب الأُطم فضرب رأسه بحلقِ بابه[3] ، وكان مِنْ حجارةٍ فسقط فمات .

وكان أبو عامر قد حلف ليَرْكزَن رُمْحَه فى أصل مُزاحم أُطُم عبد الله ابن أُبىّ ، فخرجت جماعةٌ من الأوس حتى أحاطُوا به ، وكانت تحت أبى عامر

(١) فى ا : «ما سميتم الأوس أوساً» .
(٢) فى المختار : « طلبة بن صيفى » .
(٣) فى هامش ا : « حاق بابه : عضادة الباب» — ، وفى المختار : « بحاف بابه » .

جَمِيلة بنت عبد الله بن أُبَىّ ، وهى أمّ حنظلة الغَسِيل بن أبى عامر ، فأشرف عليهم عَبْدُ الله ، فقال : إنى والله ما رَضِيتُ هذا الأمر ، ولا كان عن رَأْيى ، وقد عرفتُمْ كراهتى له ، فانصرفوا عَنّى . فقال أبو عامر : لا والله ، لا أنصرف حتّى أركز لوائى فى أصْلِ أُطمك .

فلمّا رأى حنظلة أنه لاينصرِف ، قال لهم : إنّ أبى شدِيدُ الوَجْدِ بِى ، فأشرفوا بِى عليه ، ثم قولُوا : والله لئن لم تنصرف عنّا لنرمينَّ برأسه إليك . فقالوا ذلك له ، فركزَ رُمْحه فى أصْلِ الأُطُم لِيَمينه(١) ثم انصرف ، فذلك قول قيس بن الخطيم(٢) :

صبَحْنَا به الآطامَ حَــوْلَ مُزاحِمٍ
قَوَانِسُ اولَى بَيْضِنا كالكوا كب(٣)

أبو قيس بن الأسلت يأسر مخلد بن الصامت ثم يخلى سبيله

وأسر أبو قَيْس بن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعدىّ أبا مَسلمة ابن مخلد ، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَيْنة ومنْ يهود ، فقالوا : اقتله ، فأبى ، وخلَّى سبيلَه ، وأنشأ يقولُ :

أسرتُ مخلدا فعفَوْتُ عنــه(٤) وعِنْـدَ الله صالحُ ما أتَيْتُ
مُزَيْنَةُ عنــده ويهودُ قَوْرَى وقَوْمى كلُّ ذلكمُ كفيْتُ(٥)

خفاف بن ندبة يرثى حضير الكتائب

وقال خُفاف بن نُدبة ، يرثى حُضَيْر الكتائب — وكان نديمَه وصديقَه — :

لو انّ المنايا حِدْنَ عن ذِى مَهابَةٍ لَهِبْنَ حُضيراً يومَ أغلق وَاقِما(٦)
أطاف به حتى إذا الليــلُ جَنَّهُ تَبوّأ منــه منزلا مُتَناعِـا

(١) أى لبنفذ يمينه . (٢) ديوانه ٤٠ .
(٣) القوانس : جمع القونس : أعلى بيضة الحديد أو مقدمها .
(٤) فى ا : « أسرنا » . (٥) فى ا : « لقيت » .
(٦) واقم : أطم بالمدينة ، وفى معجم البلدان :

فلو كان حى ناجيا من حمامه لكان حضير يوم أغلق واقما

وقال أيضاً يرثيه :

أتانى حـــديثٌ فـكذَّبتُه   وقيل : خَليلُك فى المَرْمَسِ

فياعين بَـكّى حُضَيرَ النَّدَى   حُضَيرَ الـكَتائبِ والمجلس

ويومٍ شـديدٍ أُوَارِ الحديد   تقطَّعُ منـــه عُرَى الأنْفُسِ

١٥/١٦٦

٥ صَليتَ به وعليك الحـديـ   ـدُ ما بين سَلعٍ إلى الأعرُسِ

فأوْدَى بنفسكَ يومُ الوَغَى   ونقَّى ثيـــابك لم تدنَسِ

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار ، قال : حدثنى داود بن محمد بن جميل ، عن ابن الأعرابىّ ، قال : قال لى الهيثم بن عدى : كنّا جلوساً عند صالح بن حسان ، فقال لنا :

١٠ وأخبرنى عمّى عن الـكُرَانىّ ، عن النوشجانى ، عن العمرىّ ، عن الهيثم ابن عدىّ ، قال : قال لنا صالح بن حسّان . وأخبرنى به الأخفش عن المبرّد ، قال : قال لى صالح بن حَسّان :

بيت خفر فى امرأة خفرة شريفة

أنشِدُونى بَيْتاً خَفِراً فى امرأة خَفِرة شريفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضِىء لها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ   إذا هِىَ يَوْماً حاولَتْ أن تبسَّما[1]

١٥ فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسنَ من هذا . قلنا: قول الأعشى[2] :

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها   مَرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خرّاجَة ولاّجة كثيرة الاختلاف . قلنا: بيت ذى الرُّمّة[3] :

تَنُوء بأخراها فلأْياً قِيامُها[4]   وتَمْشِى الهُوَيْنا مِنْ قَرِيبٍ فتَبْهَرُ

(١) ديوانه ٢١ ، وفيه : « خصاصة » .

٢٠ (٢) ديوانه ٥٥ .

(٣) ديوانه ٢٢٧ .

(٤) فى ا : « تبوء » ، والمثبت يوافق ما فى الديوان .

فقال : هذا ليس ما أردت ، إنما وصف هذه بالسمن ، وثقل البدن .

فقلنا : ما عندنا شىء . فقال : قول أبى قيس بن الأسلت[١] :

ويكرِمُها جاراتها فيزرْنَها وتَعْتَلُّ عن إتيانِهنّ فتعْذَرُ

وليس لها أنْ تستهين بجارةٍ[٢] ولكنها مِنْهُنَّ تحيَا وتخفَرُ

أحسن بيت وصفت به الثريا

ثم قال : أنشدونى أحسنَ بيتٍ وُصفت به الثريّا . قلنا : بيت ابن الزّبير الأسدِىّ :

وقد لاح فى الغَور الثُّرَيَّا كأنها[٣] به رايةٌ بيضاء تَخفقُ للطعْن

قال : أُريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرَّضَتْ تعرضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفَصّلِ[٤]

قال : أُريد أحسن من هذا . قلنا : بيت ابن الطّثْريّةِ :

إذا ما الثريّا فى السماء كأنها جُمانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِهِ فتَسرّعا[٥]

قال : أريد أحسن من هذا . قلنا : ماعندنا شىء . قال : قول أبى قيس ابن الأسلت :

وقد لاح فى الصُّبْح الثريّا لمن رأى كعنقود مُلاَّحِيَّةٍ حين نوّرا[٦]

أبو قيس يحكم له بالتقدم فى المعنيين السابقين

قال : فحكم له عليهم فى هذين المعنيين بالتقدم .

أخبرنى الحرَمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنا الحسين بن أحمد بن طالب

(١) معاهد التنصيص ٢ : ٢٧ .

(٢) فى ا : « تستعين » .

(٣) فى ا والمعاهد : « النور » .

(٤) ديوانه ١٤ .

(٥) معاهد التنصيص ٢ : ٢٦ .

(٦) الملاحية ، من شجر الزهر .

الدينارىّ ، قال : حدثنى أبو عدنان ، قال : حدثنى الهيثم بن عدىّ ، قال : حدثنى الضحاك بن زُمَيْل السَّكسكىّ ، قال :

استشهاد عبد الملك بشعره فى خطبته بعد مقتل مصعب ابن الزبير

لمّا قتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بنَ الزُّبير خطب الناس بالنُّخَيْلَة، فقال فى خطبته : أيُّها الناس، دَعُوا الأهواء المُضِلَّة ، والآراء المتشتّتة ، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ؛ فقد جاريتمونا إلى السيف ، فرأيتُم كيف صنعَ اللهُ بكم ، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادونَ جراءة ؛ فإنى لا أزداد بعدها إلاّ عقوبة ، ومامثلى ومثلكم إلا كما قال أبُو قيس ابن الأسلت :

١٥ / ١٦٧

من يَصْلَ نارِى بلا ذَنْب ولا تِرَةٍ ... يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غَدَّارِ

أنا النذيرُ لكم مِنّى مُجاهرة ... كى لا أُلامَ على نَهىٍ وإعذار

فإنْ عصيتُم مقالى اليومَ فاعترفوا ... أنْ سوف تلقون خزياً ظاهرَ العار [1]

لَتُتْرَكُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنَةً [2] ... عند المقيم وعند المُدْلِج السَّارِى

وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه ... عندى، وإنى لطلاّبٌ لأوْتارِ

أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ ... كما يقوِّمُ قِدحَ النَّبْعَةِ البارِى

(١) اللسان ٣ : ٦٩ .

(٢) كذا فى ج ، وفى م ، ا ، س ، ب : « وملعبة » تصحيف .

صــوت

ترفَّعْ أيهــا القمرُ المنــيرُ لعلّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ
يَســير إلى مُعاوية بن حَرْبٍ ليقتــلَه كما زعم الأمــيرُ
ألا يا حُجْرَ حُجْرَ بنى عَــدِيٍّ تلقّتكَ الســلامة والسرور
تنعّمت الجبابرُ بعــد حُجْرٍ[1] وطاب لهـا الخورنَقُ والسَّدِيرُ ٥

الشعر لامرأةٍ[2] من كندة ترثى حُجْرَ بنَ عدِيٍّ صاحب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه . والغناء لحكَمٍ الوادى رمَل بالوُسطى ، وفيه لِحُنَيْن هزَج خفيف بالوسطى عن ابن المكى والهشامىّ .

(١) فى ا والطبرى : «تجبرت» .
(٢) هى هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية ، كما فى الطبرى ٥ : ٢٨ .

خبر مقتل حُجر بن عدىّ

١٦/٢

حدثنى(١) أحمد بن عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثنا سليمان بن أبى شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: حدثنا أبو مِخنف، قال: حدثنا خالد ابن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمدانىّ، والصقْعب بن زُهير، وفُضيل ابن خَديج(٢)، والحسن(٣) بن عُقبة المرادى، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرةً؛ تحرُّزاً من الإطالة:

استنكاره ذم على ابن أبى طالب ولعنه

أنّ المغيرة بن شعبة لما ولى الكوفة كان يقومُ على المنبر فيذمّ علىَّ بنَ أبى طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلةَ عثمان، ويستغفر لعثمانَ ويزكّيه، فيقوم حُجْر بن عدىّ فيقول: ﴿يأيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهَداء لله ولو على أنْفُسِكُمْ﴾(٤)، وإنّى أشهد أنّ مَنْ تذمّون أحقُّ بالفَضْل ممن تطْرُونَ، ومنْ تزكّون أحقُّ بالذمّ ممن تعيبون. فيقول له المغيرة: يا حُجْر، ويحك! اُكْفُفْ من هذا، واتّقِ غَضْبَةَ السلطان وسَطْوتَه؛ فإنها كثيرا ما تقتل مثلَك. ثم يكفُّ عنه.

المغيرة بن شعبة يحذره

صرخة ثائرة منه

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوما فى آخر أيامه يخطب على المنبر، فنال مِنْ علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام، ولعنه، ولعن شيعَتَه، فوثب حُجْر فنعرَ(٥) نعرة أسمعَتْ كلَّ مَنْ كان فى المسجد وخارجه. فقال له:

(١) خبر مقتل حجر فى الطبرى ٥ : ٢٥١ وما بعدها.
(٢) فى م: حديج، بالحاء المهملة.
(٣) فى الطبرى: «والحسين».
(٤) سورة النساء ١٣٤.
(٥) نعر: صاح صيحة شديدة.

إنك لاتدرى أيها الإنسان بمن تولَع ، أو َهرِمْتَ ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا ؛ فإنك قد حبَسْتَها عنّا ، ولم يكن ذلك لكَ ولا لمَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولَعاً بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه أكثرُ من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حُجْر ! مُرْ لنا بأعطياتنا ؛ فإنا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يُجْدِى علينا . وأكثَرُوا فى ذلك .

استجابة لصرخة الثائر

فنزل المغيرةُ ودخل القَصْر ، فاستأذن عليه قومُه ، ودخلوا ولامُوه فى احتماله حُجْراً ، فقال لهم : إنى قد قتلْتُه . قالوا : وكيف ذلك ! ؟ قال : إنه سيأتى أميرٌ بَعْدِى فيحسبه مثْلى فيصنَع به شبيها بما تَرَوْنه ، فيأخذه عند أوّل وَهْلَة فيقتله شرَّ قِتْلَة . إنه قد اقترب أَجَلِي ، وضَعُف عملى ، وما أُحبّ أنْ أبتدئ أهْلَ هذا المِصْر بقتل خيارهم وسَفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقَى ، ويعزّ معاوية فى الدنيا ويذلّ المغيرة فى الآخرة ، سيذكروننى لو قد جرّبُوا العمّال .

قوم المغيرة يلومونه فى احتماله إياه

١٦ / ٣

قال الحسن بن عقبة : فسمعتُ شيخاً من الحىّ يقول : قد والله جرّبْناهم فوجدناه خَيْرَهم .

قال : ثم هلك المغيرة سنة خمسين ، فجُمعت الكوفة والبصرة لزياد ، فدخلها ، ووجّه إلى حُجْر فجاءه ، وكان له قَبْل ذلك صديقا ، فقال له : قد بلغنى ما كنتَ تفعله بالمغيرة فيحتمله منك ؛ وإنى والله لا أحتملُكَ[1] على مثْلِ ذلك أبدا ، أرأيت ما كنت تعرفنى به مِنْ حُبّ علىّ ووُدّه ، فإنّ اللهَ قد سلخه مِنْ صَدْرِى فصيَّره بُغْضاً وعداوة ، وما كنت تعرفنى به من بُغْضِ معاوية وعداوته فإنّ اللهَ قد سلخه من صدرى وحوّله حُبّا ومَوَدّة ،

زياد يذكره بصداقته ويحذره ماكان يفعل مع المغيرة

(١) فى م . « احتمله » .

وإنى أخوك الذى تَعْهَد، إذا أتيتنى وأنا جالسٌ للناس فاجلس معى على مجلسى، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرجَ إليك، ولكَ عندى فى كل يوم حاجتان: حاجة غُدوة، وحاجة عشيَّة، إنك إن تستَقِمْ تسلَمْ لك دُنياك ودِينك، وإن تأخُذْ يمينا وشمالا تَهلِكْ نَفْسَك وتُشط[1] عِندى دمك، إنى لأحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حُجَّةٍ، اللهم اشْهَدْ. فقال حُجر: لن يرى الأمير منّى إلاّ ما يحبُّ، وقد نصح، وأنا قابلٌ نصيحته.

ثم خرج من عنده، فكان يتقِّيه ويَهابُهُ، وكان زياد يُدْنيه ويُكرمه ويفضّله، والشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر وتسمَعُ منه.

وكان زياد يَشْتُو بالبصرة، ويَصِيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سَمُرة بن جُندب، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث، فقال له عُمارة بن عُقبه: إنَّ الشيعةَ تختلفُ إلى حُجْر، وتسمَعُ منه، ولا أراه عند خروجك إلاَّ ثائر، فدعاه زياد فحذَّره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عَمْرو بن حُرَيث، فجعلت الشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر، ويَجىء حتى يجلسَ فى المسجد فتجتمع إليه الشيعةُ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نِصْفَه، وتطيف بهم النظَّارة، ثم يمتلئُ المسجد، ثم كثروا، وكَثُر لغَطُهم، وارتفعت أصواتُهم بِذَمِّ معاوية وشَتْمِه ونَقْص[2] زياد. وبلغ ذلك عَمْرو بن حُرَيث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشرافُ أهل المِصْر فحثَّهم على الطاعة والجماعة، وحذَّرَهم الخلافَ؛ فوثب إليه عُنُقٌ[3] من أصحاب حجْر يكبّرون ويشتمون، حتى دنَوْا

زياد ينذره قبل خروجه إلى البصرة

(١) أشاط دمه: عرضه للقتل.

(٢) فى م: «وقصف زياد»، والقصف معناه الكسر، يريد الانتقاص.

(٣) العنق: الجماعة من الناس.

منه ، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه ، وكتب إلى زياد بالخبر ، فلما أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب بن مالك :

فلما غدوْا بالعِرْض(١) قال سَراتنا : علامَ إذا لم نمنع العرْض نزرعُ(٢)

ما أنا بشىء إن لم أمنع الكوفةَ من حُجر ، وأدَعه نكالاً لِمَنْ بعده ، وَيْل أمك حجر ! لقد سقط بك العشاء على سِرْحان(٣) . ٥

عودة زياد إلى الكوفة

ثم أقبل حتى أتى الكوفةَ ، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قَباء سُندس، ومُطْرفُ خَزّ أخضر ، وحُجْرٌ جالسٌ فى المسجد ، وحَوْلَه أصحابه ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحَذَّر الناس، ثم قال لشدَّاد بن الهَيْثَم الهلالىّ أمير الشُّرَط : اذْهَبْ فائْتنى بحُجْر ، فذهب إليه فدعاه ، فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامةَ . فسبُّوا الشُّرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فقال : يا أشرافَ ١٠ أهلِ الكوفة : أتشجُّون بيدٍ وتأسُون بأخرى(٤)؟ أبدانُكم عندى، وأهواؤكم مع هذا المهجاجة(٥) المَذْبُوب(٦) . أنتم معى وإخوتكمْ وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْر ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا رأىٌ إلاَّ طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلُّ ما ظننتَ أنْ يكونَ فيه رضاك فمرْنا به . قال: ليَقمْ كلُّ امرئٍ منكم إلى هذه الجماعة التى حَوْل حُجْر، فليَدْعُ ١٥

١٦/٤

استدعاء زياد أشراف الكوفة عليه

---

(١) ضبطت العين فى ا بالفتحة والكسرة . والعرض ، بالكسرة : الوادى ، وكل واد فيه شجر فهو عروض .

(٢) فى ا : « يزرع » ، وفى معجم البلدان :

ولمّا هبَطْنا العرْضَ قال سَرَاتُنا علاَمَ إذا لم نحفظ العرض نزرع

(٣) حاشية ا : « ذكر القاسم بن سلام والفضل أن السرحان هنا الذئب ، وليس كذلك ، ٢٠ وهو سرحان القريعى ، وكان أحد شياطين العرب ، فضرب به المثل » . وفى اللسان : السرحان : الذئب أو الأسد . وهو مثل يضرب فى طلب الحاجة تؤدى إلى تلف صاحبها .

(٤) تشجون : تجرحون ، وتأسون : تعالجون .

(٥) المهجاجة : الأحمق ، وفى المختار « الجهجاه » ، وجهجه بالسبع : صاح ليكفّ .

(٦) المذبوب : المبعد المطرود . ٢٥

الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومَنْ يُطيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلَّ من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابَه حتى تفرَّق أكثرهم وبَقِيَ أقلُّهم.

فلما رأى زيادٌ خِفَّةَ أصحابه قال لصاحب شرطته : اذهب فائْتِنِى بحُجْر ، فإنْ تَبِعك وإلا فمُرْ مَنْ معك أنْ ينتزِعُوا عمد السيوف[1] ، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به ، ويضربوا مَنْ حالَ دُونَه .

أمر زياد بإحضاره

فلما أتاه شدَّاد قال له : أجب الأمير ، فقال أصحاب حُجر : لا والله ولا نعْمَةَ عَيْنٍ ، لا يُجيبه . فقال لأصحابه : علىَّ بعَمَد السيوف[2]، فاشتدُّوا إليها ، فأقبلوا بها ، فقال عُمير بن زيد[3] الكلبىّ أبو العَمَرَّطَة[4] : إنه ليس معك رجلٌ معه سيف غيرى ، فما يُغْنِى سيفى ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ منْ هذا المكان ، فالْحَقْ بأهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المنبر إليهم فغَشُوا حُجْرًا بالعمَد ، فضرب[5] رَجُلٌ من الحمراء يقال له : بَكْر بن عُبيد رَأْسَ عَمْرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع . وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعَجْلان بن رَبيعة — وهما رجلان من الأزد — فحملاه ، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد[6] ، فلم يزل بها مُتَوارِياً حتى خرج منها .

أصحابه يمنعونه من الذهاب إلى زياد

موت عمرو بن الحمق من ضربة عمود

توارى حجر فى منازل الأزد

---

(١) فى م : «الستور» ، وفى المختار : «أن يشرعوا عمد السيوف» . وفى الطبرى : «فلينتزعوا عمد السيوف» .
(٢) فى ا : «على بالعمد» .
(٣) فى الطبرى والمختار : «بن يزيد» (٤) فى ا : «ابن العمرطة» .
(٥) فى ا : «فيضرب» .
(٦) فى ا : «مرعل» ، وفى المختار : «مزعل» ، وفى الطبرى : «بن مالك» .

قال أبو مخنف: فحدثنى يوسف بن زياد، عن عُبيد الله بن عَوْف[١]، قال:

لما انصرفنا عن غَزْوة باجُمَيْرَى[٢] قَبْل قتل عبد الملك مُصعبا بعام، فإذا أنا بالأحمرىّ الذى ضرب عَمْرو بن الحَمِق يسايرُنى؛ ولا والله ما رأيتهُ منذ ذلك اليوم، وما كنتُ أرى لو رأيته أنْ أعرفَه، فلما رأيته ظننتهُ هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهتُ أن أسأله: أنت ضارب عَمْرو بن الحَمِق، فيُكابرنى، فقلتُ له: ما رأيتُك منذ اليوم الذى ضربْتَ فيه رأسَ عَمْرو بن الحَمِق بالعَمود فى المسجد فصرعتَه حتى يوْمى، ولقد عرفتُكَ الآن حين رأيتُك.

الثائر من ضارب عمرو بن الحمق

فقال لى: لا تَعْدم بَصرَك، ما أثبت نظرك! كان ذلك أمْر السلطان[٣] أمَا والله لقد بلغنى أنه قد كان امرأً صالحا، ولقد ندمتُ على تلك الضَّرْبَة، فأستغفر الله.

فقلت له: الآنَ ترى، لا والله لا أفترقُ أنا وأنت حتى أضربَك فى رَأْسك مِثلَ الضَّرْبَة التى ضربْتَها عَمْرو بن الحَمِق وأموت أو تموت.

قال: فناشدنى وسألنى بالله. فأبيتُ عليه، ودعوتُ غلاما يُدْعَى رُشَيداً[٤] من سَبْى أصبهان معه قناة له صلْبة، فأخذتُها منه ثم أحمل عليه[٥]، فنزل عن دابَّتِه، فألحقه حين استوَتْ قَدَمَاهُ على الأرض، فأصفُق[٦]

(١) فى ب، س والمختار: عون، والمثبت ما فى ا وم والطبرى.

(٢) باجميرى: موضع بأرض الموصل.

(٣) فى ب، س والطبرى: «الشيطان»، والمثبت ما فى ا والمختار.

(٤) فى س: «بشيرا» والمثبت والضبط ما فى ا.

(٥) فى المختار: «ثم حملت»، وفى الطبرى: «ثم أحمل عليه بها».

(٦) فى الطبرى: «فأصفع بها هامته». وأصفق هامته: أضربها ضربة يسمع لها صوت.

بها هامَته ، فخرَّ لوَجْهِه ، وتركْتهُ ومضيت ، فبرأ بعد ذلك ، فلَقيتُه مرَّتين من دَهْرِى ، كلُّ ذلك يقول لى : الله بينى وبينك . فأقول له : الله بينك وبين عَمْرو بن الحَمِق .

رجع الحديث إلى سياقه الأول

أمر زياد بعض القبائل أن يأتوه به

١٦ / ٥

٥ قال : فقال زياد — وهو على المنبر — : لتقمْ هَمْدان وتميم وهوازن وأبناء بَغِيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتُوا جبَّانة كِنْدة ، وليمضوا مِنْ ثَمَّ إلى حُجر ، فليأتونى به . ثم كره أن تسير مُضر مع اليمن ، فيقع شَغَبٌ واختلافٌ، أو تنشب الحميَّة فيما بينهم . فقال : لتقمْ تميم وهوازن وأبناء بَغِيض وأسد وغطفان ، ولتَمْضِ مذحج وهَمْدان إلى جبَّانة كندة ، ثم ليمضُوا إلى حُجْر

١٠ فليأتونى به ، وليَسِرْ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبَّانة الصيداويين[١]، وليَمْضُوا إلى صاحبهم فليأتونى به .

فخرجتِ الأزد وبَجيلة وخثعم والأنصار وقُضاعة وخُزَاعة ، فنزلوا جبَّانةَ الصيداويين ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمَكانهم من كِندة .

عبد الرحمن بن مخنف يشير على أهل اليمن برأى

قال أبو مخنف : فحدثنى سعيد[٢] بن يحيى بن مخنف ، عن محمد بن

١٥ مخنف ، قال : فإنى لمَع أهْلِ اليمن وهم يتشاورُون فى أمْرِ حُجر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنف : أنا مُشِيرٌ عليكم برَأْى ، فإنْ قبِلْتُموه رَجَوْتُ أن تَسلموا من اللائمة والإثم : أنْ تُلَبِّثُوا قليلا حتى تكفيكم عَجَلَةُ فى شباب مَذْحج وهَمْدَان ما تكرهون أنْ يكونَ[٣] من مساءةِ قومكم فى صاحبكم .

(١) بنو الصيداء : حى من أسد . وفى ا : « الصائدين » ، وكذلك فى الطبرى .

٢٠ (٢) الطبرى : « يحيى بن سعيد » .

(٣) فى المختار : « تلوه » ، وفى الطبرى : « أرى لكم أن تلبثوا قليلا ، فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ماتكرهون أن تلوا من مساءة .... » .

فأجمع رأيُهم على ذلك ، فلا والله ما كان إلاَّ كَلاَ ولا[١] حتى أتينا فقيل لنا : إنّ شباب مذحج وهَمْدان قد دخلوا ، فأخذوا كلّ ما وَجَدُوا فى بنى بَجِيلة .

حجر يشير على أصحابه أن ينصرفوا عنه

قال : فرّ أهلُ اليمن على نواحى دور كندة معَذِّرين ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مَذْحج وهَمْدان ، وذمّ أهلَ اليمن . فلما انتهى حُجرٌ إلى داره ٥ ورأى قلّةَ مَن معه قال لأصحابه : انصرفوا ، فوالله مالكم طاقةٌ بمن اجتمع عليكم من قومِكم ، وما أُحِبُّ أن أعرِّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمير بن يزيد ، وقيس ابن يزيد ، وعبيدة بن عمرو ، وجماعة ، فتقاتلوا معهم ، فقاتلوا عنه ساعةً فجُرِحوا ، وأُسِر قيس بن يزيد ، وأفلَتَ سائرُ القوم ، فقال لهم حُجْر : ١٠ لا أبا لكم ! تفرّقوا لا تُقتلوا ؛ فإنى آخِذٌ فى بَعْضِ هذه الطرق .

يدخل دار سليمان ابن يزيد ثم يخرج منها إلى دور بنى العنبر

ثم أخذ نحو طريق بنى حَرب[٢] من كندة ، حتى أتى دارَ رَجُلٍ منهم يقال له سليمان[٣] بن يزيد ، فدخل داره ، وجاء القومُ فى طلبه ، ثم انتهوْا إلى تلك الدار ، فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرُجَ إليهم ، فبكت بناتُه ، فقال له حُجْر : ما تريد ؟ لا أبا لك ! فقال [له :] أريدُ والله ١٥ أنْ ينصرفوا عنك ؛ فإن فعلوا وإلاَّ ضارَبْتُهم بسيفى هذا ما ثبتَ قائمُه فى يَدِى دونَك . فقال له حُجْر : بئس والله إذَنْ ما دخلتَ به على بناتِك ! أما فى دارِك هذه حائط أقتحمه أوخَوْخَةٌ[٤] أخرُجُ منها ، عسى الله أنْ يسلِّمنى

(١) كلا ولا ، أى مدة قليلة كزمن النطق بهذين الحرفين .

(٢) ا : « حوت » ، وفى المختار : « طريق بنى كعب » ، والمثبت يوافق ما فى الطبرى أيضا . ٢٠

(٣) الطبرى : « سليم بن زيد » ، والمثبت يوافق ما فى المختار أيضا .

(٤) الخوخة : باب صغير فى باب كبير ، أو مخرج خلف الدار .

منهم ويسلّمك ، فإنّ القومَ إنْ لم يقدِرُوا علىّ فى دارك لم يضرّك[١] أمرهم .
قال : بلى ، هذه خَوْخَة تخرجك إلى دورِ بنى العَنْبر من كِندة ، فخرج معه
فتية من الحىّ يقصّون له الطريقَ ، ويسلكون به الأزِقّة ، حتى أفضى إلى
النخع ، فقال عند ذلك : انصرفوا ، رحمكم الله .

يدخل دار عبدالله ابن الحارث ثم يخرج منها إلى دار ربيعة بن ناجد

٥ فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دارِ عَبْد الله بن الحارث أخى الأَشتر ،
فدخلها ، فإنه لكذلك قد ألقى له عبدُ الله الفرشَ ، وبسط له البسط ، وتلقّاه
ببَسْطِ الوجه وحُسْنِ البِشْر إذ أُتى فقيل له : إن الشُّرَطَ تسأل عنك فى النخع
وذلك أنَّ أمةً سوداء يقال لها أُدْماء لَقِيَتْهم فقالت لهم : مَنْ تطلبون ؟ قالوا :
نطلب حُجْرا ، فقالت : هو ذا قد رأيتُه فى النخع ، فانصرفوا نحو النخع ؛
١٠ فخرج متنكِّرا ، وركب معه عبدُ الله ليلا حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجذ[٢]
الأزدىّ ، فنزل بها ، فمكث يوما وليلة .

زياد يأمر محمد ابن الأشعث أن يأتيه بحجر

١٦/٦

فلما أعجزهم أنْ يقدِرُوا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال : أما والله
لتأتينى بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلاَّ قطعتُها ، ولا دارا إلاَّ هدمتُها ، ثم
لا تسلم منّى بذلك حتى أقطّعك إرْبًا إرْبا . فقال له : أمهلْنى أطلبه . قال : قد
١٥ أمهلْتُك ثلاثا ، فإن جئتَ به وإلاَّ فاعدُدْ نَفْسَك مِنَ الهلكى . وأُخْرِج محمد
نحو السجن وهو منتقِعُ اللونِ يُتَلُّ تَلاًّ عنيفا[٣] . فقال حجر بن يزيد الكندىّ
من بنى مرّة لزياد : ضَمِّنِّيه وخلِّ سبيله ليطلب صاحبَه ، فإنه مخلى سِرْبُهُ[٤]

---

(١) ا : « لم يضروك » .
(٢) الطبرى : « ناجد » .
٢٠ (٣) تله : صرعه ، أو ألقاه على عنقه وخده .
(٤) المختار : « سبيله » ، والمثبت يوافق ما فى الطبرى أيضا .

أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . قال : أتضمنُه لى ؟ قال : نعم . قال : أما والله لئِنْ حَاصَ[١] عنك لأوردنّك[٢] شَعُوب ، وإن كنْتَ الآن علىّ كريماً . قال : إنه لا يفعل . فخلّى سبيلَه .

ثم إنّ حجر بن يزيد كلمه فى قيس بن يزيد ، وقد أُتى به أسيرا ، فقال : ما عليه مِنْ بأس ، قد عرفنا رَأْيَه فى عثمان رضى اللهُ عنه ، وبلاءَهْ مع أمير المؤمنين بصِفّين ، ثم أرسل إليه فأُتِىَ به ، فقال : قد علمتُ أنك لم تقاتِلْ مع حُجر أنّك ترى رأيه ، ولكن قاتلتَ معه حَمِيَّة ، وقد غفرنا لك لِمَا نَعْلَمُهُ مِنْ حُسْنِ رأيك، ولكن لا أدَعك حتى تأتيَنى بأخيك عُمَير . قال : آتيك به إنْ شاء الله . قال : هات مَنْ يضْمَنُه معك . قال : هذا حُجر بن يزيد . قال حُجْر : نعم ، علَى أنْ تؤمِّنه على مالِه ودَمه . قال : ذلك لك .

فانطلقا فأتَيا به ، فأمر به فأُوقِر حَدِيدا ، ثم أخذَتْ الرجالَ ترفَعُه ، حتى إذا بلغ سُرَرَها أَلْقَوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه فألقَوْه ، ففُعِل به ذلك مراراً ، فقام إليه حُجر بن يزيد ، فقال : أو لم تؤمِّنه ؟ قال : بلى ، لستُ أهريق له دماً ، ولا آخذُ له مالا . فقال : هذا يُشْفِى به على الموت .

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أهلِ اليمن ، فكلّموه فيه ، فقال : أتضمنونه لى بنفسه متى[٣] أحْدَثَ حَدَثاً أتيتمونى به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيلَه .

ومكث حُجْرٌ فى منزل رَبيعة بن ناجذٍ[٤] يوماً وليلة ، ثم بعث إلى

(١) حاص : عدل .

(٢) فى المختار : «لأزيرن بك شعوبا» ، وفى الطبرى : «لأزيرنك شعوب» . وشعوب : اسم المنية .

(٣) الطبرى : «فمتى أحدث» .

(٤) انظر ص ١٤١ حاشية ٢ .

يطلب من ابن الأشعث أن يسأل زيادا الأمان له حتى يأتى معاوية

ابنِ الأشعث غلاماً يُدْعى رُشَيْداً مِنْ سبْى أصبهان ، فقال له : إنه قد بلغنى ما استقبلكَ به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنك شىء من أمره ؛ فإنى خارج إليك ، فاجْمَعْ نفراً مِنْ قومك ، وادخلْ عليه ، واسأله أنْ يؤمِّننى حتى يبعثنى إلى معاوية ، فيرى فىّ رأيَه .

زياد يأمر بحبسه

٥ فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد ، وجرير بن عبد الله ، وعبد الله أخى الأشتر ، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر ، فأجاب ، فبعثوا إليه رسولا يُعلِمُونَه بذلك . فأقبل حتى دخل على زياد ، فقال له : مَرْحباً يا أباعبدالرحمن ، حَرْبٌ فى أيام الحرب ، وحَرْب وقد سالم الناس ! «على نفسِها تجْنِى بَرَاقِش »[1]. فقال له : ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ ، ولا فارقتُ جماعةً ،

١٠ وإنى لعلى بيْعَتى . فقال : هيهات يا حُجْر ، أتشجّ بيدٍ وتأْسُو بأُخرى ، وتريد إذا أمكننا اللهُ منكَ أنْ نرضى ! هيهات والله ! فقال[2] : ألم تؤمِّنى حتى آتىَ معاوية ، فيرى فىّ رأْيَه . قال : بلى ، انطلقوا به إلى السجن .

زياد يطلب رءوس أصحاب حجر

فلما مُضِى به قال : أما واللهِ لولا أمانُه ما برح حتى يلْقُط عَصَبَه[3] . فأُخرج وعليه بُرْنس فى غَداةٍ باردةٍ ، فحُبِس عَشْرَ ليال ، وزيادٌ ماله عملٌ

١٥ غير الطلب لرءوس أصحاب حُجْر .

عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد يكمنان فى جبل بالموصل

فخرج عَمْرو بن الحَمِق ، ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائنَ ، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصلَ ، فأتيا جَبَلا فكَمَنا فيه ، وبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[4] — وهو رجلٌ من هَمْدَان يقال له عُبيد الله[5] بن أبى بَلْتَعة — خبرُهما ،

(١) هامش ا : براقش : اسم كلب دل بنباحه قوماً على أربابه فهلكوا . وفى اللسان

٢٠ (برقش) أقوال أخرى فى مضرب المثل .

(٢) ا : « قال » . (٣) أى حتى يقتل .

(٤) الرستاق : الناحية فى طرف الإقليم والقرى .

(٥) ح ، والطبرى : عبد الله .

فسار إليهما فى الخيل ، ومعه أهلُ البلد ، فلما انتهى إليهما خرجا ، فأمّا عَمْرو فكان بطنه قد استسقى[١] ، فلم يكُنْ عنده امتناعٌ . وأما رِفاعة فكان شابّا قويا فوثَب على فرسٍ له جَواد ، وقال لعَمْرو : أقاتِلُ عنك . قال : وما ينفعنى أنْ تقتل ؟ انْجُ بنفسك ، فحمل عليهم . فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيلُ فى طلبه ، وكان رَامِياً فلم يلحقْه فارسٌ إلاّ رَماه ، فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه ؛ فأُخذ[٢] عَمْرو بن الحَمِق ، فسألوه : مَنْ أنت ؟ فقال : مَنْ إنْ تركتموه كان أسلم لكم ، وإن قتلْتُموه كان أضَرَّ عليكم ، فسألوه فأَبى أنْ يخبرهم ، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان ، وهو ابن أمّ الحكم ، الثقفىّ ، فلما رأى عَمْراً عرفه ، فكتب إلى معاوية بخَبَرِه . فكتب إليه معاوية : إنه زعم أنه طَعن عثمان تسع طعنات ، وإنه لا يُتعدى[٣] عليه ، فاطْعَنْهُ تسعَ طعنات كما طعنَ عثمان .

عمرو بن الحمق يقع أسيرا ورفاعة ينجو بنفسه

٦ / ١٧

٥

معاوية يأمر بقتل عمرو بن الحمق

١٠

فأُخرج فطُعن تسع طعنات ، فمات فى الأُولى منهن أو فى الثانية ، وبعث برأسه إلى معاوية ؛ فكان رأسه أوَّل رأس حُمل فى الإسلام .

رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية

وجَدَّ زيادٌ فى طلب أصحابِ حُجْر وهم يهربون منه ، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم ، فجاء قيس بن عَبّاد الشيبانى إلى زيادٍ ، فقال له : إن امرأً منّا يقال له صَيْفِىّ بن فَسِيل[٤] ، من رءوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدُّ الناسِ عليك ؛ فبعث إليه فأُتى به ، فقال له زياد : يا عدوَّ الله ، ماتقولُ فى أبى تُرَاب؟

١٥

زياد يطلب من صيفى بن فسيل أن يلعن عليا فيأبى

(١) استسقى : أصابه السّق ، بفتح السين وكسرها ؛ وهو ماء يقع فى البطن .
(٢) المختار : « فأخذوا » .
(٣) الطبرى : « وإنا لا نريد أن نعتدى عليه » . وفى المختار : « وإنا لانتعدى عليه » .
(٤) المختار : « قسيل » ، والمثبت يوافق ما فى الطبرى أيضا . وفى المختار : ٣ : ٣١٧ ، « قشيل » قال محققه : وفى تاريخ الإسلام للذهبى : ٢٩٣/٢ : « قشيل — بالقاف — أو فشيل الربعى ، كوفى من شيعة على ، قتل صبراً مع حجر » .

٢٠

فقال : ما أعرف أبا تُرَاب ، قال : ما أعرَفك به ! أما تعرفُ علىَّ
ابن أبى طالب ! قال : بلى ، قال : فذاك أبو تُرَاب ، قال : كلاّ ، فذاك
أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشرطة : أيقولُ لك الأميرُ هو
أبو تُرَاب وتقول أنت : لا ! قال : أفإنْ كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب
٥ وأشهد له بالباطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذَنْبك ، علىّ بالعِصىّ
فأُتىَ بها ، فقال : ما قولُك فى علىّ ؟ قال : أحسنُ قَوْلٍ أنا قائلُه فى عَبْدٍ
من عَبيد الله أقوله فى أمير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقَه بالعِصىّ حتى يلصَق
بالأرض ، فَضُرِبَ حتى لصقَ بالأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك فيه ؟
قال : والله لو شرَّحتنى بالمُدَى والمَواسِى ما زُلْتُ[١] عمَّا سمعتَ . قال :
١٠ لتلعننَّه أولأضربنَّ عنقك . قال : إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتَشْقَى
إن شاء الله ، قال : أوقِروه حديداً واطْرَحُوه فى السجن .

وجمع زياد من أصحاب حُجر بن عدِىّ اثنى عشر رجلا فى السجن ،
وبعث إلى رءوس الأرباع فأشخصهم ، فحضروا ، وقال : اشْهَدُوا على حُجْر
بما رأيتموه ، وهم عَمْرو بن حُريث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقَيْس بن الوليد
١٥ ابن عبد شمس بن المُغيرة ، وأبو بُرْدَة بن أبى موسى ، فشهدوا أنَّ حجراً
جمع إليه الجموعَ ، وأظهر شَتْم الخليفة ، وعَيْبَ زياد ، وأظهر عُذْرَ أبى تُراب
والترحُّم عليه ، والبراءةَ مِنْ عدوّه ، وأهلِ حَرْبه ، وأن هؤلاء الذين معه
رءوسُ أصحابه ، وعلى مِثْل رأيه .

زياد يأمر رءوس الأرباع أن يشهدوا على حجر وأصحابه

فنظر زياد فى الشهادة فقال : ما أظنُّ هذه شهادة قاطعة ، وأُحِبُّ
٢٠ أن يكونَ الشهود أكثر من أربعة .

فكتب أبو بُرْدَة بن أبى موسى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبى موسى

(١) الطبرى : ما قلت إلا ما سمعت .

لله ربّ العالمين ، شهد أنّ حُجْر بن عَدِىّ خلع الطاعةَ ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتْنة ، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نَكْثِ البيعة ، وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كَفرة صلعاء » .

فقال زياد : على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا ، والله لأجهدنّ فى قَطْعِ عُنقِ الخائن الأحمق ، فشهد رءوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْلِ ذلك ، ٥ ثم دعا الناسَ ، فقال : اشهدوا على مِثْل ما شهد عليه رءوسُ الأرباع .

فقام عثمان بن شرحبيل التيمىّ أوّل الناس ، فقال : اكتبُوا اسْمِى . ١٦/٨ فقال زياد : ابدءوا بقريش ، ثم اكتبوا اسمَ مَنْ نعرفه ويعرفه أميرُ المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عُبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعمارة بن عقبة ، وعبد الرحمن بن هَبّار ، وعُمَر بن سَعْد ١٠ ابن أبى وقاص ، وشهد عنان[1] ، ووائل بن حُجْر الحضرمىّ ، وضِرار بن هُبيرة ، وشدّاد بن المنذر أخو الحُضين بن المنذر ، وكان يُدْعَى ابن بُزَيعة .

فكتب شداد بن بُزَيْعَة ، فقال : أما لهذا أبٌ يُنْسَب إليه ، ألغوا هذا من الشهود . فقيل له : إنه أخو الحُضين بن المنذر ، فقال : انسبوه إلى أبيه ، فنُسب ، فبلغ ذلك شدّادا ، فقال : والهفاه على ابن الزّانية ؟ أوليست ١٥ أمُّه أعرفَ من أبيه ؛ فوالله ما يُنْسَب إلاّ إلى أمّه سُمَيّة .

وشهد حجّار بن أبجر العجلى ، وعَمْرو بن الحجاج ، ولبيد بن عُطارد ، ومحمد بن عمير بن عطارد ، وأسماء بن خارجة ، وشمِر بن ذى الجَوْشن ، وزَحْر بن قَيْس الجعفىّ ، وشبَث بن رِبْعِىّ ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسدىّ صاحب مسجد سماك ، ودعا المختار بن أبى عُبيد[2] ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ٢٠

(١) ا : « عفان » ، وفى الطبرى : « عنان بن شرحبيل » .
(٢) المختار : « ابن عبيدة » ، والمثبت يوافق ما فى الطبرى أيضاً .

واثل بن حجر وكثير بن شهاب يذهبان إلى معاوية بكتاب زياد ومعهما جماعة من أصحاب حجر

إلى الشهادة فراغاً ، وشهد سبعون رجلا . ودَفع ذلك إلى وائل بن حُجر ، وكثير بن شهاب ، وبعثهما عليهم وأمرهما[1] أنْ يخرجوهم .

وكتب فى الشهود شريح بن الحارث ، وشريح بن هانئ . فأما شريح بن الحارث فقال : سألنى عنه فقلت : أما إنه كان صوّاماً قوّاما . وأما شريح بن هانئ فقال : بلغنى أنَّ شهادتى كُتبت فأكذبتُه ، ولُمْتُه .

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأخرجا القومَ عشيّة ، وسار معهم أصحابُ الشّرط حتى أخرجوهم ، فلما انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم[2] نظر قبيصة بن ضبيعة العَبْسىّ إلى داره فى جبّانة عَرْزَم ، فإذا بَناتُه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : أدْنيانى أُوصِ أَهلى ، فأدْنَيَاه . فلما دنا منهن بكَيْنَ ، فسكت عنهن ساعةً ثم قال : اسكتْنَ ، فسكتْنَ ، فقال : اتَّقِينَ اللهَ واصبِرْنَ ، فإنى أرجو من ربى فى وَجْهى هذا خَيْرًا : إحدى الحسنيين ؛ إما الشهادة فنعم سعادة ، وإما الانصراف إليكنّ فى عافية ؛ فإنَّ الذى كان يرزقكنّ ويكفينى مؤنتكن هو اللهُ تبارك وتعالى وهو حىٌّ لا يموتُ ، وأرجو ألاّ يضيعكنّ ، وأنْ يحفظنى فيكنَّ . ثم انصرف ، فجعل قومه يَدْعُونَ له بالعافية .

وجاء شريح بن هانئ بكتاب ، فقال : بلّغوا هذا عنى أميرَ المؤمنين ، فتحمّله وائل بن حجر .

ومضَوْا بهم حتى انتهوا[3] إلى مَرْج عَذراء[4] ، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق ، وهم : حُجْر بن عدىّ الكندىّ ، والأرقم بن عبد الله الكندىّ ،

(١) ا : « وأمرهم » .
(٢) هى بالكوفة .
(٣) ا : « مضوا حتى انتهى بهم » .
(٤) مرج عذراء بغوطة دمشق . (/) .

وشريك بن شدّاد الحضرمىّ ، وصَيفىّ بن فَسِيلٍ[1] الشيبانىّ ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسىّ ، وكَرِيم بن عَفيف الخثعمىّ ، وعاصم بن عوف البجَلىّ ، ووَرْقاء بن سُمَىّ البَجَلىّ[2] ، وكِدام بن حَيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزِيّان ، ومحرز بن شهاب المِنقرىّ ، وعبد الله بن جُوَيّة التميمىّ ، وأتبَعَهم زياد برجلين ، وهما عتبة بن الأخنس السعدىّ ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدانىّ الناعطىّ ، فكانوا أربعة عشر .

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير ، فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، وقرأه على أهل الشام :

كتاب زياد إلى معاوية

«بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين ، من زياد بن أبى سفيان .

أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأدَاله[3] من عدوّه ، وكفاه مئونة مَنْ بَغَى عليه ، إنّ طواغيت[4] الترابيّة السابّة رأسهم حُجْر بن عدىّ ، خلَعُوا أميرَ المؤمنين ، وفارقوا جماعةَ المسلمين ، ونصَبُوا لنا حَرْبا فأطفأها اللهُ عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوى النُّهى والدِّين ، فشهدوا عليهم بما رأوْا وعلموا ، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادةَ صُلحاء أهلِ المِصْرِ وخيارهم فى أسفل كتابى هذا » .

---

(١) انظر حاشية ٤ ص ١٤٤ .
(٢) الطبرى : « ثم الناعطى » .
(٣) ا « فأدركه » ، وفى المختار . « أذل له الأعداء » .
(٤) الطواغت : جمع طاغوت ، وهو الكثير الطغيان .

فلما قرأ الكتابَ قال : ماترون فى هؤلاء ؟ فقال[1] يزيد بن أسد البَجَلىّ : أرى أنْ تفرّقهم فى قُرى الشام ، فتكفيكهم طَوَاغيتها[2] .

ودفع وائل كتابَ شريح إليه ، فقرأه وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية

٥ لعبد الله معاوية أمير المؤمنين ، من شريح بن هانئ .

أما بعد ، فقد بلغنى أنّ زيادا كتب إليك بشهادتى على حُجْر ، وإن شهادتى على حُجْر أنه ممَّنْ يُقيم الصلاةَ ، ويؤْتى الزكاة ، ويأمر بالمعروف ، وَيَنْهَى عن المنكر . حرامُ المال والدم ، فإن شئْتَ فاقْتُلْه ، وإن شئت فدَعْه »

فقرأ كتابَه على وائل ، وقال : ما أرى هذا إلاَّ قد أخرج نَفْسَه من ١٠ شهادتكم . فحبس القومَ بعد هذا ، وكتب إلى زياد :

معاوية يكتب إلى زياد بحيرته فى أمر حجر وأصحابه ، وزياد يرد عليه بطلب عقابهم

« فهمتُ ما اقتصصت من أمر حُجْر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحيانا أرى أنَّ قتلهم أفضل ، وأحيانا أرى أن العَفْوَ أفضل مِنْ قتلهم » .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيمىّ : « قد عجبْتُ لاشتباهِ الأَمْرِ عليك فيهم مع شهادة أهلِ مِصْرِهم عليهم ، وهم أعلمُ بهم ؛ فإن كانت لك ١٥ حاجةٌ فى هذا المِصْر فلا تردّنّ حُجْرا وأصحابَه إليه .

حجر يطلب إبلاغ معاوية تمسكه ببيعته

فمرَّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد ، فقال له حُجْر : أبلغ أمير المؤمنين أنّا على بَيْعَتِه لا نقيلها ولا نستقيلها ، وإنما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء[3] .

(١) فى ا : « قال » . (٢) ج ، م ، المختار : طواغيتها .
٢٠ (٣) الأظناء : المتهمون .

فقدم يزيد بن حُجَيَّة على معاوية بالكتاب ، وأخبره بقول حُجْر . فقال معاوية : زياد أصدقُ عندنا من حُجْر .

وكتب جرير بن عبد الله فى أمرِ الرجلين اللَّذَيْن مِنْ بَجِيلة ، فوهبهما له وليزيد بن أسد ، وطلب وائل بن حجر فى الأرقم الكندىّ ، فتركه ، وطلب أبو الأعور فى عُتْبَةَ بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهَمْدَانىّ فى سَعِيد بن نِمْران فوهَبه له ، وطلب[1] حبيب بن مسلمة فى عبد الله بن حُوَيّة التميمىّ فخلّى سبيله .

فقام مالك بن هُبيرة ، فسأله فى حُجر فلم يشفِّعه ، فغضب وجلس فى بَيْته . وبعث معاوية هُدْبَةَ[2] بن فَيّاض القضاعىّ والحُصين بن عبد الله الكلابىّ ، وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدرىّ ، فأَتَوْهُم عند المساء ، فقال الخَثْعمىّ حين رأى الأعور : يُقتَلِ نصفنا ويَنْجُو نصفنا . فقال سعيد بن نِمْران : اللهم اجعلنى ممن ينجو ، وأنتَ عنى راض . فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزِىّ : اللهم اجعلنى ممن يُكْرَمُ بهوانهم وأنْتَ عنّى راض ، فطالما عرَّضت نفسى للقَتْل ، فأَبى الله إلاَّ ما أرَاد .

رسول معاوية يطلب من أصحاب حجر لعن على فيأبون

فجاء رسولُ معاوية إليهم فإنه لمَعَهُم إذ جاء رسولٌ بتَخْلِيَةِ ستَّةٍ منهم وبقى ثمانية . فقال لهم رسُول[3] معاوية : إنّا قد أُمرنا أنْ نعرِض عليكم البراءة مِنْ علىّ واللَّعْنَ له ، فإن فعلتُم هذا تركناكم ، وإن أبيتُم قتلناكم ، وأميرُ المؤمنين يزعمُ أنَّ دماءكم قد حلَّتْ بشهادةِ أَهْلِ مِصْرِكم عليكم ، غَيْرَ أنه قد عفا عن ذلك فابْرَءوا مِنْ هذا الرجل يُخْلِ سبيلَكم . قالوا : لسنا فاعلين ؛ فأمر[4]

(١) المختار : « وتكلم » .
(٢) بيروت : « هدية » ، بالياء المشددة ، والهاء المفتوحة .
(٣) كذا فى حـ والطبرى ، وفى ا ، م ، ب ، س ، : « رسل » .
(٤) فى ا ، م ، ب ، س : « فأمروا » والمثبت من المختار والطبرى .

١٦/١٠ بقيودهم[1] فحُلّتْ ، وأُتِىَ بأكفانهم فقاموا الليلَ كلَّه يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، قد رأيناكم البارحةَ أطلْتم الصلاة ، وأحسنْتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكُم فى عثمان ، قالوا : هو أولُ مَنْ جار فى الحكم ، وعمل بغير الحق . فقالوا : أمير المؤمنين كان أعرفَ بكم . ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرءون مِنْ هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاّه .

فأخذ كلُّ رجل منهم رجلا يقتله ، فوقع قبيصة فى يَدى أبى صَرِيف البدرىّ ، فقال له قبيصة : إنَّ الشرّ بين قومى وقومك أمِين[2] ، أى آمن فليقتلنى غيْرُك . فقال : برَّتك رَحِم . فأخذه الحضرمىّ فقتله .

وقتل القُضاعىّ صاحبه ، ثم قال لهم حُجر : دَعُونى أُصلّى ركعتين ، فإنى والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت ، فقالوا له : صَلِّ ، فصَلَّى ثم انصرف ، فقال : والله ما صليتُ صلاةً قطّ أقصر منها ، ولولا أن يروا أنَّ مابِى جزَعٌ من الموت لأحْبَبْتُ أنْ أستكثِرَ منها ، ثم قال : اللهم إنّا نستعديك على أُمَّتنا ، فإنّ أهلَ الكوفة قد شهدوا علينا ، وإن أهل الشأم يقتلوننا ، أمَا والله لئن قتلتمونا فإنى أوّل فارس من المسلمين سلك[3] فى واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نَبَحَتْه كِلابُها ، فمشى إليه هُدْبة بن الفيَّاض الأعور بالسيف ، فأرعدت خصائله[4] ، فقال : كلّا ، زعمْتَ أنك لا تجزعُ من الموت ، فإنا ندَعُك ، فابْرأْ من صاحبك . فقال : مالى لا أجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيْفاً مشهوراً ، وإنى والله إن جزعتُ لا أقول ما يُسخِطُ الربَّ . فقتله .

(١) الطبرى : « فأمر بقبورهم فحفرت » .
(٢) س : « أمن » ، وكذلك فى الطبرى . (٣) ا والطبرى : « هلك »
(٤) الخصيلة : القطعة من اللحم ، أو لحم الفخذين والعضدين والذراعين ، أو كل عصبة فيها لحم غليظ ، والجمع خصائل . وفى بيروت : « فصائله » .

أمر عبد الرحمن ابن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية

وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّةَ نَفَر ، فقال عبد الرحمن ابن حسان وكَريم بن عفيف[1] : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول فى هذا الرجل مِثْلَ مقالَتِه . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث : ائتونى بهما . فالتفتا إلى حُجْر ، فقال له العَنَزِىّ : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مَثْواك ؛ فنعم أخو الإسلام كُنْتَ ، وقال الخثعمىّ نحو ذلك . ثم مضى بهما ، فالتفت العَنَزِىّ ، فقال متمثِّلا :

كَفَى بشَفَاةِ القبر[2] بُعْدًا لِهالِكٍ ... وبالموت قَطّاعا لِحَبْلِ القرائنِ

فلما دخل عليه الخثعمىّ قال له : الله الله يا معاوية ! إنك منقول مِنْ هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسئول عما أردتَ بقَتْلنا ، وفيما سفكْتَ دماءنا . فقال : ما تقولُ فى علىّ ؟ قال : أقولُ فيه قولَكَ ، أتَبَرَّأُ من دِينِ علىّ الذى كان يَدين اللهَ به ! وقام شَمِر بن عبد الله الخثعمىّ فاستَوْهَبَه ، فقال : هو لك ، غير أنى حابِسُهُ شهرا ، فحبسه ، ثم أطلقه على ألاّ يدخلَ الكوفة ما دام له سلطانٌ . فنزل الموصل ، فكان ينتظرُ مَوْتَ معاوِيَةَ لِيَعُودَ إلى الكوفة ، فمات قبل معاوية بشَهْرٍ .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان ، فقال له : يا أخا ربيعة ، ما تقولُ فى علىّ ؟ قال : أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرا والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والعافِينَ عن الناس . قال : فما تقول فى عثمان ؟ قال : هو أولُ مَنْ فتح أبواب الظلم ، وأرْتَج أبواب الحقّ . قال : قتلْتَ نفْسَك . قال :

---

(١) ا : « عقيف » .

(٢) شفاة القبر : حرفه ومدخله .

بل إيّاكَ قتلْت ، لاربيعَة بالوادى ؛ يعنى أنه ليس ثَمّ أحد من قومه فيتكلم فيه .

فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : إنّ هذا شرُّ مَنْ بعثتَ به ، فعاقِبْــه بالعقوبة التى هو أهلها واقتُلْه شرَّ قتلة .

٥ فلما قَدِم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطِفِ[1] ، فدفنَه حيًّا .

قال أبو مخنف ، عن رجاله : فــكان مَنْ قُتل منهم سبعة نَفَر : حجر ابن عدىّ ، وشريك بن شدّاد الحضرمىّ ، وصيفىّ بن فسيل[2] الشيبانىّ ، وقبيصة ابن ضُبيعة العبسىّ ، ومُحرز بن شهاب المِنقرىّ[3] ، وكِدام بن حيّان العنزىّ وعبد الرحمن بن حسان العنزىّ . ونجا منهم سبعة : كريم بن عفيف ١٦/١١

١٠ الخثعمىّ ، وعبد الله بن جؤيّة[4] التميمىّ ، وعاصم بن عَوْف البجلىّ ، ووَرْقاء بن سُمىّ البَجَلىّ ، وأرقم بن عبد الله الكندىّ ، وعتبة بن الأخنس السّعدىّ مِنْ هوازن ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدَانىّ .

وبعث معاوية إلى مالك بن هُبيرة لما غضب بسبَب حُجْر مائة ألف درهم ، فرضى .

١٥ قال أبو مخنف : فحدثنى ابنُ أبى زائدة ، عن أبى إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ يقولون : أول ذُلّ دخل الكوفةَ قَتْلُ حُجْر ، ودِعْوَة زياد ، وقَتْلُ الحسين .

(١) ا والمختار : « قيس الناطف » . وقس الناطف : موضع قرب الكوفة (ياقوت) .
(٢) انظر ما سبق ص ١٤٤ حاشية ٤ .
٢٠ (٣) الطبرى : « السعدى » .
(٤) الطبرى : « حوية » .

قال : وجعل معاوية يقول عند موته : أىّ يوم لى من ابْنِ الأَدبر[١] طويل !

عائشة تبعث عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية فى أمر حجر وأصحابه

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بنى عامر ابن لؤىّ أنّ عائشةَ بعثت عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية فى حُجْر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قَتَلهم ، فقال له : أين غاب عنكَ حِلْمُ أبِى سفيان ؟ فقال : حين غاب عنى مثلُك مِنْ حُلماء قومى ، وحمّلنى ابن سُمَيّة فاحتَمْلت .

قال : وكانت عائشةُ رضى الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قطّ إلاّ آلت بِنَا الأمورُ إلى أشد مما كنّا فيه لغيّرنا قتل حجر ، أمَا[٢] واللهِ إن كان لَمُسْلِماً ما علمتُه حاجّا معتمرا .

رثاء حجر

وقالت امرأة من كندة ترثى حُجْرًا[٣] :

ترفّعْ أيُّها القَمَرُ المُنِيرُ ... لعلّكَ أن تَرَى حُجْراً يَسِيرُ[٤]

يسير إلى معاوية بن حربٍ ... لِيَقْتُلَهُ كما زعم الأَميرُ

ألا يا ليتَ حُجْرًا مات مَوْتاً ... ولم يُنْحَر كما نُحِر البَعيرُ

ترفّعَت الجبابرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ[٥]

وأصبحتِ البلادُ له مُحُولاً ... كأنْ لم يُحيِها مُزْنٌ[٦] مَطِيرُ

(١) ابن الأدبر : لقب حجر بن عدى . (القاموس) .

(٢) كذا فى الطبرى والمختار ، وفى باقى الأصول : « أم » .

(٣) هى هند بنت زيد الأنصارية ؛ وانظر ما سبق ص ١٣٢ .

(٤) وكذا فى المختار . وفى الطبرى : « تبصر هل ترى حجرا يسير » .

(٥) س : « تربعت » ، وفى الطبرى : « تجبرت » . والخورنق : قصر كان بظهر الحيرة . والسدير : قصر كان قريباً منه .

(٦) ا : « زمن » .

ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بنى عَدِىٍّ تلقَّتْكَ السلامةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ سطوةَ آلِ حربٍ(١) وشيخاً فى دمشقَ له زَئيرُ
يرى قَتْلَ الخِيار عليه حقّاً له مِنْ شَرّ أُمَّتِه وَزِيرُ
فإنْ تَهلِكْ فكلُّ زعيم قومٍ إلى هُلْكٍ(٢) من الدنيا يَصيرُ

(١) الطبرى : « أخاف عليك ما أردى عدياً » ، والمثبت فى المختار أيضا .

(٢) الطبرى : « من الدنيا إلى هلك يصير » .

صــوت

أَحِنُّ إذا رأيْتُ جمالَ سُعْدَى وأبكى إن رأيتُ لها قَرِينا[١]

وقد أَفِدَ الرَّحيل[٢] فقُلْ لسُعْدَى : لعمركِ خَبِّرِى ما تأمرينا

الشعر لعُمر بن أبى ربيعة ، يقوله فى سُعْدَى بنت عبد الرحمن بن عوف .
والغِناء لابن سريج ، رمَل بالوسطى ، عن حبَش . وقد قيل : إن عمر قال هذا ٥
البيت مع بَيْتٍ آخر فى ليلى بنت الحارث بن عَوْف المرِّىّ . وفيه أيضاً
غناء ، وهو :

صــوت

ألا يا لَيْلَ إنَّ شِفاء نفسى نوالُكِ إنْ بخلتِ فزوِّدِينا[٣]

وقد أفِد الرحيل وحان منّا فِراقُك فانظرى ما تأمرينا ١٠

غنّى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر ، عن عمرو وحبَش ، وفيه خفيف ١٦/١٢
ثقيل يقال إنه أيضاً للغريض . ومن الناس من يَنْسبه إلى ابن سريج .

(١) ديوانه ٥٠٢ .
(٢) أفد الرحيل : دنا وأزف .
(٣) ديوانه ٥٠٢ .

[أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حرميّ ، عن الزُّبَيْر ، عن طارق بن عبد الواحد ، قال :
قال عبد الرحمن المخزوميّ :

سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إلى عمر بن أبي ربيعة تعظه

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً فى المسجد ، فرأت
٥ عُمَر بن أبى ربيعة فى الطواف ، فأرسلت إليه : إذا قضيتَ طوافَك فَائْتِنا ،
فلما قضى طوافَه أتاها فحادثها ، وأنشدها ، فقالت : وَيْحك يابْنَ أبى ربيعة .
ما تزالُ سادِراً فى حرَمِ الله مُنْتَهِكا ، تتناوَلُ بلسانك ربَّاتِ الحجال
مِنْ قريش ؟! فقال : دَعِى هذا عنك ، أما سمعْتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت :
وما قلت فىّ ؟ فأنشدها :

١٠ أَجِنُّ إذا رأيْتُ جمالَ سُعْدَى وأبكى إنْ رأيت لها قَرِينا[1]
أسُعدى إنَّ أهلك قد أَجَدُّوا رحيلاً فانظُرِي ما تأمرينا

فقالت : آمُرُكَ بتقْوَى الله ، وترْكِ ما أنت عليه .

ابن أبى عتيق ينشد سعدى قول عمر

قال الزبير : وحدثنى عبد الله بن مسلم ، قال : أنشد عمر بن أبى ربيعة
ابْنَ أبى عتيق قوله :

١٥ * أَجِنُّ إذا رأيتُ جمالَ سُعدى *

قال : فركب ابنُ أبى عَتيق فأتَى سعدى بالجناب مِنْ أرْض بنى فزارة ،
فأنشدها قَوْلَ عمر ، وقال لها : ما تَأْمُرِين ؟ فقالت : آمُره بتَقْوى الله
يابْنَ الصِّدِّيق .

---

(١) ديوانه ٥٠٢ .

قال الزّبير : وحدّثنى طارق بن عبد الواحد ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الرحمن المخزومىّ ، قال :

يستوقف ليلى بنت الحارث بن عوف وينشدها

لقى عُمر بن أبى ربيعة لَيْلَى بنت الحارث بن عوف المرّىّ ، وهو يسير على بَغْلة ، فقال لها : قِفى أُسمعكِ بَعْضَ ما قلتُ فيكِ ؟ فوقفت ، فقال :

ألاَ يا ليلَ إنّ شفاء نفسِى   نوالُكِ إنْ بخلت فنوِّلينا

قال : فما بلغنا أنّها ردّتْ عليه شيئا ، ومضَتْ .

وقد روى هذا الخبر إبراهيمُ بن المنذر ، عن محمد بن مَعْن ، فذكر أنّ ابْنَ أبى عَتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف ، فأنشدها هذا البيت ، وهو الصحيحُ ؛ لأنّ حلولَها بالجناب مِنْ أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عَوف . ورواية الزُّبير فيما أُروى وَهمٌ لاختلاط الشعرين فى سعدى وليلى . ١٠

أخبرنى حرمىّ ، عن الزبير ، عن محمد بن سلّام ، قال :

خبر آخر لسعدى بنت عبد الرحمن معه

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عَوْف جالسةً فى المسجد الحرام ، فرأت عُمر بن أبى ربيعة يطوفُ بالبيت ، فأرسلَتْ إليه : إذا فرغت من طَوافك ، فائْتِنا ، فأتاها ، فقالت : ألا أراك يابْنَ أبى ربيعة إلاّ سادِراً فى حَرَم الله ! أماَ تخاف الله ! ويحك إلى متى هذا السَّفه ! قال : أَىْ هذه ، دَعِى عنك هذا من القَوْلِ. أَما سَمِعْتِ ما قُلْتُ فيك ؟ قالت : لا ، فما قُلْتَ ؟ فأنشدها قوله[1] : ١٥

(١) ديوانه ١١٩ .

صــوت

قالت سُعَيْدَةُ[1] والدموعُ ذَوَارِفٌ   منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ
ليت المغيرىَّ الذى لم أجْزِهِ   فيما أطال تصيُّدِى[2] وطِلابى
كانت تردّ لنا المُنَى أيامُنا   إذ لا نُلَامُ على هوًى وتَصابى
٥ أسُعيدَ[3] ما ماءُ الفراتِ وطِيبُهُ   منّى على ظمأ وحبِّ شرابِ
بألذَّ منك وإن نأيْتِ وقلَّما   يرْعَى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

١٦/١٣

عروضه من الكامل، غنّاهُ الهذلىّ رَمَلا بالوسطى، عن الهشامىّ، وغنّاهُ الغريض خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

فقالت: أخزاكَ الله يا فاسق، ما عَلِمَ الله أنّى قلت مما قلتَ حرْفاً،
١٠ ولكنك إنسانٌ بَهُوتٌ[4].

وهذا الشعرُ تُغُنِّىَ فيه:

* قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ *

وفى موضع:

* أسعيد ما ماءُ الفرات وبَرْده *

١٥ أسكَيْنَ. وإنما غيَّره المغنّون: ولفظ عمر ما ذُكر فيه فى الخبر.

إسحاق يغنى الرشيد شعر عمر فى سكينة

وقد أخبرنى إسماعيل بن يونس، عن ابن شبّة، عن إسحاق، قال: غنَّيْتُ الرشيدَ يوماً بقوله:

(١) الديوان: «سكينة».
(٢) س: «تصعدى».
٢٠ (٣) الديوان: «أسكين».
(٤) بهته، كنعه: قال عليه ما لم يقل. والبهوت: المباهت.

قالت سُكَيْنَةَ والدموعُ ذَوارِفٌ منهـا على الخدَّيْن والجلْبابِ

فوضع القدح من يَدِه وغضب غضباً شديداً ، وقال : لعنه الله الفاسق ، ولعنك معه . فسُقِط فى يدى ، وعَرفَ ما بى ، فسكَن ، ثم قال : ويحك ! أتغنّينى بأحاديث الفاسق ابن أبى ربيعة فى بِنْتِ عَمّى ، وبِنْتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ألا تتحفّظ فى غِنائك وتدرى ما يخرجُ مِنْ رَأْسك ! عُدْ إلى غِنائك الآن ، وانظرْ بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أُنْسِيته . فما سمعه منّى أحدٌ بعده . والله أعلم .

صــوت

فلا زال قَبْرٌ بين تُبْنَى وجاسم عليه من الوَسْمِيِّ جَوْدٌ ووابلُ[١]
فينبت حَوْذاناً وعوفاً مُنَوَّراً سأتبعه مِنْ خير ما قال قائلُ[٢]

عروضه من الطويل ، والشعر لحسّان[٣] بن ثابت الأنصارى . وهذا القَبْرُ الذى ذكره حسّان فيما يقال قبر الأيهم بن جَبَلة بن الأيهم الغسّانىّ . وقيل : إنه قبر الحارث بن مارية الجفنى ، وهو[٤] منهم أيضا . والغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل ، أول بالوسطى ، مما لا يشكّ فيه من غنائها . وقد نسبه قومٌ إلى ابن عائشة ، وذلك خطأ .

(١) تبنى : بلدة بحوران من أعمال دمشق . الوسمى : أول المطر . الجود : الغزير .
(٢) البلدان : « سأهدى له » . الحوذان والعوف : نبتان طيبا الرائحة .
(٣) البيتان نسبهما ياقوت ٢ : ٣٦٤ إلى النابغة ، وقد وردا فى ديوانه ٨٤ مع اختلاف فى الرواية .
(٤) بيروت : « وهم » .

أخبار عزة الميلاء

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهى أقدمُ مَنْ غَنَّى الغناء الموقَّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جَميلة ، وكانت من أجمل النساء وَجهاً ، وأحسنهن جِسْماً ، وسُمِّيَتْ الميلاء ؛ لتمايُلِها فى مشيها . وقيل : بل كانت تلبسُ المُلاَء ، وتَشبَّهُ بالرجال ، فسمِّيت بذلك . وقيل : بل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذ مِلْئاً[1] واردُدْ فارغا — ذكر ذلك حمّاد ابن إسحاق ، عن أبيه .

سبب تسميتها الميلاء

والصحيحُ أنها سُمِّيت الميلاء لمَيْلِها فى مِشْيَتِها .

قال إسحاق : ذكر لى ابنُ جامع ، عن يونس الكاتب ، عن مَعْبد ، قال : كانت عزّة الميلاء ممّن أحسنَ ضرباً بعُود ، وكانت مطبوعةً على الغناء ، لا يُعيبها أداؤه ولا صَنْعته ولا تأليفه ، وكانت تغنّى أغانىَ القِيان مِن القدائم ، مثل سيرين[2]، وزرنب ، وخولة ، والرباب ، وسلمى ، ورائقة ، وكانت رائقة أستاذتها . فلما قدم نَشيط وسائب خاثر المدينةَ غنّيا أغانىَ بالفارسية ، فلَقِنَتْ عزّة عنهما نغَما ، وألّفت عليها ألحانا عجيبة ، فهى أوّل مَنْ فَتَن أهل المدينة بالغناء ، وحرّض نساءهم ورجالَهم عليه .

مكانتها فى الموسيقى والغناء

قال إسحاق : وقال الزُّبَير : إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عَزّة قالوا : لِلهِ دَرُّها ! ما كان أحسن غناءها ، ومدَّ[3] صوتها ، وأندى حَلقها ، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهى ، وأجملَ وجهها ،

رأى مشايخ أهل المدينة فيها

١٦ / ١٤

(١) الملء ، بالكسر : اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ . وفى المختار : « ملاء »

(٢) بيروت : « شيرين » .

(٣) المختار : « وأحلى صوتها » .

وأظرف لسانها ، وأقْرب مجْلسها ، وأكرم خُلقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها .

قال إسحاق : وحدّثنى أبى ، عن سياط ، عن مَعبد ، عن جميلة ، بمثل ذلك من القَوْل فيها .

٥ قال إسحاق : وحدثنى أبى ، عن يونس ، قال :

أخذ عنها ابن سريج وابن محرز

كان ابنُ سُريج فى حداثَةِ سِنّه يأتى المدينة ، فيسمَعُ مِنْ عزّةَ ويتعلّمُ غناءها ، ويأخذُ عنها ، وكان بها مُعْجَبا ، وكان إذا سُئل : مَنْ أحسنُ الناسِ غناء ؟ قال : مولاة الأنصار المفضَّلة على كلِّ مَنْ غنّى وضرب بالمعازف والعِيدان مِنَ الرجالِ والنّساء .

١٠ قال : وحدثنى هشام بن المرِّيّة أنَّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكة ثلاثةَ أشهر ، ويأتى المدينة فيُقيم بها ثلاثةَ أشهر من أجْلِ عزَّة ، وكان يأخذ عنها .

رأى طويس فيها

قال إسحاق : وحدثنى الجمحىّ ، عن جُرَيْر[1] المغنّى المدينى ، أنَّ طُوَيساً كان أكثر ما يأوى إلى منزل عزَّة الميْلاء ، وكان فى جوارها ، وكان إذا ذكرها يقول : هِىَ سيِّدةُ مَنْ غنّى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخُلُق فاضلٍ

١٥ وإسلام لايَشُوبُه دَنَس ؛ تأمُرُ بالخير وهى مِنْ أهْله ، وتَنْهَى عن السوء وهى مُجانبة[2] له ، فياهيك ما كان أنبلها ، وأنبل مجلسها !

ثم قال : كانت إذا جلست جُلوسا عامّا فكأنّ الطيرَ على رءوس أهْلِ مجلسها ، مَنْ تكلَّم أو تحرك نقر رأسه .

قال ابن سلاّم : فما ظنُّك بمَنْ يقولُ فيه طُوَيس هذا القول ! ومَنْ ذلك

٢٠ الذى سَلِم من طُوَيس !

(١) كذا ضبط بالتصغير فى ا والإكمال : ١٣١ ا . (٢) فى المختار : « وهى مجانبته » .

سمعها معبد وقد أسنت فأعجب بها

قال إسحاق : وحدثنى أبو عبد الله الأسلمىّ ، عن معبد :

أنه أتى عزّة يوما وهى عند جَميلة وقد أسنّت ، وهى تغنّى على معزفة فى شِعْر ابْنِ الإطنابة ، قال :

عَلِّلانى وعَلِّلاَ صاحبَيَّا واسقِيانى مِنَ المروّق ريَّا

قال : فما سمع السامِعُونَ قطّ بشىء أحسنَ مِنْ ذلك . قال معبد : هذا غناؤها ، وقد أسنّت ، فكيف بها وهى شابّة !

قال إسحاق : وذُكر لى عن صالح بن حسّان الأنصارىّ ، قال : كانت عزّةُ مولاةً لنا ، وكانت عفيفةً جميلةً ، وكان عبدُ الله بن جعفر ، وابن أبى عتيق ، وعمر بن أبى ربيعة يَغشَوْنها فى منزلها فتغنّيهم . وغنّت يوماً عمر بن أبى ربيعة لحنًا لها فى شىء مِنْ شِعْرِه ، فشقّ ثيابَه ، وصاح صيحةً عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القومُ : لغيرك الجهْلُ يا أبَا الخطاب ! قال : إنى سمعتُ والله ما لم أملِكْ معه نفسى ولا عَقْلِى .

عمر بن أبى ربيعة يغشى عليه حين سمعها تغنى شعره

وقال إسحاق : وحدثنى أبو عَبْد الله الأسلمىّ المدنىّ ، قال :

كان حسّان بن ثابت مُعْجَباً بعزَّةَ الميلاء ، وكان يقدّمها على سائر قِيانِ المدينة .

أخبرنى حرمىّ ، عن الزبير ، عن محمد بن الحسن المخزومىّ ، عن محرز ابن جعفر ، قال :

ختَن زَيْدُ بنُ ثابت الأنصارى بنتَه ، فأوْلَم ؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامّةُ أهل المدينة ، وحضر حسّان بن ثابت وقد كُفَّ بَصَرُه يومئذ ، وثقُل سمعُهُ ، وكان يقول إذا دُعى : أعُرُسٌ أم عِذار[1] ؟ فحضر ووُضِع بين يَدَيْه خِوان ليس عليه إلاّ عبد الرحمن ابنه ، فكان

(١) العرس : طعام الوليمة ، والعذار : طعام البناء والختان .

غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى

يسأله : أطعامُ يدٍ أمْ يدين ؟ فلم يزل يأكلُ حتى جاءوا بالشِّواء ، فقال : طعامُ يَدَيْن ؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثُنيت وسادة ، وأقبلت المَيْلاء ، وهي يومئذ شابة ، فوُضع في حجرها مِزْهر ، فضربت به ، ثم تغنَّت ، فكان أوّلَ ما ابتدأت به شِعرُ حسّان ، قال :

١٦ / ١٥

٥ فلازالَ قبرٌ بَيْن بُصرى وجِلَّق عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووَابِلُ

فطرب حسّان ، وجعلت عيناه تنضحان ، وهو مُصْغٍ لها .

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبَّة ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الزناد ، قال :

قلتُ لخارجة بن زَيْد : أكان يكون هذا الغناء عندكم ؟ قال : كان

١٠ يكون في العُرُسات[1] ولم يكن يُشْهَد بما يشهدُ به اليوم من السَّفَة .

وكان في إخواننا بني نبيط مَأْدبة ، فدُعينا ، وثمّ قينة أو قينتان تُنْشِدَان شِعْرَ حسّان بن ثابت ، قال[2] :

انظُرْ خَلِيلِي بباب جِلَّقَ هلْ تُبْصِرُ دون البَلْقَاء مِنْ أحَدِ ؟[3]

قال : وحسّان يبكي ، وابنُه يُومئُ إليهما أنْ زِيدَا ؛ فإذا زادتا بكى

١٥ حسّان ، فأعجبني ما يُعجبه مِنْ أن تُبكيا أباه ، وقد كُفَّ بَصَرُ حسّان ابن ثابت يومئذ .

أخبرنا وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الواقديّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال :

سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول : دُعينا إلى مأدبة في آل نَبيط ،

٢٠ قال خارجة : فحضَرْتها ، وحسّان بن ثابت قد حضرها ، فجلسْنا

---

(١) س ، ب «العرسان» . والعرسات : جمع عرس : طعام الوليمة ، ويجمع على أعراس أيضاً .

(٢) ديوانه ١١٠ .

(٣) جلق : اسم لكورة الغوطة ، أو هي دمشق نفسها أو قرية من قراها . والبلقاء من أعمال دمشق .

جميعاً على مائدةٍ واحدةٍ ، وهو يومئذ قد ذهب بصَرُه ، ومعه ابنُه عبد الرحمن ، فكان إذا أُتى طعام سأل ابنَه : أطعام يَدٍ أمْ يدين ؟ يعنى باليَدِ الثَّريد وباليدَيْنِ الشِّواء ، لأنه يُنْهش نَهْشا ، فإذا قال : طعام يدَيْن أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أُتوا بجاريتين : إحداهما رائقة والأخرى عزّة ، فجلستا وأخذتا مِزْهَرَيهما ، وضرَبَتا ضَرْباً عجيباً ، وغَنَّتا بقول حسّان :

انظر خَلِيلِى بباب جلّق هَلْ تُبْصِرُ دُونَ البَلْقاء من أحَدِ

فأسمع حسّانا يقول :

* قد أرانى بها[1] سَمِيعا بصيرا *

وعَيْنَاهُ تدمعان ، فإذا سكتتا سكت عنه البُكاء ، وإذا غنّتا بكى ، فكنتُ أرى ابنَه عبد الرحمن إذا سكتتا يُشير إليهما أن تغنّيا ، فيبكى أبوه ، فأقول : ما حاجتُه إلى إبكاء أبيه !

قال الواقدىّ : فحدَّثتُ بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفرىّ ، فقال : سمعتُ سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسّان يقول : لما انقلب حسّان مِنْ مَأدبة بنى نَبيط إلى منزله استلقى على فِراشه ، ووضع إحدَى رجليه على الأُخرى ، وقال : لقد أذكرتنى رائقة وصاحبتها أمْراً ما سَمِعَتْه أذُناى بُعَيْد ليالى جاهليتنا مع جبَلَة بن الأيْهم ! فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيان يكنَّ عند جبلة ؟ ، فتبسَّم ثم جلس ، فقال : لقد رأيتُ عشر قِيَان : خمس رُوميّات يغنِّين بالروميّة بالبرابط ، وخمس يُغَنِّين غناء أهْلِ الحِيرة ، وأهداهنّ إليه إياس بن قَبِيصة ، وكان يَفِد إليه مَنْ يُغَنِّيه من العرب مِن مكّة وغيرها ، وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآسُ والياسمين وأصنافُ الرياحين ، وضُرِب له العنْبَرُ والمسك فى صِحَافِ الفضة والذهب ، وأُتى بالمسك الصحيح فى صِحافِ الفضة ، وأوقد له العودُ المنَدَّى[2] إن كان

(١) المختار : « هناك » . (٢) فى بيروت : « الهدى »

شاتياً ، وإن كان صائفاً بُطِّن بالثَّلج ، وأُتى هو وأصحابه بكُساً صيفية يتفضّلُ هو وأصحابه بها فى الصيف ، وفى الشتاء الفِراء الفَنَك[1] ، وما أشبهه ، ولا والله ما جلستُ معه يوماً قطّ إلاّ خلع علىّ ثيابَه التى عليه فى ذلك اليوم ، وعلى غيرى من جلسائه ، هذا مع حِلْمٍ عمَّنْ جهل ، وضَحِكٍ وبَذْلٍ من غير مَسألة ، مع حُسن وَجْهٍ وحسن حديث ، ما رأيتُ منه خَنًى قطّ ولا عَرْبَدة ، ونحن يومئذ على الشِّرْك ، فجاء اللهُ بالإسلام فمحا به كلَّ كفرٍ ، وتركنا الخمرَ وما كرِه ، وأنتم اليومَ مسلمون تشربون هذا النبيذ من التَّمْر ، والفضيخ[2] من الزَّهر والرُّطب ، فلا يشرب أحَدُكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبتَه ويفارقها ، وتُضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون !

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، عن أبى أيوب المدينىّ ، عن مصعب الزبيرىّ ، عن الضحّاك ، عن عثمان بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد مثله ، وزاد فيه :

فلما فرغنا من الطعام ثَقُل علينا جلوس حسّان ، فأومأ ابنُه إلى عزَّة الميلاء فغنّت :

انْظُرْ خليلى بباب جِلَّق هَلْ تُبْصِرُ دونَ البَلْقاء مِنْ أحَدِ

فبكى حسّان حتى سَدِرَ[3] ، ثم قال : هذا عَمَلُ الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستى ، فقبّح اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم ، وقام فانصرف .

أخبرنى حرمىّ ، عن الزبير ، عن عمه مصعب ، قال :

ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه : أنه دُعِىَ إلى مأدبة فى زَمنِ عثمان ، ودُعى

---

(١) المختار : « بفراء الفنك » ، والفنك : جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

(٢) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ وإن غلبه الماء . (القاموس) .

(٣) سدر : أصابه شبه دوار وتحير .

حسّان ومعه ابنُه عبد الرحمن ، ثم ذكر نحوَ ما ذكره عمر بن شبّة عن الأصمعىّ فى الحديث الأول ، قال[١] :

نسبة هذا الصوت

انظرْ خليلى بباب جلّق هل ... تُؤنسُ دُونَ البَلْقاء مِنْ أحَدِ
أجمال شَعْثا إنْ هَبطْنَ من الْـ ... ـمَحْبس بَيْنَ الكُثْبانِ فالسَّنَدِ[٢]
يحمِلْن حُوراً[٣] حُورَ المدامع فى الرَّيْـ ... ـط وبيضَ الوُجُوهِ كالبَرَدِ
مِنْ دون بُصْرَى ودونَها جبل الثَّلْـ ... ـج عليه السَّحابُ كالفرَدِ[٤]
إنِّى وأيدى المخيَّساتِ وما ... يقْطعْنَ من كلِّ سَرْبَخ جَدَدِ[٥]
أهوَى حديثَ النُّدْمان فى فلَقِ الصُّبْحِ ... وصَوْتَ المُسامر الغَرِدِ
تَقُول شَعْثا بعد ما هبطت ... بِصَوْر حُسنى من احتدى بلَدِى[٦]
لا أخدِشُ الخَدْشَ بالجليس ولا ... يَخْشَى نديمى[٧] إذا انتشيتُ يَدِى

الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لعزّة الميلاء رمل بالبنصر ، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز ، وإلى عزّة الميلاء . وإلى الهذلىّ فى :

* تقول شَعْثاء بعد ما هبطت *

---

(١) ديوانه ١١٠ .

(٢) الديوان : « أحمال شعثاء قد هبطن » . الكثبان ، فى بيروت : العلبثان .

(٣) الديوان : « يحملن حوًّا » ، وحُوًّا ، يريد نساء حُوًّا ، والحوة : سمرة الشفة ، وشفة حواء ، تضرب إلى السواد . وحور المدامع ، يعنى حور العيون .

(٤) القرد ، بالتحريك : نفاية الصوف خاصة ، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . اللسان (قرد) . وفى الديوان وبيروت : « كالقدد » .

(٥) الديوان : « إنى ورب » . والمخيسات : الإبل المذللة . والسربخ : الأرض البعيدة . وقيل : هى المضلة التى لا يهتدى فيها لطريق .

(٦) فى بيروت : * قصور حسنى من آخذ بيدى * ورواية الديوان :

تقول شعثاء لو تفيق من الـ ... كأس لألفيت مثرى العدد

(٧) الديوان « ... بالنديم ... ولا يخشى جليسى » .

وما بعده من الأبيات ، ثقيل أول مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها لعبد الرحيم ثانى ثقيل بالوسطى عن عَمْرو .

نسب شعثاء التى شبب بها حسان ابن ثابت

وشَعْثاء هذه التى شبَّب بها حسّان — فيما ذكر الواقدىّ ومصعب الزبيرىّ — امرأةٌ من أسلم ، تزوَّجها حسّان ، وولدت منه بنتاً يقال لها أمّ فِراس تزوَّجها عبدُ الرحمن بن أم الحكم . وذكر أبو عَمرو الشيبانىّ مثل ما ذكره فى نَسَبها ، ووصف أنه خطبها إلى قوْمِها من أسلم فردُّوه ، فقال يهجوهم[1] :

لقد أتى عن بنى الجَرْباء قولُهمُ ودونهم قُفُّ جُمْدَانٍ فمَوْضُوعُ[2]
قد علمت أسلمُ الأرذالُ أنَّ لها جاراً سيقتُلُه فى دارِه الجوعُ
وأنْ سيمنَعُهم مما نوَوْا حَسَبٌ ـ لن يبلغ المجدَ والعلياءَ ـ مقطوعُ
وقد عَلَوْا ـ زَعَموا ـ عنّى بأختهمُ وفى الذُّرا حَسبى[3] والمَجْدُ مرفوعُ
ويلُ أمّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به إذا تجلَّلها النَّعْظُ الأفاقيع[4]
كأنه فى صَلاَها[5] وهى بارِكةٌ ذِرَاعُ بَكْرٍ مِن النيَّاط مَنْزُوع[6]

١٦ / ١٧

أخبرنى حرمىّ ، عن الزبير ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أبى القاسم بن أبى الزناد ، عن أخيه عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال :

---

١٥ (١) ديوانه ٢٦٧ .
(٢) الديوان : «ودونهم دف جمدان» وجمدان وموضوع : مكانان ، وفى س و بيروت «حمدان» .
(٣) الديوان : « قد رغبوا رعموا ... وفى الذرى نسبى » ...
(٤) النعظ : قيام الذكر وانتشاره ، والمراد به الذكر نفسه . والأفاقيع : الذى ينفقع وتسمع له صوتاً .
٢٠ (٥) الصلا : وسط الظهر .
(٦) فى الديوان : * ذراع آدم من نطاه منزوع * . .
من نطاه ، أى من عقبة نطاه . والعقبة : الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه . ونطاه : بعيدة .

شعثاء هذه بنت عمرو ، من بنى ماسكة مِنْ يَهُود ، وكانت مساكن بنى ماسكة بناحية القُفّ ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التى تلى بيت الدِّراسَةِ للتوراة ، وكان ذا قَدْرٍ فيهم ، فقال حسّان يذكر ذلك :

من شعر حسان فى شعثاء

هل فى تَصابِى الكريم مِنْ فَنَدِ أم هل لمدَى الأيام مِنْ نَفَدِ[١]
تقول شَعْثاء : لو أفقتَ[٢] عن الكا س لأُلفِيتَ مُثرِىَ العَدَدِ ٥
يَأْبَى لى السيفُ واللسانُ وقومٌ لم يُضاموا كلِبْدَة الأسدِ

وذكر باقى الأبيات التى فيها الغناء .

ومما قاله حسّان بن ثابت فى شعثاء ، وغُنِّى به قوله[٣] :

ما هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ومظعَنُ الحىّ ومبنى الخِيامْ
والنُّؤْىُ قد هدّم أعضادَهُ تقادُمُ العَهْدِ بوادى تِهامْ ١٠
قد أدرك الواشون ما حاوَلُوا والحَبْلُ من شَعْثاءَ رَثٌّ رِمام[٤]
جِنِّيَّةٌ أرّقنى طَيْفُها يذهبُ صُبْحاً ويُرَى[٥] فى المنام
هل هِى إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ مألَفُها السِّدْر بنعفَىْ بَرَام[٦]
تَرعى[٧] غزالا فاتِراً طَرْفُهُ مُقارِبَ الخطْوِ ضعيف البُغامْ

(١) نفد ، كسمع ، نفاداً ونفداً : فنى . وهذا البيت لم يرد فى ديوانه . ١٥
(٢) الديوان : « لوتفيق ... » .
(٣) ديوانه ٣٨٠ .
(٤) فى الديوان : « رث الزمام » .
(٥) فى الديوان : ... تذهب ... وترى .
(٦) برام : جبل من حرة سليم قرب المدينة . ونعفاه : جانباه . وفى ا و س : «بنعف رام» . ٢٠
(٧) فى الديوان : « تزجى » .

كأنّ فاهَا ثغبٌ باردٌ في رَصَف تحتَ ظلالِ الغَمام[(١)]

شُجَّ بِصَهْباء لها سَوْرَةٌ[(٢)] من بنت كَرْمٍ[(٣)] عُتِّقَتْ في الخِيام

تدبّ في الكأس دَبيباً كما[(٤)] دبّ دَبًى وسْطَ رِقاقٍ هُيام[(٥)]

مِنْ خَمْرِ بَيْسان تخيَّرْتُها دِرْياقةً توشِكُ فَتْرَ العظام[(٦)]

٥ يَسْعَى بها أحمرُ ذو بُرْنُسٍ مُخْتلَقَ الذِّفْرَى شَديدُ الحِزام[(٧)]

يقول فيها[(٨)] :

قَوْمِي بنو النّجّار إذْ أقبلَت شَهْباء تَرْمِي أهلَها بالقَتامْ

لا تخذل الجارَ ولا تُسلم المَوْلَى ولا تُخْصَمُ يَوْمَ الخِصامْ

الشعر لحسّان ، والغِناء لمعبد ، خفيف رَمَل بإطلاق الوتر في مَجْرَى الوسطى

١٠ في البيت الأول من الأبيات ، والرابع والتاسع والحادي عشر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً لابن سُرَيج من الرمل بالوسطى .

وهذه الأبيات يقولها حسّان في حَرْبٍ كانت بينهم[(٩)] وبين الأوس ، تُعرَف بحرب مُزاحم ، وهو حِصْن من حُصونهم .

أخبرني بخبره حرميّ عن الزُّبير ، عن عمه مصعب ، قال :

---

١٥ (١) الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . والرصف : الحجارة المتراصفة الدانية .

(٢) الديوان : « شجت » ، وشجت : مزجت .

(٣) الديوان : « من بيت رأس » . وبيت رأس : قرية بالأردن .

(٤) في الديوان : « تدب في الجسم » .

٢٠ (٥) الدبى : أصغر النمل .

(٦) الديوان : « ترياقة تسرع » .

(٧) الديوان : «مختلق الذفرى» ، أي فيهما الخلوق . الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .

(٨) ديوانه ٣٨٢ . (٩) أي بين الخزرج الذين هم قوم حسان وبين الأوس .

شعر لحسان فى حرب بين الأوس والخزرج

جمعت الأوْسُ وحشدت بأحلافها ، ورأَّسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ ، فسار بهم حتى كان قريباً من مُزاحم . وبلغ ذلك الخزرج ، فخرجوا يومئذ وعليهم سَعْدُ بن عبادة ؛ وذلك أنَّ عبد الله بن أُبَىّ كان مَرِيضاً أو متمارضا ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وقُتلت بينهم قتلى كثيرة ، وكان الطَّوْل[1] يومئذ للأوس ؛ فقال حسّان فى ذلك : ٥

ما هاج حسّانَ رسومُ المقامْ ومَظْعَنُ الحىّ ومَبْنَى الخِيامْ

وذكر الأبياتَ كلها .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن القاسم بن الحسن ، عن محمد ابن سعد ، عن الواقدىّ ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبىّ ، قال : ١٦/١٨

قال رجلٌ من أهل المدينة : ما ذكر بيت حسّان بن ثابت[2] : ١٠

أهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ فى فَلَقِ الصُّبح وصَوْتَ المُسَامِرِ الغَرِدِ

إلاَّ عُدْتُ فى الفتوّة كما كنت . قال : وهذا البيت من قصيدته التى يقول فيها :

انظر خليلى بباب جلّق هل تُؤْنِسُ دونَ البَلْقاء مِنْ أَحَدِ

وقد رُوِى أيضاً فى هذا الخبر غَيْرُ الروايتين اللتين ذكرتهما . ١٥

أخبرنى بذلك حرمىّ ، عن ابن الزبير ، عن وَهْب بن جرير ، عن جُوَيْرِية ابن أسماء ، عن عبد الوهاب بن يحيى ، عن عباد بن عَبْد الله بن الزبير ، عن شيخ من قريش ، قال :

عبد الرحمن بن حسان يحتال لإبعاد أبيه عن مجلس أصحابه

إنى وفتية من قريش عند قَيْنَةٍ من قِيَان المدينة ، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسّان ، فكرِهْنا دخولَه ، وشقّ ذلك علينا ؛ ٢٠

---

(١) الطول هنا : الفوز والغلبة . (٢) ديوانه ١١٢ .

فقال لنا عبد الرحمن : أيسرُّكم ألاّ يجلس ؟ قلنا : نعم . قال : فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّى :

أولادُ جَفْنَةَ عند قَبْرِ أبيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِيةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسأَلُون عن السَّوَادِ المقبلِ

٥ قال : فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نَفْسُه ، ثم قال : أفيكم الفاسق؟ لعَمْرِى لقد كرهتم مجلسى سائرَ اليوم ، وقام فانصرف . والله تعالى أعلم .

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنّى فيه من القصيدة[1] التى هو منها .

صـــوت

أولادُ جَفْنَةَ عند قَبْرِ أبيهِمُ ... قبرِ ابْنِ مارِيةَ الجوادِ المُفْضِلِ
١٠ يَسقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ ... كأْساً تصفَّق بالرحيق السَّلْسَلِ[2]

البريص : موضع بدمشق .

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ
يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ

ذكر حبَش أن فيه لسيرين[3] قينةِ حسّان بن ثابت لحناً ثقيلا أول ١٥ ابتداؤه نشيد[4] ، وفيه لعَرِيب ثقيل أول لا يشكّ فيه .

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله[5] :

(١) ديوانه ٣٠٩ .
(٢) البريص : نهر فى دمشق . والبيت فى اللسان (برص) .
(٣) ا : « لشيرين » .
٢٠ (٤) ا : « ينشد » .
(٥) ديوانه ٣١٢ .

صـــوت

كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِير فعَاطِنى بزُجاجةٍ أرْخاهُما للمِفْصَلِ(١)
بزُجَاجةٍ رقصتْ بمـا فى قَعْرِها رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجِلِ

غنّاه إبراهيم الموصلىّ رَمَلا مطلقاً فى مَجْرى الوسطى ، عن إسحاق وعمرو وغيرهما ، ويروى : « كلتاهما حَلبَ العصيرُ » ، بجعل الفعل للعصير . ويروى للمِفْصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد ، وللمَفْصِل ، بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو اللسان .

أخبرنا بذلك علىّ بن سليمان الأخفش ، عن المبرد ، حكايةً عن أصحابه ، عن الأصمعىّ .

رجع الحديث إلى أخبار عزّة الميلاء

قال إسحاق : حدثنى مصعب الزبيرىّ ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن أبى مُليكة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال :

١٦/١٩

عبد الله بن جعفر وناسك بالمدينة

كان بالمدينة رجُلٌ ناسك من أهل العلم والفِقه ، وكان يَغْشى عَبْدَ الله بن جعفر ، فسمِع جاريةً مغنّيةً لبعض النخّاسين تغنى :

* بانَتْ سُعَادُ وأَمسى حَبْلُها انقَطَعَا *(٢)

فاستهتر(٣) بها وهامَ ، وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء(٤) وطاووس فلاماهُ ، فكان جوابُه لهما أنْ تمثّل بقول الشاعر :

(١) حاشية ا : « وقبله » :
إن التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
وكلتا هما ، أى التى قتلت — أى مزجت — والتى لم تقتل ، أى لم تمزج .

(٢) ديوان الأعشى ١٠١ والبلدان (فرع) . وتمامه :
* واحتلت الغـور فالجدين فالفرعـا *

(٣) استهتر بها : شغف وأولع بها .

(٤) عطاء وطاووس : كلاهما من أعلام التابعين . وانظر ترجمتهما فى ابن خلكان .

يلومُنى فيكِ أقوامٌ أجالسُهم فما أُبالِى أطارَ اللَّوْمُ أمْ[1] وَقَعَا

وبلغ عبدَ الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخّاس ، فاعترض[2] الجارية ، وسمع غناءها بهذا الصوت ، وقال لها : ممَّنْ أَخَذْتِه ؟ قالت : مِنْ عزَّة الميلاء . فابتاعَها بأربعين ألف درهم ، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خَبَره ، فأعلمه إياه وصدقه عنه ، فقال له : أتُحبُّ أنْ تسمعَ هذا الصوتَ ممن أخَذْته عنه تلك الجارية ؟ قال : نعم ، فدعا بعزّة وقال لها : غَنِّيه إياه ، فغنَّته ، فصُعِقَ الرجل ، وخَرَّ مغشيًّا عليه . فقال ابنُ جعفر : أثِمْنَا فيه ، الماء ، الماء ! فنضح على وجْهه ، فلما أفاق قال له : أ كلُّ هذا بلغ بك عِشْقُها ؟ قال : وما خَفِى عنك أكثر . قال : أفتحبُّ أنْ تسمعَه مِنْها ؟ قال : قد رأيتَ ما نالنى حين سمعتُه من غيرِها ، وأنا لا أُحبُّها ، فكيف يكونُ حالى إن سمعتُه منها ، وأنا لا أقدر على مِلْكها ! قال: أفتعرِفُها إن رأَيْتَهَا ؟ قال : أوَ أعرف غَيْرَها ! فأمر بها فأُخرجت ، وقال : خذها فهى لك ، والله ما نظرتُ إليها إلا عن عُرُض . فقبّل الرجل يَدَيْه ورجليه ، وقال : أنمْتَ عينى ، وأحْيَيْتَ نَفْسى ، وتركتنى أعِيشُ بين قومى ، ورددت إلىّ عقلى ، ودعا له دعاء كثيرا . فقال : ما أرضى أنْ أُعطيكها هكذا ، يا غلام احمل معها مِثْلَ ثمنها لكيلا تَهتمّ به ويهتمّ بها .

(١) ا : « أو » .
(٢) اعترض الجارية : طلب أن تمرّ أمامه ليراها عن قرب .

نسبة هذا الصوت

صــوت

بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها انقطعَا   واحتلّت الغَوْر فالجدّين فالفَرَعا[1]

وأنكرتْنِى وما كان الذى نَكِرَتْ   من الحوادثِ إلاّ الشّيبَ والصّلَعا

عروضه من البسيط ، والشعر للأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة . ٥

الأصمعى ينحل الأعشى بيتاً من الشعر

وزعم الأصمعىّ أن البيت الثانى هو صَنَعَه ونحله الأعشى .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، عن عمه ، عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ ، عن عمه ، قال :

ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يَقُلْه إلاّ بيتاً واحداً نحلته الأعشى ، وهو : ١٠

وأنكرَتْنِى وما كان الذى نكِرَتْ   من الحوادث إلا الشّيْبَ والصّلَعا

الغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ؛ وذكر عَمْرو بن بانة أنه لمعبد ، وأنكر إسحاق ذلك ودفَعَه ، وفيه للغَرِيض ثقيل أول بالبنصر ، وقيل: إنه لجميلة .

قال إسحاق : وحدثنى ابنُ سلّام ، عن ابن جعدُبَة ، قال : ١٥

عبد الله بن جعفر يطلب من أمير المدينة ألا يمنع عزة من الغناء

كان ابنُ أبى عتيق مُعْجَباً بعزّة الميلاء ، فأتى يوما عند عَبْد الله بن جعفر ، فقال له : بأبى أنت وأمى! هل لك فى عزّة ، فقد اشتقْتُ إليها ! قال: لا، أنا اليوم مشغول . فقال : بأبى أنتَ وأمى ! إنها لا تنشط إلاّ بحضورك ، فأقسمتُ عليكَ إلاّ ساعدتَنى وتركْتَ شغلك ، ففعل ، فأتياها ورسولُ الأمير على

(١) ديوان الأعشى ١٠١ . ٢٠

١٦/٢٠

بابها يقول لها : دَعِى الغناء ، فقد ضجَّ أهلُ المدينة منك ، وذكروا أنك قد فتنْتِ رجالَهم ونساءَهم . فقال له ابنُ جعفر : ارجع إلى صاحِبك فقل له عنّى : أُقسم عليك إلاّ ناديتَ فى المدينة : أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتِنت بسببِ عزَّة إلاّ كشف نفسه بذلك لنَعْرِفَه ، ويظهَرَ لنا ولكَ أمْرُه . فنادى الرسولُ بذلك ، فما أظهر أحدٌ نفسه . ودخل ابنُ جعفر إليها وابن أبى عتيقٍ معه ، فقال لها : لا يهولَنّك ما سمْعتِ ، وهاتِى فغَنِّينا ، فغنّته بشعر القُطامىّ[1] :

إنّا محيُّوك فاسْلَمْ أيُّهــا الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ ، وإن طالتْ بك الطِّيَلُ

فاهتزّ ابنُ أبى عَتيق طرَبًا ، فقال عَبْدُالله بن جعفر : ما أرانى أُدرِك ركابك بعد أنْ سمعتَ هذا الصوت من عزّة .

وقد مضتْ نِسبةُ ما فى هذه الأخبار من الأغانى فى مواضعَ أخر .

(١) الجمهرة ٨٠٢ .

صـوت

مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ فليَأْتِ نسوتَنا بوَجْهِ نَهارِ
يَجِدِ النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَهُ قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأسحارِ

عروضه من الكامل . قوله :

* قد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار *

يعنى أنّهن يَنْدُبْنَه فى ذلك الوقت ؛ وإنما خصَّه بالندبة لأنه وَقْتُ الغَارة . يقول : فهنّ يذكُرْنَه حينئذ ؛ لأنه كان من الأوقات التى ينهضُ فيها للحرب والغاراتِ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فالمُغيرات صُبْحا ﴾ [1] . وأما قول الخنساء[2] :

يذكِّرُنى طلوعُ الشمسِ صَخْرًا وأذكرُه لكلِّ غُرُوبِ شمسِ

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة ، وعند غروبها للضيف .

الشعر للربيع بن زياد العَبْسىّ ، والغناء لابْنِ سُرَيج ، رمَل بالخنصر فى مَجْرَى البنصر ، عن إسحاق . والله أعلم .

(١) الآية ٣ سورة العاديات .
(٢) ديوانها ٥٠ .

ذكر نسب الربيع بن زياد

وبعض أخباره ، وقصة هذا الشعر ، والسبب الذى قُتل من أجله

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفْيَان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ ابن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

وأُمُّه فاطمة بنت الْخُرشُب ، واسم الخرشب عَمْرو بن النضر بن حارثة ابن طريف بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ، وهى إحدى المنجبات ، كان يُقال لبَنِيها الكَمَلَة ، وهم : الرَّبيع ، وعُمارة ، وأنس .

أمه إحدى المنجبات

ولما سأل معاويةُ علماء العرب عن البيوتات والمنجبات ، وحظر عليهم أنْ يتجاوزوا فى البيوتات ثلاثة ، وفى المنجبات ثلاثا ، عَدُّوا فاطمةَ بنت الخرشب فيمن عدُّوا ، وقبلها حُبَيَّة[1] بنت رياح الغنويّة أم الأحوص وخالد ومالك وربيعة بنى جعفر بن كلاب ، وماويّة بنت عبد مناة بن مالك بن زيد ابن عبد الله بن دارِم بن عَمْرو بن تميم ، وهى أُمُّ لَقيط وحاجب وعلقمة بنى زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم .

أخبرنى محمدُ بن جعفر النحوىّ صهرُ المبرد ، قال : حدثنى محمد بن موسى اليزيدىّ ، قال : حدثنى محمد بن صالح بن النطّاح ، واللفظُ له ، وخَبَره أتمّ ، وأخبرنى به أبو الحسن الأَسَدِىّ ، قال : حدّثنا محمد بن صالح بن النطاح ، قال : ولدت فاطمةُ بنت الْخُرْشب مِنْ زياد بن عَبد الله العَبْسىّ سبعة ؛ فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خِيارهم .

١٦/٢١

(١) فى المختار : « جنة » .

قال محمد بن موسى : قال محمد بن صالح : وحدثنى موسى بن طلحة ، والوليد بن هشام القَحْذَمِىّ بمِثْلِ ذلك ، قال :

فنهم : الربيع ويقال له الكامِل، وعُمارة وهو الوهّاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة ، وقيس وهو البرد ، والحارث وهو الحَرُون ، ومالك وهو لاحق ، وعمرو وهو الدرّاك . ٥

قال محمد بن موسى : قال ابن النطاح : وحدثنى أبو عثمان العمرىّ[١] :

سئلت أمه عن بنيها فلم تدر أيهم أفضل

أنّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الْخُرْشب وهى تطوفُ بالكَعْبة فقال لها: نشدتك بِرَبّ هذه البَنِيَّة، أىُّ بَنيك أفضل؟ قالت : الربيع، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، ثكلتُهم إنْ كنتُ أدْرِى أيّهم أفضل .

قال ابن النطاح : وحدثنى أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص العُجَيْفِىّ ، قال : ١٠ حدثنى أبو الخنساء ، قال :

سُئلتْ فاطمةُ عن بَنِيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، لا بل قيس ، وعَيْشِى ما أدرى ، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعا ، ولا وَلدته يَتْنا ، ولا أرْضَعْتُهُ غَيْلا ، ولا منعته قَيْلا ، ولا أبتّه على ماقَة[٢] . ١٥

قال أبو اليقظان :

أما قولها ماحملتُ واحداً منهم تُضْعاً ، فتقول: لم أحمله فى دُبُر الطّهر وقبلْ الحيض . وقولها: ولا وَلَدْتُه يَتْنًا، وهو أن تخرج رِجْلاه قبل رأسه. ولا أرضعته

(١) ا : « اليقطرى » .

(٢) هامش ا : «هذا الخبر روى عن أم تأبط شرا، ذكره ابن السكيت» .وانظر اللسان — (وضع) و (يتن) . ٢٠

غَيْلا ، أى ما أرضعتُه قبل أنْ أحلُب ثَدْيِى . ولا منعتُه قَيْلا ، أى لم أمنعه اللبنَ عند القائلة . ولا ابتُّه على ماقة ، أى وهو يَبْكِى .

قال ابن النطاح : وحدثنى أبو اليقظان، قال : حدثنى أبو صالح الأسَدىُّ قال: سُئِلَتْ فاطمة بنت الخرشب عن بنيها ، فوصفَتْهم ، وقالت فى عُمارة :

أمه تصفه وتصف إخوته

٥ لا ينامُ ليلةَ يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . وقالت فى الربيع : لا تُعَدُّ مآثِرُه ولا تُخشَى فى الجهل بوادِرُه . وقالت فى أنس : إذا عزم أمْضَى ، وإذا سُئل أرضَى ، وإذا قَدَر أغضَى . وقالت فى الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان .

وقال ابن النطاح : وحدثنى القحذمىّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى ابن عيّاش(١) ، عن رجل من بنى عَبس ، قال :

حكمه وبعد نظره

١٠ ضاف فاطمةَ ضيفٌ ، فطرحَتْ عليه شَمْلَةً من خزّ وهى مِسْكٌ كما هى ، (فلما وجد رائحتَها وأعْتَم دنا منها ، فصاحَتْ به ، فـكفَّ عنها ، ثم إنه تحرك أيضا فأرادها عن نفسها)(٢) ، فصاحت ، فـكفَّ ، ثم إنه لم يصبر فواثَبها فبطشَتْ به ، فإذا هى من أشدِّ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحتْ : يا قَيْس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادنى عن نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال :

١٥ أخِى أكبرُ منى ، فعليكِ به ، فنادت : يا أنس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادنى عن نفسى فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخى أكبر منى فسَليه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرَتْ ذلك له ، فقال لها : السيف ، وأراد قتله ، فقالت له : يا بنىّ ، لو دعَوْنا أخاك فهو أكبرُ منك ، فدعَت الربيعَ ، فذكرت ذلك له ، فقال : أفتطيعونى يا بَنى زياد ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تُزَنّوا أُمَّكم ، ولا تقتلوا

٢٠ ضَيْفَكم ، وخَلُّوه يذهب ، فذهب .

---

(١) ا : « ابن عباس » .

(٢) ما بين القوسين ليس فى ا ، وبدله . « فلما أعتم دنا منها » .

شعر قيل في مدحه ومدح إخوته

قال ابن النطّاح : وقال بعضُ الشعراء يمدحُ بنى زياد مِن فاطمة ، يقال إنه قيس بن زهير ، ويقال حاتم طيّء : (١)

بنو جِنِّيَّةٍ ولدَتْ سيوفاً قواطعَ كلُّهم ذكرٌ صَنيعُ
وجارتُهم حَصانٌ لم تُزَنَّى وطاعمة الشتاء فما تجوعُ
شرى وُدِّى(٢) ومكرمتى جميعا طَوالَ زمانه منى الربيعُ ٥

١٦/٢٢

وقال سلَمة بن الخُرشُب خالهم فيهم يخاطبُ قوماً منهم أرادوا حَرْبه :

أتيتُم إلينا تَرْجُفُون(٣) جماعةً فأيْن أبو قيس وأين ربيعُ !
وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خاله وأعمامه الأعمام وهو نَزِيع(٤)
رَفيقٌ بداءِ الحرب طَبٌّ بصعْبِها(٥) إذا شتَّ رأىُ القومِ فهو جَميعُ
عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا أصمُّ عن العَوْراء وهو سَميعُ ١٠

وقال رجل من طيء ، ويقال له الربيع بن عمارة :

فإن تكن الحوادثُ أقْطَعَتْنِي(٦) فلم أرَ هالكاً كابنَىْ زيادِ
هما رُمحان خَطِّيَّانِ كانَا من السُّمْرِ المثقَّفةِ الجِيادِ
تَهاب الأرض أنْ يَطأَ عليها بمثلهما تُسالمُ أو تُعادِي

وقال الأثرم : حدثنى أبو عمرو الشيبانىّ ، قال : ١٥

أمه تقتل نفسها خوفاً من العار

أغار حَمَلُ بن بَدْر أخو حذيفة بن بَدْر الفَزَارىّ على بنى عَبْس ، فظفر

(١) الأبيات فى ديوان حاتم ص ١٧ مع اختلاف يسير .
(٢) ا : « سرى ودى » . والمثبت من ج .
(٣) ترجفون : متهيئين للحرب ، وفى ا « تزحفون » .
(٤) فى ب ، س ، أ : « بزيغ » وهو : الظريف . وما أثبتاه عن ج ويقتضيه المقام . ٢٠
(٥) ا . « بصقعها » .
(٦) المختار . قطعنى .

بفاطمة بنت الخُرشب أُمّ الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جَمَل لها ، فقادها بجَملها، فقالت له : أىْ رجل[1]، ضلّ حِلْمُك ! والله لئن أخذتنى فصارت هذه الأكمة بى وبك التى أمامَنا وراءنا[2] لا يكون بينكَ وبين بنى زياد صُلح أبداً ؛ لأن الناسَ يقولون فى هذه الحال ما شاءوه ، وحَسْبُكَ من شرٍّ سَماعُه .

٥ قال : فإنى أذهبُ بك حتى ترعَىْ علىَّ إبلى . فلما أيقنَتْ أنه ذاهبٌ بها رَمَتْ بنفسها على رَأْسها من البعير ، فماتَتْ خوفاً من أنْ يلحقَ بَنيها عارٌ فيها .

وحدثنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنى عَمّى عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابىّ ، قال :

لبيد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان

وفد أبو بَراء مُلاعِب الأسنّة ـ وهو عامِرُ بن مالك بن جعفر بن كلاب ـ

١٠ وإخوته طُفيل ومعاوية وعبيدة ، ومعهم لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وهو غلام ، على النعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسىّ ، وكان[3] الربيع يُنادِم النعمانَ مع رجلٍ من أهل الشام تاجر، يقال له: سرجون[4] ابن توفل ، وكان حَرِيفاً للنعمان ـ يعنى سرجون ـ يبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة، فاستخفَّه النعمان ، وكان إذا أراد أنْ يَخْلُو على شرابه بعث إليه

١٥ وإلى النطاسىّ ـ متطبِّب كان له ـ وإلى الربيع بن زياد ، وكان يُدْعَى الكامِل .

فلما قدم الجعفريّون كانوا يحضرون النعمانَ لحاجتهم ، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معَايِبَهم ، ففعل ذلك بهم مِراراً ، وكانت بنو جعفر له أعداء ، فصدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأوْا منه تغيُّراً وجفاء ، وقد كان

(١) ا ، م : « أى حمل » . (٢) ا : « وصارت وراءنا » .

٢٠ (٣) فى ا ، م بدلا من الأخبار التى تبدأ بقوله « وكان الربيع إلى قوله فى صفحة ١٨٧ : « وأما الشعر الذى فيه الغناء» قوله . قال أبو الفرج : قد ذكرت هذا القول مستقصى فى أخبار لبيد فلا فائدة فى ذكره هاهنا .

(٤) ب ، س . سرحون ، بالحاء المهملة ، وما أثبتناه من ح ؛ وفى أخبار لبيد ح/١٥ : ٢٦٣ من الأغانى « طبع دار الكتب » . « زرجون بن نوفل » .

يكرمهم قبل ذلك ويُقَرِّبُ مجلسهم، فخرجوا من عنده غِضابا، ولَبيد فى رحالهم يحفظ أمتِعَتَهم، ويغدو بإبلهم كلَّ صباح، فيرْعاها، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألْفاهم يتذاكرون أمْرَ الربيع، وما يلقَوْن منه؛ فسألهم فكتموه، فقال لهم: والله لا أحفظُ لكم متاعاً، ولا أسرِّح لكم بَعيراً أو تخبرونى.

وكانت أمُّ لبيد امرأةً من بنى عَبْس، وكانت يتيمة فى حِجْر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصدَّ عنَّا وَجْهه، فقال لهم لبيد: هل تقدرون على أنْ تجمَعُوا بينه وبينى فأزجره عنكم بقولٍ مُمِضّ، ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبدا. فقالوا: وهل عندك من ذلك شىء؟ قال: نعم. قالوا: فإنا نبلوك بَشتْم هذه البَقْلةِ ــ لِبَقْلَةٍ قُدّامهم دقيقةِ القُضْبَان قليلةِ الورق لاصقةٍ فروعها بالأرض، تدعى التَّرِبة[1] ــ فقال: هذه التَّرِبَة التى لا تُذْكى ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسرُّ جاراً، عودُها ضَئيل، وفَرْعُها كَليل، وخَيْرُها قليل، بلدُها شاسِعٌ، ونَبْتُها خاشع، وآكلها جائع، والمقيمُ عليها ضائع، أقصر البقولِ فَرْعا، وأخبثها مرعى، وأشدّها قلعاً، فتَعْساً لها وجَدْعا، القَوْا بى أخا بنى عَبْس، أرجعه عنكم بتَعْس ونَكْس، وأتركه من أمره فى لَبْس.

فقالوا: نصبح فنرى فيك رَأْيَنا. فقال لهم عامر: انظروا غُلاَمكم؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشىء، وإنما يتكلم بما جاء على لسانه، ويَهْذى بما يهجس فى خاطره، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم. فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رَحْلا، فهو يَكْدُم بأوسطه حتى أصبح.

فلما أصبحوا قالوا: أنت والله صاحبُنا، فحلقوا رأسه، وتركوا

(١) التربة: نبت سهلى مفرّض الورق، وقيل: هى شجرة شاكة، وثمرتها كأنها بسرة معلقة، منبتها السهل والحزن وتهامة. اللسان (ترب).

ذُؤَابتين ، وألبسوه حُلَّةً ، ثم غَدَوْا به معهم على النعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الرّبيع وهما يأكلان ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءةٌ من الوفود .

فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه ، وقد كان تقارب أمرهم ، فذكروا للنعمان الذى قدموا له مِن حاجتهم ، فاعترض الربيع فى كلامهم ، فقام لبيد يرتجز ، ويقول[1] :

يا رُبَّ هَيْجاَ هى خَيرٌ من دَعَهْ ... أكُلَّ يوم هامَتِى مقزَّعهْ[2]

نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأربعهْ[3] ... ومِنْ خيارِ عامرِ بْنِ صَعْصَعَهْ[4]

المطعمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعهْ ... والضاربون الهامَ تحت الخَيْضَعه[5]

يا وَاهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعهْ ... إليكَ جاوَزْنَا بلاداً مُسْبِعَهْ

يخبر[6] عن هذا خبيرٌ فاسْمَعَهْ ... مَهْلاً أبيتَ اللَّعْنَ لا تَأْكُلْ معهْ

إنّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وإنه يُدْخِلُ فيها إصبعهْ[7]

يُدْخِلُها حتى يُوارِى أشْجَعَهْ ... كأنما يطلب شيئاً أطمعهْ[8]

فلما فرغ من إنشاده التفت النعمانُ إلى الربيع شزراً يرمقُه ، فقال :

(١) ديوان لبيد ٣٤٠ – والخزانة ٤ : ٨ .

(٢) القزع : تساقط الشعر والصوف وبقاء بعضه .

(٣) أم البنين ، هى ليلى بنت عامر . قال المرتضى : هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة ؛ وكانت تحت مالك بن جعفر ، فولدت له عامر بن مالك ، وطفيل بن مالك ، وربيعة بن مالك ، ومعاوية بن مالك .

(٤) فى الديوان : ونحن خير عامر بن صعصعة

(٥) المدعدعة . المملوءة . الخيضعة البيضة التى تلبس على الرأس . والخيضعة أيضاً : اختلاط الأصوات فى الحرب .

(٦) فى الديوان : يخبرك .

(٧) الملمع : الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه .

(٨) فى الديوان « شيئا ضيعه » والأشجع . واحد الأشاجع وهى أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف

أ كذا أنت ؟ قال : لا ، والله ، لقد كذب علىّ ابن الحَمِق اللئيم . فقال النعمان : أفّ لهذا الغلام ، لقد خبّث علىّ طعامى . فقال : أَبَيْتَ اللعن ، أما إنى لقد فعلت بأُمّه . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أهل ، وهى من نساء غير فُعُل[1]، وأنتَ المرْء فَعَلَ هذا بيتيمة فى حجره .

فأمر النعمان ببنى جعفر فأُخرجوا . وقام الرَّبيع فانصرف إلى منزله ، فبعث إليه النعمانُ بضِعْف ما كان يَحْبُوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله .

وكتب إليه الربيع : إنى قد تخوَّفتُ أن يكونَ قد وَقَر فى صَدْرِك ما قاله لَبِيد ، ولستُ برائمٍ حتى تبعث مَنْ يجرِّدُنى فيعلم مَنْ حضرك من الناس أنّى لستُ كما قال . فأرسل إليه : إنك لستَ صانعاً بانتفائك ممَّا قال لبيد شيئا ، ولا قادراً على ما زلّت به الألسن ، فالحق بأهلك . فقال الربيع[2] :

لئن رحلت جِمالى إنَّ لى[3] سعةً ... ما مِثْلُها سَعَة عَرْضاً ولا طُولاَ
بحيْثُ لو وُزِنت لَخْمٌ بأجمعها ... لم يَعْدِلُوا ريشة من رِيش سَمْوِيلا[4]
تَرْعَى الرَّوَائمُ أحرارَ البقُولِ بها ... لا مِثْلَ رَعْيكم مِلْحاً وغَسْوِيلا[5]
فابرُقْ بأرضك يا نَعمان متّكِئاً ... مع النطاسىّ يوماً وابن توفيلا

فكتب إليه النعمان[6] :

شَرِّدْ برَحْلك عنى حيثُ شئتَ ولا ... تُكثِرْ علىّ ودَعْ عنك الأباطيلا

(١) أى غير فاعلات المنكر.
(٢) الأبيات الثلاثة الأول فى اللسان (سمل) ، وهى أيضا فى الخزانة ٢ : ٧٩ .
(٣) اللسان : « لا إلى سعة » .
(٤) س والخزانة « سمويلا » بالسين ؛ وسمويل : طائر ، وقيل : بلدة كثيرة الطير. وفى بيروت : شمويلا ، بالشين المعجمة .
(٥) الغسويل : نبت ينبت فى السباخ .
(٦) الأبيات فى الخزانه ٤ : ٧ ، والكتاب ١ : ١٣١ .

فقد ذُكِرتَ به والركبُ حامِلُه وِرْداً يُعلِّل أهلَ الشام والنِّيلا[١]

فما انتفاؤُك مِنْهُ بعد ما جزَعت هُوجُ المطىّ به إبْرَاقَ شِمْلِيلا[٢]

قد قِيل ذلك إنْ حقًّا وإنْ كذبا فما اعتذارُك من شىء إذا قِيلا

فالحقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعة وانشرْ بها الطَّرْفَ إنْ عرضاً وإنْ طولا

٥ وأما الشعر الذى فيه الغناء فانّ الربيع بن زياد يقوله[٣] فى مقتل مالك بن زهير . وكان قتلُه فى بعض تلك الوقائع التى يُعرفُ مبدؤها بداحِس والغَبْرَاء . داحس والغبراء

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب فى ذلك ، فيما أخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش ، ومحمد بن العباس اليزيدىّ ، قالا : حدثنا أبو سعيد السكرىّ ، عن محمد بن حَبِيب وأبى
١٠ غسان دماذ ، عن أبى عبيدة ، وإبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، قال :

كان من حديث داحِس أنَّ أُمَّهُ فرس كانت لِقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبيدبن ثَعْلَبة بن يَرْبُوع يقال لها: جَلْوَى، وكان أبوه يسمى ذا العُقَّال، وكان لحوْط بن أبى جابر بن أوس بن حِميرىّ بن رياح ؛ وإنما سُمّى داحِساً لأنّ بنى يربوع احتملوا ذات يوم سائرين فى نُجعة ، وكان ذو العُقَّال مع ابنتَىْ
١٥ حَوْط بن أبى جابر بن أوس تجنُبانه ، فمرّتا به على جَلْوَى فرس قرواش وديقا[٤] ؛ فلما رآها الفرس وَدَى وصَهَل ، فضحك شُبّان من الحى رأَوْه ،

(١) فى الخزانة :

فقد رميت بداء لست غاسله ما جاور السيل أهل الشام والنيلا

ثم روى الشطر الأول كما رواه الأغانى .

٢٠ (٢) البيت فى البكرى ٨٠٩ ، وقال : شمليل . بلد ، وأنشد البيت ، وفى ا : « خرعت» وفيه . « عوج المطى » ، وفى الخزانة : « بعد ما قطعت ... أكنافها شمليلا » .

(٣) ب ، س ، ج : « وهذا الشعر يقوله الربيع بن زياد فى مقتل مالك » والمثبت من ا ، م .

(٤) الوديق : التى تطلب الفحل . وجلوى : اسم فرس . انظر اللسان .

فاستحييت الفتاتان فأرسلتاه فنَزَا على جَلْوَى، فوافق قبولها فأقصّت[1]، ثم أخذه لهما بعض الحى، فلحق بهما حَوْط، وكان رَجُلاً شريراً سَيِّئ الخُلُق، فلما نظر إلى عَيْنِ الفرس قال: والله لقد نَزَا فرسى؛ فأخبِرانى ما شأنُه، فأخبرتاه الخبر، فقال: يا آل رياح، لا والله لا أرْضى أبداً حتى أُخرجَ ماء فرسى، فقال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهْنا فَرَسك، إنما كان مُنْفلِتاً، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُم.

فلما رأى ذلك بنو ثَعْلَبة قالوا: دونكم ماء فرسكم؛ فسطا عليها وأدخل يدَه فى ماءٍ وتُراب، ثم أدخلها فى رَحِمها حتى ظنَّ أنه قد أخرجَ الماء، واشتملت الرحِمُ على ما كان فيها، فنَتَجها قِرْواش مُهْرا، فسماه داحِسا لذلك، وخرج كأنه أبوه ذوالعُقّال. وفيه يقول جرير[2]:

إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَوْلَ خِبائنا ... مِنْ آلِ أعوجَ أو لذِى العُقّالِ

وأعوجُ: فرس لبنى هِلال.

فلما تحرك المُهْرُ سام[3] مع أُمِّهِ وهو فِلْوٌ يتْبَعُها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حَوْط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بنى رياح، ألم تفعلوا فيه أوّل مرة ما فعلتُم ثم هذا الآن! فقالوا: هو فَرَسُنا، ولن نترككم أوْ نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذاً لا نقاتلكم عنه، أنتم أعزُّ علينا، هو فداؤكم، ودَفعوه إليهم.

(١) أقصت: حملت واستبان حملها. وفى المختار: «فأقصت له»، أى أمكنته من المباشرة.
(٢) ديوانه ٤٨٦، والنقائض ٣٠٣، وفيهما: «حول قبابنا».
(٣) سام، أى رعى.

فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا إخوتَنا مرّتين ، ولقد حَلُموا وكَرُمُوا ، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن .

فمكث عند قِرْواش ماشاء الله ، وخرج أجودَ خيولِ العرب .

ثم إن قَيْس بن زهير بن جَذِيمة العَبْسىّ أغار على بنى يَرْبُوع ، فلم يُصِبْ أحداً غير ابنتى قِرْواش بن عَوْف ومائةٍ من الإبل لقرواش ، وأصاب الحىَّ وهم خُلُوف ، ولم يشهد مِنْ رجالهم غَيْرَ غُلامين مِنْ بنى أَزْنَم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع ، فجالاَ فى مَتْنِ الفرس مُرْتَدِفَيْه(١) وهو مقيَّد بقَيْدٍ مِنْ حديد فأعجلَهُما القوم عن حلّ قيْدِه ، واتّبعهما القومُ ، فضَبَر(٢) بالغُلامَيْن ضَبْراً حتى نَجوَا به ، ونادتْهما إحْدَى الجاريَتَيْن : إنّ مفتاحَ القَيْدِ مدفون فى مِذْوَد الفرس بمكان كذا وكذا ، أى بجَنْبِ مذود ، وهو مكان ، أى لا تنزِلا عنه إلاّ فى ذلك المكان ، فسبقا إليه حتى أطْلَقاه ثم كرّا راجعَيْن .

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب فى الفرسِ ، فقال لهما : لكما حُكْمُكما ، وادْفَعا إلىّ الفرس ، فقالا : أوَ فاعلٌ أنت ؟ قال : نعم ، فاستَوْثَقا منه ، على أنْ يردّ ما أصاب مِنْ قليلٍ وكثير ، ثم يرجع عوْده على بدْئه(٣) ، ويُطلِق الفتاتَين ، ويخلّى عن الإبل ، وينصرف عنهم راجعا . ففعل ذلك قيس ، فدفعا إليه الفَرس .

فلما رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا : لا نصالحك(٤) أبدا ، أصبنا مائةً من الإبل وامرأتين(٥) ، فعمدتَ إلى غَنِيمتنا فجعلتَها فى فرسٍ

(١) مرتدفيه : راكب أحدهما خلف صاحبه .
(٢) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب .
(٣) أى مسرعا .
(٤) فى المختار : « لا نصاحبك » ، والمثبت فى النقائض أيضا ص ٨٥ .
(٥) فى ا : « أصابنا ... وامرأتان » ، والمثبت فى النقائض والمختار .

لك تذهبُ به دونَنا ؛ فَعظُم فى ذلك الشرُّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائةٍ من الإبل .

فلما جاء قِرْواش قال للغُلامَين الأزْنميَّين : أينَ فرسى ؟ فأخبراه ، فأبى أن يَرْضَى إلاَّ أنْ يُدفعَ إليه فَرَسُه ، فعظُمَ فى ذلك الشرُّ حتى تنافروا فيه ، فقُضى بينهم أنْ تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى قَيْس بن زُهير ، ويُردَّ عليه الفرس . ٥
فلما رأى ذلك قِرْواش رضِىَ بعد شرّ ، وانصرف قَيْس بن زهير ، ومعه داحس ، فمكث ماشاء الله .

وزعم بعضُهم أنَّ الرهانَ إنما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذَيْفَة بن بَدْر ابن عمرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن عدىّ بن فَزارة بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضر بن نزار - أن قيساً ١٠ دخل على بَعْض الملوك وعنده قَيْنَةٌ لحذَيفة بن بَدْر تغنّيه بقول امرئ القيس :

دارٌ لهنــدٍ والرَّبابِ وَفَرْتَنَى ... ولَميسَ قبْل حَوادثِ الأيامِ (١)

وهنّ - فيما يُذكَر - نِسوة من بنى عَبْس ، فغضب قيسُ بن زهير ، وشقّ رداءها ، وشتمها ؛ فغضب حُذَيْفَةُ ، فبلغ ذلك قَيْسا ، فأتاه يسْتَرْضيه ، فوقف عليه ، فجعل يكلّمُهُ وهو لا يعرفُهُ مِنَ الغَضب ، وعنده أفراسٌ له ، ١٥ فعابها ، وقال : ما يرتبط مثلُك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر ! فقال حذيفة : أتعيبها ؟ قال : نعم ، فتجاريا حتى تراهنا .

وقال بعضُ الرواة : إنَّ الذى هاج الرِّهان أنَّ رجلا من بنى عَبْد الله بن غطفان ثم أحد بنى جَوْشن - وهم أهل بيت شُؤْم ، أتى حذيفة زائرا - (ويقال إن الذى أتاه الورد العبسى أبو عُرْوَة بن الورد(٢)) - قال : فعرض عليه حذيفة ٢٠

(١) ديوانه ١١٤ ، وفى النقائض : « دارلهر » .

(٢) من المختار . وعبارة النسخ : «وهم أهل بيت شؤم أتاه الورد أبو عروة أتى حذيفة زائرا » وهى غير مستقيمة .

خَيْلِه ، فقال : ما أرى فيها جواداً مُبِرًّا ، والمبِرّ : الغالب ، قال ذو الرمة[١] :

أبرّ علَى الخصُوم فليس خَصْمٌ ولا خصْمان يَغْلِبه جِدَالاً

فقال له حذيفة : فعِنْدَ مَنْ الجوادُ المُبِرّ ؟ فقال : عند قَيْس بن زهير فقال له : هل لك أنْ تراهنى عنه ؟ قال : نعم ، قد فعلت . فراهَنَه على ذَكَر مِنْ خَيْله وأنثى .

١٦ / ٢٦

ثم إن العبدىّ[٢] أتى قَيْسَ بن زُهير ، وقال : إنى قد راهنْتُ عنك[٣] على فرسين مِنْ خَيْلك ذكر وأنثى وأوجبت الرِّهان .

فقال قيس : ما أُبالى مَنْ راهنْتَ غير حذيفة ، فقال : ماراهنتُ غيره ، فقال له قيس : إنك ما علمتُ لأنكَدُ .

ثم ركب قَيْس حتى أتى حذيفة ، فوقف عليه ، فقال له : ما غَدَا بِكَ ! قال : غدوْتُ لأُواضِعَك الرهان ، قال : بل غدوتَ لتُغلقه ، قال : ما أردت ذلك . فأبى حذيفة إلا الرِّهان ، فقال قيس : أُخيِّرُكَ ثلاث خلال ، فإن بدأْتَ فاخترت قبلى فلى خلّتان ، ولك الأولى ، وإن بدأْتُ فاخترْتُ قبلَك فلك خلّتان ولِى الأُولى .

قال حُذيفة : فابْدَأْ ، قال قيس : الغاية من مائة غَلْوة — والغلوة : الرميةُ بالنُّشّابة — قال حذيفة : فالمِضْمار أربعون ليلةً ، والمجرى : مِنْ ذاتِ الإصاد[٤] .

ففعلا ووضعا السَّبَقَ[٥] على يَدىْ غَلّاق أو ابن غَلّاق ، أحَد بنى ثعلبة ابن سَعْد بن ثعلبة .

(١) ديوانه ٤٤٥ . (٢) ب ، س : « العبسى » والمثبت فى المختار .

(٣) كذا فى ا ، وهى ساقطة من النقائض .

(٤) ا : « ذات الإصال » ، وهى ردهة بين الجبال أو موضع .

(٥) السبق : ما يوضع بين أهل السباق من رهان فمن سبق أخذه .

فأما بنو عبس فزعموا أنه أجْرَى الخطّار والحَنفَاء . وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قُرْزُلاً والحَنفاء ، وأجرى قيس داحِساً والغبراء .

ويزعم بعضُهم أن الذى هاج الرهانَ أنَّ رجلا من بنى المعتمِر[1] بن قُطَيْعَة ابن عَبْس يقال له سُراقة راهَنَ شابًّا من بنى بَدْر ـ وقيسٌ غائبٌ ـ على أربع جزائر[2] من خمسين غَلْوة ، فلما جاء قيس كرِهَ ذلك ، وقال له : لم ينته رهان قطّ إلاّ إلى شرّ . ثم أتى بنى بَدْر ، فسألهم المُواضَعة ، فقالوا : لا ، حتى نعرف سَبَقَنَا ، فإن أخَذْنا فحقّنا ، وإنْ تركنا فحقّنا .

فغضب قَيْس ومَحَك[3] ، وقال : أما إذ فعلتم فأعْظِمُوا الخطر ، وأبعدوا الغاية ، قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغايةَ مِن واردات إلى ذاتِ الإصاد ، وذلك مائة غلوة ، والثَّنِيَّةُ فيما بينهما ، وجعلوا القَصَبَةَ فى يَدَىْ رجل من بنى ثعلبة بن سَعْد ، يقال له حُصين ، ويقال : رجل من بنى العُشَراء من بنى فَزارة ، وهو ابْنُ أُختٍ لبنى عبس ، وملئوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرعُ فيها .

ثم إن حذيفة بن بَدْر وقيس بن زهير أتيا المدَى الذى أُرسِلْنَ منه ينظران إلى الخَيْل كيف خروجُها منه . فلما أُرسلت عارَضاها[4] ، فقال حذيفة : خدعتك يا قَيْس ، قال : تَرَكَ الخداعَ من أجْرَى مِن مائة ؛ فأرسلها مثلا .

ثم ركضَا ساعةً فجعلَتْ خيلُ حُذَيفةَ تبرّ وخَيْل قيس[5] تقْصُر ، فقال

---

(١) فى النقائض : المعتم .

(٢) جزائر : جمع جزور وهى الناقة .

(٣) محك : لج .

(٤) ا : « عارضها » .

(٥) كذا فى المختار والنقائض ، وفى ا : « خيل زهير » .

حذيفة : سبقتُكَ يا قيس ، فقال : جَرْىُ المُذَكِّيات غِلاب[١]،فأرسلها مثلا . ثم ركضا ساعة ، فقال حُذيفة ، إنك لا تركض مَرْكضا ، فأرسلها مثلا . وقال : سُبِقَتْ خيلك يا قيس ، فقال قيس : رُوَيداً يَعْلُونَ الجَدَد ، فأرسلها مثلا .

٥ قال : وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثنيَّة ، فاستقبلوا داحِساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابِق ، ولم يعرفوا الغَبْراء وهى خَلْفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيلُ واستهلَّت من الثنيَّة ، ثم أرسلوه فتمطَّرَ[٢] فى آثارها ؛ أى أسرع ، فجعل يَبْدُرُها فرساً فرَسا حتى سبقها إلى الغاية مصلِّيا ، وقد طرح الخيل غَيْرَ الغَبْراء ، ولو تباعدت الغايةُ لسبقها ؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ، ثم ١٠ حلَّئوها[٣] عن البِركة ، ثم لطموا داحسا وقد جاءا مُتَوالِيَيْن . وكان الذى لطمه عُمَيْر بن نضلة ، فجسأَتْ[٤] يدُه ؛ فسُمِّى جاسئا .

فجاء قيس وحذيفة فى آخر الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سَبَقِهم ، ولطمُوا أفراسَهم ، ولم تطقهم[٥] بنو عبس يقاتلونهم ، وإنما كان مَنْ شهد ذلك مِنْ بنى عبس أبياتا غير كثيرة ، فقال قيس بن زهير : ياقوم ، إنه لا يَأتِى قومٌ ١٥ إلى قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حقَّنا ، فأبت بنو فزارة أنْ يُعطوهم شيئا — وكان الخَطَرُ[٦] عشرين من الإبل — فقالت بنو عبس : أعطونا

١٦/٢٧

(١) هامش ا : « ويروى : غلاء ، من المغالاة » ، وفى القاموس : كل مرماة علوة وجمعها غلوات وغلاء ، وفى المثل : جرى المذكيات غلاء .

(٢) فى القاموس : تمطرت الخيل . جاء يسبق بعضها بعضا . وتمطرت الطير : أسرعت .

٢٠ (٣) حلئوها : منعوها .

(٤) جسأت يده : صلبت ، وفى المختار والنقائض : « فجفت » .

(٥) فى المختار والنقائض : « ولو يطقهم بنوعبس لقاتلوهم » .

(٦) الخطر : السبق .

بَعْضَ سَبَقِنا ، فأَبوا ، فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أَهْلَ الماء ؛ فإنا نكره القَالَة فى العرب . فقال رجلٌ من بنى فزارة : مائةُ جَزُور وجَزُور واحدٌ سواء ، والله ما كُنّا لِنقُرّ لكم بالسبق علينا ، ولم نُسْبَق .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم ، إنَّ قيساً كان كارها لأوّل هذا الرهان ، وقد أحسن فى آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهى إلاّ إلى الشر ؛ فأعطوه جَزُورا مِنْ نَعَمِكم ، فأبوا ، فقام إلى جَزُور من إبله فعقلها ليُعْطِيها قَيْسا ويُرضيه ، فقام ابنهُ فقال : إنك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومَك وتُلْحِق بهم خَزَايَةً بما ليس عليهم ؟ فأطلق الغلامُ عِقالها ، فلحقت بالنَّعم . فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومَنْ معه من بنى عبس ، فأتى على ذلك ما شاء الله .

قيس بن زهير قتل عوف بن بدر والربيع يحمل دينه

ثم إنّ قيسا أغار عليهم ، فلقى عَوْفَ بن بَدْر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بنى فزارة ، فهمُّوا بالقتال ، وغضبوا ، فحمل الربيعُ بن زياد أحدُ بنى عَوْذ ابن غالب بن قُطيعة بن عبس دِيَةَ عوف بن بَدْر مائة عُشَراء مُتْلِية .

(العُشَراء : التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر مِنْ مَلْقَحِها . والمتالى : التى نُتِج بعضها والباقى يتلوها فى النتاج) .

وأمُّ عوف وأم حُذيفة ابنة نضلة بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ ابن فزارة .

واصطلح الناس ، فمكثوا ما شاء الله .

حذيفة بن بدر يدس فرساناً يقتلون مالك ابن زهير

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأةً يقال لها : مُلَيْكَةُ بنت حارثة من بنى عَوْذ[١] بن فزارة ، فابتنى بها باللُّقاطة[٢] قريباً من الحاجر ، فبلغ ذلك حذيفة بن بَدْر ، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسَانٍّ خَيْله ، وقال : لا تَنْظُرُوا[٣] مالكا إنْ وجدتموه أنْ تقتلوه ، والربيع[٤] بن زياد بن عبد الله ابن سُفْيان بن ناشب[٥] العَبْسىّ مجاورُ حذيفةَ بن بَدر ، وكانت تحت الربيع ابن زياد معاذة ابنة بدر ، فانطلق القومُ ، فلقوا مالكاً فقتلوه ، ثم انصرفوا عنه ، فجاءوا عشيةً وقد جَهَدُوا أفراسَهم ، فوقفوا على حُذَيفة ومعه الرّبيع ابن زياد ، فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ قالوا : نعم ، وعقرناه .

فقال الربيع : ما رأيتُ كاليَوْم قطّ ، أهلكتَ أفراسك مِنْ أجل حمار ؟ فقال حذيفة لمّا أكثَر عليه من الملامَة ، وهو يحسبُ أنّ الذى أصابوا[٦] حمارا : إنا لم نقتلْ حِمارا ، ولكنا قَتَلْنا مالكَ بن زهير بعَوْف بن بَدْر . فقال الربيع : بئس لعَمْرُ الله القتيل قتلت[٧] ، أما والله إنى لأظنّه سيبلغ ما نَكره[٨] .

الربيع يغضب لقتل مالك

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطَأُ الأرضَ وطْأً شديدا ، وأخذ يومئذ حَمَلُ بن بَدْر ذا النّون ، سيفَ مالك بن زهير .

---

(١) فى النقائض : « من بنى غراب بن فزارة » ، وفى المختار : « من بنى عوذة » .

(٢) س « اللفاظة » ، والمثبت من النقائض والمختار .

(٣) ب ، س : « لا ننتظروا » والمثبت فى المختار والنقائض .

(٤) فى المختار : « وكان الربيع ... مجاورا حذيفة » .

(٥) فى النقائض : « قارب » .

(٦) فى المختار : « أصابوه » .

(٧) فى بيروت : « ما فعلت » ، وما هنا موافق للمختار والنقائض .

(٨) فى المختار : « ما يكره » بالمبنى للمجهول .

قال أبو عبيدة : فزعموا أنّ حذيفة لما قام الرَّبيع بن زِياد أرسل إليه بمولّدة له[١] فقال لها : اذهبى إلى معاذة بنت بَدْر امرأة الربيع فانظرى ما ترينَ الربيعَ يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت ، فاندسّت بين الكِفاء والنَّضَد — والكِفاء : شُقّة فى آخر البيت ، والنَّضَد : مَتاعٌ يُجعَلُ على حمار من خَشَب — فجاء الربيعُ فنفذ البيتَ حتى أتى فرسه فقبض بِمَعْرَفته ، ثم مسح مَتْنَه حتى قبض بعُكْوَة ذَنَبه — العُكوة : أصل الذنب — ثم رجع إلى البيت ورُمحُهُ مركوزٌ بفنائه ، فهزّه هزًّا شديدا ، ثم رَكزه كما كان ، ثم قال لامرأته : اطرحى لى شيئا ، فطرحَتْ له شيئا ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة ، فدَنَتْ منه ، فقال : إليك ! قد حدث أمرٌ ، ثم تغنَّى ، وقال[٢] :

الربيع يرثى مالكا

١٦ / ٢٨

نام الخَلِيُّ وما أُغَمِّضُ حارِ[٣] ... من سيِّءِ النَّبَأ الجليلِ السّارِى

مِنْ مِثْله تُمسِى النساء حواسِراً ... وتقوم مُعْوِلةً مع الأسحار[٤]

مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ ... فلْيَأْتِ نِسوتَنا بوَجْهِ نهار[٥]

يَجِد النساء حواسراً ينْدُبْنَه ... يبكين قبل تبلُّج الأسحارِ

قد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تستُّراً ... فاليوم حين بدَوْنَ للنُّظّار[٦]

يَخْمِشْنَ حُرَّاتِ الوُجوهِ على امرئٍ[٧] ... سَهْلِ الخليقة طيِّبِ الأخبار

أفبَعْدَ مَقْتَلِ مالك بن زُهَيْرٍ[٨] ... تَرْجُو النساء عواقبَ الأطهارِ

(١) ا ، والنقائض : « أرسل إليه أمة مولده » .
(٢) الأبيات فى النقائض ٨٩ وحماسة أبى تمام ١ . ٢٩٨ .
(٣) حار ، مرخم « حارث » .
(٤) فى المختار : « ويقمن معوله » (٥) النقائض : « بنصف نهار » .
(٦) والمختار : « برزن للنظار » .
(٧) هامش ا من نسخة : « حر وجوههن » ، وفى المختار : « حر وجوههن على فتى » .
(٨) فى هذا الشطر عيب يسمى القطع .

ما إنْ أرَى فى قتله لِذَوِى الحِجا إلاَّ المطىّ تُشَدُّ بالأكْوارِ
ومجنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفةً يَقْذِفْنَ بالمُهُراتِ والأمْهارِ

العذوف والعدوف واحد ، وهو ما أكلته .

ومساعِراً[1] صدأُ الحديدِ عليهم فكأنما طُلِيَ الوجوهُ بقارِ
يارُبَّ مَسْرُورٍ بمقْتَلِ مالك ولسوف نصرِفُه بشرٍّ مَحارِ[2]

فرجعت المرأةُ[3] فأخبرت حُذَيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أمْرُ إخوتكم ، ووقعت الحرب .

حذيفة بن بدر يدس فرسانا وراء الربيع

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره : سَيِّرنى ، فإنى جارُكم ، فَسَيَّره ثلاث ليال ، ومع الربيع فَضْلَةٌ مِنْ خمر ، فلما سار الربيع دسَّ حُذيفة فى أثره فوارس ، فقال : اتبعوه ، فإذا مَضَت[4] ثلاث ليال فإنَّ معه فَضْلَةً من خَمْرٍ ، فإنْ وجدتموه قد أهراقها[5] فهو جادٌّ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإنْ لم تجِدُوه قد أراقها فاتبعوه ؛ فإنكم تجدونه قد مال لأدْنَى منزل ، فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد شقَّ الزِّقَّ ومضى ، فانصرفوا .

فلما أتى الربيعُ قومَه ، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء ؛ وذلك أنَّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير فى دِرْع كانت عنده ، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يَدَيْه ، ثم ركض بها فلم يردّها على قَيْس ، فعرض

(١) المساعر : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب .
(٢) المحار : المرجع ، وفى ا : « نصربه » ، وفى المختار : « بشر مصار » .
(٣) فى المختار والنقائض : « الأمة » .
(٤) فى س : « فإذا مضوا » والمثبت من ا والنقائض .
(٥) أهراقها : أسالها .

قيس لفاطمة ابنة الْخُرْشب الأنمارية ـ من أنمار بن بغيض ، وهى إحدى مُنْجِبات قَيْس ، وهى أُمّ الربيع ـ وهى تَسِيرُ فى ظعائنَ من عَبْس ، فاقتاد جَمَلها ، يريد أنْ يَرْتَهِنَها بالدِّرع حتى يُردَّ عليه ، فقالت : ما رأيْتُ كاليوم فِعْلَ رجل ! أىْ قيس ، ضلَّ حِلْمُك ! أترجو أنْ تصطلحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أمَّهم ! فذهبتَ بها يميناً وشمالا ! فقال الناسُ فى ذلك ما شاءوا ! وَحَسْبُك من شرٍّ سماعه ، فأرسلتها مثلا . فعرف قيسُ بن زهير ما قالتْ له ، فخلّى سبيلها ، وأطرد إبلا لبنى زياد ، فقدم بها مكّةَ ، فباعها من عَبْد الله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كعب بن سَعْدْ بن تَيْم بن مُرّة القرشىّ ، وقال فى ذلك قَيْس بن زهير[1] :

ألم يبلغك والأنباء تَنْمِى ... بما لاقَتْ لَبُونُ بنى زِيادِ

ومَحْبِسُها على القرشىّ تُشْرَى ... بأدراعٍ وأسيافٍ حِدادِ

كما لاقيتَ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوته على ذات الإصاد

همُ فَخَرُوا علىّ بغير فخرٍ ... وذَادُوا دُونَ غايتهِ جَوادى

وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوءٍ ... دلفْتُ له بِداهيةٍ نـآد[2]

بداهيةٍ تدقّ الصُّلْبَ منه ... فتقصِمُ أو تجوبُ عن الفؤاد[3]

وكنتُ إذا أتانى الدّهرَ رِبْقٌ ... بداهيةٍ شددتُ لها نجادى

الربق : ما يتقلّده .

(١) النقائض ٩٠ .
(٢) نآد : شديدة .
(٣) س : « تجوب على الفؤاد » ، وجاب الشىء جوبا : خرقه ، والمثبت مانى النقائض والمختار .

ألم تعلم بنو المِيقاب أنّى كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزِّنادِ[١]

الوَقْبُ : الأحمق ، والميقاب : التى تلد الحمقى ، والمنغلث : الذى ليس بمنتقى .

أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوِى إلى جارٍ كجارِ أبى دُوَاد

جارُه : يعنى ربيعة الخَيْر بن قُرْط بن سلَمة بن قشير ، وجارُ أبى دُوَاد يقال له : الحارث بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان أبودُوَاد فى جِوْاره ، فخرج صبيان الحىّ يلعبون فى غَدِير ، فغمس الصِّبْيان ابْنَ أبى دُواد فيه فقتلوه ، فخرج الحارث فقال : لا يبقى صبِىّ فى الحىّ إلاّ غُرِّق فى الغَدِير أو يرضى أبو دُواد ، فُودِىَ ابْنُ أبى دُواد عشر ديات فرضِى ، وهو قول أبى دُواد :

١٠ إبلى الإبْلُ لا يحوزها الرا عُون ومَجَّ النَّدَى عليها المُدَامُ

قال أبو سعيد : حفظى : لا يحوزها الراعى ومَجَّ الندى .

إليكَ ربيعةَ الخير بن قُرْط وَهُوباً للطَّرِيف والتِّلادِ

كفانِى ما أخافُ أبو هلال ربيعةُ فانتهَتْ عَنِّى الأعادِى

تَظَلُّ جِيَادُه يحدين[٢] حَوْلى بذات الرِّمْث كالحِدَإِ الغوَادِى

١٥ كأنى إذ أنختُ إلى ابْنِ قرط عقلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضادِ[٣]

وقال أيضاً قَيْس بن زهير :

(١) ا : «كريه يوم ملحمة جلادى» . وفى هامشه من نسخة : «غير منفلت» ، وفى المختار والنقائض : «غير مغتلث» ، ويروى : «معتلث» ، وفى اللسان : اعتلثت الزند : انتخبته من شجرة لا يدرى : أيورى أم لا ! واعتلث السهم ، بالعين المهملة : أخذه من عرض الشجر .

٢٠ (٢) فى النقائض : «يجمزن» ، وفى ا : «يحرين» .

(٣) يلملم ونضاد : جبلان .

إن تك حَرْبٌ فلم أَجْنِها جَنَتْها خيارُهمُ أَوْ هُمُ[1]
حِذارَ الرَّدَى إذ رأوا خَيْلَنا مُقدَّمُها سابحٌ أَدْهَم
عليه كَمِيٌّ وسِرْبالُه مُضاعفة نسجُها مُحْكَمُ
فإنْ شَمَّرَتْ لكَ عن ساقِها فَوَيْهاً ربيعُ ولم يسأمُوا
نَهيتُ رَبيعاً فلم يَزْدَجِرْ كما انزجر الحارثُ الأَضْجَمُ[2] ٥

قال أبو عبدالله: الحارثُ الأضجم: رجل من بنى ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار، وهو صاحب المِرْباع.

قال: فكانت تلك الشَّحْناء بين بَنِي زياد وبين بنى زُهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فزعموا أنَّ قيساً دَسَّ غلاماً له مولَّداً، فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً؛ فإنهم سيسألُونَك، فاذكر مَقْتَل مالك، ثم احفظ ما يقولون. فأتاهم العبد، فسمع الربيع يتغنّى بقوله: ١٠

أفبَعْدَ مَقْتَلِ مالكِ بْنِ زُهير ترجُو النساء عواقبَ الأطهارِ[3]

فلما رجع العَبدُ إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد، عرف قيس أنْ قد غضب، فاجتمعت بنو عَبْس على قِتالِ بنى فزَارة، فأرسلوا إليهم أنْ رُدّوا علينا إبلنا التى وَدَيْنا بها[4] عَوفاً أخا حُذَيفة بن بَدْر لأمّه، ١٥ ٦١/٣٠ فقال: لا أعطيكم دِيَةَ ابْنِ أمى، وإنما قتل صاحبَكم حَمَلُ بن بَدْر، وهو ابنُ الأَسدية، وأنتم وهو أعلم.

(١) فى النقائض: «صبارتهم أو هم».
(٢) فى المختار: «الأضخم»، وهو يوافق ما فى النقائض. قال: وروى ابن الأعرابى: «الحارث الأجذم». ٢٠
(٣) النقائض: ٩٢.
(٤) النقائض والمختار: «وديناها».

فزعم بعضُ الناس أنهم كانوا وَدَوْا عوفَ بن بَدْر بمائة من الإبل مُتْلِية؛ أى قد دنا نتاجها ، وأنه أتى على تلك الإبل أربعُ سنين ، وأنَّ حذيفة بن بَدْر أراد أنْ يَرُدَّها بأعيانها ، فقال له سنان بن خارجة المُرِّىّ : أتريد أنْ تلحقَ بنا خَزاية فنعطيهم أكثَرَ مما أعطونا ، فتسبّنا العَربُ بذلك ؟ فأمسكها حذيفة ، وأَبَى بنو عَبْس أن يقبلوا إلاَّ إبلهم بعينها . فمكث القومُ ما شاء الله أنْ يمكثوا .

جندب يقتل مالك ابن بدر

ثم إن مالك بن بَدْر خرج يطلبُ إبلاً له ، فمرّ على بنى رَواحة ، فرماه جُندب[1] — أحد بنى رواحة — بسَهْم فقتله ، فقالت ابنةُ مالك بن بَدْر فى ذلك[2] :

لِلّهِ عَينا مَنْ رأى مِثْلَ مالك عَقيرةَ قَوْمٍ أن جَرَى فَرَسانِ
فليتهما لم يَشْرَبا قطُّ قطرةً[3] وليتهما لم يُرْسَلاَ لِرِهان
أُحِلَّ به مِنْ جندب أمس نَذْره[4] فأىُّ قتيلٍ كان فى غطفان
إذا سجعَتْ بالرَّقْمتَيْن حَمامةٌ أو الرَّسِّ تَبْكِى فارسَ الكَتِفان

فَرس له كانت تسمَّى الكَتِفان .

الأسلع بن عبد الله ابن ناشب يمشى فى الصلح بين عبس و ذبيان

ثم إنَّ الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زَيْد بن هِدْم بن أُدّ بن عَوْذ ابن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى فى الصُّلح ، ورهَنَ بنى ذبيان ثلاثةً

(١) النقائض : « جنيدب » .
(٢) النقائض ٩٣ .
(٣) النقائض : « شربة » .
(٤) كذا فى ا والمختار ، وفى بيروت : « أحل به أمس الجنيدب نذره » .

مِنْ بَنِيه وأربعةً من بنى أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدى سُبَيع بن عمرو من بنى ثعلبة بن سَعْد بن ذُبْيان . فمات سُبَيع وهم عنده .

سبيع بن عمرو يوصى مالكا ابنه

فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سُبيع : إنَّ عندك مكرمة لا تَبِيد إن أنْتَ احتفظتَ بهؤلاء الأُغَيْلِمَة ، وكأنى بك لو قَدْ مُتُّ قد أتاكَ حُذيفة خالك ـ وكانت أُمُّ مالك هذا ابنة بدر ـ فعصر عينيه ، وقال : هلكَ سيِّدُنا ، ثم خدعَكَ عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خِفْتَ ذلك فاذهبْ بهم إلى قومهم .

فلما ثقل جعل حذيفة يَبْكِي ويقول : هلك سيِّدُنا ، فوقع ذلك له فى قَلْبِ مالك .

فلما هلك سُبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له : يا مالِكُ ، إنِّى خالُك ، وإنِّى أَسَنُّ منك ، فادْفَعْ إلىّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندى إلى أنْ ننظر فى أمْرِنا . ولم يزل به حتى دفعهم إلى حُذَيفة باليَعْمُرِيَّة ، واليعمُرِيَّة : ماء بوادٍ من بَطْنِ نَخْل من الشَّرَبَّة لبنى ثعلبة .

ذلك دفع الرهن إلى حذيفة

فلما دفع مالكٌ إلى حُذَيفة الرُّهُن جعل كل يوم يُبْرِزُ غلاما فينصبه غَرَضًا ويَرْمِى بالنَّبل ، ثم يقول : نادِ أبَاك ، فينادى أباه حتى يمزِّقَه النبلُ ، ويقول لواقد بن جنيدب : نادِ أباك فجعل ينادِى : يا عمَّاه ، خلافا عليهمْ ، ويكره أنْ يَأْبِس أباه بذلك — والأبس : القَهْرُ والحَمْلُ على المكروه — وقال لابن جُنَيْدب بن عَمْرو بن عبد الأسلع : ناد جنيبة — وكان جُنَيبة لقب

أبيه — فجعل ينادِى : يا عمْرَاه[١]، باسم أبيه حتى قُتل . وقُتل عتبة بن قيس ابن زهير .

ثم إنَّ بنى فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مُرّة ، فالتقوا هم وبنو عَبْس ، فقتلوا منهم مالكَ بن سبيع بن عَمْرو الثعلبىّ[٢]— قتله مَرْوَان[٣] ٥ ابن زِنْبَاع العَبْسىّ — وعبدَ العزّى بن حُذار الثعلبىّ ، والحارثَ بن بَدْر الفزارىّ ، وهَرِم بن ضمضم المُرّىّ — قتله وَرْد بن حابس العبسىّ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بَدْر ، فقالت ناجية أخت هَرِم بن ضمضم المرىّ[٤] :

يا لَهْفَ نفسى لهفــةَ المفجوع ألاّ أرى هَرِمًا على مَوْدُوعِ

مِنْ أجل سيّدنا ومَصْرَعِ جَنْبه عَلِــقَ الفؤاد بحنظلٍ مجدوع[٥]

١٦ / ٣١

١٠ مَوْدُوع : فرسه .

بين ذبيان وعبس

ثم إنّ حذيفة بن بَدْر جمع وتأهّب[٦] ، واجتمع معه بنو ذُبْيان بن بَغِيض فبلغ بنى عَبْس أنهم قد ساروُا إليهم ، فقال قيس : أطيعونى ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتّــكِئنَّ على سَيْفى حتى يخرج من ظَهْرى ، قالوا : فإنّا نطيعك ، فأمرهم فسرَّحوا السوَّام والضعّاف بِلَيْلٍ وهم يريدون أن يظعنوا مِنْ منزلهم ١٥ ذلك ، ثم ارتحلوا فى الصُّبْح ، وأصبحوا على ظَهْر العقَبة ، وقد مضَى سوَامُهم وضُعفاؤهم . فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثنايا ، فقال قيس : خذُوا غَيْرَ طريقِ المالِ ؛ فإنه لا حاجةَ للقوم أنْ يقعوا فى شوكتكم ، ولا يريدون بكم فى أنفسكم شرًّا مِن ذهاب أموالــكم ، فأخذوا غَيْرَ طريق المال .

(١) ا : « يا عماه » . (٢) ا : « التغلبى » ، تحريف .

٢٠ (٣) فى النقائض : الحكم بن مروان .

(٤) النقائض ٩٤ .

(٥) ا ، النقائض ، المختار ، بيروت : « مصدوع » .

(٦) ا ، والمختار والنقائض : « وتهيأ » .

فلما أدرك حُذَيفةُ الأثر ورآه[1] قال : أبعدهم الله ! وما خيرُهم بعد ذهابِ أموالهم ! فاتّبع المال .

وسارت ظعُن بنى عَبْس والمُقاتِلَةُ من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المالَ . فلما أدركوه ردُّوه[2] أوّله على آخره ، ولم يُفْلت منهم شىء ، وجعل الرجلُ يطردُ ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها . وتفرّقوا ، واشتدّ الحر ، فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إن القوم قد فرّق بينهم المَغْنَم ، فاعطفوا الخيلَ فى آثارهم ، فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس[3]، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد ، وجعل بنو ذبيان إنما هِمّةُ الرجل فى غنيمته أن يحوزها ، ويمضى بها .

فوضعت بنو عَبْس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذُبيان البقيّةَ ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حُذيفة ، فأرسلوا خيلَهم مجتهدين فى أثره ، وأرسلوا خيلا تقصّ[4] الناسَ ويسألونهم، حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد ابن معاوية العبسىّ ، وعمرو بن ذُهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب[5] ابن قُطَيْعَةَ العبسىّ ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير ، وقِرواش بن هُنَىّ ابن أُسيّد بن جَذِيمة ، وجُنَيْدب .

وكان حُذَيفة قد استرخى حِزامُ فرسه ، فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصَّ أثره ، ثم شد الحزام فوقع صَدْرُ قدمِه على الأرض فعرفوه ، وعرفوا حنَف فرسه — والحَنَف : أن تُقبل إحدى اليدين على الأخرى ، وفى الناس أن تُقْبِل إحدى الرجلين على الأخرى ، وأن يطأ

(١) وكذا فى النقائض . وفى المختار : « وراءهم » .
(٢) ا والمختار والنقائض : « ردوا » .
(٣) ب ، س : دواس ، والمثبت فى المختار والنقائض و بيروت . ودوائس : يتبع بعضها بعضا .
(٤) وكذا فى المختار ، وفى النقائض : « تنفض » والمراد تتعرفهم .
(٥) فى النقائض : « شداد بن معاوية بن ذهل بن مخزوم بن غالب » .

الرجل وحشيَّهما[١] ، وجَمعُ الأحنف حُنُف ـ فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجَفْر الهباءة وقد اشتد الحرّ ، فرمى بنفسه ، ومعه حَمَل بن بَدْر ، وحَنَش ابن عَمْرو ، وورقاء بن بلال وأخوه — وهما[٢] من بنى عدىّ بن فزارة ـ وقد نزعوا سرُوجهم ، وطرحوا سلاحهم ، ووقعوا فى الماء ، وتمعّكت[٣] دوابّهم ، وقد بعثوا رَبيئةً فجعل يطّلع فينظر ، فإذا لم يرَ شيئا رجع ، فنظر نظرة فقال : إنى قد رأيتُ شخصا كالنّعامة أو كالطائر فوق القَتادَةِ من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هَنًّا وهَنًّا ، هذا شدّاد على جِرْوة ، وجروة : فرَسُ شدّاد ، والمعنى دَعْ ذِكر شداد عن يمينك وعن شمالك ، واذكر غيره لما كان يخافُ مِنْ شدّاد .

فبينا هم يتكلّمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيْل ، ثم جاء عَمْرو بن الأسلع ، ثم جاء قِرْواش حتى تتامّوا خمسة ، فحمل جُنَيدب على خَيْلهم فاطّردها ، وحملَ عَمْرو بن الأسلع ، فاقتحم هو وشدّاد عليهم فى الجفْر ، فقال حُذيفة : يا بنى عبس ، فأين العُقول والأحلام ! فضربه أخوه[٤] حَمَل بن بدر بين كَتِفَيْه ، وقال : اتّقِ مأثور القَوْلِ[٥] بعد اليَوْمِ ، فأرسلها مثلا .

وقَتَل قِرواشُ بن هُنَىّ حُذَيفةَ ، وقتل الحارثُ بن زهير حملَ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير ، وكان حملُ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله ، فقال الحارث بن زهير فى ذلك[٦] :

(١) الوحشى : الجانب الأيمن من كل شىء . والوحشى فى الرجل : ظهرها ، ضد الإنسى.
(٢) فى المختار : « وهمام بن عدى » ، والمثبت فى النقائض أيضا .
(٣) تمعكت دوابهم : تمرغت فى التراب .
(٤) ا : « فضربه حمل بن بدر » .
(٥) وكذا فى النقائض . وفى المختار : « الكلام » .
(٦) النقائض ٩٦ .

تركتُ على الهَباءةِ غيرَ فخر ... حُذيفةَ حوله قِصَدُ العَوالى[1]

سيخبرُ عنهمُ حَنَشُ بن عَمْرٍو ... إذا لاقاهُمُ وابنَا بِـــلالِ

ويُخبرهم مكانَ النُّونِ منى ... وما أعطيتُه عَرَقَ الخِلاَل

العرق : المكافأة ، والخلال : المودة ، يقول : لم يعطونى السَّيْفَ عن مكافأة ومودّة ، ولكنى قتلت وأخذت . ٥

فأجابه حنش بن عمرو أخو بنى ثعلبة بن سَعْد بن ذُبْيان[2] :

سيُخْبرك الحديثَ به خبيرٌ ... يُجاهرك العداوةَ غيرَ آلِى

بُداءتهـــا لِقِرْوَاشٍ وعَمْرٍو ... وأنْتَ تجُولُ جَوْبُكَ فى الشمال

الجوب : التُّرس ، يقول : بداءة الأمر لقِرْواش وعَمْرو بن الأسلع ، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا مَنْ قَتلا ، وأنت تُرْسك فى يَدِك يجولُ لم تغن شيئا . ١٠ ويقال : لك البداءة ولفلانٍ العَوْدة .

وقال قيس بن زهير[3] :

تعلّم أنَّ خيْرَ الناسِ مَيْتٌ ... على جَفْرِ الهَباءةِ ما يَرِيمُ

ولولا ظُلْمُهُ مازلتُ أبْكى ... عليه الدهرَ ما طلع النجوم

ولكنَّ الفتى حَمَلَ بن بدر ... بَغَى ، والبَغْىُ مَرْتَعُه وَخِيم ١٥

أظنُّ الحـــلم دلّ علىّ قومى ... وقد يُستجهَلُ الرجلُ الحليمُ

فلا تَغْشَ المظالم لن تراه ... يُمتَّعُ بالغنَى الرجـــلُ الظَّلُوم

(١) قصد . جمع قصدة ، وهى القطعة مما يكسر . والعوالى . الرماح .

(٢) النقائض ٩٦ .

(٣) النقائض ٩٦ . ٢٠

ولا تَعْجَلْ بأمرِك واستَدِمْهُ   فما صلَّى عصاكَ كمستديمِ[1]
أُلاقي مِنْ رجالٍ مُنْكَراتٍ   فأنكرها وما أنَا بالغَشُومِ
ولا يُغْنِيك عُرْقُوبٌ بَلأْيٍ   إذا لم يعطك النَّصْفَ الخصيمُ[2]
ومارَسْتُ الرجالَ ومارسُونى   فمعوجٌّ علىَّ ومُسْتَقِيمُ

قوله : فما صلَّى عصاك كمستديم ، يقول : عليك بالتأنِّى والرفق ، وإياك والعجلة ، فإنَّ العَجُول لا يُبْرِم أمراً أبدا ، كما أنَّ الذى يثقف العُودَ إذا لم يُجِد تصليته على النار لم يستقم له .

وقال فى ذلك شدَّاد بن معاوية العبسى[3] :

مَنْ يَكُ سائلاً عنِّى فإنِّى   وجِروةَ لا تَرودُ ولا تُعارُ[4]
مُقَرَّبَةَ النِّساءِ[5] ولا تراها   أمامَ الحىِّ يتبعُها المِهارُ
لها فى الصيف آصِرَةٌ وَجُلٌّ   وسِتٌّ من كرائمها غِزارُ[6]

آصرة : حشيش ، وسِت : أى ست أينق تُسقَى لبنها .

ألاَ أبلغ بنى العُشَراء عنِّى   علانيةً وما يُغْنِى السِّرارُ
قتلتُ سَراتَكُمْ وحَسَلْتُ منكم   حَسِيلاً مثلَ ما حُسِلَ الوِبارُ[7]

---

(١) البيت فى اللسان (صلا) ، وروايته «فما صلى عصاه كمستديم» وفى هذا البيت والذى بعده إقواء .

(٢) النصف ، بالكسر : النصفة . وفى النقائض بعد هذا البيت شرح له هذا نصه : قوله : عرقوب ، يقول : إذا لم ينصفك خصمك ، فأدخل عليه عرقوبا بفسخ حجته .

(٣) النقائض ٩٧ ، وتنسب هذه الأبيات إلى عنترة فى ديوانه ٦٥ .

(٤) البيت فى اللسان (جرا) وفيه وفى النقائض والمختار . «لا ترود ولا تعار» .

(٥) فى النقائض «مقربة الشتاء» وفى ا : «مقربة السناء» .

(٦) فى النقائض والمختار : «بالصيف» ، وفى اللسان «كلأ آصر : حابس لمن فيه ، أو ينتهى إليه من كثرته» . والبيت فى اللسان (أصر) ، وروايته . «لها بالصيف . غزار» .

(٧) البيت فى اللسان (حسل) ، وفيه . «قال ابن الأعرابى : «حسلت . أبقيت منكم بقية» . والوبار : جمع وبر ، دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء .

٣٣
――
١٦

حُسالةُ الناس وحُفالتهم ورعاعهم وخَمّانهم وشَرَطهم وحُثالتهم وخُشارتهم وغُثاؤهم واحد ، وهم السِّفلة . يقول : قتلت سَرَاتكم وجعلتكم بعدهم حسالة ، كما خُلقت الوِبار حسالةً .

وكان ذلك اليوم يوم ذى حُساً ، وبزعم بعضُ بنى فزارة أنّ حذيفة كان أصاب يومئذ فيمن أصاب من بنى عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلمِيَّة ٥ أم قيس فقتلها ، وكانت فى المال ، وقال :

ولم أقتلكُمُ سِرّاً ولكن علانيةً وقد سطع الغُبار

صــوت

جاء البريدُ بِقرطاسٍ يخبّ به فأوجس القلبُ من قرطاسِه فزَعا

قلنا: لك الويلُ، ماذا في صحيفتكم؟ قال: الخليفة أمسى مُثبَتا وَجِعا(1)

عروضه من الكامل(2). الشعر ليزيد بن معاوية، والغناء لابن محرز، هزج بالوسطى عن عمرو.

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في علةِ أبيه التي مات فيها، وكان يزيد يومئذ غازيا غزاة الصائفة.

---

(1) المثبت، كمكرم: من لا حراك به من المرض.

(2) كذا في الأصول، والصواب أن البيت من البحر البسيط.

[خبر ليزيد بن معاوية]

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش، قال : حدثنى السكرىّ والمبرّد، عن دِماذ أبى غسان - واسمه رَفيع بن سلمة - عن أبى عبيدة :

جيش معاوية يغزو الصائفة

أن معاويةَ وجَّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة، فأصابهم جُدَرِىٌّ فمات أكثرُ المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بِدَيْر مُرّان مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال[1] :

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً بدَيْرِ مُرّانَ عندى أمُّ كُلْثومِ
فما أُبالِى بما لاقَتْ جنودُهمُ بالغَذْقَذُونَة مِنْ حُمَّى ومن مُومِ

فبلغ شعرُه أباه، فقال : أَجل، والله ليلحقنّ بهم فليصيبنّه ما أصابهم.

فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر إلى قبتّين مبنيَّتين عليهما ثيابُ الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداهما أصواتُ الدّفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأل يزيد عنهما فقيل له : هذه بنتُ ملك الروم، وتلك بنت جَبَلة ابن الأيهم، وكلٌّ واحدة منهما تُظهِرُ السرور بما تفعله عشيرتها، فقال : أما والله لأَسُرَّنّها، ثمّ صفَّ العسكر، وحمل حتى هَزَم الرُّوم، فأحجرهم فى المدينة، وضرب بابَ القسطنطينية بعَمود حديد كان فى يده، فهشمه حتى انخرق، فضُرِب عليه لوحٌ من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

يزيد يضرب باب القسطنطينية

(١) البيتان فى البلدان (غذقذونة) وفى (ديرمران). وفى ب، س : « بالفرقدونة »، تحريف. وأم كلثوم هى بنت عبد الله بن عامر بن كريز.

نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ : حدثنى العباس بن ميمون طابع(١) ، قال : حدثنى ابن عائشة ، عن أبيه ، وحدثنى القَحْذَمىّ :

أنَّ ميسون بنت بَحْدَل الـكلبيّة كانت تزيّن يزيدَ بن معاوية ، وتُرَجِّل جُمَّتَــه ، قال : فإذا نظر إليه معاوية قال :

٥ فإنْ مات لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه فنُوطِي عليه يا مزين التَّمائما(٢)

يزيد وعنبسة فى حضرة معاوية وهو يحتضر

فلما احتُضر معاوية حضره يزيد بن معاوية ، وعَنْبَسة بن أبى سفيان ، فبكى يزيد إلى عنبسة ، وقال :

لوفات شىء يُرى لفات أبو حيّان(٣) لا عاجزٌ ولا وَكِلُ
الحُوَّلُ القلّبُ الأريب ولن يَدْفعَ زَوْءَ المنيةِ الحِيَلُ(٤)

١٠ فسمعهما معاويةُ بعد أن ردّدهما مِراراً ، فقال : يا بنىّ ، إنَّ أخوفَ ما أخاف على نفسى شىء صنعته قبل ذلك ، إنى كنتُ أُوَضِّئُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكسانى قميصا ، وأخذتُ شَعراً من شَعره ، فإذا أنا متُّ فـكفنّى فى قميصه ، واجعل الشَّعْرَ فى منخرى وأُذنى وفمى ، وخَلِّ بينى وبين رَبّى ، لعل ذلك ينفعُنى شيئا .

١٥ قال العباس بن ميمون : فقلت للقَحْذَمىّ : هذا غَلَط ، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا عدنان حدثنى ــ وها هو حىّ فاسأله ــ عن الهَيْثَم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، عن الشعبىّ :

(١) فى بيروت : « طائع » .
(٢) نوطى : علقى .
٢٠ (٣) ا : « حبان » ، والمثبت من جـ ، م ، ب ، س .
(٤) فى اللسان (زوأ) : زوء المنية : ما يحدث من المنية . وفى هامشها : « زوء المنية : قدرها » .

١٦/٣٤

أنّ معاوية مات ويزيد بالصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعْيه ، فأنشأ يقول :

جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا فى صحيفتكم؟ ... قال : الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا
مادَتْ بنا الأرضُ أو كادت تَميدُ بنا ... كأنّ ما عزّ من أركانها انقلعا
مَنْ لم تزَلْ نَفْسُهُ تُوفِى على وَجلٍ[1] ... تُوشكْ مقاديرُ تلك النفس أنْ تقعا ٥
لما وَردتُ وبابُ القَصْرِ منطبِقٌ ... لصوت رَمْلة هُدَّ القلب فانصدعا

الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه

وكان الذى تولّى غَسْله ودَفْنَه الضحاك بن قيس ، فخطب الناس ، فقال : إنَّ ابْنَ هند قد تُوفِّىَ ، وهذه أكفانُه على المنبر ، ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومخلُّون بينه وبين رَبّه ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة . ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحاك ولا غيره أنْ يفعلَ من هذا شيئا . ١٠

قال العباس : فسكت القحذمىّ ، وما ردّ علىّ شيئا .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنى الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدثنى عمّى ، عن جدّى ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، قال :

عبد الله بن الزبير يرثى معاوية

صَلَّى بنا عبدُ الله بن الزُّبير يوما ، ثم انفتل من الصلاة ، فَنَشَج[2] ، وكان قد نُعِى له معاويةُ ، ثم قال : رحم اللهُ معاوية إنْ كنا لنخدعه فيتخادع لنا ، ١٥ وما ابن أُنثى بأكرم منه ، وإن كنا لنعرفه يتفارق لنا ، وما الليثُ المِحْرَبُ بأجرأ منه ، كان والله كما قال بطحاء[3] العُذْرِىّ :

(١) ا : فوقها « شرف » ، وعليها علامة الصحة .
(٢) نشج الباكى : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .
(٣) كذا فى ا ، م ، جـ . وفى ب ، س : « بطحان » بالنون . ٢٠

رَكُوبُ المنابر وثّابها مِعَنٌ بخُطبته يَجْهَرُ[١]

تَرِيع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِر الهذِر المِهْمَرُ[٢]

كان والله كما قالت رقيقة، أو قال: بنت رقيقة:

أَلاَ ابكيه ألا ابكيه أَلاَ كلّ الفَتَى فيه

٥ والله لوُدِّى أنه بقى بقاء أَبى قُبيس، لا يتخوّن له عقل، ولا تنقص له قوة.

قال: فعرفنا أنَّ الرجلَ قد استوجس[٣].

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا ابنُ أَبى سعد، قال: قال محمد بن إسحاق المُسَيّبىّ: حدثنى جماعة من أصحابنا:

ابن عباس يرثى معاوية أيضاً

١٠ أنَّ ابْنَ عباس[٤] أتاه نَعْىُ معاوية وولاية يزيد، وهو يعشّى أصحابَه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمةً، فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال: جَبَلٌ تدَكْدَكَ، ثم مال بجميعه فى البحر، واشتملت عليه الأَبحر، لله درُّ ابْنِ هند! ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حِلْمه.

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه، وقال: أتقول هذا فيه؟

١٥ فقال: ويحك! إنك لا تدرى مَنْ مضى عنك، ومَنْ بقى عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

---

(١) معن: متكلّم يعرض فى كل شىء.

(٢) تريع: ترجع. والفعل من بابى نصر وضرب. المهمر: الكثير الكلام المهذار.

(٣) ج، ما: «استوحش».

٢٠ (٤) ا، م: «ابن عياش»، تصحيف.

صــوت

١٦/٣٥

إذا زينبٌ زارها أهلُها ... حَشَدتُ وأكرَمْتُ زوّارَها

وإن هي زارتْهمُ زُرْتُهم ... وإن لم أجد لى هوًى دارها

فَسِلْمِى لمن سالَمتْ زينب ... وحَرْبى لمن أشعلت نارَها

وما زلتُ أرعى لها عَهْدَها ... ولم أتَّبع ســاعة عارَها ٥

عروضه من المتقارب . الشعر لشريح القاضى فى زوجته زينب بنت حُدَير التيمية، والغناء لعَمْرو بن بانة، ثانى ثقيل بالبنصر، عنه على مذهب إسحاق . وذكر إسحاق فى كتاب الأغانى المنسوب إليه أنه لابن محرز .

ذكر شريح ونسبه وخبره

هو فيما أخبرني به الحسن بن على الخفّاف، قال: حدثنا الحارث[1] بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن مَيْسرة بن شُريح، كلاهما اتفق فى الرواية لنسبه:

٥

نسبه

أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكنديّ. قال هشام فى خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم، وسائرهم من هَجَر وحضرموت.

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا فى نسبه؛ فقال بعضهم: شريح بن هانئ - وهذا غلط - ذاك شريح بن هانئ الحارثيّ، واعتلّ مَنْ قال هذا بخبرٍ رُوى عن مجالد، عن الشعبيّ، أنه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح:

١٠

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانئ. وقد يجوز أن يكونَ كتب عُمر رضى الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانئ الحارثيّ، وقرأه الشعبيّ، وكلا هذين الرجلين معروف، والفَرْقُ بينهما النسب والقضاء؛ فإن شُريح بن هانئ لم يَقضِ، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقيل: شريح بن عبد الله، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابن الحارث. وابنه أعلمُ به.

١٥

وقد أخبرنا وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير، قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديّ، عن أبي ليلى: أن خاتم شريح كان نَقْشه شريح بن الحارث. وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سَيْف بن ذِي يَزَن، وعِداده فى كندة، وقد روى عنه شبيه بذلك.

٢٠

[1] جـ: «الحسن»

أخبرنا وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد الحنفىّ ، قال : حدثنا عبدان ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا سفيان الثورىّ ، عن ابن أبى السَّفَر ، عن الشعبىّ ، قال :

جاء أعرابىّ إلى شريح ، فقال : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : أنا منَ الذين أنعم الله عليهم ، وعدادِى فى كندة .

قال وكيع : وقال أبو حسان ، عن أيوب بن جابر ، عن أبى حصين ، قال : كان شريح إذا قيل له ممن أنت ؟ قال : مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام ، عَدِيد كندة .

قال وكيع : وقيل إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق ؛ لأنَّ أُمَّهُ تزوّجت بعد أبيه فاستحيا .

سنه

وقد اختلف أيضاً فى سنِّه ؛ فقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقل من ذلك وأكثر .

فمن ذكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوّار ، روى ذلك يحيى بن معين ، عن المحاربىّ ، عن أشعث ، وأبو سعيد الجعفىّ ، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهرىّ . وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم .

١٦ / ٣٦

أخبرنا الحسن بن علىّ ، عن الحارث ، عن ابن[1] سعد ، عن أبى نعيم ، قال : بلغ شريح مائة وثمانين سنة .

سنةُ وفاته

قال الحارث : وأخبرنى ابن[1] سعْد ، عن الواقدىّ ، عن أبى سبرة ، عن عيسى ، عن الشعبىّ ، قال : توفى شريح فى سنة ثمانين ، أو تسع وسبعين .

(١) كذا فى بيروت ، وفى جـ : «أبو سعد» ، وفى ا ، م : «أبو سعيد» .

قال أبو سعيد[1]: وقال إبراهيم : فى سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزّهرىّ ، عن أبى سعيد الجعفىّ : إنّ شريحاً مات فى زمن عبد الملك بن مروان .

أخبرنى وكيع ، قال : حدثنا الكُرانىّ ، عن سهل ، عن الأصمعىّ ، قال : وُلد لشريح وهو ابنُ مائة سنة .

٥ ورَوى إسماعيل بن أبان الورّاق ، عن علىّ بن صالح ، قال : قيل لشريح : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ ابنَ ستٍّ ومائة، قضيتُ[2] منها ستين سنة .

عمر يستقضيه

وأخبرنى وكيع بخَبَر عمر حين استقضاه ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن أيوب ، قال : حدثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ سيّاراً قال : سمعتُ الشعبىّ يقول :

١٠ إنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ مِنْ رجل فرساً على سَوْم ، فحمل عليه رجلا ، فعطب الفَرس ، فقال عمر : اجعَلْ بينى وبينك رجلا ، فقال له الرجل : اجعل بينى وبينك شريحاً العراقىّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذتَه صحيحاً سليما على سَوْم ، فعليكَ أن تردَّه كما أخذتَه . قال : فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضيا ، ثم قال : « ما وجدتَه فى كتابِ الله فلا تسألْ عنه أحدا ، ١٥ وما لم تستَبِنْ فى كتاب الله فالزم السنَّة، فإن لم يكن فى السنّة ، فاجتهد رأيك » .

أخبرنى وكيع ، قال : أخبرنى عبد الله بن الحسن ، عن النُّميرىّ ، عن حاتم بن قبيصة المهلبىّ ، عن شيخ من كنانة ، قال :

قال عمر لشريح ، حين استقضاه : « لا تُشارَّ ولا تُضارَّ ، ولا تشتَرِ ولا تبع » . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين :

---

٢٠ (١) فى بيروت : ابن سعد .
(٢) قضيت منها ستين سنة ، أى عملت بالقضاء ستين سنة منها .

إن القُضاة إن أرادوا عَدْلا وفَصلوا بين الخصوم فَصْلا[١]

وزَحْزَحوا بالحكم منهم جهلا كانوا كمثل الغيث صَابَ مَحْلا[٢]

وله أخبار فى قضايا كثيرة يطولُ ذكرها، وفيها مالا يستغنى عن ذِكْره، منها محاكمة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام إليه فى الدّرع .

يقضي بين على وبين يهودى أخذ درعه

حدثنى به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهرِ بن نوح بالأهواز، قال : حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : حدثنى حكيمُ ابن حزام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، قال :

عَرَفَ علىٌّ صلوات الله عليه درْعاً مع يَهُودِىّ ، فقال : يايهودىّ ، دِرْعِي سقطَتْ مِنّى يوم كذا وكذا ، فقال اليهودىّ : ما أدرى ما تقولُ ! دِرْعى وفى يَدِى ، بينى وبينك قاضى المسلمين .

فانطلقا إلى شريح ، فلما رآه شريح قام له عن مَجْلِسه ، فقال له علىّ : اجلس . فجلس شريح ، ثم قال : إنَّ خصمى لو كان مسلما لجلستُ معه بين يديك ، ولكنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تساوُوهم فى المجلس ، ولا تعودُوا مَرْضاهم ، ولا تشيّعوا جنائزهم ، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : دِرْعِي عَرَفْتُها مع هذا اليهودىّ .

فقال شريح لليهودىّ : ما تقولُ ؟ قال : دِرْعى وفى يدى .

قال شريح : صدقْتَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، إنها لدِرْعُك كما قلْتَ ، ولكن لابدَّ من شاهد ، فدعا قَنْبَرا فشهِدَ له ، ودَعا الحسن بن علىّ ، فشهد

(١) ا : «ورفعوا فوق الخصوم فصلا» .

(٢) ب ، م ، وهامش ا من نسخة : «كانوا كغيث قد أصاب محلا» . وصاب وأصاب بمعنى.

١٦ / ٣٧

له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأما شهادةُ ابنك لك فلا . فقال علىّ : سمعْتُ عمرَ بن الخطاب يقول : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول إنّ الحسن والحسين سيِّدَا شبابِ أهل الجنة . قال : اللهم نعم ، قال : أفلا تُجيز شهادةَ أحَدِ سيِّدَىْ شباب أهل الجنة ! واللهِ لتخرجنّ إلى بانِقيا ٥ فلتقضينّ بين أهلها أربعين يوما . ثم سلّم الدِّرْعَ إلى اليهودى .

فقال اليهودىُّ : أمير المؤمنين مشى مَعِي إلى قاضيه ، فقضى عليه ، فرضى به ، صدقْتَ إنها لَدِرْعُك ، سقطَت منكَ يوم كذا وكذا عن جمَلٍ أوْرَق فالتَقَطْتُها ، وأنا أشهد أن لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله . فقال علىٌّ عليه السلام : هذه الدِّرْعُ لك ، وهذه الفرسُ لك ، وفرض له فى تسعمائة ، فلم يزَلْ ١٠ معه حتى قُتِل يوم صِفّين .

خبر زينب بنت حدير

وتزويج شريح إياها

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب[(١)] قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا ابن أبى زائدة، وأبو محمد رجل ثقة، قال: حدثنا مُجَالد، عن الشعبىّ، قال:

شريح ينصح الشعبى بأن يتزوج من نساء بنى تميم

قال لى شُرَيح: ياشعبىّ، عليكم بنساء بنى تميم فإنهنّ النساء، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً[(٢)]، فمررتُ بدُور بنى تميم، فإذا امرأةٌ جالسةٌ فى سقيفةٍ على وِسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤْد — يعنى التى قد بلغت — ولها ذُؤَابة على ظَهْرها جالسة على وِسادة، فاستسقيت، فقالت لى: أىّ الشراب أعجبُ إليك: النبيذ، أم اللبن، أم الماء؟ قلت: أى ذلك تَيَسَّر عليكم، قالت: اسقُوا الرجلَ لبنا؛ فإنى إخاله غريبا.

يرى زينب بنت حدير، فيخطبها ويتزوجها

فلما شربْتُ نظرْتُ إلى الجارية فأعجبتنى، فقلت: مَنْ هذه؟ قالت: ابنتى، قلت: وممَّن؟ قالت: زينب بنت حُدَير، إحدى نساء بنى تميم، ثم إحدى نساء بنى حنظلة، ثم إحدى نساء بنى طُهيّة، قلت: أفارغَةٌ أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوِّجينيها؟ قالت: نعم إن كنْتَ كَفِيًّا، ولها عمٌّ فاقصده.

فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلتُ إلى إخوانى القرّاء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيّب بن نَجَبَة، وسليمان بن صُرد الخزاعىّ، وخالد

(١) ب، س: «حرم»، تحريف.
(٢) مظهراً: سائراً أو داخلا فى الظهيرة.

ابن عُرْفُطة العُذْرىّ ، وعرْوَة بن المغيرة بن شعبة ، وأبى بردة بن أبى موسى ، فوافيتُ معهم صلاةَ العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : إليك ، قال : وما هى ؟ قلت : ذُكرت لى بنتُ أخيك زينب بنت حُدير ، قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مَقْصر ، وإنك لَنُهْزَة .

٥ فتكلمت فحمدت الله جلّ ذكره ، وصلَّيْتُ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكرتُ حاجتى ، فردّ الرجل علىّ وزوّجنى ، وبارك القومُ لى ، ثم نهضنا .

فما بلغت منزلى حتى ندمْتُ ، فقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ، ثم قلت : أجمعها إلىّ ، فإن رأيْتُ ما أُحِبُّ وإلا طلّقتُها .

١٠ فأقمْتُ أياما ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلما أجلست فى البيت أخذت بناصيتها فبركت ، وأخلى لى البيت ، فقلت : ياهذه ، إنّ من السنة إذا دخلت المرأةُ على الرجل أنْ يصلِّيَ ركعتين وتصلّى ركعتين ، ويسألا اللهَ خير ليلتهما ، ويتعوَّذَا بالله مِنْ شرها . فقمْتُ أصلِّى ثم التفتّ ، فإذا هى خَلْفِى فصليت ، ثم التفتّ فإذا هى على فراشها ، فمَدَدْتُ يدى ، فقالت لى : على رِسْلِك ،

١٥ فقلت : إحدى الدواهى مُنيتُ بها ، فقالت : إن الحمد لله أحمده وأستعينه إنى امرأة غريبة ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد علىّ منه ، وأنتَ رجل غريب لا أعرِف أخلاقَك ، فحدّثنى بما تحبُّ فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه .

فقلت : الحمد لله وصلّى الله على محمد ، قدمتِ خَيْرَ مقدم ، قدمتِ على أهل دارِ زَوْجك سيّد رجالهم ، وأنْتِ سيدةُ نسائهم ، أُحبُّ كذا

٢٠ وأكرهُ كذا .

١٦ / ٣٨

قالت : أخبرنى عن أختانك(١) أتحبُّ أن يَزُوروك ؟ فقلت : إنى رجل قاضٍ ، وما أُحبُّ أن تملّونى .

قال : فبتّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ عندها ثلاثا ، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوما إلا هو أفضل منَ الذى قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلْتُ منزلى ، فإذا عجوز تأمر وتَنْهَى ، قلت : يا زينب ، مَنْ هذه ؟ فقالت : أُمّى فلانة . قلت : حيّاكِ الله بالسلام ، قالت : أبا أمية

أم زينب تسأله عن ابنتها فيثنى عليها

كيف أنتَ وحالك ؟ قلت : بخير أحمد الله ، قالت : أبا أُمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إنَّ المرأةَ لا ترى فى حال أسوأ خُلقا منها فى حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاما ؛ فإنْ رَابَكَ منها رَيْب فالسَّوْط ؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرًّا من الوَرْهاء(٢) المتدلّلة .

قلت : أشهد أنها ابنتُك ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنْتِ الأدب .

قال : فكانت فى كل حوْل تأتينا فتذكر هذا ، ثم تنصرف .

يعالج زينب من لسعة عقرب

قال شريح : فما غضبتُ عليها قطّ إلا مرّةً كنتُ لها ظالما فيها ؛ وذاك أنى كنتُ أمام قومى فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتى الفجر ، فأبصرت عقربا ، فعجلتُ عن قتلها ، فأكفأت عليها الإناء ، فلما كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحرّكِى الإناء حتى أجىء ، فعجلَتْ فحرّكت الإناء فضربتها العقرب ، فجئت فإذا هى تَلَوّى . فقلت : مالك ؟ قالت : لسعتنى العقرب . فلو رأيتنى يا شعبىّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوّذتين وفاتحة الكتاب .

(١) أختان : جمع ختن : الصهر من قبل الزوجة .

(٢) الورهاء : الحمقاء .

كان له جار يضرب امرأته فقال في ذلك شعرا

وكان لي ياشعبيّ جارٌ يقال له مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلت :

رأيتُ رجالا يضربون نساءهم فشَلَّت يميني يوم أضْرِبُ زينبا

يا شعبيّ ، فوددتُ أني قاسمتها عَيْشى .

٥ ومما يغنَّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب :

صوت

رأيتُ رِجالاً يضربُونَ نساءهم فشَلَّت يَميني يَوْمَ أضرِبُ زَيْنَبا

أأضربها في غير جُرْمٍ أتَتْ به إليّ ، فما عذري إذا كُنْتُ مذنبا !

فتاة تزينُ الحَلْيَ إنْ هي حُلِّيَتْ كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا[1]

١٠ والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنَّس .

(١) المحلب ، كمقعد : العسل .

صــوت

أَمِنْ رسم دارٍ مربعٌ ومصيفُ لعينك من ماء الشئون وَكِيفُ
تذكّرْتُ فيها الجهْلَ حتى تبادرَتْ دُموعى وأصحابى علىّ وقوف

عروضه من مصرّع الطويل . الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد ابن العاص لما ولى الكوفةَ لعثمان . والغناء لابن سريج رمَل بالوسطى عن عَمْرو .

١٦/٣٩

أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : لَقِيَنِى إياس بن الحطيئة ، فقال لى : يا أبا عثمان ، مات أبى ، وفى كِسْر بيته عشرون ألفا أعطاه إياها أبوك ، وقال فيه خمس قصائد ، فذهب والله ما أعطيتمونا وبَقِىَ ما أعطيناكم ، فقلت : صدقت والله .

قال أبو زيد : فممّا قال فيه قوله :

شعره فى مدح سعيد بن العاص

أمِنْ رَسْمِ دارٍ مربَعٌ ومَصِيفُ ... لعينك من ماء الشئون وَكِيفُ[(١)]

إليك سعيدَ الخير جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلنى آلٌ بها وتُنُوفُ[(٢)]

ولولا أصيلُ اللُّبِّ غضّ شبابه ... كريم لأيام المنون عَرُوفُ[(٣)]

إذا همّ بالأعداء لم يَثْنِ همَّه ... كَعابٌ عليها لؤلؤ وشُنُوفُ[(٤)]

حَصَانٌ لها فى البيت زِىٌّ وبهجة ... ومَشْىٌ كما تمشى القَطَاة قَطُوفُ[(٥)]

ولو شاء وارى الشمس مِنْ دُونِ وَجْهه ... حِجابٌ ومطوىّ السرَاة منيفُ[(٦)]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائىّ ، عن خالد

(١) ديوانه ٣٩ . والوكيف : سيلان الدموع .

(٢) جبت : قطعت . وتنوف : جمع تنوفة ، وهى المفازة .

(٣) العروف : الصبور على نوائب الأيام . واللب : العقل . الأصمعى : رأيه رأى مسن ، وسنه سن غلام .

(٤) الكعاب : المرأة حين يبدو ثديها للنهود . الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط .

(٥) الحصان : العفيفة . والقطوف من الدواب : المتقارب الخطو ، البطىء .

(٦) مطوى سراته ، أى محكم أعلاه .

ابن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، قال : كان سعيد بن العاص فى المدينة زمنَ معاوية ، وكان يعشّى الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ : أجيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس ، ثم أقبل فقال الآذِنُ : أجيزوا ، حتى انتهى إلى الحطيئة ، فقال : أجز ، فأَبَى ، فأعاد عليه فأبى ، فلما رأى سعيد إباءه قال : دَعْه ، وأخذ فى الشِّعْر والحطيئةُ مُطْرِقٌ لا ينطق ، فقال الحطيئة : والله ما أَصَبْتُم جيِّدَ الشعر ، ولا شاعر الشعراء . قال سعيد : مَنْ أشعر العرب ياهذا ؟ فقال : الذى يقول :

ينشد شعراً لأبى دواد الإيادى وعبيد

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدَامُ
مِنْ رجالٍ من الأقارب بانُوا ... من جُذَامٍ هم الرءوس الكرام
سُلِّط الموتُ والمنون عليهم ... فلهم فى صُوَى[1] المقابر هَامُ
وكذاكُم سبيل كلِّ أناس ... سوف حقًّا تُبْلِيهمُ الأيام

قال : ويحك ! مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال أبو دُوَاد الإيادىّ ، قال : أوَ تَرْوِيه ؟ قال: نعم ، قال: فأنشدنيه ، فأنشده الشعرَ كلّه ، قال: ومَن الثانى ؟ قال : الذى يقول[2] :

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضْ ... ضعف وقد يُخدع الأريبُ

قال : ومَنْ يقولُ هذا ؟ قال : عَبيد ، قال : أوترويه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده ، ثم قال له : ثُمّ مَنْ ؟ قال : والله لَحَسْبك بى عند رَهْبَةٍ أو رَغْبَة ، إذا وضعتُ إحدى رجلىّ على الأخرى ، ثم رفعتُ عقيرتى بالشِّعر ، ثم عوَيْت على أثر القوافى عُواء الفصيل الصادر عن الماء .

(١) الصوى : القبور أو علاماتها . وفى النسخ : « صدى » ، تحريف .

(٢) ديوان عبيد ١٤ .

قال : ومَنْ أنْتَ ؟ قال : الحطيئة ، قال : ويحك ! قد علمتَ تشوُّفنا إلى مجلسك ، وأنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة ! ، قال : نعم ، لمكان هذين الكلبين عندك ، وكان عنده كعب بن جعيل ، وأخوه . وكان عنده سويد ابن مشنوء النَّهْدِيّ ، حليف بنى عدىّ بن جناب الكلبيّين ، فأنشده الحطيئة قوله[1] :

ألستَ بجاعِلى كابنَىْ جُعَيْلٍ هداكَ الله أو كابنَىْ جَنابِ[2]

أدبُّ فلا أُقَدِّرُ أنْ ترانى[3] ودونك بالمدينة ألفُ باب

وأُحبَسُ بالعراء المَحْلِ بيتى ودونك عازِبٌ ضخم الذباب[4]

العازب : الكَلأُ الذى لم يُرْعَ ، وقد التفَّ نَبْتُه .

فقال له سعيد : لعمر الله لأنْتَ أشْعَرُ عندى منهم ، فأنْشدنى ، فأنشده[5] :

سَعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنه نجيبٌ فَلاهُ فى الرِّباط نجيبُ[6]

سَعِيدٌ فلا يغررك قِلَّة لحمه تَخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ

ويروى : خفّة لحمه .

إذا غاب عنّا غاب عنا رَبِيعُنا ونُسْقَى الغمامَ الغرَّ حينَ يَؤُوبُ

فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْءِ ناره إذا الريحُ هبّت والمكانُ جَدِيبُ

(١) ديوانه ٤٢ .

(٢) بنو جعيل من تغلب ، وبنو جناب من كلب .

(٣) الديوان : « أدب وراء نقدة أن ترانى » قال : ونقدة : اسم مكان .

(٤) كذا فى ا ، م والديوان ، وفى ب ، س ، ج : وبيتك عازب صخب . يقول : أقيم بالمحل ولا أدنو إليك هيبة لك .

(٥) ديوانه ٤٢ .

(٦) فلاه : ولده أو رباه . والرباط : الحرب . والرباط والمرابطة . ملازمة ثغر العدو . والبيت فى اللسان (فلا) .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم عاد فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

* أمِنْ رسم دارٍ مربع ومَصِيف *

يقول فيها :

إذا همّ بالأعداء لم يثن عزْمَهُ كعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ

فأعطاه عشرة آلاف أخرى . ٥

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد ، وزاد فيه :

فانتهى الشُّرَط إلى الحطيئة فرأوه أعرابيا قبيح الوَجه ، كَبِيرَ السن ، سيِّئُ الحال ، رثّ الهيئة ، فأرادوا أنْ يقيموه ، فأبى أنْ يقومَ ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دَعُوا الرجل . وباقى الخبر مثله .

خالد بن سعيد ابن العاص يأمر له بكسوة وحملان

قال أبو عبيدة فى هذا الخبر : وأخبرنى رجلٌ من بنى كنانة ، قال : أقبل الحطيئةُ فى رَكْب من بنى عَبْس ، حتى قدم المدينةَ ، فأقام مدّةً ، ثم قال له مَنْ فى رفقته : إنا قد أرذينا(١) وأخلينا ، فلو تقدّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرَانا وحملَنا . فأتى خالد بن سعيد بن العاص ، فسأله فاعتذر إليه ، وقال : ما عندى شىء فلم يُعِدْ عليه الكلام ، وخرج ١٥ من عنده ، فارتاب به خالد ، فبعث يسألُ عنه ، فأُخبر أنه الحطيئة ، فردّه . فأقبل الحطيئة ، فقعد لا يتكلّم ، فأراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ ، فقال : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ فقال : الذى يقول :

ومَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دون عِرْضه يَفِرْه ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ(٢)

فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعضُ عقَاربه ، وأمر بكسوة وحملان ، ٢٠ فخرج بذلك من عنده .

(١) أرذينا ، أى صارت دوابنا هزلى من طول السفر . فالرذى من الدواب : المهزول المتالك من السير ، لا يستطيع براحا . (٢) البيت لزهير بن أبى سلمى ص ٣٠ .

صــوت

حبّذا ليلتى بتلّ بونّى[1] حين نُسقى شرابنا ونُغنّى
إذْ رأينا جواريًا عطراتٍ وغنــاء وقَرْقفًا فنزلنا[2]
مالهم لا يُبارِكُ اللهُ فيهم إذ يسألون : ويحنا ما فعلْنا !

عروضه الضرب الأوّل من الخفيف . الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة ، ٥
والغناء لحنين ، رَمَل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

١٦
٤١

(١) تل بونى : من قرى الكوفة .
(٢) رواية البيت فى البلدان وابن قتيبة ٧٥٧ :
ومررنا بنسوة عطرات وسماع وقرقف فنزلنا
والقرقف : الخمر .

أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

نسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارىّ ، وقد مضى هذا النسب فى أخبار عويف القوافى ، وقد مضت أخباره ، وذكر هذا البيت من فزارة وشرفه فيها وسائر قصصه هناك .

الحجاج يتزوج أخته هنداً ، ويوليه على أصبهان ، ثم يأمر بحبسه لخيانة ظهرت عليه

وكان الحجاج بن يوسف ولّى مالك بن أسماء بعد أن تزوّج أخته هنداً ٥ بأصبهان ، بعد حبس طويل فى خيانة ظهرت عليه ، ثم خلّاه بعد ذلك ، وطالت أيامه بأصبهان ، فظهرت عليه خيانة أخرى، فحبسه وناله بكل مكروه .

أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، قال : حدثنى هشام ابن محمد الهلالىّ ، قال : ١٠

اختلف الحجّاج وهند بنت أسماء زوجته فى وقعة بنات قين ، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن ، وكان محبوساً بمال عليه للحجاج ، فسأله عن الحديث فحدّثه به ، ثم أقبل على هند فقال : قومى إلى أخيك ، فقالت : لا أقوم إليه ، وأنت ساخط عليه . فأقبل الحجاج عليه ، فقال : إنك والله ما علمت للخائن أمانته، اللئيم حسبه،الزانى فرجه ، ١٥ فقال : إن أذن لى الأمير تكلمت ، قال : قل ، قال : أما قول الأمير الزانى فرجه ، فوالله لأنا أحقر عند الله عزّ وجلّ وأصغر فى عين الأمير من أن يجب لله علىّ حدّ فلا يقيمه ، وأما قوله : اللئيم حسبه ، فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف منّى لم يصاهرنى ، وأما قوله : إنى خئون ، فلقد ائتمننى فوفّرت ، فأخذنى بما أخذنى به ، فبعت ما كان وراء ظهرى ، ٢٠ ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام .

قال : فنهض الحجّاج ، وقال : شأنك يا هندُ بأخيك .

قال مالك بن أسماء : فوثبتْ هندٌ إلىّ فاكبّتْ علىّ ، ودعتْ بالجوارى ، ونزعْنَ عنّى حَديدى ، وأمرتْ بى إلى الحمّام ، وكسَتْنِى ، وانصرفت .

فلبثتُ أياما ، ثم دخلت على الحجاج وبين يدَيْه عهودٌ ، وفيها عهْدى على أصبهان . قال : خذْ هذا العهْد ، وامْضِ إلى عملك ، فأخذتُه ونهضت .

٥ قال : وهى ولايته التى عزله عنها ، وبلغ به ما بلغ من الشر .

قال أبو زَيْد : ويقال إنه كان فى الحبْس فى الدفعة الثانية مضيقًا عليه فى كلّ أحْوَاله ، حتى كان يُشابُ له الماء الذى كان يشربُه بالرماد والمِلْح ، فاشتاق الحجّاج إلى حديثه يوماً ، فأرسل إليه ، فأُحضر ، فبينا هو يحدّثُه

١٠ إذ استسقى ماء فأُتِىَ به ، فلما نظر إليه الحجاج قال : لا ، هاتِ ماء السجن ، فأتى به وقد خُلط بالملح والرماد ، فسُقيَه .

قال : ويقال إنه هرب منَ الحبس(١) ، فلم يزل مُتَوَارِياً حتى مات الحجاج.

قال : وكتب إليه بعضُ أهله أن يمضىَ إلى الشام فيستجيرَ ببعْضِ بنى أمية حتى يأمنَ ، ثم يعود إلى مصره .

يكتب إلى أبيه أن يشفع له عند الحجاج

١٥ وقد كان خالد بن عتّاب الرّياحىّ فعل ذلك ، واستجار بزُفر بن الحارث الكلابىّ ، فأجاره ، فراجعه عبد الملك فى أمره ، ثم أجاره ، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخلَ إلى الحجاج ويسأله فى أمره ، فقال أسماء فى ذلك :

أبَنِى فزارةَ لا تُعَنُّوا شَيْخَكم ... مَالِى وما لزيارةِ الحجَّاجِ
شبَّهْتُه شِبْلاً غداةَ لقيتُه ... يُلقِى الرءوسَ شوَاخبَ الأَوْدَاجِ(٢)

٢٠
(١) فى المختار : « السجن » .
(٢) الأوداج : جمع ودج ، محركة : عرق فى العنق .

١٦ / ٤٢

تجرى الدماء على النِّطاع كأنها رَاحٌ شَمُولٌ غَيرُ ذاتِ مزاج
لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه يئس المؤمِّل فى طِلابِ الحاج
يا ليت هنداً أصبحَتْ مرموسةً أوْلَيتَها جلست عن الأزْوَاجِ[1]

خالد بن عتاب والحجاج بن يوسف يتسابان

قال أبو زيد : فأما خَبَرُ خالد بن عتّاب الرياحىّ ، فإنّ الحجاجَ كان استعمله على الرىّ ، وكانت أُمّه أُمّ ولَدٍ ، فكتب إليه الحجاج يلخن أمّه ، ويقول يابْنَ اللخناء[2] ، أنت الذى هربْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان حلف ألاَّ يسبَّ أحدٌ أُمّه إلا أجابه كائنا مَنْ كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إلىّ تلخنُنى ، وتزعمُ أنى فررتُ عن أبى حتى قُتِل ، ولعمرى لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قتِل ، وحين لم أجد لى مقاتلا ، ولكن أخبرنى عنك يابْنَ اللخناء المستفرمة[3] بعَجَم زبيبِ الطائف ، حين فررتَ أنتَ وأبوك يوم الحرّة على جمل ثَفَال[4] ، أيكما كان أمام صاحبه ، فقرأ الحجاج الكتاب ، وقال : صدق :

أنا الّذى فَرَرْتُ يوم الحَرَّهْ ثم ثنَيْتُ كَرّةً بفَرّه
* والشيخُ لا يَفِرُّ إلاَّ مرّه *

ثم طلبه ، وهرب إلى الشام ، وسلّم بيتَ المالِ ولم يأخذْ منه شيئا .

خالد بن عتاب يستجير بروح ابن زنباع فلا يجيره ، ويجيره زفر بن الحارث

وكتب الحجاجُ إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالدٌ الشامَ ، فسأل عن خاصّة عبد الملك ، فقيل له : رَوْحُ بن زِنْبَاع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إنى جئتُكَ مُستجيرا ، فقال : إننى قد أجرتك إلاَّ أن تكونَ خالدا ،

(١) فى هامش ا من نسخة : «... أوليتها حبست» ، وهى رواية المختار أيضا .
(٢) اللخن : تغير الريح ، ورجل ألخن وامرأة لخناء .
(٣) الفرم والفرمة ، وككتاب : دواء تتضيق به المرأة ، فهى فرماء ومستفرمة .
(٤) جمل ثفال : بطىء .

قال : وإنى خالد ، فتغيّر وقال : أنشدك الله إلاَّ خرجْتَ عنى ؛ فإنى لا آمَنُ عبد الملك ، فقال : أنظرنى حتى تغربَ الشمس . فجعل رَوْح يُرَاعِيها حتى خرج خالد .

فأتى زُفَرَ بْنَ الحارث الكلابىّ فقال : إنى جئتُك مستجيرا ، قال : قد أجَرْتك . قال : أنا خالد بن عتّاب . قال : وإن كنْتَ خالدا .

فلما أصبح دعا ابنين له فتهادَى بينهما.وقد أسنَّ ، فدخل على عبد الملك وقد أذِنَ للناس ، فلما رآهُ دَعَا لهُ بكرسىّ ، فجُعِل[1] عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنى قد أجَرْتُ عليك رجلا ، فأجِرْه ، قال : قد أجرْتُه إلاَّ أنْ يكون خالدا ، قال : فهو خالد ، قال : لا ، ولا كرامة ، فقال زُفَر لابنيه . أنهضانى .

فلما ولَّى قال : يا عَبْدَ الملك ، أمَا[2] واللهِ لو كنْتَ تعلم أنَّ يَدِى تُطيق حَمْلَ القناة ورأسَ الجواد لأجَرْتَ من أجرتُ ، فضحك ، وقال : ياأبا الهذيل، قد أجرناه ، فلا أرَيَنَّه . وأرسل إلى خالد بألفى درهم ، فأخذها ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم .

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد النحوىّ ، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب ، قال : حدثنا عبدالله بن مسلم ، قالا : عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند ، وعشقها أخوه عُيَيْنَة بن أسماء ابن خارجة ، فاستعان بأخيها مالك ، وهو لا يعلم مايجد بها ، يشكو إليه حبّها ، فقال مالك[3]:

(١) فى المختار : « فوضع » . (٢) فى الأصول : « أم والله » .

(٣) الشعر والشعراء ٧٥٨ ، وفى ج : « فكتب إليه مالك » .

أُعُيَيْنُ هَلاَّ إذْ كَلِفْتَ بها كنتَ استغثتَ بفارغ العَقْلِ
أرسلتَ(١) تَبْغِي الغَوْثَ مِنْ قِبَلِي والمستغاثُ إليه في شُغْلِ

قال ابنُ قُتَيبة(٢) خاصة : وهَوِى مالك بن أسماء جاريةً من بنى أسد ، وكانت تنزل داراً من قصب ، وكانت دار مالك فى بنى أسد داراً سرية مبنية بالجص والآجر فقال :

١٦ / ٤٣

مالك يعشق جارية من بنى أسد

يا ليت لى خُصًّا يُجَاوِرُها بَدَلاً بدَارِى فى بنى أسدِ
الخُصُّ فيه تقرّ أعينُنا خَيْرٌ مِنَ الآجُرّ والكَمَدِ

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنا الزّبير بن بكار ، قال : حدثنى عمّى ويعقوب بن عيسى ، وأخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم ، قال : حدثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصلى ، عن الزّبير :

ينشد عمر بن أبى ربيعة بعض شعره

أنّ عمر بن أبى ربيعة رأى مالك بن أسماء . قال أبو هفان فى خَبَرِه : وهو يطوفُ بالبيت ، وقد بهر الناس جمالُه وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلّم عليه وقال له : أنتَ أخى حقًّا ، فقال له مالك : ومَنْ أنا ومَنْ أنت ؟ فقال : أما أنا فستعرفنى ، وأما أنت فالذى تقول :

إنّ لى عند كلّ نفحةِ بستا نٍ منَ الوَرْدِ أو منَ الياسمينا
نظـراً والتفاتةً أترَجّى أنْ تكونِى حَلَلْتِ فيما يَلِينا

غنّت فيه عُلَيّة بنت المهدى خفيف رَمَل بالوسطى .

وقال أبو هفّان فى حديثه : قال له عُمر : ما زِلْتُ أُحِبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك ، فقال له مالك : أنت عُمر بن أبى ربيعة ، قال : نعم .

(١) فى المختار والشعر والشعراء : « أقبلت » .
(٢) الشعر والشعراء ٧٥٨ .

قال الزُّبير فى خبره خاصة : وحدثنى(١) ابنُ أبى كُناسه :

أنَّ عمر لما لقى مالكا استنشده ، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسنَ شِعرك لولا أسماء القرى التى تذكرها فيه ، قال : مثل ماذا؟ قال : مثل قولك :

إنَّ فى الرفْقَةِ التى شيَّعتنا بجويرٍ ممـــا لزَيْنَ الرِّفَاقِ

ومثل قولك :

أشَهِدْتِنا(٢) أم كنتِ غائبةً عن ليلتى بحديثةِ القَسْبِ

ومثل قولك :

حبَّذا ليلـــتى بتَلِّ بَوَنَّى حين نُسْقَى شرابنا ونُغَنَّى

فقال له مالك : هى قُرَى البلد الذى أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره فى شِعرك من أرضِ بلادك ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك(٣) :

حَىِّ المنازِلَ قد دَثَرْنَ خرابا بين الجوين وبَيْن رُكْن كُسابا(٤)

ومثل قولك :

ما على الرَّسْم بالبُلَيَّيْن لو بَيَّـــنَ رَجْعَ السـلام أوْ لو أجابا

فأمسك عنه عُمر بن أبى ربيعة .

(١) الخبر فى البلدان (تل بونى) وفيه : « ابن كناسه » .

(٢) فى البلدان . « أشهدتنى » .

(٣) ديوانه ٤٢٢ ومعجم البلدان (كساب)

(٤) رواية الديوان :

حى المنازل قد تركن خرابا بين الجرير وبين ركن كسابا

وفى البلدان :

. . . قد عمرن خرابا بين الحرير وبين ركن كسابا

ومالك بن أسماء الذى يقول[1] :

وحديثٍ ألذُّه هـو مما ينعتُ الناعتون يُوزَنُ وَزْنا
مَنْطِقٌ صائبٌ وتلحَنُ أحيا نًا وأحلَى الحديثِ ما كان لَحْناَ

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى المنجّم ، قال :

حدثنى أبى ، قال : قلت للجاحظ : إنى قرأتُ فى فَصْلٍ مِنْ كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين[2]: إنما يستحسن من النساء اللَّحْنُ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء — يعنى هذين البيتين — قال : هو كذاك ، فقال : أمَا سَمعْتَ بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحَنَتْ فى كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجّتْ ببيتى أخيها ، فقال لها : إنّ أخاك أراد أنّ المرأة فَطِنة ، فهى تلحَنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى[3] لتستُرَ معناه ، وتُورِّى عنه ، وتفهمه مَنْ أرادت بالتعريض ، كما قال الله عز وجل[4]: ﴿ولتعرِفَنَّهم فى لحنِ القول﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن مِنْ أحد . فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إلىَّ هذا الخبر أوّلاً لما قلْتُ ما تقدم ، فقلت له : فأصْلِحْهُ ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب فى الآفاق ، وهذا لا يُصلح ، أو كلاماً نحو ما ذكرنا ، فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيلِ المذاكرة فحفظْتُهُ عنه .

المتوكل يطلب من ابن داود أن يبتاع له تل بورى

أخبرنى الحسين بن يحيى ، وجعفر بن قدامة ، قالا : قال حماد : حدثنى أحمد بن داود السدّى ، قال :

(١) الشعراء ٧٥٤ .
(٢) البيان والتبيين ١ : ٨٢ .
(٣) المختار : «إلى غير المعنى فى الظاهر» .
(٤) سورة محمد ٣٠ .

ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكل ، وأنا على سَواد الكوفة : أن ابتع لى تلّ بَوَنّى بما بلَغَتْ ، فابتعتُها له ، فإذا قريةٌ صغيرة على تَلٍّ ، قد خرب ما حَوَاليها من الضِّياع ، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم ، قال : فظننتُ حرَّكه عَلَى طلبها أنه غُنِّى :

* حبذا ليلتى بتَلّ بَوَنَّى *

فسألتُ عن ذلك ، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غنّتْه هذا الصوت .

قال حماد : ومكتومة هذه جاريةٌ أهداها أبى إليه لما ولى الخلافة ، فإنه سأل عنه ، فعرف أنه قد كفّ بصره ، فكتب له بمائة ألف درهم ، وأمر بإشْخاصِه إليه مكرّما، فأشخص إليه، وأهدى إليه عِدّة جوارٍ هذه فيهنّ.

الحجاج يعاتب مالكاً ويستعتبه

وروى الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش أنّ الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء ، فعاتبه عِتاباً طويلا ، ثم قال له : أنتَ والله كما قال أخو بنى جعدة[1] :

إذا ما سَوْأةٌ غرّاء ماتَتْ أتيتَ بسوْءةٍ أُخرى بَهيِم[2]

وما تنفكُّ تُرْحَضُ[3] كلّ يوم مِنَ السَّوآت كالطفْل النَّهِيم[4]

أكُلَّ الدّهر سعيُك فى تبابٍ تناغِى كلّ مُومِسةٍ أثيم

فقال له : لستُ كما قال الجعْدِىُّ ، ولكنى كما قلت :

لكل جوادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُها وعثرةُ مِثْلى لا تُقَال مَدَى الدّهْرِ

فَهبْنىَ يا حجّاج أخطأتُ مرّةً وَجُزْتُ عن المُثْلى وغنّيتُ بالشِّعر

فهل لى إذا ما تبتُ عندك توبةٌ تَدارك ما قد فات فى سالف العمر[5]

---

(١) ملحق ديوانه ٢٣٧ ، والمفضليات ٧٠ . (٢) بهيم : سوداء .

(٣) ترحض : تغسل ، وفى ا : « تدحض » والنهيم والمنهوم : الذى يمتلىء بطنه ولا تنتهى نفسه . (٤) كذا فى ج ، وفى ا ، م : « العظيم » .

(٥) ا : « فى منتهى العمر » .

فقال له الحجاج : بلى واللهِ ، لئن تبْتَ لأقبلنّ توبتك ولأعفّينّ(١) على ما كان منْ ذنبك ومَنْ لى بذلك يا مالك ؟ قال له : لك الله به ، قال : حَسْبِيَ الله ونعم الوكيل ، فانظُر ما تقول ، قال : الحقّ أصلحك اللهُ لا يَخْفَى على أحد . قال : فترَك مالكُ الشرابَ ، ووفّى بعهده وأظهر النسكَ ، ثم طما به الشعر ، وطال عليه تَرْكُ اللّذّات والشراب ، فقال :

مالك يعود إلى الشراب

وَنَدمانِ صِدْقٍ قال لى بعد هَدأةٍ ... من الليل : قم نَشْرَبْ ، فقلتُ له : مَهْلا
فقال : أبُخْلاً يا بْنَ أسماء ها كها ... كُمَيْتاً كريحِ المِسْكِ تَزْدَهِف العَقْلاَ(٢)
فتابعتُه فيما أراد ولم أكُنْ ... بَخيلاً على النّدمان أو شَكِساً وَغْلاَ
ولكننى جَلْدُ القُوَى أبذلُ النّدى ... وأشربُ ما أُعطَى ولا أقبلُ العَذْلا
ضحوكٌ إذا مادبّت الكأسُ فى الفتى ... وغيَّره سُكْرٌ وإنْ أكثر الجَهْلاَ

قال : فبلغ الحجاج أنّ مالكا قد راجع الشّرابَ ، فقال : لا يأتى مالك بخير سَجِيسَ الأوجس(٣) ، قاتلَ اللهُ أيمن بن خُرَيم حيث يقول :

إذا المَرْء وفّى الأربعين ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يأتِى حِجَابٌ ولا سِتْرُ
فَدَعْه وما يأتى ولا تعذلنّه ... وإنْ مدّ أسبابَ الحياة له العُمْرُ

وأنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش أبياتَ أيمن هذه الرائية ، وقال : أخذ معناها من قول ابن عباس : إذا بلغ المرْء أربعين سنة ولم يتُبْ أخذ إبليس بناصيته ، وقال : حبّذا مَنْ لا يُفلح أبدا . وأولُ الأبيات هذه :

(١) المختار : «ولأعفون» .
(٢) تزدهف العقل : تذهب به .
(٣) سجيس الأوجس : طوال الدهر .

وَصهبَاء جُرجانيّة لم يَطُف بها حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدرُ(١)

ولم يشهد القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَها طَرُوقاً ولا صلَّى على طَبْخها حَبْرُ

أتانِى بها يَحْيى وقد نِمْتُ نومةً وقد غابت الجَوْزَاء وانحدر النَّسْر

فقلت : اصطبحْها أو لغيرىَ سَقِّها فما أنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْحَكَ والخمر !

إذا المَرْء وفَّى الأربعين ولم يكن له دُونَ ما يأتى حِجابٌ ولا سِتْر

فدَعْهُ ولا تنفس عليه الذى أتى ولو مَدَّ أسبابَ الحياة له العمر

(١) لم تنغر : لم تغل .

صــوت

تلك عِرْسِى تَرُومُ هَجْرِى سفاهاً ... وتَجنّتْنِى فما تُوافِى عِناقِى
زعمتْ أنهــا تُوانِى مع المـا ... ل وأنى مُحالف[1] إملاق
وتناست رَزِيّةً بدمشــقٍ ... أشخصتْ مُهْجَتِى فُوَيْقَ التَّراقى
يوم نلقى نعشَ ابْنَ عُروة محـ ... مولاً بأيدى الرجال والأعناق
مستحَثًا به سِباقاً إلى القبْـ ... ـر وما إن لحثّهم من سِباق
ثم وَلَّيتُ مُوجَعاً قد شَجَانى ... قربُ عَهْدٍ بهم وبعـد تلاقِ

عروضه من الخفيف[2]. الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائى[3] يرثى محمد ابن عُروة بن الزّبير. والغناء لدحمان، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابْنِ محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبَش.

---

(١) ا : « محالفى إملاق ».

(٢) ا : « من السريع » وهو خطأ.

(٣) كذا فى المختار؛ قال: وإنما سمى النسائى؛ لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ويشترى منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك. وقيل: سمى بذلك لأنه كان يبيع النجد والفرش التى تتخذ للعرائس، فسمى يسارا النسائى.

[من أخبار عروة بن الزبير]

أخبرنا الطوسى والحرمىّ بن أبى العلاء ، قالا : حدثنا الزبير ، قال : حدثنا مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عُرْوَة ، قال :

غضبه لوقوع قوم فى أخيه عبد الله بمجلس عبد الملك ابن مروان

قدم عُروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فدخل فأجلسه معه على السرير ، فجاء قومٌ فوقعوا فى عبد الله بن الزبير ، فخرج عُرْوَة فقال للآذِن : إنّ عبد الله بن الزُّبير ابنُ أُمىّ وأَبى ، فإذا أردتم أنْ تقَعُوا فيه فلا تأذنوا لى عليكم .

فذُكر ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : قد أخبرنى الآذِنُ بما قلْتَ ، وإنّ أخاك لم يكن قتلُنا إياه لعداوةٍ ، ولكنه طلب أمْراً وطلبناه فقُتل دونه ، وإنّ الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلاّ شتموه ، فإذا أَذِنَّا لأحدٍ قبلك فقد جاء مَنْ يشتمه فلا تدخل ، وإذا أذنّا لأحد وأنت جالس فانصرف .

قدومه على الوليد ابن عبد الملك حين شلت رجله

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شَلَّت رجلُه ، فقيل له : اقطعها ، قال : إنى لأكره أنْ أُقطع منّى طابقا ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنها إنْ وقعت فى الركبة قتلتْك ، فقُطعت ، ولم يقبض وَجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا تجد معه ألما ، فقال : ما يسعنى أنّ هذا الحائط وقَانى أذاها .

قال الزُّبير : وحدّثنى مصعب بن عثمان بن عامر ، عن صالح ، عن هشام ابن عروة ، قال :

مقتل ابنه محمد

سقط محمد بن عُروة بن الزُّبير ــ وأمه بنت الحكم بن أبى العاص ابن أمية ــ من سطح فى اصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك ، فضربته بقوائمها حتى قتَلَتْه ، فأتى عروة رجل يعزّيه ، فقال عروة : إن كنتَ تعزّينى برِجْلى

فقد احتسبتُها ، فقال بل أُعزّيك بمحمد ، قال: وماله ؟ فخبّره بشأنه ، فقال[1]:

وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نكبةً[2] أقول شوًى مالم يُصِبْنَ صَميمِى[3]

اللهم أخذْتَ عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، فإنك إنْ كنت أخذْتَ لقد أبقيْتَ ، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت .

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق ، فأتاه ابنُ المنكدرِ ، وقال : كيف كنت ؟ فقال : ﴿ لقد لَقِينا مِنْ سفرِنا هذا نَصَبا[4] ﴾ ٥

عيسى بن طلحة يعزيه أكرم عزاء

قال الزبير : وحدّثنى عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن ابن الماجشون : أنّ عيسى بن طلحة جاء إلى عُرْوَة بن الزُّبير حين قدم مِنْ عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قُطِعت رِجْلُه ، فقال عُرْوَة لبعض بنيه : اكشف لعمّك عن رِجْلى ينظر إليها ، ففعل ، فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعدَدْنَاك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رَأْيَك وعِلْمَك . فقال عُرْوَة : ما عزّانى أحَدٌ عن رجلى مثلك . ١٠

قال الزبير : وحدثنى مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام ابن عروة :

الوليد بن عبد الملك يبعث إليه بمن هو أعظم بلاء منه

أنه قدم على الوليد رَجُلٌ مِنْ عَبْس ضَريرٌ محطومُ الوَجْهِ ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : بتُّ ليلةً فى بطْنِ وادٍ ، ولا أعلمُ فى الأرض عَبْسِيًّا يزيد مالُه على مالى ، فطرقَنَا سيْلٌ ، فذهب بما كان لى مِنْ أهْلٍ ومالٍ وولَد إلاّ صبيّا مولودا وبَعيرا ضعيفا ، فندّ البعيرُ والصبىُّ معى ، فوضعته ، ١٥

(١) اللسان (شوى) ، ونسبه للبريق الهذلى .

(٢) كذا فى جـ وبيروت ، وفى ب ، س : « هالكا » .

(٣) الشوى : الشىء الهين . وفى ب ، س ، بيروت : «حميمى » . ٢٠

(٤) سورة الكهف ٦٢ .

واتبعت البعيرَ ، فما جاوزْتُ ابنِي قليلا إلاّ ورأسُ الذئب فى بَطْنِه ، فتركتُه ، واتّبَعْت البعيرَ ، فرَمَحني رَمْحةً حطم بها وَجْهِي ، وأذهب عَيْنِي ، فأصبحتُ لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بَصر .

فقال الوليد بن عبد الملك : اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أنَّ فى الناس مَنْ ٥ هو أعظمُ بلاءً منه .

عمر بن أبى ربيعة يسأل عن محمد ابن عروة

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ ، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد[1]، ومحمد ابن العباس اليزيدىّ ، وجماعة أخبرونى قالوا : حدثنا الزُّبَير بن بكار ، قال حدثنى عمِّى ، عن جدى ، عن هشام بن عروة ، قال :

خرجْتُ مع أبى عروة بن الزبير حاجًّا ، ومعنا أخِي محمد بن عروة ، وكان ١٠ مِنْ أحسنِ الناس وجها ، فلما كنّا فى بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبى ربيعة يكلِّمُ بعضَنا ، فقلنا : هذا أبو الخطاب لو سايَرْنَاه ، فرآنا عُروة ، فقال : فِيمَ أنتُم ؟ قلْنا : هذا عمَر بن أبى ربيعة ، فضرب عُرْوَة إليه راحلتَه ، فلما رآها عُمَر عدل إليه فسلّم عليه ، ثم قال : وأيْنَ زَيْنُ المواكب ؟ — يعنى محمد ابن عُرْوة — فقال : قد تقدّم ، فعدل عن عُرْوة واتبع محمداً ، فقال له عُرْوة : ١٥ نحن أكفَى لك وأوْلَى أنْ تُسايِرَنا ، فقال : إنى رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان ، وضرب راحلته ومضى .

(١) بيروت : « وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى » .

صـــوت

يا بنى الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِى إنما يُفْعَلُ هـــذا بالذَّلِيلْ

عَوِّدوا مُهْرِى الذى عوَّدْتُهُ دَلَجَ الليلِ وإيطاء القتيلْ

واسْتِباء الزِّقِّ مِنْ حانَاتِهِ شائلَ الرِّجلين معصوباً يَمِيلْ

عروضه من ثانى الرمل . ٥

بنو الصَّيْداء : بَطْن من بنى أسد . والدَّلَج : السيرُ فى آخر الليل ، يقال دَلَجَ يَدْلِجُ — مخففة — إذا سار من آخر الليل ، وادَّلج يدّلج ، إذا سار الليل كله . وَاسْتِباء الزِّقّ ، أراد استباء الخمر فيه ، أى ابْتِيَاعها من حاناتها . والحانات : جمع حانة ، وهى الموضع الذى تُباع فيه الخمرُ . وشائل الرجلين : رافعهما .

وروى الأصمعىّ وأبو عمرو : ١٠

أحمـــلُ الزِّقَّ على منْسِجِهِ فيظَلّ الضيفُ نَشْوَانًا يَمِيلْ

الشعر لزيد الخيل الطائىّ . والغناء لابن محرز ، خفيف رمل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى ، عن يحيى المكىّ . وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وفيه لعاذل لَحْن من كتاب إبراهيم غير مجنَّس ، وذكر حبَش أنّ فيه لِنُبَيْهٍ [١] لحناً من الثقيل الثانى بالوسطى . ١٥

---

(١) كذا فى ما .

أخبار زيد الخيل ونسبه

نسبه

هو زَيْد بن مُهَلْهِل بن يزيد(١) بن مُنْهِب بن عَبْدِ رُضا ـ ورُضا : صنم كان لِطَيِّئٍ ـ ابن مخلس بن ثور بن عدىّ بن كنانة بن مالك بن نائل(٢) بن نبهان ، ـ وهو أسود بن عَمْرو بن الغَوْث بن جَلْهمة ـ وهو طيِّئٌ ؛ سُمِّى بذلك لأنه كان يَطوى المناهل فى غزواته ـ ابن أُدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأصفر ابن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو هُود النبى صلى الله عليه وسلم . كذا نسبه النَّسَّابون ، والله أعلم .

وأُم طيِّئٍ مُدِلَّة بنت ذى منحسان بن عَرِيب بن الغَوْث بن زُهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومُدِلَّة هذه هى مَذْحِج ، وهو لقبُها ، وهى أم مالك بن أدد ، وكانت مُدِلَّة عند أدد أيضا ، فولدت له الأشعر واسْمُه نَبْت ، ومرَّة ، ابنى أدد . ومن الناس مَنْ يقولُ مَذْحِج ظَرِب(٣) صغير اجتمعوا عليه ، وليس بأمّ ولا أب ، والله أعلم .

سماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير

وكان زَيْدُ الخيلِ فارساً مِغْوَاراً مظفَّراً شجاعاً بَعيدَ الصِّيت(٤) فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولقِيَه وسُرَّ به وقرّظه ، وسمّاه زَيْدَ الخير .

شاعر فارس

وهو شاعر مُقِلٌّ مُخَضْرَمٌ معدودٌ فى الشعراء الفرسان ، وإنما كان يقول

(١) بيروت : « زيد » .

(٢) ما : « تابل » .

(٣) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير ، وجمعه ظراب .

(٤) فى المختار وبيروت : « بعيد الصوت » ، وهما بمعنى .

الشعر فى غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عندَ مَنْ مَرَّ عليه[١] وأحسنَ فى قِراه إليه[٢]؛ وإنما سمى زيد الخَيْلِ لكثرة خَيْلِه، وأنه لم يكن لأحدٍ مِنْ قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفَرَسان، وكانت له خَيْلٌ كثيرة، منها المسمّاة المعروفة التى ذكرها فى شِعْرِه وهى ستّة، وهى: الهَطَّال، والكُمَيت، والوَرْد، وكامِل، ودؤول[٣]، ولاحق. وفى الهطال يقول:

سبب تسميته زيد الخيل

قال شعراً فى خيله

أُقرِّبُ مَرْبِطَ الهطَّالِ إنّى ... أرى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيَالِ

وفى الوَرْد يقول:

أبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أنْ يُكرِهَ القَنَا ... وحاجةُ نَفْسِى فى نُمَيْرٍ وعامِرِ

وفى دؤول يَقول:

فأقسم لا يُفَارِقُنى دؤول ... أجولُ به إذا كثر الضِّرَابُ

هذا ما حضرنى مِنْ تسمية خَيْلِه فى شعره، وقد ذكرها.

له ثلاثة بنين شعراء

وكان لِزَيْد الخيل ثلاثة بنين كلّهم يقول الشعر، وهم عُروة، وحُرَيث، ومهلهل. ومن الناس مَنْ يُنكِر أن يكونَ له من الولد إلاّ عروة وحُريث.

وهذا الشعر الذى فيه الغناء يقوله فى فرس مِنْ خَيْله ظَلَعَ فى بَعْضِ غزواته بنى أسد، فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذَتْه بَنُو الصيداء، فصلح عندهم، واستقلّ.

وقيل: بل أغْزَى عليه بَعْضَ بنى نبهان، فنَكَّس عنه وأُخذ. وقيل:

(١) المختار: «من من عليه».

(٢) المختار: «وأحسن فى ندائه إليه».

(٣) المختار: «وزمول».

إنه خلّفه فى بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقلّ ، فأغارت عليهم بنو أسد ، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال فى ذلك زيد الخيل :

يا بَنى الصَّيْدَاء ردُّوا فرسى إنما يُفْعَلُ هـــذا بالذَّليلْ

لا تُذِيلوه فإنى لم أكُنْ يا بَنِى الصَّيْدا لمُهْرِى بالمُذِيل[1]

٥ عوِّدُوه كالذى عـــوَّدْتُه دَلَجَ اللَّيْـلِ وإيطاء القَتِيلْ

أحمِل الزقَّ على مِنْسَجِه[2] فيظلّ الضيفُ نشوانًا يَميل

قال أبو عَمْرو الشيبانىّ : وكان زيْد الخيل مُلِحًّا على بنى أسد بغاراته ، ثم على بنى الصيداء منهم ، ففيهم يقول[3] :

ضجّتْ بَنُو الصَّيْدَاء من حربنا والحربُ من يحللْ بها يضجرِ

١٠ بِتْنا نُزجِّى نحوهم ضُمَّراً معروفةَ الأنساب من منسرِ

حتى صبحناهم بهـا غُدْوَةً نقتلهم قَسْراً على ضُمَّرْ

يدعون بالوَيْـل وقـد مَسَّهم منا غداةَ الشِّعب ذى الهَيْشر

ضربٌ يُزِيلُ الهامَ ذو مَصْدَقٍ يَعْلُو على البيضة والمِغفَرَ

الهَيْشَر : شجر كثير الشَّوْك تأكلهُ الإبل .

١٥ نسخت من كتاب لأبى المحلِّم ، قال : حدثنى أضبط بن الملوّح ، قال لى : أبى : أنشد حبيب بن خالد بن نَضْلة الفَقْعَسىّ قول زَيْد الخيل :

* عَوِّدُوا مُهْرِى الذى عوَّدْتُه *

(١) أذال فرسه : لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل .

(٢) المنسج من الفرس : أسفل حاركه .

(٣) الإصابة ٣ : ٥٩٨ ، نقله عن الأغانى .

فضحك ثم قال : قولوا له : إنْ عوَّدْناه ما عوّدْتَه دفعناه إلى أول مَنْ يَلْقانا ، وهربنا

وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى جماعة من طيء

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى إجازة، قال: حدثنى علىّ بن حرب، قال : أنبأنى هشام بن الكلبى أبو المنذر ، قال : حدثنى عباد بن عبد الله النَّبهانىّ عن أبيه عن جده ، وأضفْتُ إلى ذلك مارواه أبو عَمْرو الشيبانى ، قالا :

وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعه وزِر[1] بن سَدُوس النَّبْهانىّ ، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمىّ[2] ، ومالك بن جبير المغنى ، وقُعين بن خليل[3] الطَّريفىّ ، فى عدة من طيء ، فأناخوا رِكابَهم بباب المسجد ، ودخلوا ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس ، فلما رآهم قال : إنى خَيْرٌ لكم مِنَ العُزَّى ، ومما حازت مَنَاع[4] من كل ضارّ غير يَفاع ، ومن الجَبَلِ الأسود[5] الذى تعبدونه مِنْ دون الله عزّ وجل .

قال أبو المنذر : يعنى بمَناع[6] : جَبل طيء .

إسلامه

فقام زَيْد ، وكان من أجمل الرّجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرسَ المشرف ورِجْلاه تخطّان الأرض كأنه على حمار ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : ومَنْ أنْتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل . فقال رسول الله : بل أنْتَ زَيْد الخير ، وقال : الحمد لله الذى جاء بك من سَهْلك

(١) كذا فى جـ ، وهو يوافق ما فى الإصابة .

(٢) كذا فى جـ ، ما ، وفى ب ، س : « حوير الجرمى » ، وفى الإصابة : «جودر الجرمى»

(٣) جـ ، والمختار : « بن خالد » .

(٤) كذا فى ما : من غير تشديد وفى ب ، س : بالتشديد .

(٥) كذا فى جـ وبيروت ، وفى ب ، س : « الجمل الأسود » .

(٦) فى ب ، س : بيفاع وهو تحريف .

وجَبلك ، ورقّق قلبك على الإسلام ، يازيد ، ما وُصف لى رجل قطّ فرأيتُه إلاّ كان دون ما وُصف به إلاّ أنتَ ؛ فإنك فَوْقَ ما قيل فيك .

أصابته الحمى ومات بها

فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أىّ رجل إن سلم من آطام المدينة ! فأخذَتْه الحُمّى ، فأنشأ يقول :

٥ أنَخْتُ بآطام المــدينة أرْبَعاً وخَمساً يغنّى فوقها الليــلَ طائرُ
شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها من الدَّرْس والشَّعْراء والبَطْنُ ضامر[١]

فمكث سبعاً ، ثم اشتدت الحُمّى به فخرج ، فقال لأصحابه : جَنِّبُونى بلادَ قيس ؛ فقد كانت بيننا حماسات فى الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتِلُ مسلما حتى ألقى اللهَ . فنزل بماءٍ لحىٍّ من طيِّئ يقال له فَرْدَة ، واشتدّت به الحُمّى ،

١٠ فأنشأ يقول :

أمُرْتحِلٌ صَحْبِى المَشارقَ غدوةً وأُتركَ فى بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنجدِ[٢]
سقى الله ما بين القَفِيل فطابَةٍ فما دونَ أرمام فما فوق مُنْشِدِ
هنالك لو أنى مرضتُ لعادنى[٣] عوائدُ من لم يَشْفِ منهن يَجْهَدِ
فليتَ اللواتى عُدْنَنى لم يَعُدْنَنى وليت اللواتى غِبْنَ عَنِّىَ عُوَّدِى

١٥ قال : وكتب معه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لبنى نبهان بفَيْدَك[٤] كتاباً مفرداً ، وقال له : أنتَ زَيْدُ الخير ، فمكث بالفَرْدَة سبعةَ أيام ثم مات . فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سَبْعاً ، ثم بعث راحِلَتَهَ ورَحْلَه ، وفيه

---

(١) الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل . والدرس ، بفتح الدال وكسرها : الثوب الخلق . والشعراء : مافيه شعر .

٢٠ (٢) المختار : « مفرد » . (٣) المختار : « هنالك إنى لو مرضت لعادنى » .

(٤) كذا فى « ما » وهوما يرجحه نص الإصابة والطبقات ، وفى المختار . « بفردة » ، وفى ب ، س : « بفدك » تحريف .

كتابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظرت امرأته ـ وكانت على الشِّرْك ـ إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت :

ألاَ إنما زيدٌ[1] لكُلِّ عظيمةٍ إذا أقبلتْ أَوْبَ الجرادِ رِعالها
لَقاهُمْ[2] فما طاشَتْ يَدَاه بضربهم ولا طَعْنهم حتى تولَّى سِجالها

قال : فبلغنى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما بلغه ضَرْبُ امرأةِ زَيْد الراحلة بالنار ، واحتراق الكتاب ، قال : بُؤْساً لبنى نَبْهان .

وقال أبو عمرو الشيبانىّ :

لما وفد زَيْد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل إليه ، طرح له مُتَّكَأً فأعظَمَ أنْ يتكئ بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فردّ المُتَّكَأ ، فأعاده عليه ثلاثا ، وعلَّمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويستسقى فيُسقَى ، وقال : يا رسولَ الله ، أعطِنى ثلاثمائة فارس أُغير بهم على قصور الروم ، فقال له : أىّ رجل أنت يا زيد ! ولكن أمّ الكلبة تقتلك ـ يعنى الحمّى ـ فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلاّ قليلا حتى حُمّ ومات .

قال أبو عمرو : وأسلموا جميعا إلاّ وزر ؛ فإنّه قال لما رأى النبي صلى الله عليه وآله : إنى لأرى رجلا ليملكنَّ رقابَ العرب ، ووالله لا يملك رقبتى أبدا ؛ فلحق بالشام ، فتنصَّر وحلق رأسه ، فمات على ذلك .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدثنى السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبىّ ، قال :

أقبل زَيْدُ الخيل الطائىّ حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان زَيْد رجلا جَسيما طويلا جميلا ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أنتَ ؟ قال :

(١) جـ والمختار : « ألا نبها زيداً » ـ رعال : جمع رعلة وهى القطعة من الخيل .
(٢) لقاهم : لقيهم ، وهى لغة طيىء فيما أشبهها .

أنا زيد الخيل . قال : بل أنت زيد الخير ، أما إنى لم أُخبَر عن رجل خبراً إلا وجدتُه دُونَ ما أُخبِرْتُ به عنه غيرك ؛ إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله عزّ وجل ورسوله ، قال : وما هُمَا يارسول الله ؟ قال : الأَناة والحلم ، فقال زيد : الحمد لله الذى جَبلنى على مايحبُّ اللهُ ورسولُه .

عمر يسأله عن طيء وملوكها ونجدتها وأصحاب مرابعها

قال : ودخل زَيْد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عُمر رضى الله عنه ، فقال عمر لزَيْد : أخبرنا يا أبا مُكْنِف عن طيء وملوكها نَجدَتها[1] وأصحاب مَرابعها ، فقال زيد : فى كلٍّ يا عُمَر نَجْدَةٌ وبأس وسيادة ، ولكلّ رَجل مِنْ حَيِّه مِرْباع ، أما بنو حَيَّة فملوكنا وملوكُ غيرنا ، وهم القَداميس[2] القادة ، والحماة الذّادة ، والأنجاد السادة ، أعظَمُنا خَميسا[3] ، وأكرمنا رئيسا ، وأجملنا مجالس ، وأنجدنا فوارس . ١٠

فقال له عُمر رضى الله عنه : ما تركْتَ لِمنْ بقى مِن طيء شيئا ، فقال : بَلَى والله ؛ أمّا بنو ثُعَل وبنو نَبْهان وجَرْم ففوارسُ العَدْوة[4] وطلّاعو كلّ نجوة ، ولا تُحَلّ لهم حَبْوَة ، ولا تُراعُ لهم ندوة ، ولا تُدْرَكُ لهم نَبْوَة ، عُمود البلاد ، وحَيَّة كلّ وادٍ ، وأهل الأَسَل الحِداد ، والخيل الجياد ، والطّارف[5] والتّلاد . ١٥

وأما بنو جَدِيلة فأسهلُنا قرارا ، وأعظمنا أخطارا ، وأطلبنا للأوتار ، وأحمانا للذّمار ، وأطعمنا للجار .

فقال له عمر : سَمِّ لنا هؤلاء الملوك ، قال : نعم ، منهم عُفَير المُجير على

---

(١) فى ب ، س ، : عدتها .

(٢) القداميس : جمع قدموس ؛ وهو السيد . ٢٠

(٣) الخميس : الجيش .

(٤) فى المختار : « العدة » .

(٥) فى المختار : « والطريف » .

الملوك ، وعَمْرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمْرُ ذو الجود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلّ ظلام ولامة[١] ، وملحم[٢] بن حنظلة ؛ هؤلاء كلّهم من بنى حيّة .

وأما حاتم بن عبدالله الثعلى[٣] الجواد فلا يُجارى ، والسمح فلايبارى[٤] ، والليث الضّرغامة ، قوّاع كلّ هامة ، جودُه فى الناس علامة ، لا يَقَرّ على ظُلامة. ٥
فاعترض رَجُلٌ من بنى ثُعَل لامدح زَيْد حاتما، فقال : ومنا زَيْد بن مهلهل النبهانىّ رئيس قومه وسيدُ الشّيب والشبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكل مكان ، أسرعَ إلى الإيمان ، وآمنَ بالفرقان ، رئيس قومه فى الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم ، على شحْط المزلو ، وطُموسِ الآثار ، وفى الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تلبّث . ١٠

ومنا زيد بن سدوس النّبهانىّ عصمة الجيران ، والغَيْثُ بكل أوَان ، ومُضْرِم النيران ، ومطعم النّدمان ، وفخر كل يَمان .

ومنا الأسد الرّهيص ، سيد بنى جَدِيلة ، ومدوّخ[٥] كل قبيلة ، قاتل عنترة فارس بنى عَبْس ، ومكشّف[٦] كل لبس .

فقال عمر لزيد الخيل : لله دَرُّك يا أبا مُكْنِفٍ[٧] فلو لم يكن لطيئٍ غيرك وغير عدىّ بن حاتم لقهرتْ بكما العرب . ١٥

(١) فى المختار : « وسراج كل لامة » ، واللامة : الهول .
(٢) فى المختار : « وملجم » ، بالجيم .
(٣) فى ب ، س : الثعلبىّ .
(٤) كذا فى ج ، وفى ب ، س : « الجواد بلا مجار ، والسمح بلا مبار » ٢٠
(٥) فى المختار : « ومدوح » .
(٦) فى المختار : « وكاشف » .
(٧) أبو مكنف ، كمحسن : كنية زيد الخيل .

أخبرنى ابن دريد ، قال : أخبرنى عمّى ، عن أبيه ، عن ابن الكلبىّ ، عن أبيه ، قال : أخبرنى شيخٌ مِنْ بنى نبهان ، قال :

قصته مع الشيبانى

أصابَتْ بنى شيبان سنَة ذهبَتْ بالأموال ، فخرج رَجُلٌ منهم بعِيَالِه ، حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونُوا قريبا من الملك يُصِبكنّ من خيره حتى أرجع إليكنّ ، وآلَى أَلِيَّةً لا يرجعُ حتى يكسبهنّ خيراً أو يموت . فتزوّد زاداً ، ثم مشى يوما إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّد يَدُور حَوْل خباء . فقال : هذا أوّل الغنيمة ، فذهب يَحُلُّه ويركبه ، فنودى : خَلِّ عنه واغْنَمْ نفسك ، فتركه ، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس ، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من أَدَم ، فقال فى نفسه : ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ ، وما لهذه القبة بدٌّ من ربٍّ ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل ، فنظر فى الخباء ، فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقُوَتاه ، كأنه نَسْرٌ .

قال : فجلستُ خَلْفَه ، فلما وجبت[1] الشمسُ إذا فارسٌ قد أقبل لم أر فارسا قطّ أعظم منه ولا أجسم ، على فرس مُشْرِف ، ومعه أسودان يمشيان جَنْبَيه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها ، فبرك الفَحْل ، وبركت حَوْله ، ونزل الفارسُ ، فقال لأحد عَبْدَيْه : احلُبْ فلانة ، ثم اسْقِ الشيخَ ، فحلب فى عُسٍّ[2] حتى ملأه ، ووضعه بين يدى الشيخ وتنحَّى ، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين ، ثم نزع ، فثُرْت إليه فشربته ، فرجع إليه العَبْد . فقال : يا مولاى ، قد أتى على آخره ، ففرح بذلك ، وقال : احلُبْ فلانة ، فحلبها ، ثم وضع العُسّ بين يدى الشيخ ، فكرع منه واحدةً ، ثم نزع ، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصفَه ، وكرهتُ

(١) وجبت الشمس : غربت .

(٢) العس : القدح العظيم .

أنْ آتِيَ على آخره ، فَأَتَّهم[١] ، فجاء العَبْدُ فأخذه وقال لمولاه : قد شرب ورَوِى ، فقال : دَعْهُ ، ثم أمر بشاةٍ فذُبحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعَبْدَاه ، فأمهلتُ حتى إذا ناموا وسمعتُ الغطيطَ ثُرتُ إلى الفَحْل ، فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بى وتبعَتْــه الإبلُ ، فمشيت ليلتى حتى الصباح ، فلما أصبحْتُ نظرت فلم أرَ أحدا ، فشللْتُها إذاً شلاًّ[٢] عنيفا حتى تعالى النهارُ ، ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنَا بشىء كأنه طائر ، فما زال يَدْنُو حتى تبيَّنْتُه ، فإذا هو فارِسٌ على فَرَس ، وإذا هو صاحبى بالأمس ، فعقلت الفَحْلَ ، ونثلْتُ كِنانتى ، ووقفتُ بينــه وبين الإبل ، فقال : احلل عِقَالَ الفَحْل ، فقلت : كلاّ والله ، لقــد خلّفت نُسيّات بالحيرة ، وآليتُ أليّةً لا أرجع حتى أُفيدهن خيراً أو أموت . قال : فإنك لميِّت ، حُلَّ عقاله ، لا أُمَّ لك ! فقلت : ما هُوَ إلاّ ما قلت لك ، فقــال : إنك لمغرور : انصب لى خطامَه ، واجعلْ فيه خَمْس عُجَر[٣] ففعلت ، فقال : أين ترُيد أنْ أضعَ سهمى ؟ فقلتُ : فى هذا الموضع ، فــكأنما وضعه بيده ، ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم ، فرددْتُ نَبْلى ، وحططتُ قوسى ، ووقفت مستسلما ، فدنا منى وأخــذ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارْتَدِفْ خَلْفِى ، وعرف أنى الرجل الذى شربت اللَّبَنَ عنــده ، فقال : كيف ظنُّك بى ؟ قلت : أسوأ ظنّ[٤] . قال . وكيف ؟ قلتِ : لما لقيتَ من تعب ليلتك ، وقد أظفرك اللهُ بى ، فقال : أترانا كنّا نهيجك ، وقد بتَّ

(١) ب ، س : « فإنهم » ، تحريف .

(٢) فى المختار : « فشللته » ، وشل الإبل : طردها .

(٣) العجر : جمع عجرة ، وهى العقدة .

(٤) كذا فى جـ . وفى ب ، س ، ما : « أحسن الظن » .

تنادم مُهلهلاً ؟ قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زَيْد الخيل ، فقلت : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فقال : ليس عليك بأس .

فمضى إلى مَوْضعه الذى كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لى لسلمتها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقِمْ علىّ ؛ فإنى على شَرَف غارةٍ .

٥ فأقمتُ أياماً ، ثم أغار على بنى نُمير بالمِلْح ، فأصاب مائةَ بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دُونكها . وبعث معى خُفَراء من ماءٍ إلى ماءٍ ، حتى وَرَدُوا بى الحيرة ، فلقينى نبطىٌّ : فقال لى : يا أعرابىّ ، أيسرُّك أنّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرب مخرج نبىٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض،ويحول بين أربابها وبينها ، حتى

١٠ إن أحدهم ليبتاعُ البستان من هذه البساتين بثمن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلى حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيِّطَيْن[1] فبينما نحن فى الشَّيِّطَيْن[2] على ماءٍ لنا ، وقد كان الحَوْفَزان بن شريك أغار على بنى تميم ، فجاءنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمْنا ، وما مضَتِ الأيامُ حتى شريتُ بثمن بعير من إبلى بستاناً بالحيرة . فقال فى يوم

١٥ المِلْح زيد الخيل :

ويوم الملح مِلحِ بنى نُمَيْرٍ أصابتكم بأظفارٍ ونابِ

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنى عَمّى عن ابن الكلبىّ ، عن أبيه ، والشرقى .

يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن حكم ما تصيده الكلاب من الوحش

أنّ زَيْد الخيل قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن فى الحىّ

٢٠ رجلين لهما كلاب مُضَرَّيات[3] تَصيدُ الوحش ، أفنأكل مما أمسكته

(١) كذا فى ما . وفى ب ، س : سقط اسمه من الكتاب .

(٢) الشيطان : واديان فى ديار بنى تميم لبنى دارم ، ويوم الشيطين من أيامهم .

(٣) مضريات : معلمات للصيد .

ولم تُدركْ ذكاته ؟ فقال : « إذا أرسلْتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه وكُلْ مما أمسك » ، أو كما قال عليه السلام .

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن حمّاد الراوية ، عن ابن أبى ليلى ، قال :

ليلى بنت عروة أنشدت شعر أبيها فى يوم محجر

أنشدتنى ليلى بنت عُروة بن زَيْد الخيل الطائى شِعْرَ أبيها فى يوم مُحَجِّر (١) : ٥

بنى عامرٍ هل تعرفون إذا غَدَا أبو مُكْنِفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدوابرِ (٢)
بجيشٍ تضلُّ البُلْقُ فى حَجَراته تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافرِ
وجَمعٍ كمثل الليل مرتجزِ الوَغَى (٣) كثيرٍ حواشيه (٤) سريعِ البوادرِ

قالت ليلى : فقلت لأبى : يا أبَهْ ، أشهدْتَ ذلك اليوم مع أبيك ؟ قال : إى ١٠ والله يا بنيّة ، لقد شهدته ، قلت : كم كانت خَيْلُ أبيكَ هذه التى وصفت ؟ قال : ثلاثة أفراس (٥) .

غزا بنى عامر

نسختُ من كتاب عَمْرو بن أبى عمرو الشيبانىّ بخطّه عن أبيه : أنّ زيدَ الخيل بن مهلهل جمع طَيِّئًا وأخلاطًا لهم، وجموعًا مِنْ شُذَّاذِ العرب ، فغزا بهم بنى عامر ومَنْ جاورهم مِنْ قبائل العرب مِنْ قَيْس ، وسار إليهم ١٥ فَصبّحهم من طلوع الشمس، فنَذِروا (٦) به، وفزعوا إلى الخَيْل وركبوها، وكان أول مَنْ نَذِر بهم ، فلقى جمعهم غَنِىُّ بن أعصر وإخوتهم الحارث وهو (٧) الطُّفاوة،

(١) ا : « محجن » ، تحريف . وفى البلدان : محجر ، بالضم ثم الفتح وكسر الجيم المشددة ، وقد تفتح . والأبيات فى الكامل ١ . ٣٥٨ .

(٢) س والمختار : « الدوائر » ، والمثبت يوافق ما فى الكامل . ٢٠

(٣) فى الكامل : « مرتجس الوغى » . (٤) فى الكامل والمختار : « تواليه » .

(٥) الكامل : « ثلاثة أفراس ، أحدها فرسه » .

(٦) نذروا به : علموه فحذروه واستعدوا له .

(٧) كذا فى جـ ، وفى ب ، س : « وهم » .

واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، فاستحرّ القَتْلُ بِغَنِيّ ، وفيهم يومئذ فُرْسان وشُعَراء ، فملأت طيء أيديهم من غنائمهم[1] ، وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئةَ الشاعر ، فجزّ ناصيته وأطلقه .

أسر الحطيئة وأطلقه

٥ ثم إنّ غنيًّا تجمّعَتْ بعد ذلك مع لِفٍّ[2] من بنى عامر فغزَوْا طيئاً فى أرضهم ، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم .

وقد كان زَيْد الخَيْل قال فى وقعته لبنى عامر قصيدتَه التى يقول[3] فيها :

وخيبة من يخيب على غَنِيٍّ وباهلةَ بْنِ أعصُرَ والكلابِ

فلما أدركوا ثأرهم أجابه طُفَيْل الغنوىّ ، فقال :

١٠ سَمَوْنا بالجيادِ إلى أعادٍ مُغاورةً بجِدٍّ واعتصابِ

نؤمّهم على وَعْثٍ[4] وشحطٍ بِقُودٍ[5] يَطّلِعن من النِّقابِ

وهى طويلة يقول فيها :

أخذنا بالمخَطَّم من أتاهم من السُّودِ المزَنَّمةِ الرِّغابِ[6]

وَقَتَّلْنا سَرَاتَهُمُ جِهارًا وجئنا بالسَّبايا والنِّهابِ

١٥ (١) ب ، س : « غنائم تيم » .

(٢) اللف : القوم المجتمعون ، أو من عد فيهم .

(٣) الإصابة ١ : ٥٥٥ .

* وجنبة من يخب على غنى *

وقال : قال أبو عبيدة : أرادوا وصفهم بعدم الامتناع وعدم الجبن ، فإذا خاب من يريد

٢٠ الغنيمة منهم كان غاية فى الإدبار . وانظر رواية ابن قتيبة .

(٤) كذا فى ما ، وفى ب ، س : رعب . ووعث الطريق تعسر سلوكه .

(٥) قود : جمع أقود وهو السلس المنقاد .

(٦) المزنم من الإبل : المقطوع طرف الأذن . قال أبو عبيدة : وإنما يفعل ذلك بالكرام منها ، « اللسان » . والرغاب : الواسعة الدر الكثيرة النفع ، جمع الرغيب . وفى س : « الرعاب »

٢٥ بالعين ، والرعاب : السمان .

سبايا طَيِّئٍ أبرزن قَسْرًا وأُبدلن القصورَ من الشِّعابِ
سبايا طَيِّئٍ من كلّ حَيّ نما[1] فى الفرع منها والنِّصابِ
وما كانت بناتُهمُ سبيًّا ولا رغباً يعدُّ مِن الرِّغاب
ولا كانت دماؤهمُ وفاءً لنا فيما يُعدّ من العِقاب

١٦ / ٥٣

أخبرنى الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ،عن أبيه ، قال :

عروة بن زيد الخيل

كان لزَيْدِ الخيل ابن يقال له عُرْوَة ، وكان فارساً شاعراً ، فشهد القادسيّة ، فَحَسُنَ فيها بلاؤُه ، وقال فى ذلك يذكر حُسْنَ بلائه :

برزتُ لأهْلِ[2] القادسيّة مُعْلِما وما كلّ مَنْ يَغْشَى الكريهةَ يَعْلَمُ
ويوم[3] بأكناف النُّخَيْلة قَبْلَها شهدتُ فلم أَبْرَحْ أُدَمَّى وأُكْلَمُ
وأقعصتُ[4] منهم فارساً بَعْدَ فارسٍ وما كلّ مَنْ يلقى الفَوارسَ يَسْلَمُ
ونجّانِىَ اللهُ الأَجلّ وجِيرتى وسيفٌ لأطراف المرازب مِخْذَمُ[5]
وأيقنتُ يوم الدَّيْلَميِّين أننى متى ينصرف وَجْهى عن القوم يُهْزَمُوا
فما رُمْتُ حتى مزّقوا برماحهم ثيابى وحتى بلّ أَخْمَصىَ الدّمُ
محافظةً إنِّى امرؤ ذو حَفيظة إذا لَمْ أَجِدْ مستأخراً أتقدّمُ

قال : وشهد مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه صِفِّين ، وعاش إلى إمارة معاوية ، فأراده على البراءة مِن علىّ عليه السلام ، فامتنع عليه ، وقال :

(١) كذا فى جـ و ب ، س : « بمن » .
(٢) المختار : « لآل » ، وهما سواء .
(٣) جـ ، و المختار : « ويوماً ... »
(٤) أقعص الفارس : قتله مكانه وأجهز عليه .
(٥) المرازب : جمع مرزبان ؛ وهو الرئيس من الفرس . مخذم : قاطع .

يحاولُنى معـــاويةُ بن حَرْبٍ   وليس إلى الذى يَهْوَى سبيلُ
على جَحْدى أبا حَسَنٍ عليًّا   وحظِّى من أبى حَسنٍ جليل

قال : وله أشعار كثيرة .

بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجرار فقتله لما أبى الإسلام

قال أبو عمرو : كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار ، وأدرك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبى الإسلام ، وامتنع منه ، فيقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه زَيْدَ الخيل ، وأمره بقتاله ، فمضى زيد فقاتله فقتله لمّا أبى الإسلام ، وقال فى ذلك .

صبّحتُ حَىَّ بَنى الجرّار دَاهيةً   ما إن لتغلبَ بعد اليوم جَرّارُ
نحوى النِّهابَ ونحوِى كلَّ جاريةٍ   كأن نُقبتها(١) فى الخدِّ دِينارُ

أغار على بنى عامر

قال مؤرّج : خرج رجل من طيِّئٍ يقال له :ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له مِنْ هوازن ، فأُصيب الرجل ـ وكان شريفاً ذا رِياسة فى حَيِّه ـ فبلغ ذلك زَيْداً ، فركب فى نبهان ومَنْ تبعه من ولد الغَوْث ، وأغار على بنى عامر ، وجعل كلما أخذ أسيرا قال له : أَلَكَ عِلْم بالطائىّ المقتول ؟ فإن قال: نعم، قتله ، وإن قال : لا ، خَلَّى سبيله ومَنَّ عليه . وأصاب رجالا من بنى الوحيـد(٢) والضباب وبنى نُفَيل . ثم رجع زَيْد إلى قومه ، فقالوا : ما صنعتَ ؟ فقال : ما أصبْتُ بثأر ذُؤاب ، ولا يَبُوء به إلا عامر بن مالك ملاعب الأَسنة ، فأما ابنُ الطفيل فلا يبوء به ، وأنشأ زيد يقول :

لا أرَى أن بالقَتيل قتيلاً   عامريًا يَفِى بقَتْل ذُؤاب
ليس مَنْ لاعَب الأسنة فى النقـــع وسُمِّى ملاعبـــاً بأراب

(١) النقبة : الأثر ، وفى جـ « ثقبتها » تحريف .
(٢) كذا فى المختار ، وهو الوجه . وفى سائر الأصول : « وكان رجل من أصحاب » .

عامرٌ ليس عامرَ بنَ طُفَيل لكن العَمْرُ رأسُ حىّ كِلاب
ذاكَ إن ألقَهُ أنالُ به الوتـرَ وقرّتْ به عيونُ الصِّحابِ (١)
أو يَفُتْني فقد سُبِقتُ بوترٍ مَذْحِجىٌّ وجَدُّ قومىَ كابى
قد تقنّصْتُ للضِّبابِ رجالاً وتكرمتُ عن دِماء الضِّبابِ
وأصبنا مِنَ الوَحيدِ رجالا ولُفَيلٍ فما أساغوا شرابى

١٦
٥٤

٥

فبلغ عامر بن الطفيل قولُ زَيْد الخيل وشعره، فأغضبه وقال مجيباً له:

قل لزيدٍ قد كنتَ تؤثَر بالحلـ ـم إذا سُفِّهتْ حلومُ الرِّجالِ
ليس هذا القتيلُ مِنْ سَلَفِ الحـىِّ كَلاَعٍ ويَحْصُبٍ وكُلاَلِ(٢)
أو بنى آكلِ المُرار ولا صيـدِ بنى جَفْنَةَ الملوك الطِّوالِ
وابن ماء السماء قد علم النّا سُ ولا خيرَ فى مقالةِ غالى
إنَّ فى قتْلِ عامرِ بنِ طُفَيلٍ لبَواءً (٣) لطيِّئْ الأجبالِ
إننى والذى يَحجُّ له النّا س قليلٌ فى عامر الأمثالِ
يوم لا مال للمحارب فى الحرْ ب سِوَى نَصْلِ أسمرٍ عَسّالِ
ولجامٍ فى رأس أجْرَدَ كالجِذْ عِ طُوالٍ وأبيضٍ قَصّالِ
ودِلاَصٍ كالنِّهْىِ ذاتِ فضولٍ ذاكَ فى حَلْبَةِ الحوادث مالى(٤)
وليَعُمَّ فضل الرياسةِ والسـنُّ وجَدٌّ(٥) على هوازنَ عالى

١٠

١٥

(١) ج: «المصاب».
(٢) كلاع ويحصب وكلال: أحياء يمانية.
(٣) بواء: كفاء، وفى ج، ما: «لبواراً».
(٤) الدلاص: الدروع الملساء اللينة. والنهى: الغدير أو شبهه.
(٥) فى المختار: «وجدى».

٢٠

غير أنى أولى هوازنَ فى الحر ... بِ بضَرْبِ المتوَّج المختال

وبِطَعْنِ الكَمِىِّ فى حَمْسِ النقْ ... ع على مَتْنِ هَيْكَلٍ جوّال

قال أبو عمرو الشيبانىّ :

أغار على بنى مرة

لما بلغ زَيْد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعَمْرو بن الإطْنَابة الخَزْرَجىّ وهجائه إياه ، غضب زَيدٌ لذلكَ ، فأغار على بنى مُرّة بن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته فى غارته ، ثم مَنّ عليهما ، وقال يذكرُ ذلك :

ألاَ هل أتى غَوْثاً ورُومانَ أننا ... صبَحنا بنى ذُبْيانَ إحدى العظائم

وسُقْنا نساء الحىّ مُرَّةَ بالقَنا ... وبالخيل تَرْدِى قد حوينا ابن ظالم[1]

جَنِيباً لأعضاد النواجى يَقُدْنَه ... على تَعَبٍ بين النَّواجى الرواسم[2]

يقول:اقبلُوا مِنّى الفداء وأنعِمُوا ... علىّ وجُزُّونى مكانَ القوادِم

وقد مسّ حدُّ الرمح قوّارةَ اسْته ... فصارت كِشِدْقِ الأعْلَمِ المُتَضاجِم[3]

وسائلْ بناجارَ ابنِ عوف فقدرأى ... حليلتَه جالَتْ عليها مقاسمى[4]

تُلاعب وُحْدانَ العضاريط بَعْدَما ... جَلاَها بسهميه لقيطُ بن حازم[5]

أغرّكَ أنْ قيل ابنُ عوف ولا أرى ... عَزِيمك إلاَّ وَاهِيًا فى العزائم

غداة سَبَيْناَ مِنْ خَفاجة سَبْيَها ... ومرّتْ لهم مِنّا نحوسُ الأشائم

فمن مُبلِغٌ عنى الخزارجَ غارةً ... على حىِّ عوفٍ موجفاً غَيْرَ نائم

(١) ردى الفرس – كرمى – ردياً ورديانا : رجمت الأرض بحوافرها ، أو هو بين العدو والمشى .

(٢) أعضاد : جمع عضد : ما حوله الشىء . النواجى : جمع ناجية : الناقة السريعة

(٣) ا : « كشل الأعلم » والمتضاجم : المعوج الفم .

(٤) ا : « جالت عليه » .

(٥) ا ، ج : « أحدان العضاريط » ، وأحدان ووحدان سواء . والعضاريط : الخدم والأتباع ، واحده عضروط .

غـارته على بنى فزارة وبنى عبدالله ابن غطفان

١٦ / ٥٥

وقال أبو عمرو : أغار زَيد على بنى فزارة وبنى عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبو ضَبّ ، ومع زَيْد الخيل من بنى نَبْهان بطنان يقال لهما : بنو نَصْر وبنو مالك ، فأصاب وغَنِم ، وساقوا الغنيمة، وانتهى إلى العَلَم، فاقتسموا النِّهاب ، فقال لهم زيدٌ : أعطونى حقّ الرياسةِ ، فأعطاه بنو نَصْر ، وأبَى بنو مالك ، فغضب زَيد ، وانحدر إلى بنى نصر ، فبينما بَنُو مالك يقتسمون إذْ غشيَتْهم فَزارةُ وغطفان ، وهم حلفاء ، فاستنقذوا ما بأيديهم . فلما رأى زَيْد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبّ ، وأخذ ما فى أيديهم ، فدفعه إلى بنى مالك ، وكانوا نادَوه يومئذ: يازَيْداه أغِثْنا ! فكرّ على القوم حتى استنقذ ما فى أيديهم ، وردّه ، وقال يذكر ذلك :

كررْتُ على أبطالِ (١) سَعْدٍ ومالكٍ ... ومَنْ يَدعُ الدّاعى (٢) إذا هو ندّدا

فلأيًا كررتُ الوَرْدَ حتى رأيْتُهم ... يُكَبّون فى الصحراء مَثْنَى ومَوْحَدا

وحتى نبذتم بالصَّعيد رِماحَكم ... وقد ظهرت دَعوى زُنَيمٍ وأسعَدا

فما زلتُ أرميهم بغُرَّة وَجْهه ... وبالسيف حتى كلّ تحتى وبَلّدا

إذا شكّ أطرافُ العوالى لَبانَهُ ... أُقدّمه حتى يَرَى المَوتَ أسودا

عُلالَتها بالأمس ما قد علمتمُ ... وعَلّ الجوارى بيننا أنْ تُسَهَّدا

لقد علمتْ نَبْهانُ أنّى حميتُها ... وأنى منعتُ السَّبْىَ أنْ يتبدّدا

عشيَّةَ غادرتُ ابْنَ ضَبّ كأنما ... هوى عن عُقاب من شماريخ صِنْددا (٣)

بذى شُطَبٍ أُغشِى الكتيبةَ سَلْهبًا (٤) ... أقبَّ كَسِرْحان الظلام معوّدا (٥)

(١) كذا فى ا ، ب ، س ، وفى جـ : « فتيان » .

(٢) ا : « ومثلى دعا الداعى » .

(٣) ا : « هوى عن حفاف » . وفى المختار : « صمردا » ، والصمرد ، واحد الصماريد ؛ وهى الأرضون الصلاب . وصندد : جبَل بتهامة .

(٤) كذا فى ا ، جـ . وفى المختار : « أغشى الكريهة » .

(٥) فى ا : « كسرحان الظلام معردا » .

قال أبو عمرو : وخرج زَيْد الخيل يطلبُ نَعَماً له مِنْ بنى بَدْر ، وأغار عامرُ بن الطفيل على بنى فَزارة ،فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد ، واستاق نعماً لهم، فقالت بنو بَدْر لزَيْد : ما كنا قطّ إلى نَعَمك أحْوج منّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى ، وعامر يقولُ : ياهند ، ماظنُّك بالقَوْمِ ؟ فقالت : ظنّى بهم أنّهم سيطلبونك ، وليسوا نياما عنك .

زيد وعامر بن الطفيل

قال : فحطأ[1] عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول استُها شيئاً ، فذهبتْ مثلا .

فأدركه زَيْد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجَماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر ، فقال : يا عامر ، خَلّ سبيلَ الظعينة والنَّعم . فقال عامر : مَنْ أنت ؟ قال : فزاريٌّ أنا . قال عامر : والله ما أنْتَ من القُلْح[2] أفْواهاً . فقال زَيْدٌ : خَلّ عنها ، قال لا ، أو تخبرنى مَنْ أنت ؟ قال : أسدىٌّ ، قال : لا والله ما أنْتَ من المتكوِّرين على ظهُورِ الخيل . قال : خَلّ سبيلها . قال : لا والله أو تخبرنى فأصدقنى[3] ، قال : أنا زَيْد الخيل ، قال : صدقْتَ ؛ فما تريد مِنْ قتالى ، فوالله لئن قتلتنى لتطلبنّك بَنُو عامر ، ولتذهبنَّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلّ عنها ، قال : تخلّى عنّى وأدَعُكَ والظعينة والنّعم ؟ قال : فاستأسِر ، قال : أفعل ، فجزّ ناصيته ، وأخذ رُمْحه ، وأخذ هنداً والنعم ، فردَّها إلى بنى بَدْر ، وقال فى ذلك :

إنا لنُكثِرُ فى قَيْسٍ وقائعَنا وفى تميمٍ وهذا الحىِّ من أسدِ
وعامرِ بن طفيل قد نحوتُ له صَدْرَ القناة بماضى الحدّ مطَّرِد

(١) حطأ فلانا : ضرب ظهره بيده مبسوطة .
(٢) القلح ، بالقاف والحاء : جمع أقلح ؛ وهو الذى فى أسنانه صفرة . وفى المختار : الفلج ، والفلج : المتباعدو ما بين الأسنان .
(٣) فى المختار : « فتصدقنى » .

لما أحسَّ(١) بأنّ الوَرْدَ مُدرِكه | وصارِماً وَرِبيطَ الجأش ذا لُبَدِ
نادَى إلىَّ بسِلْمٍ بعدما أخَذَتْ | منه المنيةُ بالحَيْزُومِ واللُّغُدِ
ولو تصبَّر لى حتى أُخالِطَه | أسْعرته طعنَةٌ تكْثار بالزَّبَدِ(٢)

١٦
٥٦

قال: فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً(٣)، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا(٤) أبداً، وتجهّزوا ليغيروا على طيّ، ورأَّسُوا عليهم علقمة بن عُلاثَة، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير.

أسرا الحطيئة وكعب ابن زهير ثم أطلقهما

فبعث عامر إلى زَيْد الخيل دَسِيساً يُنْذِره، فجمع زيدٌ قومه، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم، فحبسهم؛ فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد، فادِنَا. قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبَوْا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلاّ الحطيئة وكَعْباً، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيت، وشكا الحطيئة الحاجةَ، فمنَّ عليه، فقال زيد:

أقول لعبدَىْ جَرْوَل إذ أسَرْتُهُ | أثِبْنِى ولا يَغْرُرْكَ أنك شاعِرُ
أنا الفارسُ الحامِى الحقيقةَ والذى | له المَكْرُمات واللُّهَى(٥) والمآثِرُ
وقومى رُءوس الناسِ والرأسُ قائد | إذا الحربُ شَبَّتْها الأكُفُّ المساعِرُ
فلستُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه | وأتْرِعَ حَوْضَاه وحَمَّجَ ناظِرُ(٦)
بِوَقَّافةٍ يخشى الحُتُوفَ تَهَيُّباً | يُباعِدُنى عنها من القُبِّ(٧) ضامِرُ

(١) فى ا: «لما تحسب أن الورد». وفى المختار: «لما تيقن».

(٢) ب، س، جـ: «كالنار بالزند»، وفى المختار: «تكن بالزبد» والمثبت من ا، جـ، وفى هامشه: تكثار، أى تجيش وترمى بالزبد، من قولهم: اكتار الفرس، إذا رفع ذنبه فى العدو.

(٣) فى المختار: «محزونا». (٤) فى المختار: «لاتذوق رسنا أبدا».

(٥) اللهى: العطايا. (٦) هامش ا: «التحميج: تحديد النظر».

(٧) القب: جمع الأقبّ، وهو من الخيل الدقيق الخصر.

ولكننى أغشى الحتوفَ بصَعْدَتى[1] مجاهرةً إنّ الكريمَ يُجاهِرُ[2]
وأرْوِى سِنَانى من دِمَاءٍ عزيزة على أهلها إذ لا ترجَّى الأياصِرُ[3]

فقال الحطيئة لزيد : شعر الحطيئة لزيد

إن لم يكن مالِى بآتٍ فإنّنى سيأتى ثنائى زيداً بن مُهَلْهِلِ[4]
فأعطيتَ منا الوُدّ يوم لقيتنا ومن آل بَدْرٍ شدَّة لم تُهلَّلِ[5]
فما نلتَنا غَدْراً ولكن صبَحْتَنا غداةَ التقينا فى المضيق بأخْيَلِ[6]
تَفَادَى حماةُ القومِ من وقع رمحه تفَادِى ضعافِ الطَّيرِ مِن وَقْع أجدل

وقال فيه الحطيئة أيضاً[7] :

وقعتَ بعَبْس ثم أنعمت فيهم ومن آل بدر قد أصبت الأخابرا[8]
فإنْ يشكروا فالشكرُ أدنى إلى التقى وإن يكفروا لا ألْفَ يا زيدُ كافرا[9]
تركتَ المياهَ من تميمٍ بلاقعاً بما قد ترى منهم حُلُولاً كراكرا[10]

(١) فى المختار : « وصعدتى » . والصعدة : القناة المستوية .
(٢) فى المختار : « إن الشجاع مجاهر » .
(٣) الأياصر : جمع آصرة ؛ وهى قرابة الرحم .
(٤) ديوانه ٨٢ ، وفيه : « إلا يكن . . . فإنه » .
(٥) فى الديوان : « وأعطيت منا الود ... ومن آل بدر وقعة » وفى ابن الشجرى : « فأعطتك » . ولم تهلّل : لم تضعف .
(٦) هامش ا : «الأخيل: الشقراق يتشاءم به». وفى شرح الديوان: « بأخيل : جمع خيل.
(٧) ديوانه ٨٧ .
(٨) جـ والمختار : « عنهم » ، وفى الديوان : « قد أصبت الأكابرا » .
(٩) فى المختار « لم ألف » .
(١٠) الكراكر : الجماعات ، واحدها كركرة .

وحىَّ سُلَيْمٍ قد أَبَرْتَ شَرِيدَهم[١] وبالأمس ما قتَّلتَ يا زيد عامرا[٢]

فرضى عنه زيد ومَنَّ عليه لما قال هذا فيه ، وعدَّ ذلك ثوابا من الحطيئة وقبله .

امتناع الحطيئة عن هجائه

فلما رجع الحطيئةُ إلى قومه قام فيهم حامداً لزَيْد ، شاكراً لنعمته ، حتى أسرَتْ طيءٌ بنى بدر ، فطلبت فزارةُ وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجوا ٥ بنى لأم وزيداً ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ، فصاروا إلى الحطيئة فأَبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيرى فقد حقن دَمى ، وأطلقنى بغير فِداءٍ ؛ فلست بكافر لمعتَهُ أبداً ، قالوا : فإنا نُعْطِيك مائة ناقة ، قال : واللهِ لو جعلتموها أَلْفاً ما فعلت ذلك . وقال الحطيئة :

كيف الهجاء وما تنفكُّ صالحةٌ من آل لأمٍ[٣] بظَهْر الغَيْب تأْتينا ١٠

المنعمين أقام العِزُّ وسطَهُمُ بيضُ الوجُوه وفى الهيجَا مَطَاعِينا

١٦ / ٥٧

وقد أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال :

خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنَّصُون الوَحْشَ ، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم ، فافتدى بُجَيْر نفسه بفرس كان لكعب أخيه ، وكعب يومئذ مجاوِر فى بنى مِلْقَط من طيءٌ ، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه . ١٥

غزا فزارة مع بنى نبهان

وقال أبو عمرو : غزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زَيْد الخيل ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وساقت بنو نبهان الغنائم

(١) المختار : « أبرت شريدهم » وفى ج : « وحىّ سليم » .
(٢) ب ، س : « ولا تنس »
(٣) فى ا : « لذى كريم » وفى هامشه وج « من آل زيد » . وفى المختار : « لآل لأم بظهر الغيب » . ٢٠

من النساء والصبيان . ثم إن فزارة حشدت واستعانت[١] بأحياء من قيس ، وفيهم رجل من سُليم شديدُ البأس سيّدٌ يقال له : عباس بن أنس الرعلىّ ، كانت بنو سُليم قد أرادوا[٢] عقْد التاج على رأسِه فى الجاهلية ، فحسده ابنُ عمّ له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بنى سليم فى عدّةٍ من أهل بيتِهِ وقومه ، فنزل فى بنى فزارة ، وكان معهم يومئذ ، ولم يكن لزَيْد المِرباع حينئذ ، وأدركت فزارة بنى نبهان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فلما رأى زيد ما لقيَتْ بنو نبهان نادى : يا بنى نبهان ، أأحمل وَلى المِرْباع ؟ قالوا : نعم ، فشدّ على بنى سليم فهزمهم ، وأخذ أُم الأسود امرأة عباس بن أنس ، ثم شدّ على فزارة والأخلاط فهزمهم ، وقال فى ذلك :

ألا ودَّعَتْ جيرانَها أُمُّ أسْوَدَا ... وضنَّت على ذى حاجَةٍ أن يُزوَّدا
وأبغضُ أخـــلاقِ النساء أشَدُّه ... إلىّ فلا تُولِنَّ أهلى تشـــددا
وسائلْ بنى نَبْهَان عنّا وعندهم ... بلاء كحدّ السيف إذْ قَطَعَ اليدا
دَعَوْا مالــكاً ثم اتّصلنا بمالكٍ ... فــكلٌّ ذَكا مصباحَهُ فتوقّدا
وبشرَ بن عمرو قد تركنا مُجَنْدلاً ... ينوء بخطّــار هناك ومَعْبَدا[٣]
تمطّت به قَوْدَاء ذاتُ عُلَالة ... إذا الصِّلْدِمِ الخِنْذِيذ أعيَا وبَلَّدا[٤]
لقيناهُمُ نستنقذُ الخيــلَ كالقنا ... ويستلبون السَّمْهَرِىَّ المُقَصَّدا[٥]
فيارُبَّ قِدْرٍ قد كفأنا وجَفْنَةٍ ... بذى الرِّمْثِ إذ يدعون مَثْنَى ومَوْحَدَا

(١) ا : « واستغاثت » .
(٢) ا : « قد أرادت » .
(٣) ا : « مجد لا ... هناك معبدا » .
(٤) الصلدم : الفحل الشديد الحافر . والخنذيذ : الطويل وفى ا : « إذا الصارم » .
(٥) ا و جـ : « ويستلبون » . والسمهرىّ : الرمح الصليب العود . والمقصد : المكسور .

على أننى أثوى سـنانى وصَعْدَتى — بِساقَين — زيداً أن يبوء ومعبدا

زيد وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو : وقعتْ حربٌ بين أخلاط طيِّئٍ ، فنهاهم زيد عن ذلك وكَرِهه فلم ينتهوا ، فاعتزل وجاوَرَ بنى تميم ، ونزل على قَيْس بن عاصم ، فغزَتْ بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس ، وزيد معه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وزيد كافٌ . فلما رأى ما لقيَتْ تميم ركب فرسه ، وحمل على القوم ، وجعل يدعو ٥ يا لتميم ، ويتكنّى بكنية قَيْس إذا قتل رجلاً أو أذراه[1] عن فرسه ، أو هزم ناحية ، حتى هزمت بكر ، وظفرت تميم ، فصارت فخراً لهم فى العرب ، وافتخر بها قَيْس .

فلما قدموا قال له زيد : أقسم لى يا قيس نَصيبى ، فقال : وأىّ نصيب ؟ فوالله ما وَلِىَ القتالَ غيرى وغيرُ أصحابى : فقال زيد : ١٠

ألا هل أتاها والأحاديثُ جَمَّةٌ مُغَلْغلةٌ أنباء جَيْشِ اللَّهازِمِ

فلستُ بوقّافٍ إذا الخيل أحجمت ولست بكذَّاب كقيس بن عاصمِ

تُخبِّر مَنْ لاقيتُ أن قد هزمتهم ولم تَدر ما سيماهُمُ والعمائم[2]

بل الفارس الطائىُّ فضَّ جموعَهم[3] ومكَّةَ والبيتِ الذى عند هاشم

إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ بمأْثُورةٍ تَشْفِى صُداعَ الجماجِمِ ١٥

١٦/٥٨

فبلغ المكشَّر بن حَنْظلة العجلىَّ أحد بنى سنان قولُ زيد ، فخرج فى ناس من عِجْل حتى أغار على بنى نَبْهَان ، فأخذ من نعمهم ما شاء ، وبلغ ذلك زَيْد الخيل ، فخرج على فرسه فى فوارس من نبهان ، حتى اعترض القوم ، فقال :

(١) أذراه : أطاره .
(٢) أ : « لا ، وعائم » . وقال فى هامشه : « وعائم: اسم صنم » .
(٣) الفارس الطائى هو زيد الخيل .

٢٠

مالى ولك يا مكسّر ؟ فقال : قولك :

* إذا ما دعوا عجلا عجلْنا عليهم *

فقاتلهم زَيْد حتى استنقذ بعض ما كان فى أيديهم، ورجع المكشر ببقية ما أصاب . فأغار زَيْد على بنى تَيم الله بن ثعلبة ، فغنم وسبى ، وقال فى ذلك :

٥ إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غيرنا عَرَكْنَا بتَيْمِ اللاتِ ذَنْبَ بنى عجل

حريث بن زيد الخيل

وقال أبوعمرو : كان حُرَيث بن زيد الخيل شاعرا ، فبعث عُمر بن الخطاب رجلا من قريش يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه ، فأقبل حتى نزل بمحلّة بنى نبهان ، فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زَيْد بن مُنْهِب ، فلم يقرأ شيئا ، فضربه ، فمات .

١٠ فأقامت بنته أم أوس تندبه ، وأقبل حُرَيث بن زيد الخيل فأخبرته ، فأخذ الرمح فشد على أبى سفيان فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، وقال فى ذلك :

ألاَ بكَّرَ الناعِى بأوْسِ بن خالد أخى الشَّتْوَة الغَبْرَاء والزَّمَنِ المَحْلِ
فلا تَجْزَعِى يا أمَّ أوسٍ فإنّه يلاقى المنايا كلُّ حافٍ وذى نَعْلِ[1]
١٥ فإنْ يقتلوا أوساً عزيزاً فإننى تركتُ أبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأُسَى ما عشْتُ فى الناس بعده ولكنْ إذا ما شئت جاوبنى مِثْلِى
أصبْنَا به من خِيرة القوم سبْعةً كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

(١) فى المختار : «تصيب المنايا» .

صـــوت

بَشَّرَ الظبْىُ والغرابُ بسُعْدَى مَرْحباً بالذى يقول الغرابُ
اذْهَـبِي فاقرئى السلام عليهم ثم رُدِّى جوابَنا يا رَبابُ

عروضه من الخفيف[1] . الشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيّات ، والغِناء لِفنْد[2] المخنّث — مولى عائشة بنت سَعْد بن أَبى وقّاص — خفيف رَمَل بالبنصر. وذكر حبش أنّ هذا اللّحْنَ ليحيى المكى ، وليس ممن يُحصّل قوله .

(١) ا : « من السريع » ، وهو خطأ .
(٢) ضبط فى ا بفتح الفاء ، وهو تصحيف .

[خبر لابن قيس الرقيّات]

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب، مولى بني عامر بن لؤيّ، وأبو الحارث هذا هو الذي ٥ يقولُ فيه عمر بن أبي ربيعة(١):

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ(٢) فائتمر أمْرَ رشيدٍ مُؤتمنْ

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جدّه، قال:

وقوفه إلى جانب عبد العزيز ابن مروان وشعره فيه

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، ١٠ وكتب إلى عبد العزيز يسألُه ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابنٌ ليس ابنُك أحبَّ إليّ منه؛ فإن استطعت ألّا يفرقَ بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل. فرقّ له عبد الملك، وكفّ عن ذلك، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ـ وكان عند عبد العزيز ـ:

١٦ / ٥٩

يَخلُفكَ البيضُ مِنْ بنيك كما يُخْلَفُ عُودُ النُّضَارِ في شُعَبِهْ

١٥ ليسوا مِنَ الخِرْوعِ الضِّعافِ ولا أشباهِ عيدانه ولا غَرَبِهْ

نحن على بيعةِ الرسولِ التي أُعطيتْ في عُجمه وفي عَرَبِهْ

---

(١) ديوانه ٦٥.

(٢) في الديوان: «يا أبا الخطاب قلبي هائم».

نأبى إذا ما دعوتَ فى الزَّغَفِ المسْــرُودِ أبدانه وفى جُنَبِه[١]
نُهدِى رَعِيلاً أمام أرْعَنَ لا يُعرفُ وَجْهُ البلقاء فى لَجَبِه[٢]

فقال عبد الملك : لقد دخل ابنُ قَيْس الرقيّات مَدْخَلاً ضيِّقا ، وتهدّده وشتمه . وقال : أليس هو القائل :

كَيْفَ نومى على الفراش ولما تَشْمَلِ الشّامَ غارةٌ شعواء
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبدى عن خِدَام[٣] العقيلةُ العَذْرَاء

وهو القائل أيضاً :

على بَيْعَةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَبا كرادِيسَ مِنْ خيل وجمعاً مُباركا
تَداركَ أُخرانا ويَمْضِي أمامنا ويتْبَع ميمونَ النقيبة ناسكا
إذا فرغَتْ أظفارُه مِنْ كتيبةٍ أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا[٤]

قال : فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشَتْمه إياه قال :

بَشَّرَ الظَّبىُ والغُرَابُ بسُعْدَى مَرْحباً بالذى يقول الغرابُ
قال لى : إنَّ خيرَ سعدى قريب قد أنَى أنْ يكون منه اقتراب[٥]
قلت : أنَّى تكون سُعْدَى قريبا وعليها الحصونُ والأبواب
حبذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والخَصْــرُ الذى لا ينالُه الأثواب[٦]
إنَّ فى القصر لو دخلتَ غزالا مُصْفَقَاً موصَداً عليه الحِجابُ

(١) ا : «نأبى» ، والزغفة – وقد تحرك – : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل . ودرع زعف وجمعه أزغاف وزغف ، محركة ، وزغوف .
(٢) ا : «وجه اللقاء» .
(٣) فى اللسان (خدم) : أراد وتبدى عن خدام العقيلة ، وخدام هاهنا فى نية عن خدامها . وفى ديوانه ص ٩٦ : «عن براها» .
(٤) البواتك : القواطع . (٥) أنى : حان وقرب .
(٦) المثبت من هامش ا ، و جـ وفى ب والديوان : والقصر الذى لا يناله الأتراب .

أرسلَتْ أن فَدتْكَ نفسيَ فاحذرْ هاهُنا شُرْطةٌ عليك غضاب
أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَم الما ء وهم حين يقدُرُون ذِئاب
قلت: قد يَغْفَلُ الرَّقيبُ ويُغْفِي شُرْطةٌ أو يحينُ منه انقلاب
أو عسى أنْ يُوَدِّيَ الله أمراً ليس فى غَيْبِه علينا ارتِقابُ
٥ اذهبي فاقرئي السلامَ عليها ثم رُدِّى جوابَنا يا رَبابُ
حدِّثيها ما قد لقيتُ وقُولى حَقَّ للعاشق الكريم ثوابُ
رجلٌ أنتِ همُّهُ حين يُمْسى خامَرتْهُ مِنْ أجلكِ الأوصابُ
لا أَشمُّ الريحانَ إلاّ بعَيْنَيَّ كَرماً إنما يشمُّ الكلابُ
رُبَّ زارٍ علىَّ لم يَرَ منّى عثرةً وهو مُومِسٌ كذّابُ
١٠ خادعَ اللهَ حين جلّله الشيبُ فأضحى قد بان منه الشَّبابُ
يأمُرُ الناس أن يبرّوا ويُمْسِى وعليه من غَيبه جِلْبابُ
لا تَعِبْني فليس عندك علم لا تمامَنّ أيُّها المغتاب
تَخْتِلُ الناسَ بالكتاب فهلاّ حين تغتابنى نهاكَ الكتابُ
لَسْتَ بالمُخْبِتِ التقيِّ ولا المُحْصِنيه مِن مقالتى الاحتساب[1]
١٥ إننى والتى رَمَتْ بك كَرهاً ساقطاً مُلصقًا عليك التراب
لتذوقنّ غِبَّ رَأْيك فينا حين تَبْدُو بعرضك الأنداب[2]

قال الزبير: معنى قوله:

لا أشمّ الريحانَ إلاّ بعينيَّ كَرَماً إنّما يشمُّ الكلاب

(١) كذا فى ا، جـ. وفى ب، س: «ولا المهنيه» وفى الديوان: «ولا المحض اللذى
٢٠ لا تذمه الأنساب»

(٢) الأنداب: آثار الجروح الباقية

يُعرِّض بعَبْدِ الملك ؛ لأنه كان متغيِّرَ الفم يُؤذيه رائحته ، فكان فى يده أبدا ريحان ، أو تفّاحة ، أو طيب يشمه .

بيت شعر لابن قيس الرقيات أحفظ عبد الملك ابن مروان

أخبرنى الحرمىّ ، قال : حدثنا الزبير ، عن عمه :

أنّ ابن قيس قال فى عبد العزيز بن مروان :

يلتفتُ الناسُ عند منْبره إذا عمودُ البريّةِ انهدما ٥

يعنى إذا مات عبد الملك ؛ لأنّ العهْدَ كان إليه بعده .

قال الزُّبير : فأخبرنى مصعب بن عثمان ، قال :

لما بلغ عبد الملك هذا البيت أُحفظه ، وقال : بفيه الحجر ، وحينئذ قال : لقد دخل ابنُ قيس مَدْخلا ضيقًا .

أخبرنى الحرمىّ ، قال : حدثنا الزبير ، قال: حدثنى كُثَيِّر بن جعفر ، عن أبيه ، قال : ١٠

الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران بن عصام العنزى

قال الحجّاج يوماً لأهْلِ ثقته مِنْ جلسائه : مامِنْ أحد من بنى أُميّة أشدّ نَصْباً[1] لى من عبد العزيز بن مروان ، وليس يوم من الأيام إلاّ وأنا أتخوّفُ أنْ تأتينى منه قارِعة ، فهل منْ رجل تدلّونى عليه ، له لسانٌ وشعر وجلد ؟ قالوا : نعم ، عمران بن عِصام العنزىّ ، فدعاه فأحلاه ، ثم قال : اخرج بكتابى هذا إلى أمير المؤمنين ، فاقدح فى قَلْبِه من ابنِه شيئا فى الولاية ، فقال له عمران : دُسّ أيها الأمير إلىّ دَسّا ، فقال له الحجاج : « إنّ العوانَ لا تُعلَّمُ الخِمْرة[2] » . ١٥

فخرج بكتاب الحجّاج ، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتابَ ، وسأله عن الحجّاج ، وأمْر العراق ، فاندفع يقول : ٢٠

(١) النصب : المعاداة . وفى بيروت : بغضا إلىّ .

(٢) المستقصى : ٢/ ٣٣٤ يريد أن المجرب عارف بأمره .

أميرَ المؤمنين إليك أُهدى — على الشَّحْط التحيّةَ والسلاما
أميرٌ من بَنِيك يكن جوابى — لهم أُكرومةً ولنا نظاما
فلو أن الوليـــدَ أطاعَ فيه — جعلتَ له الإمامةَ والذِّماما

فـكتب عبد الملك إلى عبد العزيز فى ذلك . ثم ذكر من خبرهما فى المـكاتبة مثل الخبر الذى قبله ، وقال فيه : فرَقَّ عبدُ الملك رِقّةً شديدة ، وقال : لا يكونُ إلى الصلة أسرعَ منى ، فـكفَّ عن ذلك ، ومالبث عبد العزيز إلا ستّة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجّاج ، فأُتى به حين قَتل ابنَ الأشعث فقتله ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : قطع الله يدى الحجاج ! أقَتَلَهُ وهو الذى يقول :

الحجاج يقتل ابن الأشعث وعمران ابن عصام

وبعثت من ولد الأغرِّ مُعتِّبٍ — صَقْراً يلوذُ حَمَامُه بالعَوْسَجِ
وإذا طبختَ بناره أنضجتَها — وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

ذكر فند وأخباره

كان خليعا متهتكا

هو فِنْد أبو زَيْد مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعا متهتكا[1]، يجمع بين الرجالِ والنساءِ فى منزله، ولذلك يقول فيه ابن قَيْس الرقيّات:

صــوت

١٧/٦١

قل لفِنْدٍ يُشَيِّعُ الأظْعانا طالما سَرَّ عيشَنا وكفَانَا
صادراتٍ عشيةً مِنْ قُدَيد[2] وارداتٍ مع الضّحى عُسْفانا
زوّدَتْنا رُقَيّـــةُ الأحزانا يوم جازت حُمولُها السَّكْرَانا[3]

عروضه من الخفيف[4]. غنّاه مالك بن أبى السمح من روايتى إسحاق وعَمْرو بن بانة. ولحنه من خفيف الثقيل بالسّبابة فى مجرَى الوسطى.

وقد اختلف فى اسمه، فقيل: قَنْد بالقاف، وفِنْد بالفاء أصحّ. وبه يضرب المثل فى الإبطاء، فيقال: تَعِست العَجلة.

أخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

أرسلته عائشة بنت سعد ليجيئها بنار فجاءها بها بعد سنة

كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقى عِيراً خارجاً إلى مِصْر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنَة رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة وهو يَعْدُو فسقط وقد قرب منها، فقال: تَعِسَت العَجَلة، فقال بعض الشعراء فى رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال:

(١) كذا فى م والمختار، وفى ا، جـ: «متهمكا».
(٢) ا: «عشية من الآل»، وفى هامشه من نسخة: «قديد». وفى البلدان: «من قديد» أيضاً.
(٣) وكذا فى المختار، والبيت فى البلدان (سكران) مع ثلاثة أبيات أخرى لابن قيس الرقيات والرواية فيه «... حمولها سكرانا».
(٤) فى ا، م: «من السريع»، وهو خطأ.

ما رأينا لعُبَيْدٍ[١] مثلاً إذْ بعثْنَاهُ يَجِي بالمَسْلَهْ[٢]
غير فِنْد بعثْوه[٣] قابساً فثوَى حَوْلاً وسبَّ العَجلَهْ

أخبرنى الحسين، قال: قال حماد: قرأتُ على أبى الهيثم بن عَدِىّ، قال:

ضربه سعد بن إبراهيم فحلفت عائشة ألا تكلمه أو يرضى عنه

كان فِنْد أبو زيد مولى لسَعْد بن أبى وقّاص، فضربه سَعْد ابن إبراهيم ضرباً مُبرِّحا، فحلفَتْ عائشةُ بنت سعد أنها لا تكلِّمُه أبداً أو يرضى عنه — وكانت خالته — فصار إليه سعد طاعة لخالته، فوجده وَجِعاً من ضَرْبه، فسلَّم عليه فحوَّل وَجْهَه عنه إلى الحائط ولم يكلِّمْه، فقال له: أبا زيد، إنَّ خالتى حلفت ألاّ تكلمنى حتى ترْضَى، ولستُ ببارح حتى تَرْضَى عنى. فقال: أما أنا فأشهد أنك مَقيت سَمِج مُبغَّض، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال[٤] لتقومَ عنى، وتُريحنى من وجهك ومن النظر إليك.

فقام من عنده، فدخل على عائشة، وأخبرها بما قال له فِنْد، فقالت: قد صدق، وأنت كذلك ورضِيتُ عنه.

قال: وكان سعدٌ مضطرِبَ الْخُلُق سَمِجاً.

أخبرنى الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبى بكر:

مروان بن الحكم يتهدده

وذكَرَ عوانةُ أنَّ معاوية كان يستعملُ مَرْوان بن الحكم على المدينة سنةً، ويستعمل سعيد بن العاص سنةً، فكانت ولاية مَرْوان شديدةً يهربُ فيها أهل الدعارة والفسوق، وولايةُ سَعيد ليِّنة يرجعون إليها، فبينا مَرْوان

---

(١) فى ب، س والمختار: «ما رأينا لسعيد»، وفى اللسان: «لغراب».
(٢) فى المختار واللسان: «بالمشملة»؛ وهى كساء يشتمل به دون القطيفة.
(٣) فى اللسان: «أرسلوه».
(٤) المختار: «على هذه الأحوال».

يأتى المسجد وفى يده عكّازة له ، وهو يومئذ مَعزول ، إذا هو بفِنْـدٍ يمشى بين يديه ، فوكزه بالعكازة ، وقال له : ويلك هيه .

* قل لفِنْـد يُشَيِّع الأَظْعَانَا *

أتشيّع الأظعانَ للفساد — لا أمَّ لك — إلى أهل الريبة ! ستعلمُ مايحلّ بك منّى ، فالتفت إليه فِنْـد ، وقال : نعم ، أنا ذلك وسبحان الله ! ما أسمَجك والياً ومَعْزُولا ! فضحك مَرْوان ، وقال له : تمتَّعْ ، إنما هى أيّام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك منى .

صـوت

حَىِّ الدُّوَيْرَةَ إذ نأتْ منّا على عُدَوائِهـا
لا بالفراق تُنيلنـا شيئاً ولا بلقائهـا

عروضه من الكامل(١). الشعر لنُبَيْه بن الحجّاج السَّهمىّ ، والغناء
لابن سريج ، رَمَل بالوُسْطَى عن عَمْرو .

١٧
٦٢

(١) المراد : من مجزوء الكامل .

أخبار نبيه ونسبه

نســـبه

هو نبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهْم بن عَمْرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب ؛ وأمُّه وأم أخيه مُنَبِّه أرْوَى بنت عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصىّ .

قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين

أعشى بنى تميم يمدحه ويمدح بنى الحجاج

وكان نُبَيْه بن الحجّاج وأخوه من وُجوهِ قريش وذوى النباهة فيهم، ٥ وقُتِلا جميعاً يوم بَدْر مشركَيْنِ ، ولهما يقول أعشى بنى تميم — وهو ابن النبّاش ابن زُرارة ، وكان أخوه أبو هالَة بن النبّاش زَوْج خديجة أم المؤمنين فى الجاهلية ، ولها منه أولاد لهم عقِب إلى الآن — وكان الأعشى مَدَّاحاً لهم ، وفيهم يقول ، وهى قصيدة طويلة[1] :

لله دَرُّ بنى الحجّاج إذْ نُدِبوا ... لا يَشتكى فِعْلَهم ضيفٌ ولا جارُ[2] ١٠

إن يكسبوا يُطعِموا مِنْ فَضْلِ كَسبِهمُ ... وأوفياء بعَقْدِ الجارِ أحرارُ[3]

وفى نبيه يقول أيضاً[4] :

إنَّ نُبَيهاً أبا الرزّامِ أفضلُهم[5] ... حِلْماً وأجودُهم ، والجودُ تَفْضِيلُ

ليس لفعل[6] نُبيهٍ إنْ مَضَى خَلَفٌ ... ولا لقول أبى الرزّام تَبْدِيلُ

(١) الآمدى ٢١ ، ونسب قريش ٤٠٣ .

(٢) فى الآمدى : وقد أراها حديثاً وهى آنسه لا يشتكى أهلها ... ١٥

ندبوا : دعوا للقيام بالأمور .

(٣) فى ج : « أبرار » ، وفى الآمدى :

وأوفياء لمن آووه أبـــــرار

(٤) نسب قريش ٤٠٤ . ٢٠

(٥) نسب قريش : « أحلمهم » .

(٦) نسب قريش : « ليس لقول » .

ثقفٌ كلقمانَ ، عَدْلٌ فى حكومته[١] سيفٌ إذا قام وَسْطَ القوم مسْلُولُ
وإنَّ بيتَ نُبيهٍ مَنْهَجٌ فَلَجٌ[٢] مُخَضَّر بالندى ما عاشَ مَأْهُولُ[٣]
من لا يَعُرُّ ولا يؤذى عشيرتَه ولا نَدَاهُ عن المُعْتَرّ معدول[٤]

وله أيضاً فيهما مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلا ببَدْر لم أستَجِزْ ذِكْرَها ؛
٥ لأنهما قُتِلا مشركَيْنِ محارِبَيْن لله ورسوله .

شعره فى زوجتيه وقد سألتاه الطلاق

وكان نُبَيه مِنْ شعراء قريش ، وهو القائل وقد سألته زوجَتَاه الطلاق ، ذكر ذلك الزُّبَيْر بن بكّار[٥] :

تلك عِرْسايَ تنطقتان بِهُجْرٍ وتقولان قَوْلَ زُورٍ وهِـتْرٍ[٦]
تسألانى الطلاقَ أنْ[٧] رأتانى قلَّ مالِى، قد[٨]جئتمانى بِنُكْر
١٠ فلعلّى أنْ يَكْثُرَ المالُ عِنْدِى ويُخَلَّى[٩] من المغارم ظَهْرى
ويُرَى أعْبُدٌ لنَا وجِيَادٌ ومَنَاصِيف[١٠] مِنْ وَلائِدَ عَشْر
وَيْكَأَنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْـبَبْ ومَنْ يفتقر يَعِشْ عَيشَ ضُرٍّ

---

(١) ثقف : حاذق .
(٢) فلج : يراد به هنا الواسع .
١٥ (٣) فى نسب قريش ٤٠٤ : « محضر أبداً ... » ، والرواية فى ا : « ... مخضر أبداً ما عاش مأمول » .
(٤) فى ج : «من لا يعق» . عرهم : ساءهم . والمعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ؛ سألك أوسكت عن السؤال . اللسان (عرر) . وفى نسب قريش : « من لا يعن » .
(٥) فى هامش ا : « الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل » .
٢٠ (٦) فى ا ، م : « قول أثر وعثر » .
(٧) فى ب ، س : « إذ رأتانى » . (٨) فى نسب قريش : « إذ جئتمانى » .
(٩) فى ج : « ويعرى » .
(١٠) المناصيف : الخدم ، واحدها منصف ، كمنبر ومقعد .

ويُجَنَّبُ يُسْرَ الأمورِ ولكنّ ذَوِى المالِ حُضَّرُ كلَّ يُسْرِ(١)

أخبرنى الطوسىّ والحرمىّ، قالا: حدثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدثنى على بن صالح:

شعر آخر له

أنّ عامر بن صالح أنشده لنُبَيْه بن الحجاج:

قَصَّرَ العُدْمُ(٢) بى ولو كنت ذا ما لٍ كثيرٍ لأجلبَ(٣) الناسُ حَوْلى ٥

ولقالوا: أنت الكريمُ علينا ولحطّوا إلى هواىَ ومَيْلى

ولَكِلْتُ المعروفَ كَيْلاً هَنيًّا(٤) يَعْجِزُ الناسُ أنْ يكيلوا كَكَيلى

قال الزُّبير: قال علىّ بن صالح: وأنشدنى عامر بن صالح لنبيه ابن الحجّاج أيضاً:

١٧/٦٣

قالت سُليمىَ إذ طَرَقْتُ أزورُها: لا أبتغى إلاّ امرَأً ذَا مَالِ ١٠

لا أبتغى إلّا امرأً ذا ثَرْوَة كيا يَسُدُّ مَفَاقِرِى وخِلالى(٥)

فلأحرِصَنَّ على اكتسابِ محبَّبٍ ولأَكْسِبَنْ فى عِفّةٍ وجمالِ

أخبرنى الطوسىّ والحرمىّ، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى عمّى مصعب، قال:

نزل نُبَيْه بن الحجّاج قُدَيدا(٦) يُرِيدالشامَ، فغيَّب بعضُ بنِى بكر ناقتَه، ١٥ يريد أخْذَ الجعالة عليها منه، فقال نُبيه فى ذلك:

وردتُ قُدَيْداً فالتَوى بذراعها ذؤبانُ بكرٍ كلُّ أطلسَ أفْحَجِ(٧)

(١) فى ج: «ويجنب سر الندى ولكن أخا المال محضر كل سر».

(٢) ا، م: «قصر الشىء».

(٣) أجلب الناس حولى: تجمعوا وأتونى من كل واد. (٤) ا، م: «هنيئاً». ٢٠

(٥) المفاقر: وجوه الفقر لا واحد لها. والخلال: الحاجات.

(٦) قديد: موضع قرب مكة.

(٧) ذؤبان بكر: يريد لصوصها — أطلس: وسخ الثياب مغبرها — أفحج: متدانى صدور قدميه متباعد عقباه.

رجلٌ صَدِيقٌ ما بَدَت لك عَينُهُ … فإذا تغيَّب فاحتفظْ مِنْ دَعْلَجِ

قال الزبير: الدَّعْلَج: الكَلْب والذِّئب، وكلّ مختلس من السباع فهو دَعْلَج، ويقال لاختلاسه: الدَّعْلجة، وأنشد[1]:

باتت كلابُ الحىّ تَسْرِى بَيْنَنَا … يَأْكُلْنَ دَعلجةً ويشبَع من تَوَى

٥ يعنى بالدعلجة السرقة.

قال الزُّبير: ولا عَقِبَ للحجّاج أبى نُبَيْه ومنبِّه إلاّ من ولد نُبيه؛ فإنّ العَقب مِنْ ولد أبى سلمة إبراهيم بن عَبْد الله بن عفيف بن نُبَيْه، وفى ربطة بنت منبّه؛ فإن عمرو بن العاص تزوّجها فولدت له عبد الله ابن عَمرو[2].

١٠ وهذا الشعرُ الذى فيه الغناء يقوله فى امرأةٍ كان غلب أباها عليها، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قُريش، والحِلف المعروف بحلف الفضول؛ فانتزعوها مِنْ نُبَيْه وردُّوها على أبيها.

انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول فخلصوها منه.

أخبرنى الطوسىّ، قال: حدثنى الزُّبير بن بكار، قال: حدثنى غَيْرُ واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبسىّ عن مغنٍ[3]، واسمه عُيينة ١٥ ابن عبد الله بن عَنْبَسة:

---

(١) اللسان (دعلج)، وفيه:

باتت كلاب الحى تسرى بيننا … يأكلن دعلجة ويشبع من عفا

قال: والدعلجة: الأخذ الكثير. وقيل: الأكل بنهم.

(٢) ورد فى النسخ بعد هذا الكلام ما نصه: «نسب نبيه بن الحجاج وأخباره فى هذا ٢٠ الشعر وغيره» وقد سبق هذا العنوان فى ص ٢٨٠.

(٣) ب، س: «مغنى»، ا، م: «مفتى»، وموضعها بياض فى جـ.

أنّ رجلا من خَثْعم قدم مكّةَ تاجرًا ، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول ، أوْضَأُ نساء العالمين وَجْها ، فعلِقها نُبَيْه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة ابن سَعْد بن سَهْم ، فلم يبرح حتى نَقَلها إليه ، وغلب أباها عليها ، فقيل لأبيها : عليك بِحلْفِ الفضول ؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نُبَيْه ابن الحجّاج ، فقالوا : أخرج ابنةَ هذا الرجل ، وهو يومئذ مُتَبَدٍّ[1] بناحية مكة وهى معه ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فإنّا مَنْ قد عرَفْت ، فقال : يا قوم مَتِّعونى بها الليلة ، فقالوا : قبَّحك الله ، ما أجهلك ! ، لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ ، وهى أوْسَعُ أحابيك من السائل ، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها ، وركبوا ، وركب معهم الخَثْعَمِيّ ، فلذلك يقول نُبَيه بن الحجاج[2] :

شعره فى ذلك

راحَ صَحْبِى ولم أُحَىِّ القَتُولا ... لم أُودِّعهمُ وَداعاً جميلا

إذْ أجدَّ الفُضولُ أنْ يمنَعُوها ... قد أرانى ولا أخافُ الفُضولا

لا تخالِى أنِّى عشيةَ راحَ الـرّكْبُ هُنْتُم علىّ ألاّ أقُولاَ

إننى والذى تحُجّ لَهُ شُمْـطُ إياد وهلّلوا تهليلا[3]

لا تبرَّأْتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنَّا ... سِ وهَلْ تبتغُونَ إلاّ القَتُولَا[4]

لَمْ أُخَبِّرْ عن الحديث ولا أبْـدأُ رَسَّ الحديث والتقبيلا[5]

ومَبِيتاً بذِى المجـاز ثلاثا ... ومتى كان حجُّنا تحليـلا

لن أُذيعَ الحديثَ عنها ولا أنْـقادُ لو أبيت فيها فتيلا[6]

(١) كذا فى ا ، وفى ب ، س ، م متند . وفى جـ : « مبتد » ، تصحيف .

(٢) ابن كثير ا : ٢٩٥ .

(٣) جـ : « له حج شمط من إياد » .

(٤) كذا فى ا ، م ، وفى ب ، س :

ابراء من قتيلة بالناس ... هل أراكم تبغون إلا القتولا

(٥) سقط هذا البيت من جـ . (٦) كذا فى النسخ وهو غير موزون .

أتلوّى بهـا كما تتلوّى حيّةُ للماءِ بالأباء طويلا[١]

ثم عدَوا عِداء[٢] نَخْلَة ما يد ركُ منهمُ أدنى رَعِيل رَعِيلا

وبنو غالب أولئك قومى ومتى يفزعوا تراهم قَبيلا

ونَدامَى بِيضُ الوجوه كهولٌ وشبابٌ أسهرتُ لَيْلًا طَوِيلا

٥ غير هُجنٍ ولا لئام ولا تعـرف منهمْ إلّا فتًى بُهْلُولا[٣]

وفى ذلك يقول نُبَيْه بن الحجاج[٤] :

حيٌّ الدُّوَيْرَةَ إذْ نأتْ مِنَّا على عُدَوائِهـا[٥]

لا بالفـراق تُنيلُنـا شـيئاً ولا بلقائِهـا

أخذتْ حُشَاشـةَ قَلْبِه ونأتْ فكيف بنائِها[٦]

١٠ حلّت تِهـامةَ خُـلّةٌ مِنْ بَنْيِها ووِطائِهـا

ولهـا بمكّة مَنْزِلٌ مِنْ سهلها وَحِرَائهـا[٧]

رفعُوا المَحـلّة فوقهـا واستعذبوا مِنْ مائِهـا

تَدْعو شِهاباً حَوْلَهـا وتعمُّ فى حُلفائِهـا

لولا الفُضـولُ وأنّه لا أمْنَ مِنْ عُدَوائِها[٨]

---

١٥ (١) الأباء : أجمة الحلفاء والقصب ، وفى ب ، س : « بالإناء » تصحيف .

(٢) ا : « أطواء نخلة » .

(٣) البهلول : الجامع لكل خير وفى « ... ولا نعـدم منهم مبرأ مأمولا » .

(٤) فى نسب قريش ثلاثة أبيات من هذا الشعر .

(٥) العدواء : البعد .

٢٠ (٦) بنائها : ببعدها .

(٧) حراء : جبل بمكة كان يتحنث فيه النبى صلى الله عليه وسلم .

(٨) فى نسب قريش : « لا أمن من روعائها » .

لدنوتُ مِنْ أبياتِهــا ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائهــا
ولجئتُهــا أمشِي بِـلا هــادٍ لدَى ظَلْمَائهــا
فشربتُ فضــلةَ رِيقهـا ولَبِتُّ فى أحشـائها
فَسَـلِى بمكة تُخْبَرِى أنّا مِن آهل وَفائهـا
قِدْماً وأفضــلُ أهلهـا مِنَّـا على أكفائهـا ٥
نمشِى بألْوِيَةَ الوَغَى ونموتُ فى أوْدَائهــا[1]

(١) الوادى : مفرج بين جبال أو تلال أو آكام ؛ جمعه أوداء وأودية . « القاموس » .

[حلف الفضول]

سبب حلف الفضول

أخبرنا به الطُّوسى ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنى أبو الحسن الأثرم ، عن أبى عُبيدة قال :

كان(١) سبَبُ حِلْف الفضول أنَّ رجلا من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة ٥ فاشتراها رَجلٌ من بنى سَهْم ، فلوَى الرجلَ بحقِّه ؛ فسأله متاعَه فأبى عليه ، فقام فى الحِجر ، فقال :

يَالَ قُصىٍّ لمظلُومٍ بِضَاعتُه ببَطْنِ مكة نائى الدار والنَّفَرِ
وأشعثٍ مُحرِمٍ لم يقضِ حُرْمته بين المقام وبَيْنَ الرُّكْنِ والحَجَرِ

ورَوى بعضُ الثقاتِ تماماً لهذين البيتين ، وهو :

١٠ أقائمٌ مِنْ بنى سَهمٍ بذمّتهم أم ذاهبٌ فى ضَلَالٍ مالُ مُعْتَمِرِ
إنَّ الحرامَ لِمَنْ تمّتْ حَرَامتُه ولا حرام لثَوْبِ الفاجرِ الغُدَرِ

١٧/٦٥

قال : وقال بعضُ العلماء : إنَّ قيس بن شَيْبَة السُّلَمىَّ باع متاعا من أُبَىّ ابن خلَف ، فلَواهُ وذهب بحقّه ، فاستجار برجل من بنى جُمَح ، فلم يقمْ بجواره ، فقال :

١٥ يالَ قُصىٍّ كيف هذا فى الحَرَمْ وحرمةِ البيت وأعلاقِ الكَرَمْ
* أُظْلَمُ(٢) لا يُمنَعُ منّى مَن ظَلَمْ *

(١) خبر حلف الفضول ورد فى ابن هشام ١ : ١٤٤ ، وابن كثير ٢ : ٢٩ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٥٣ .

(٢) كذا فى ا ، م ، وفى ب ، س : « أظل » ، وفى ج : « أضيع »

قال : وبلغ الخبر العبّاس بن مِرْداس السُّلَمِىّ ، فقال :

إن كان جارُكَ لم تنفعكَ ذِمّتُه وقد شرِبتَ بكأس الذلّ أنفاسا[1]

فائتِ البيوتَ وكُنْ من أهلها صَدَداً[2] لا تُلْفِ[3] نادِيَهُمْ فُحْشاً ولا باسا

وثَمَّ كُنْ بفِناء البَيْتِ مُعْتَصِما تَلْقَ ابْنَ حربٍ وتَلْقَ المرء عبّاسا

قَرْمَىْ قُرَيشٍ وحَلاَّ فى ذُؤَابتها[4] بالمجد والحَزْمِ ما حازا وما ساسا

ساقِى الحجيج وهذا ياسِرٌ[5] فَلَجٌ والمجدُ يورثُ أخماساً وأسداسا

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردّا عليه . واجتمعت بطونُ قريش ، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة ، وألا يُظلم رَجلٌ بمكة إلاّ منعُوه ، وأخذُوا له بحقه ، وكان حِلْفهم فى دار ابن جُدْعان ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لقد شهدْتُ حِلْفًا فى دارِ ابن جُدْعان ما أُحِبُّ أنّ لى به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيتُ به[6] لأَجبتُ » .

فقال قوم من قُريش : هذا واللهِ فضل منَ الحلف ؛ فسمّى حلفَ الفضول .

قال : وقال آخرون : تحالفوا على مِثْلِ حِلْفٍ تحالف عليه قومٌ مِنْ جُرْهُم فى هذا الأمر ألاّ يقرُّوا ظلما ببطن مكة إلاّ غيَّرُوه ، وأسماؤهم الفضل بن شراعة ، والفضل بن قُضَاعة ، والفَضْل بن سماعة[7] .

(١) ما : « بكأس الذل » .

(٢) صدداً : قبالتهم وقريباً منهم ، وفى نسخة للمختار : « سددا » .

(٣) كذا فى ا ؛ وفى ب ، س والمختار : لايلق . (٤) فى المختار : « وحلا فى ذوائبها » .

(٥) الياسر : السهل اللين ، وأيضاً : من يتولى قسمة جزور الميسر .

(٦) فى المختار : « ولو دعيت له اليوم » .

(٧) كذا فى م ، وهامش ا ، وورد فيهما بعده : « فلان سقط من الكتاب » وفى ب ، س ، جـ ، ا : الفضل بن فلان . سقط من الكتاب .

قال : وحدثنى محمد بن فضالة ، عن عبد الله بن سمعان ، عن ابن شهاب ، قال :

كان شأن حِلْف الفضول أنّ بَدْء ذلك أنّ رجلا من بنى زُبَيد قدم مكة مُعْتمِرا فى الجاهلية ومعه تِجارةٌ له ، فاشْتَراها منه رجلٌ مِنْ بنى سَهْم ، فأواها إلى بيته ، ثم تغيّب ، فابتغى مَتاعَه الزُّبيدىّ ، فلم يقدِرْ عليه ، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه ، فأغْلَظُوا عليه ، فعرف أنْ لا سبيل إلى ماله ؛ فطوّف فى قبائل قريش يستعينُ بهم ، فتخاذلت القبائلُ عنه ، فلما رأى ذلك أشرف على أبى قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالِسها فى المسجد ، ثم قال :

يا آل فِهْرٍ لمظلوم بِضَاعَتُه ... ببَطْن مكّة نائى الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمْرتَهُ ... يا آل فهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أقائمٌ من بنى سَهْم بخُفرتهم(١) ... فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ معتمرِ

فلما نزل أعظَمت قُريشٌ ذلك ، فتكلمُوا فيه ، فقال المُطَيَّبُون : والله لئن قُمْنا فى هذا ليغضَبنّ الأحلاف ، وقال الأحلافُ : والله لئن تكلّمنا فى هذا ليغضبنّ المطيَّبون ، وقال ناس مِنْ قريش : تعالوا فليكن حِلْفًا فُضُولا دونَ المطيّبين ودون الأحلاف ، فاجتمعوا فى دارِ عبد الله بن جُدْعان ، وصنع لهم طعاما يومئذ كثيرا ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم ، قبْل أن يُوحِيَ الله إليه ، وهو ابنُ خمس وعشرين سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتَيْم ، وكان الذى تعاقَدَ عليه القومُ : تحالفوا على ألاّ يُظلم بمكة غَرِيب ولا قَرِيب ولا حُرٌّ ولا عَبْد إلاّ كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقّه ، ويُؤَدّوا إليه مظلَمَتَه من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زمزم فجعلوه

الحلف ينعقد فى دار عبدالله بن جدعان ورسول الله معهم

١٧ / ٦٦

(١) ا : « هل مخفر من بنى سهم بخفرتهم » . والخفرة : الذمة .

فى جَفْنة ، ثم بعثُوا به إلى البيت ، فغُسلت به أركانهُ ، ثم أتَوْا به فشربوه .

قول يشيد الفضول

قال: فحدثنا هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أُمّ المؤمنين رضى الله عنها:

أنها سمعَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « لقد شهدتَ فى دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفَ الفضول ، أمَا لو دُعيت إليه اليوم لأجَبْتُ ، وما أحِبُّ أنّ لى به حُمر النَّعم ، وأنى نقضته » .

قال : وحدثنى عُمر بن عبد العزيز العنبسىّ[1] أنَّ الذى اشترى مِنَ الزُّبيدىّ المتاعَ العاص بن وائل السَّهْمِىّ .

الحلف وعلى شئ تحالفوا

وقال : أهلُ حِلْف الفضول بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو أسد بن عبدالعُزَّى ، وبنو زُهْرَة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بينهم ألاّ يُظلم بمكة أحد إلا كنَّا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نَأخذَ له مظلمته ممّنْ ظلمه شريفاً أو وَضِيعاً ، منّا أو من غيرنا .

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ، ثم قالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدِّىَ إليه حقّه ، فأعطى الرجل حقّه ، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقّه بمكة إلاّ أخذوه له . وكان عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنّ رجلا وَحْدَه خرج من قوْمِه لخرجتُ من عبد شمس ، حتى أدخل فى حِلْف الفُضول . وليس عبد شمس فى حلف الفضول .

وحدثنى محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن عبد الله ابن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن محمد بن فَضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، وعن إبراهيم بن محمد ، وعن أبى عبد الله بن الهاد :

(١) كذا فى ا ، جـ ، وفى ب ، س ، م : « العبسى » .

أنَّ بنى هاشم وبنى المطلب وبنى أسد بن عبد العُزّى وتَيْم بن مرّة احتلفوا على ألاّ يَدعوا بمكة كلها ، ولا فى الأحابيش(١) مظلوما يَدْعُوهم إلى نُصرته إلاّ أنجدوه ، حتى يرُدُّوا عليه مظلمتَه ، أو يُبْلوا فى ذلك عُذْرًا ، أوعلى ألاّ يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلا إلاّ أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — وبذلك سُمّى حِلْفَ الفضول — بالله الغالب(٢) أنَّ اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة(٣) ، وعلى التأسّى فى المعاش .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن طلحة فى حديثه ، عن موسى بن محمد عن أبيه . وعن محمد بن فضالة ، عن أبيه ، قال :

لم يكن بنو أسد بن عبد العُزّى فى حِلْف الفضول ، قال : وكان بعد عبد المطلب .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن ، عن عيسى بن يزيد بن دأبٍ ، قال : أهل حلف الفضول : هاشم ، وزهرة ، وتيم . قال : وقيل له : فهل لذلك شاهدٌ من الشعر ؟ قال : نعم ، قال : أنشدنى بعضُ أهل العِلْم قولَ بعض الشعراء :

تيمُ بن مرَّةَ إن سألت وهاشمٌ ... وزهرةُ الخير فى دار ابن جُدْعانِ
متحالفون على النَّدى ما غرّدت ... وَرْقاء فى فَنَنٍ من جِزْع كُتْمَانِ

---

(١) الأحابيش : أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى الحرب التى وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ؛ سموا بذلك لاسودادهم . وقيل : إنهم سموا باسم جبل حبشى بأسفل مكة ؛ وذلك أن بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده ، فحالفوا قريشاً وقالوا : إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار . وما أرسى حبشى مكانه . اللسان (حبش) .

(٢) ا : « القائل » وفى هامشه من نسخة : « الغالب » .

(٣) ما بل بحر صوفة ، أى أبداً . وصوف البحر : شىء على شكل الصوف الحيوانى . ومن الأبديات قولهم : لا آتيك مابل بحر صوفة ، وحكى اللحيانى : مابل البحر صوفة . (اللسان — « صوف ») .

فقيل له : وأين كُتمان ؟ فقال : وادٍ بنَجْرَان[1] ، فجاء ببيتين مضطربين مختلفى النصفين .

وحدثنى أبو الحسن الأَثْرَمُ ، عن أبى عبيدة ، قال :

تداعَى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزَّى وبنو زُهْرَة بن كلاب وتَيم بن مرّة إلى حِلْفِ الفُضول ، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدْعان ، فتحالفوا عنده ، وتعاقدوا ألاّ يجدوا بمكة مظلوماً مِنْ أهلها ولا مِنْ غيرهم إلاّ قاموا معه على مَنْ ظلَمه حتى يردُّوا مَظْلَمته . وشهِدَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم هذا الحلف قبل أنْ يُبعث ، فهذا حِلْف الفُضول .

١٧/٦٧

قال : وحدثنى إبراهيم بن حمزة عن جدّى عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : إنما سُمّى حلفَ الفضول لأنه كان فى جُرْهم رِجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم : فُضيل وفضّال وفَضل ومُفضل ، قال : فلذلك سُمّى حلف الفضول ، تعاقدوا أن يردُّوا المظالم .

قال: فتحالفوا بالله الغالب لنأخذنَّ للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهر ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة .

قال : وقال أبى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فشهدت حلفاً فى دارِ عَبْد الله بن جُدعان لم يَزِده الإسلام إلا شدةً ،

(١) فى البلدان : قال أبو منصور : كُتمان : اسم بلد فى بلاد قيس . وقال غيره : كُتمان : واد بنجران .

(٢) فى اللسان (فضل) : وسمى حلف الفضول ، لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل : الفضل بن الحارث ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن فضالة ؛ فقيل : حلف الفضول ؛ جمعا لأسماء هؤلاء ، كما يقال : سعد وسعود .

ولهو أَحَبُّ إلى من حُمر النَّعم» ، قال: وقال غيره : «لو دُعيت إليه لأجَبْتُ» .

رواية أخرى فى سبب تسميته

قال : وحدثنى محمد بن حسن ، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال : إنما سمَّت قُريش هذا الحلف حلف الفضول ؛ لأن نفراً من جُرْهم يقال لهم : الفَضْل وفَضَّال والفُضيل ، تحالفوا على مِثْل ما تحالفت عليه هذه القبائل.

٥ قال : وحدثنى رجل عن محمد بن حسن ، عن محمد بن فضالة ، عن هشام ابن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة :

أنها قالت: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لقد شهدتُ فى دَارِ ابن جُدْعان حِلْف الفضول ، أمَا لو دُعيت إليه لأجبت ، وما أحبُّ أنِّى نقضْتُه ، وأنّ لى حمر النّعم » .

١٠ قال الزُّبير: وحدثنى على بن صالح عن جدِّى عبد الله بن مصعب ، عن أبيه :

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده ، لقد شهِدْتُ فى الجاهلية حِلْفاً — يعنى حلف الفضول — أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبْتُ ، لهو أحبُّ إلىَّ من حمر النعم ، لا يزيده الإسلامُ إلا شدّة » .

قال : وحدثنى أبو الحسن الأثرم ، عن أبى عُبيدة ، قال : حدثنى رجل ١٥ عن محمد بن يزيد الليثىّ ، قال : سمعتُ طَلْحَةَ بن عَبْد الله بن عَوْف الزّبيرىّ ، يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدْتُ فى دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفا ما أُحِبُّ أنَّ لى به حمر النعم ، ولو أُدْعَى إليه فى الإسلام لأجبْتُ » .

قال : وحدثنى محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف ٢٠ ابن خَرَّبُوذ ، قال :

تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتَيم ، فاختَلَفُوا على ألاّ يَدَعُوا بمكة كلّها ولا فى الأحابيش مظلوماً يَدْعُوهم إلى نُصْرته إلاّ أنْجَدُوه ، حتى يردّوا إليه مظلمته ، أو يُبلوا فى ذلك عُذْرا . وكرِهَ ذلك سائر المطيّبين[1] والأحْلاف من أمره[2] ، وسمَّوْه حلف الفضول ، عَيْباً له ، وقالوا : هذا من فُضول القَوْم ، فسمّوه حِلْفَ الفُضُول .

قال : وحدثنى محمد بن حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، قال :

كان حلف الفضول بين بنى هاشم وبنى أسد وبنى زُهْرة وبنى تيم .

قال : فحدثنى أبو خيثمة زُهير بن حرب ، قال : حدثنى إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عَوْف ، قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « شهدتُ مع عُمُومَتِى حلْفَ المُكيِّبين ، فما أُحبُّ أنَّ لى حُمرَ النَّعم وأنى أنكثه » .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن ، عن محمد بن طَلْحَة ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمىّ :

أنه بلغه أنّ الذى بدأ بحلْفِ الفضول مِنْ هذه القبائل أمْرُ الغَزَال الذى سُرِق من الكعبة .

١٧ / ٦٨

حدثنى محمد بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمىّ ، عن أبيه ، قال :

ابن جبير بن مطعم وعبد الملك بن مروان

قدم ابنُ جُبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان ، وكان مِنْ حُلَفاء

(١) كذا فى ا ، ج ، م ، وفى ب ، س : « المكيبين » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ب ، س : « والأحلاف من أمرهم » .

قريش ، فقال له عبد الملك : يا أبا سعيد ، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم — يعنى بنى نوفل — فى حِلْف الفضول ، قال : وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : لتحدثنّى بالحق من ذلك ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، ولم تكن يَدُنا ويَدُكم إلاّ جميعا فى الجاهلية والإسلام .

بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يكونا فى حلف الفضول

٥ قال : وحدثنى محمد بن حَسن ، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله ابن اهاد اللَّيْثىّ أنّ محمد بن الحارث التيمىّ أخبره :

أنه كان بين الحُسين بن علىّ عليهما السلام وبين الوليد بن عُتبة بن أبى سفيان كلامٌ — والوليد يومئذ أميرُ المدينة فى زَمن معاوية بن أبى سفيان — فى مالٍ كان بينهما بذى المَرْوة(١) ، فقال الحُسين بن علىّ عليهما السلام : استطال علىّ الوليد بن عُتبة فى حقِّى بسلطانه ، فقلت : أقسم بالله لتنصِفَنّى فى حقِّى أو لآخذنَّ سيفى ، ثم لأقومنَّ فى مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعونَّ بحلف الفضول ، قال : فقال عبدُ الله بن الزّبير — وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال — : وأنا أحلف بالله لئنْ دعا به لآخُذَنَّ سَيْفِى ثم لأقُومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقه أو نموت جميعاً . فبلغت المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزهرىّ ، فقال مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمىّ ، فقال مثل ذلك . فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحُسين من حقّه حتى رضى .

الوليد بن عتبة ينصف الحسين ابن على

قال : وحدثنى أبو الحسن الأثرم علىّ بن المغيرة ، عن أبى عُبيدة ، قال : ٢٠ حدثنى رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثىّ :

أنّ محمد بن إبراهيم التيمىّ حدّثه مثل حديث محمد بن حسن الذى قبل هذا .

(١) ذو المروة : قرية بوادى القرى . وقيل : بين خشب ووادى القرى . (البلدان) .

الحسين بن على ينازع معاوية فى أرض له

قال : وحدثنى إبراهيم بن حمزة ، عن جدّى عبدالله بن مصعب ، عن أبيه أنّ الحسين بن علىّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلامٌ فى أرضٍ له ، فقال له الحسين عليه السلام : اختَرْ خصلة من ثلاث خصال : إما أنْ تشترى منى حقى ، وإما أن تردّه علىّ ، أو تجعل بينى وبينك ابنُ الزبير وابن عمر ، والرابعة الصَّيْلم ، قال : وما الصَّيْلَم ؟ قال : أنْ أهتفَ بحلف الفُضُول ، قال : فلا حاجةَ لنا بالصَّيْلم . ٥

قال : فخرج وهو مُغْضَب ، فمرّ بعبد الله بن الزّبير فأخبره ، فقال : والله لئن لم ينصفنى لاهتفَنّ بحلْفِ الفضول ، فقال عبدُ الله بن الزبير : والله لئن هتفْتَ به وأنا مضطجع لأقعدنّ أو قاعد لأقومنّ ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعيَنّ ، ثم لينفدنّ روحى[1] مع روحك ، أو لَينصِفَنَّك . ١٠

قال : فخرج عبدُ الله بن الزّبير فدخل على معاوية فباعه منه ، وخرج عبدُ الله فجاء إلى الحسين عليه السلام ، فقال : أرسل فانتقدْ مالك ، فقد بعتُه لك .

قال: وحدثنى علىّ بن صالح ، عن جدّى عبد الله بن مُصْعَب ، عن أبيه ، قال:

خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية ، فلقى عبدَ الله بن الزبير ، والحسين مغضَب ، فذكر الحسين أن معاويةَ ظلمه فى حقّ له ، فقال الحسين : ١٥ أُخَيِّره فى ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلم : أن يجعلَك أو ابن عمر بينى وبينه ، أو يقرّ بحقّى ، ثم يسألنى فأهبه له ، أو يشتريه منّى ، فإن لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفنّ بحِلْفِ الفضول . قال ابنُ الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفْتَ به وأنا قاعد لأقومنّ أو قائم لأمشيَنّ ، أو ماشٍ لأشتدنّ ، حتى تَفْنَى رُوحى مع روحك أو ينصفك . ٢٠

(١) فى المختار : «ثم لآتينك حتى نفنى روحى مع روحك أو ينصفك» ، وستأتى هذه الرواية .

قال : ثم ذهب ابنُ الزبير إلى معاوية ، فقال : لَقِيَنِى الحسين فخـيَّرك فى ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلم . قال معاوية : لا حاجةَ لنا بالصَّيْلم ، إنك لقيته مُغضَبا ، فهاتِ الثلاث ، قال : تجعلنى أو ابْنَ عمر بينك وبينَه ، قال : فقد جعلتُك بينى وبينه أو ابْنَ عمر أو جعلتكما ، قال : أو تقرّ له بحَقّه وتسأله

٥ إياه ، قال : أنا أُقِرُّ له بحَقّه وأسأله إياه ، قال : أو تشتريه منه ، قال : وأنا أشتريه منه ، قال : فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحُسين عليه السلام : إنْ دعانى إلى حِلْف الفضول لأَجَبْتُه ، فقال معاوية : لا حاجة لنا بهذا .

قال : وبلغنى أنَّ عبد الرحمن بن أبى بكرة والمِسْوَر بن مخرمة قالا

١٠ للحُسين بن علىّ عليهما السـلام مِثل ما قال ابنُ الزبير ، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبـير بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد ، أَكنّا فى حِلْف الفضول؟ قال : لا ، قال: فـكيف كان ؟ قال : قدم رجل من ثُمالة فباع سِلْعةً له من أُبىّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ ، فظلمه ، وكان يُسِيء المخالطة فأتى الثمالىُّ إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأَخْبِره أنك

رجل من ثمالة يشكـو أبىّ بن خلف إلى حلف الفضـول

١٥ أتيتنا ، فإن أعطاك حقّكَ وإلا فارجع إلينا ، فأتاه فأخـبره بما قال له أهلُ حِلف الفضول ، قال : فأخرج إليه ماله ، وأعطاه إياه بعينه ، وقال :

أيأخـذنى فى بَطْنِ مكّةَ ظالما أُبَىٌّ ولا قَوْمِى لدَىَّ ولا صَحْبِى
وناديتُ قومى صارخاً ليُجيبنى(١) وكم دُون قومى من فَيَافٍ ومن سُهْب(٢)
ويَأبى لـكم حِلفُ الفضول ظلامتى بَنى جُمحٍ والحقُّ يُؤْخَذُ بالغَصْبِ

٢٠ (١) ب ، س : « لتجيبنى » ، والمثبت من باقى النسخ .
(٢) السهب ، بضم السين : المستوى من الأرض فى سهولة . وضبط فى ا بفتح السين . والسهب ، بالفتح : الفلاة . اللسان (سهب) .

القيني يستصرخ عبد الله بن جدعان

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامىّ فى أمر حِلْف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم : حدثنى عبد العزيز بن عمران، قال :

قدم أبو الطمحان القَيْنِىّ الشاعر، واسمه حنظلة بن الشرقىّ، فاستجار عَبْدَ الله بن جُدْعان التيمىّ ومعه مال له من الإبل، فعَدَا عليه قومٌ مِنْ بنى سَهْم فانتحروا ثلاثةً من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال : أنتم لها ولِأكثر منها أهلٌ، فأخـذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زمانا، ثم جلسوا على شَرابٍ لهم، فلما انتشَوا غَدَوْا على إبله فاستاقوها كلها، فأتى عبدَ الله بن جُدعان يستصرخُهُ، فلم يكن فيه ولا فى قومه قوةٌ ببنى سَهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان[1] :

ألاَ حنّت المِرْقَال واشتاقَ ربُّهـا تذكَّرُ أرْمَامًا وأذكرُ مَعْشَرى[2]
ولو عَلِمت صَرْفَ البيوعِ لسرَّها بمكةَ[3] أن تبتاع حَمْضا بإذخرِ
أَجِـدَّ بنى الشّرقىّ أنَّ أخاهُمُ متى يَعتلِقْ جاراً وإنْ عزَّ يَغْدِرِ
إذا قلتُ وافٍ أدْرَكَتْهُ دُروكه فيـا مُوزِع الجيران بالغىّ أقْصِرِ

ثم ارتحل عنهم .

لميس بن سعد يستجير بقريش من ظلم أبى بن خلف

ووفد لَمِيسُ بن سَعْد البارقىّ مكة، فاشترى منه أُبىّ بن خلف سلعة، فظلمه إياها، فمشى فى قريش فلم يُجِرْهُ أحد، فقال :

أيظلمُنى مالى أُبَىٌّ سفَـاهةً وبَغْياً ولا قَوْمى لدىَّ ولا صَحْبى
وناديتُ قومى بارِقاً لتجيبَنى وكم دونَ قومى من فيافٍ ومن سَهْب

(١) الشعراء ٣٤٨، والأغانى ١١ : ١٧٨ .

(٢) ب، س : « أزمانا »، والمثبت بوافق ما فى اللسان وباقى النسخ . وفى الشعراء : « وائتب ربها » . ، أى تهيأ للذهاب وتجهز، وأرمام : موضع بعينه .

(٣) ج : بيثرب، والبيت فى الكامل ٤٢٧ . والحمض ؛ بفتح الحاء : نبات لايهيج فى الربيع ويبقى على القيظ وفيه ملوحة، إذا أكلته الإبل شربت عليه، وإذا لم تجده رقت وضعفت. وهو فاكهة الإبل . والإذخر : الحشيش الأخضر .

١٧/٧٠

ثم قدم رجل من بنى زبيد، فاشترى منه رجل من بنى سهْم يقال له: حُذيفة سلعةً، وظلمه حقّه، فصعد الزبيدىّ(١) على أبى قُبيس، ثم نادى بأعلى صوته:

ورجل آخر من زبيد يستجير بقريش

يا آلَ فِهرٍ لمظلوم بضاعتُه ببَطْنِ مكّةَ نائى الحىّ والنَّفَرِ
يا آلَ فهرٍ لمظلوم ومُضْطهَدٍ بين المقام وبين الركن والحجَرِ
٥ إنّ الحرامَ لمن تمّتْ حَرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغُدرِ

فأعظم الزُّبير بن عبد المطلب ذلك، وقال: يا قوم، إنى واللهِ لأخشَى أنْ يصيبنَا ما أصاب الأمم السالفةَ مِنْ ساكنى مكّة، فمشى إلى ابْنِ جُدعان، وهو يومئذ شيخُ قريش، فقال له فى ذلك، وأخبره بظُلْم بنى سَهْم وبغيهم، وقد كان أصاب بنى سَهْم أمران لا يشكُّ أنهما لِلْبَغْى: احتراق المقاييس
١٠ منهم، وهم قيس ومَقِيس وعبد قَيْس بصاعِقةٍ، وأقبل منهم رَكب من الشام، فنزلوا بماء يقال له القُطَيْعَة(٢)، فصبُّوا فضلةَ خَمْرٍ لهم فى إناءٍ، وشربُوا ثم ناموا، وقد بقيت منهم بقيةٌ فكرع منها حيّةٌ أسود، ثم تقيأ فى الإناء، فهبّ القومُ فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثله، فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله الغالب(٣)،
١٥ إنا ليدٌ واحدة على الظالم، حتى يردَّ الحق.

وخرج سائر قريش من هذا الحلف. إلا أنّ ابْنَ الزبير ادّعاه لبنى أسد فى الإسلام. قال: فأخبرنى الواقدىّ وغيره أن محمد بن جُبير بن مطعم دخل على عَبْد الملك بن مروان، فسأله عن حِلْفِ الفضول فقال: أما أنا وأنت

(١) ا: «الزبيرى»، والمثبت من باقى الأصول وهو يوافق ما فى السيرة الحلبية.
٢٠ (٢) ا: «القطيفة»، تحريف.
(٣) كذا فى ا، ج، م، وفى ب، س: «القاتل».

يا أمير المؤمنين فلسنا فيه ، فقال : صدقت والله ، إنى لأعرفك بالصدق ، قال : فإنّ ابنَ الزبير يدّعيه ، فقال : ذاك هو الباطل .

قال : وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أنّ رجلا خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حِلفٍ لخرجتُ عن قومى إلى حلف الفضول .

أقوال أخرى فى سبب تسمية حلف الفضول

قال الواقدىّ : قد اختلف فيه ، لم سُمِّى حِلْف الفضول ؛ فقيل : إنه سُمّى بذلك لأنهم قالوا : لا ندَعُ لأحدٍ عند أحدٍ فَضْلا إلاّ أخذناه منه ، وقيل : بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه ، فقال : هذا فضولٌ من الأمر .

وقال الواقدىّ : والصحيح أن قوماً من جُرهم يقال لهم فَضْل وفضالة وفَضَّال ومُفضَّل تحالَفُوا على مِثْل هذا فى أيامهم ، فلما تحالفت قريش هذا الحِلْف سُمّوا بذلك .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

يا لَلرِّجال لمظلوم بضاعتُه ... ببَطْن مكّة نائى الدار والنفَرِ

إنّ الحرامَ لِمَنْ تَمَّتْ حرامته ... ولا حرامَ لِثَوْبَىْ لابِس الغَدْرِ

غنّاه ابنُ عائشة ، ثقيل أول بالبنصر ، عن حبَش .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا المدائنىّ ، عن ابن أبى سبرة ، عن لقيط بن نصر المحاربىّ ، قال :

يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى فى الإسلام

كان يزيد بن معاوية أول مَنْ سَنّ المَلاَهِى فى الإسلام مِنَ الخلفاء ، وآوى المغنّين ، وأظهر الفَتْك وشُرْب الخمر ، وكان ينادِمُ عليها سَرْجون

١٧ / ٧١

النَّصْرانىّ مولاه والأخطل ، وكان يَأتيه من المغنّين سائب خاثر فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويَصِله ، فغنّاه يوماً :

يا للرِّجال لمظلوم بضاعته ببطْن مكةَ نائى الأهْلِ والنُّفَرِ

فاعتَرَتْهُ أرْيحيّة ، فرقص حتى سقط ، ثم قال : اخلعُوا عليه خِلعاً يغيبُ فيها حتى لا يُرَى منه شىء ، فطرحت عليه الثيابُ والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها .

صـــوت

اشربْ هنيئا عليك التاجُ مُرْتَفِقاً في رَأْس غُمدانَ دَاراً منك مِحْلالا
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبَا بمـاءٍ فعادَا بَعْدُ أبوالا

عروضه من البسيط .

المرتفق : المتَّـكِئُ على مرفقه . وغمدان : اسمُ قصرٍ كان لسيف بن ذى يزن بالىمن . والمِحْلال : الدار التى يحلّ فيها ، أى يقيم فيها . وشِيبا : معناه خُلطا . والشوب : الخلط ، يقال : شاب كذا بكذا إذا خلطهما .

الشعرُ لأُميّة بن أبى الصلت الثقفىّ[(١)] ، وقيل بل هو للنابغة الجعدىّ ، وهذا خطأ من قائله ؛ وإنما أدخل النابغة البيت الثانى من هذه الأبيات فى قصيدة له على جهة التضمين . والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى ، من رواية حماد عن أبيه ، وفيه لُطويس لَحْن من كتاب يونس الكاتب غير مجنَّس[(٢)] .

---

(١) البيان من قصيدة فى ديوانه ٥٤ فى مدح سيف بن ذى يزن ؛ قال فى الديوان : وأكثر الرواة يرويها لأبيه ، وبعضهم لجده زمعة .

(٢) بعده فى نسخة ا ، م : « تم الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى الكبير لأبى الفرج الأصفهانى ، يتلوه بمشيئة الله وعونه فى الجزء السادس عشر نسب أمية بن أبى الصلت وخبره فى قول هذا الشعر » .

نسب أمية بن أبى الصلت

وخبره فى قوله هذا الشعر

نسبه

أبو الصَّلت عبد الله بن أبى رَبيعة بن عمرو[١] بن عُقْدَة بن عنزة[٢] ابن عوف بن قَسِىّ[٣] ، وهو ثَقيف . شاعر من شُعراء الجاهلية قديم .

٥ وهذا الشعرُ يقوله فى سيف بن ذى يزن لما ظفر بالحبشة يهنّيه بذلك ويمدحه .

سيف بن ذى يزن يستنجد كسرى

وكان السبب فى قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سَيْف ابن ذِى يزَن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنّ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له : ذو نُواس غزَا أهلَ نجران ، وكانوا نَصارى ، فحصرهم ؛ ثم إنه ظفر بهم فخَدّد لهم الأخاديد ، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك ، فحرّقهم بالنار ، وحرق ١٠ الإنجيل ، وهدم بيعتهم ، ثم انصرف إلى اليَمن ، وأفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلُبَان على فرسٍ ، فركضه حتى أعجزهم فى الرَّمْل ، ومضى دَوْس إلى قَيْصَر ملك الرُّوم يستغيثه ويخبره بما صنع[٤] ذو نواس بنجران ، ومنْ قتل من النصارى ، وأنه خرب كنائسهم ، وبقر النساء ، وهدم الكنائس ، فما فيها ناقوس يُضْرب به . فقال له قَيْصَر : بَعُدَتْ بلادى عن بلادكم ، ولكن أبعث ١٥ إلى قوم من أهل دينى ، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم . قال دَوْس ذو ثُعْلُبان : فذاك إذاً ، قال قيصر : إن هذا الذى أصنعه[٥] بكم أذلّ للعرب أن

دوس ذو ثعلبان يستنجد قيصر

(١) مختار الأغانى والإصابة (القسم الرابع . حرف الهمزة) : « بن عوف » .

(٢) فى الإصابة : غيرة ، وفى ج ، م « غمرة » .

(٣) كذا فى ب ، جو الشعراء ، وفى ا ، م : « قيس » .

٢٠ (٤) ا : « ويخبره ما صنع » .

(٥) ا : « صنعت » .

يطأها سُودان ليس الوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم ، فقال الملك : أنْظَرُ لأهل دِينه إنما هم خَوَلُه .

قيصر يكتب إلى ملك الحبشة بنصرة دوس

فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذى جاء يستنصرنى ، واغضب للنصرانية ، فأوطئ بلادَهم الحبشة .

فخرج دوس ذو ثُعْلُبان بكتابِ قَيْصَر إلى ملك الحبشة ، فلما قرأ كتابَه أمر أرياط — وكان عظيماً من عُظَمائهم[1] — أنْ يخرجَ معه فينصره .

أرياط يخرج فى جيش كبير إلى اليمن

١٧/٧٢

فخرج أرياط فى سبعين ألفا من الحبشة ، وقوّد على جُنْدِه قوّادا من رؤسائهم ، وأقبل بفيله ، وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان فى عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرياط : إذا دخلْتَ اليمن فاقتلْ ثلثَ رجالها ، وخرب ثلث بلادها ، وابعث إلىّ بثلث نسائها .

فخرج أرياط فى الجنود فحملهم فى السفن فى البحر ، وعَبَر بهم حتى وردَ اليمن ، وقد قدّم مقدمات الحبشة ، فرأى أهل اليمن جُنْدًا كثيرا ، فلما تلاحقوا قام أرياط فى جُنْدِه خطيبا فقال : يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادِكم أبدا ، هذا البحر بين أيديكم إنْ دخلتُموه غَرِقْتم ، وإن سلكتم البرَّ هلكتم ، واتخذتكم العربُ عَبِيدا ، وليس لكم إلاّ الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوَّكم .

انتصار أرياط على ذى نواس

فجمع ذو نُواس جَمْعاً كثيرا ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فكانت الدولةُ للحبشة ، فظفر أرياط ، وقتل أصحاب ذى نُواس ، وانهزموا فى كل وَجْه . فلما تخوّف ذو نواس أنْ سيؤْسَرُ ركض فرسَه ، واستعرض به البحر ، وقال : الموت بالبحر أحسن من إسار أسود ، ثم أقحم فرسَه لُجّةَ البحر ، فمضى به فرَسُه ، وكان آخر العهد به .

(١) ا : « أمر إرياط عظيما » .

ثم خرج إليهم ذو جَدَن الهَمْدانىّ فى قومه ، فناوشهم ، وتفرّقت عنه همدان ، فلما تخوّف على نفسه قال : ما الأمر إلاّ ما صنع ذو نُواس ، فأقحم فرسه البحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرياط اليمن ، فقَتَل ثلثا ، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرب ثلثا ، وملك اليمنَ ، وقَتَل أهْلَها ، وهدم حُصُونَها ، وكانتْ تلك الحصونُ بنَتْها الشياطين فى عَهْد سليمان لبِلْقِيس ، واسمها بَلْقَمَة ، وكان مما خرب مِنْ حصونهم : سلحون ، وبينون ، وغُمْدان ، حصونا لم يُرَ مثلها . فقال الحميرىّ[1] ، وهو يذكر ما دخل على حِمْيَر من الذلّ :

هونكَ أين تَرُدُّ العَيْنُ ما فاتا لا تَهلِكَنْ أسفا فى إثر من فاتا

أبعدَ بَيْنُونَ لا عَيْنٌ ولا أثَر وبعد سَلْحون يَبْنِي الناسُ أبياتا !

قال : فلما ظفر أرْياط أخذ الأموال ، وأظهر العَطاء فى أهل الشرف ، فغضبت الحبشةُ حين أعطى أشرافهم ، وترك أهل الفقر منهم ، واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم فى العمل ، وكلّفهم مالا يُطيقون ، فجزع من ذلك الفقراء ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : ما نرانا إلاّ أذِلّة أشقياء أينما كنّا ، إن كان قتال قُدِّمنا فى نحورِ العدوّ ، وإن كان قَتْل قتلنا ، وإن كان عَمَل فعلينا ، والبلايا علينا ، والعطايا لغيرنا ، مع ما يُقْصِينا ويجفونا .

---

(١) هو ذو جدن الحميرى ؛ كما فى البلدان (بينون) ، والبيتان مع آخر هناك ، والرواية فيه :

لا تهلكن جزعا فى إثـــر من ماتا فإنه لا يـــرد الدهـــر ما فاتا

وفى ا ، جـ : « ... فى إثر مافاتا » ، والشعر فى الطبرى ٢ : ١٢٥ ، وفيه « .... يرد الدمع ... لا تهلكى » ، وفى ياقوت .. (سلحين) :

يا خلىّ ما يرد الدمع ما فاتـــا لا تهلكى أسفاً فى إثر من فاتـــا

أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرباط

فقال لهم عند ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أبرهة مِنْ قُوَّاد أرياط : لو أن رجلا غضب لغضبكم إذاً لأسلَمْتُموه حتى يُذْبَح كما تُذْبَحُ الشاة . قالوا : لا والمسيح، ما كنّا نسلمه أبدا ، فواثقوه بالإنجيل ألاّ يسلموه[1] حتى يموتوا عن آخرهم .

فنادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أنَّ أبا أصحم أبرهة جمع لك الجموعَ ، ودعا الناسَ إلى قِتالك . قال : أوَ قَـد فَعل ذلك أبْرَهة ، وهو ممن لا بَيْتَ له فى الحبشة ! وغضب أرياط غضباً شديداً ، وقال : هو أدْنَى مِنْ ذلك نَفْساً وبيتاً ، هذا باطل .

قالوا : فأرسل إليه ؛ فإنْ أتاك فهو باطل ، وإن لم يَأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أجِب الملك أرياط. فجثا أبرهة على رُكبتيه وخرّ لوجهه ، وأخذ عُودا من الأرض فجعله فى فِيه ، وقال للرسول : اذهَبْ إلى الملك فأخبره بما رأيْتَ منى ، أنا أخلعه ؟ أنا أشدُّ تعظيما له من ذلك ! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة .

فرجع الرسولُ إلى الملك فأخبره بالخبر ، فقال : ألم أقُلْ لـكم ؟ قالوا : الملك أعقل وأعلم منّا .

فلما ولّى الرسولُ من عند أبرهة وتوارَى عنه صاحَ أبرهة فى الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا إليه معهم السلاح ، والآلةُ التى كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن : المعاول والكَرَازين[2] والمَسَاحِى ، ثم صفّوا صفّاً، وصفّوا خلْفَه آخر بإزائه . فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يَرَى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، وأتى الرسولُ أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ، ركب فى الملوك ومَنْ تَبِعه

(١) كذا فى ا ، ح وفى ب ، س : « لا يسلموه » .

(٢) الكرزن ، بالفتح ، وقد يكسر ، والكرزين : فأس كبير .

من أتباعهم، فلبسوا السلاحَ وجاءوا بالفِيَلة ، وكان معه سبعة فيَلة ، حتى إذا دنا بعضُهم من بعض برزَ أبرهةُ بين الصفَّين ، فنادى بأعلى صوته : يا معْشَرَ الحبشة ، الله ربُّنا ، والإنجيل كتابُنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشىّ مَلِكنا ، علامَ يَقْتُلُ بعضُنا بعضاً فى مَذْهب النصرانية ؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخلّوا بينى وبينه ، فإن قتلنى عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، وإنْ قتَلْتُه سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى ، وقد أبيت[1] إلا أحسن الرأى فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرِف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلا ، وكان أبرهة قصيراً دميا قبيحاً منكر الجُمَّة[2] ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبن ، فبرز بين الصفَّين ، ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامَّة أنفه ، ووقع بين رِجْلَىْ أرياط ، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه ، فسكن الدَّمُ والتأم الجرح ، وأخذَ عوداً وجعله فى فيه ، وقال : أيها الملك ، إنما أنا شاة فاصنعْ ما أردْتَ ، فقد أبصرتُ أمرى . ففرح أرياط بما صنع ، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً ، وجعله فى بَطْن فخذه ، كأنه خافِية نَسر .

أبرهة يقتل أرياط ويتولى ملك اليمن

فلما رأى أبرهة أنَّ أرياط قد أفلت عنه ، وهو ينظرُ يميناً وشمالا ؛ لئلّا تراه ملوكُ الحبشة ، استلَّ خنجره فطعنه طعنة فى فرج دِرْعه فأثبته[3] ، وخرَّ أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صَدْره فأجهز عليه . فسمى أبرهة الأشرمَ بتلك الضَّرْبة التى شرمت وَجْهَه وأنْفه .

فملك أبرهة عشرين سنة ، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، وأمه ريحانة امرأة ذِى يزن أمّ سيف بن ذى يزن الحميرىّ .

(١) كذا فى ا ، حـ ، وفى ب ، س : «أبنت أحسن الرأى فيه» (٢) الجمة ، بضم الجيم : مجتمع شعر الرأس.
(٣) : أثبته : جعله لا يقدر على الحراك . ورواية الطبرى أن الذى طعنه غلام أكنه أبرهة .

سيف بن ذى يزن يسعى لتخليص اليمن من حكم الحبشة

[فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذى يزن الحميرىّ][١] فكلّموه فى الخروج ، وقالوا إنّا نجدفيما روت حمير [٢] عن خبر لسطيح أنه يوشكُ أنّ هذا البلاء يفرج بيَدِ رَجُلٍ من أهْلِ بَيْتِكَ ابن ذى يزن ، وقد رَجَوْنا أنْ تدركَ بثأرنا ، فأنْعَم لهم . فخرج إلى قيصر ملك الروم ، فكلّمه أن ينصُرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشة على دِينى ودِين أهل مملكتى ، ٥ وأنتم على دين يهود ، فخرج من عنده يائساً . فخرج عامِداً إلى كسرى ،

النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى

فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه ، فأخبره بما لَقِىَ قومُه من الحبشة ، فقال : أقم ؛ فإنّ لى على الملك كسرى إذْناً فى كلّ سَنَة ، وقد حان ذلك .

١٠ فلما خرج أخرج معه سيف بن ذى يزن فأدخله على كِسرى ، فقال : غُلِبنا على بلادنا ، وغَلَبَ الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنى أبيض وأنت أبيض ، وهم سودان . فقال : بلادك بلادٌ بعيدة ، ولا أبعثُ معك جَيْشاً فى غير منفعة ، ولا أمرٍ أخافُه على ملكى .

فلما أيأسه من النّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُساً .

١٧/٧٤

١٥ فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصِّبْيان والعبيد ، فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فقالوا ذلك له ؛ فأرسل إليه : لِمَ صنعْتَ بجائزة الملك ؟ تَنْثُرها للصِّبْيان والناس ؟ فقال سَيْف : وما أعطانى الملك ! جبالُ أرضى ذهب وفضّة ، جئتُ إلى الملك ليَمنَعَنِي من الظُّلْم ، ولم آتِه ليعطينى الدراهم ، ولو أردْتُ الدراهم كان ذلك فى بَلَدِى كثيراً .

٢٠ فقال كسرى : أنْظرُ فى أمرك . فخرج سيف على طمع ، وأقام عنده ،

(١) تكملة من المختار .

(٢) كذا فى ا ، ما ، وفى ب ، س ، ج ، م : « فى هاروت » ، تصحيف .

فجعل سيف كلما ركب كسرى عرَض له ، فجمع له كِسْرى مَرَازِبته ، وقال : ما ترَوْن فى هذا العربىّ ، وقد رأيتُه رَجُلا جَلْدا ؟ فقال قائل منهم : إن فى السجون قوماً قد سجنهم المَلِك فى مَوْجِدةٍ عليهم ، فلو بعثهم الملكُ معه فإن قُتلوا استراح منهم ، وإن ظفرُوا بما يُريد هذا العربىّ فهو زيادة فى مُلْك الملك . فقال كسرى : هذا الرأى . وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل ، فولَّى أمرهم رجلا معهم يقال له وَهْرِز ، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة فى الفرس ، وجهَّزهم ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم فى البَحر فى ثمانى سُفن ، فغرقت سفينتان ، وبَقِى مَنْ بَقِى وهم ستمائة رجل ؛ فأرْسَوْا إلى ساحل عدَن ، فلما أرسوا قال وهرز لسيف : ماعندك ، فقد جئنا بلادَك ؟ فقال : ما شئْتَ من رجل عرَبىّ وفرس[1] عربى ، ثم اجعل رَجُلى مع رَجُلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً .

كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز

قال وهرز : أنصفْتَ . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق وبتَعْبيتهم ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبَشة ، وسار إليهم ، والْتَقى العَسْكران ، وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف ، وبعث وهرز ابْنـاً له كان معه على جريدة خَيْل ، فقال : ناوِشُوهم القتال ، حتى ننظر قتَالهم ، فناوشهم ابْنُه ، وناوشوه شيئاً من قتال ، ثم تورّط ابْنُه فى هلكة لم يستطع التخلُّص منها ، فاشتملوا عليه فقتلوه ، فازْدَادَ وهرز عليهم حَنَقا . وسىء العرب ، وفرحت الحبَشَة، فأظهروا الصليب، فوتَّر وهرز قَوْسَهَ ، وكان لايقدر أن يوتّرها غيره . وقال وهرز والناس فى صفوفهم: انظروا أين تَرون ملكهم ؟ قال سيف[2]: أرى رجلا قاعداً على فيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملكهم . وقال وهرز : اتركوه.

وهرز يقتل مسروقاً

(١) المثبت فى ا ، م ، حـ . وفى ب ، س : « قوس » ، تصحيف .

(٢) فى « ما » ما يفيد أن سيف بن ذى يزن هو الذى سأل .

ثم وقف طويلا ، ثم قال : انظروا هل تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلا ، وقال : انظروا هَلْ تحوّل ؟ قالوا : قد تحول على بغلة ، فقال : ابنةُ الحمار ، ذلَّ الأسود وذَلّ مُلْكُه ، ثم قال لأصحابه : نَقْتُله[1] في هذه الرَّمْيةِ ، تأمَّلُوا النشَّابة ، وأخَذَ النشّابة وجعل فُوقَها في الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّداً[2] ، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التى بَين عينى ملكهم مسروق ، فتغلغلت النشّابة فى رَأسِه حتى خرجت مِن قَفاه ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، فانهزمت الحبشة فى كل وَجْه ، وجعلت حمير تقتلُ مَنْ أدركوا منهم ، وتُجْهز على جَريحهم .

وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن

وأقبل وَهْرز يريدُ أنْ يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذى التَقوا فيه خارجَ صنعاء ، وكان اسم صنعاء : أزال[3]، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها ، فقالت : صَنْعَة ، فسميت صَنْعاء ، وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه ، فلما دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تَدْخُلُ رايتى مكَبَّسة، اهدموا البابَ ، فهُدم بابُ صنعاء ، ودخل ناصباً رايَتَه وسِيرَ بِها بين يديه .

فقال سَيْفُ بن ذى يزن : ذهب مُلْكُ حمير آخِرَ الدهر ، لايرجع إليهم أبدا .

فملك وهرز اليمن ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخبره : إنى قد ملكْتُ للملك اليمَن ، وهى أرض العرب القديمة التى تكون فيها ملوكهم ، وبعث بجَوْهر ، وعَنْبر ، ومال ، وعُود ، وزَبَاد[4] ، وهو جلود لها رائحةٌ طَيِّبة .

كسرى يأمر وهرز أن يملك سيفا اليمن

فكتب كسرى يَأمُره أنْ يملِّك سيفا ، ويقدم وَهْرزُ إلى كسرى .

فخلّف على اليمن سيفا ، فلما خلاَ سيفٌ باليمن وملكها عَدَا على الحبشة ، فجعل يَقْتل رِجالها ويبقر نساءها عمّا فى بطونها ، حتى أفناها إلاّ بقايا منها

(١) المثبت فى ا ، م ، وفى ب ، س ، جـ : « قتلته » . (٢) أيّدا : قويًّا .
(٣) ب ، س : « إيال » ، والمثبت من « ما » وهو يوافق مافى معجم البلدان عن الزجاجى .
(٤) الزباد : طيب يجلب من دابة كالسنور يقال لها : قط الزباد .

أهل ذلة وقلة ، فاتّخذهم خَوَلاً ، واتخذ منهم جمّازين (١) بحرابهم بين يَدَيْه .

فمكث كذلك غير كثير ، وركب يوماً وتلك الحبشةُ معه ، ومعهم حِرابُهم يَسْعَون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مالُوا عليه بحِرابهم فطعنوه بها حتى قَتَلُوه .

الحبشة يغتالون سيفاً

٥ وكان سيف قد آلى ألاّ يشرب الخمر ، ولايمسّ امرأةً حتى يدركَ ثأره من الحبشة ، فجُعلت له حُلّتان واسعتان فأتزر بواحدة ، وارتدى الأخرى ، وجلس على رأس غُمدان يشرب ، وبرّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيّد فقتلَتْه الحبشة .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ،

١٠ وملك يكسوم تسع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتى عشرة سنة ، فهذه أربع وسبعون سنة .

وكان قدومُ أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين ، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وُلِدَ بعد قدوم الفيل

١٥ بخمس وخمسين ليلة .

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان ، قال : حدثنا الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وحدثني به محمد ابن عمران المؤدّب بإسنادٍ لستُ أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيّ فيه ، فاعتمدت هذه الرواية ، قال :

وفود العرب تقدم على سيف لتهنئته بالنصر

٢٠ لما ظفر سيف بن ذِي يَزَن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبي صلى الله

(١) الجمازون : العداءون بحرابهم أمام موكب الملك .

عليه وسلم بسنتين أتَتْه وفود العرب وأشرافُها لتهنئه وتمدحه ، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأرِ قومه ؛ فأتَتْهُ وفودُ العرب من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، فى ناسٍ من وجوه قريش ، فأتوه بصَنْعاء ، وهو فى رأس قَصْرٍ له يقال له : غُمدان ، فأخبره الآذنُ بمكانهم ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى ٥ رأسِه غلامٌ واقف يَنْثر فى مفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره الملوك والمَقاول ، وبين يديه أمية بن أبى الصلت الثقفىّ ينشده قوله فيه هذه الأبيات (١) :

أمية يمدح سيفاً والفرس

لا يطلُبُ الثـأر إلاَّ كابْنِ ذِى يَزَن (٢) \
فى البَحْرِ خـيَّم للأعـداء أحوالا (٣)

أتى هِرَقلَ وقد شالَتْ نَعامَتُهُ \
فلم يَجِدْ عنده النّصر الذى سالا ١٠

ثم انتحى نحو كِسْرَى بعـد عاشرة \
من السِّنينَ يُهِينُ النفسَ والمالا (٤)

حتى أتى (٥) بِبَنِى الأحرار يَقْدُمُهم \
تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأرض أجْبَالا

لله دَرُّهمُ مِنْ فِتْيَةٍ صَـبَروا \
ما إن رأيت (٦) لهم فى الناس أمثالا

بيضٌ مَرَازِبةٌ غُلْبٌ أسـاورة \
أسد تُرَبِّتُ (٧) فى الغَيْضاتِ أشبالا

(١) ديوانه ٥١ والطبرى ا : ١٤٧ وابن هشام ا : ٦٩ ، وفيه : « وقال أبو الصلت ابن أبى ربيعة الثقفى . قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت . ١٥

(٢) فى الديوان . « ليطلب الثأر أمثال ابن ذى يزن » . وفى ابن هشام : « ليطلب الوتر أمثال » .

(٣) ا : « خيم فى البحر للأحباب » .

(٤) فى الديوان : « من السنين لقد أبعدت إيغالا » . ٢٠

(٥) ا : « حتى انتحى » .

(٦) فى الديوان « ... من عصبة حرجوا ... ما إن ترى » .

(٧) فى الديوان : « غر جحاجحة ببض مرازبة ... تربب » ، وفى ابن هشام : « أسداً تربب » .

فالْتَطْ(١) من المسك إذ شالت نَعامتهم
وأَسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيك إسبالا

واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً في رأس غُمْدَانَ داراً منك مِحْلالا

تلك المكارم لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعادَا بعدُ أبوالا

٥ بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سَيْفِ ابن ذي يزن ، وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء ، ويسمون باليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ، وبالبصْرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة .

عبد المطلب يهنئ سيفاً ، وسيف يرحب به وبمن معه

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إنْ ١٠ كنتَ ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذِنَّا لك ، فقال عبد المطلب : إنَّ الله قد أحلَّك أيُّها الملك مَحَلاً رفيعاً ، صعبا منيعا ، شامخا باذخا ، وأنبتك منبتاً طابَتْ أرومته ، وعزَّت جرثومته ، في أكرم موطن ، وأطيب معدن ؛ فأنت - أبيتَ اللعن - مَلِكُ العرب ، وربيعها الذي به تُخصِب ، وأنتَ أيُّها الملك رأسُ العرب الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي ١٥ إليه يلجأ العباد ، فسلَفك لنا خَيْرُ سلف ، وأنْتَ لنا منهم خير خلف ، فلم يَخمُلْ مَنْ أنت خَلَفُه ، ولن يهلك من أنت سَلَفُه نحن أهْلُ حرم الله وسَدَنَةُ بيته ، أشخَصَنا إليك الذي أبهجنا ؛ لكشفك الكرب الذي فَدحنا ، فنحن وفودُ التَّهْنِيَةِ لا وفود المَرْزِئَة .

قال : وأيّهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم ، قال : ٢٠ ابنُ أُختنا ؟ قال : نعم . فأدْناه حتى أجْلَسه إلى جَنْبه ، ثم أقبل على القَوْم

(١) الديوان : « واطل بالمسك » .

وعليه ، فقال : مرحباً وأهلا ، وناقةً ورَحْلا ، ومستناخاً سهلا ، ومَلِكاً رِبَحْلا[١] ، يُعْطِى عطاءً جَزْلا ، قد سمع الملكُ مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقَبِل وَسِيلتكم ، وأنتم أهلُ الشرف والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحِباء إذا ظعنتم .

ثم استُنهضوا إلى دارِ الضيافة والوفود ، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون ٥ إليه ، ولا يؤذن لهم فى الانصراف ، وأجرَى لهم الأنزال[٢] . ثم انتبه لهم انتباهةً ، فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدْناه ، وأخلى مجلسه ، ثم قال :

سيف يسر إلى عبدالمطلب بأمارات ظهور النبى صلى الله عليه وسلم

يا عبد المطلب ، إنى مفوِّضٌ إليكَ مِنْ سرّ علمى أمرًا لو يكون غيرك لم أبُحْ به إليه ، ولكنى رأيتك موضعَه ، فأطلعتك طِلْعَه ؛ فليكن عندك مطويًّا حتى يأذَنَ الله فيه ، فإنَّ اللهَ بالغ أمره . ١٠

إنى أجدُ فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذى اخترناه لأنفسنا ، واحتجنّاه دُونَ غيرنا ، خَبَراً عظيما ، وخَطراً جسيما ، فيه شَرَفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة ، ولِرَهْطِك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : مِثلك أيّها الملك مَنْ سَرَّ وبَرّ ، فما هو فداك أهل الوبر ، زُمَراً بعد زمر ؟ قال ابنُ ذى يزن : إذا وُلد غلامٌ بتهامة ، بين كتفيه ١٥ شَامَة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافد ، ولولا هَيْبَة الملك وإكرامه وإعظامه لسألْتُه أنْ يزيدَنى فى البشارة ما أزداد به سروراً . قال ابن ذِى يَزَن : هذا حينه الذى يُولَدُ فيه ، أو قد وُلد ؟ اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، يموتُ أبوه وأمه ، ويكفله جَدّه وعمّه ، قدولدناه[٣] ٢٠

(١) ربحلا : عظيم الشأن .
(٢) النزل : ما هئ للضيف ، وجمعه أنزال .
(٣) المختار : « قد وجدناه مراراً » ، وفى ما : « قد ولداه سرارا » .

مِرَاراً ، والله باعِثهُ جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ، يُعزُّ بهم أولياءه ، ويُذل بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناسَ عن عُرْض ، ويستبيح بهم كرائمَ الأرض ، يُخمد النيران ، ويدْحَرُ الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فَصْل ، وحُكْمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

٧٧ / ١٧

٥ فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عَزّ جَدُّك ، وعَلاَ كَعْبُك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخْبِرى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعضَ الإيضاح .

فقال ابنُ ذِى يزن : والبيتِ ذى الحُجُب ، والعلامات على النُّصُب ، إنك يا عبد المطلب ، لجَدُّه غير الكذب .

١٠ فخرّ عبْدُ المطلب ساجداً ، فقال له : ارفَعْ رأسك ، ثلج صدْرُك ، وعلا أمرُك ؛ فهل أحسستَ شيئاً مما ذكرتُه لك ؟ فقال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لى ابنٌ ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجتُه كريمةً مِنْ كرائم قومى ، اسمها آمنة بنت وهب ؛ فجاءت بغلام سمّيْتُه محمداً ، مات أبوه وأُمه ؛ وكفلته أنا وعمه . قال : الأمْرُ ما قلت لك ؛ فاحتفظْ بابنك ، واحذر عليه

يطلب من عبد المطلب أن يكتم أمر محمد ويحذره من اليهود

١٥ من اليهود ؛ فإنهم له أعداء ، ولن يجعلَ اللهُ لهم عليه سبيلا ، واطْوِ ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ؛ فإنى لا آمَن أنْ تدخلَهم النَّفَاسة مِنْ أن تكونَ له الرياسة ؛ فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم ، وبطىء ما يُجيبه قومُه ؛ وسيَلْقَى منهم عنَتاً ، واللهُ مُبلج حجتَّه ؛ ومُظهر دعوَتَه ، وناصر شيعته ، ولولا أنى أعلم أنَّ الموت مجتاحى قبل مَبعثه

٢٠ لَسِرْتُ بخَيْلى ورَجلى ؛ حتى أصيّر يثرب دارَ مُلكى ؛ فإنى أجدُ فى

الكتاب المكنون أنّ بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قَبْره ؛ ولولا أنى أتوقَّى عليه الآفات ، وأحذَرُ عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنّه أمرَه ، ولكنى صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ منى بمَنْ معك .

يجزل العطاء لعبد المطلب وصحبه

قال : ثم أمر لكلّ رجل بعشرة أَعْبُد ، وعشر إماء ، ومائة من الإبل وحُلَّتين بُروداً ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش مملوءة عَنْبَراً ، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . ٥

وقال : يا عبد المطلب ، إذا حال الحَوْلُ فائْتِنى . فمات ابنُ ذى يَزَن قبل أنْ يحولَ الحول .

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطنى رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإنْ كَثُر ؛ فإنه إلى نفَاد ، ولكن ليغبطنى بما بقى لى شرفُه وذِكْرُه إلى يوم القيامة . فإذا[1] قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمن نَبَأَ ما أقولُ ، ولو بَعْدَ حين . ١٠

وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس[2] :

جلبْنا النُّصحَ تحمله المَطايا ... إلى أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ ١٥

مغلغلةً مرافقُها ثِقَالا ... إلى صنعاء مِنْ فجٍّ عَميق

تَؤُمُّ بنا ابْنَ ذِى يَزَن وتُهدى ... مَخالِبَهَا إلى أمَمِ الطريق[3]

(١) س : « فإذ » .

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ٤٣ .

(٣) فى الديوان : ٢٠

تؤم بها ابن ذى يزن وتفرى ... بطون خفافها أم الطريق

وفى ا : « مخالبها » .

فلما وافقتْ(١) صَنْعاء صارَتْ بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ

أخبرنى على بن عبدالعزيز، قال. حدثنى عبدُالله بن عبد الله بن خُرْداذْبة، قال:

أحمد بن سعيد المالكى يغنى طاهر ابن الحسين شعر أمية فى سيف

١٧ / ٧٨

كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكىّ، أحد القواد مع طاهر ابن الحسين بن عبد الله بن طاهر، فكان معه بالرىّ، وكان مع محلّه مِنْ خدمة السلطان مُغَنِّيا حسن الغناء، وله صنعةٌ، فحضر مجلس طاهر بن عبدالله، وهو متنزِّه بظاهر الرىّ بموضع يعرف بشاذَمِهْر، وقيل: بل حضره بقَصْرِه بالشاذِياخ(٢)، فغنّى هذا الصوت:

اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً فى رأس غمدان ... البيت

فقال ابنُ عبّاد الرازىّ فى وَقْته من الشعر مِثْلَ ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنّى فيه أحمد بن سعيد لَحْناً من خفيف الرمل، وهو(٣):

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً بالشاذِياخ ودَعْ غُمْدَانَ لِلْيَمَنِ

فأنتَ أَوْلَى بتاج المُلْكِ تَلْبَسُه مِنْ هَوْذَةَ بن علىّ وابن ذى يزَنَ(٤)

فطرب طاهر، فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنَى لأحمد بن سعيد الجائزةَ.

هوذة بن على ويوم الصفقة

أما ذِكرَه هَوْذة بن علىّ ولبسه التاج؛ فإنَّ السببَ فى ذلك أنّ كسرى توَّج هَوْذةَ بن علىّ الحنفىّ، وضمَّ إليه جيشاً من الأساورة، فأوقع ببنى تميم يوم الصَّفْقة(٥).

---

(١) الديوان: « فلما وافت » ٤٣. (٢) الشاذياخ: مدينة نيسابور، أم بلاد خراسان.

(٣) البلدان (شادياخ).

(٤) فى البلدان: « ... من ابن هوذة يوماً وابن ذى يزن ».

(٥) يوم الصفقة كان لهوذة بن على الحنفى على بنى تميم، البلدان (صفقة).

[يوم الصفقة]

أخبرنى بالسبب فى ذلك علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا أبو سعيد السكّرىّ ، قال حدثنا ابنُ حبيب ودِماذ ، عن أبى عُبيدة ، قال ابنُ حبيب : قال أبو سعيد : وأخبرنا إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبى عبيدة ، قال ابن حبيب : وأخبرنى ابن الأعرابىّ ، عن المفضل ، قال أبو سعيد ، قالوا جميعاً : ٥

كان من حديث يوم الصَّفْقة[1] أنّ باذام[2] عامل كِسرى باليمن بعث إلى كِسرى عيراً تحملُ ثياباً من ثيابِ اليمن ، ومِسْكا وعَنْبَرًا ، وخُرجين فيهما مناطق مُحلَّاة ، وخُفراء تلك العير فيما يزعُم بَعْضُ الناس بنوالُجعيْد المرادِيُّون. فساروا من اليمن لا يَعرِضُ لهم أحد ، حتى إذا كان بحَمَضَ[3] مِنْ بلاد بنى حنظلة بن يربوع[4] وغيرهم ، أغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بنى جُعيد والأساوِرة ، واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجيةُ بن عقال ، وعتبة[5] ابن الحارثِ بن شهاب ، وقَعْنب بن عتّاب ، وجَزْء بن سعد ، وأبو مليل عبد الله بن الحارث ، والنَّطِف بن جبير ، وأسيد بن جُنادة ، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَرَ مع كزارجر المكعبر ، فسارُوا إلى بنى حنظلة بن يربوع ، فصادَفُوهم على حَوْضٍ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فهُزِمت الأساورة ، ١٠ ١٥

(١) البلدان (صفقة) والطبرى ٢ : ١٦٩ ، وابن الأثير ١ : ٢٧٥ والعقد ٥ : ٢٢٤ .
(٢) فى الطبرى : « بعث وهرز بأموال وطرف » .
(٣) ب ، س : « حمصى » ، ج : « حمضى » والمثبت من م .
(٤) فى الطبرى : « فلما صارت فى بلاد بربوع » .
(٥) ا ، م : « والمنطف بن خيبرى » . ٢٠

وقُتِلوا قَتْلاً شديداً ذَرِيعاً ، ويومئذ أخذ النَّطف الخُرجَيْن اللذيْن يُضْرَبُ بهما المَثَل (١) .

فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضَباً ، وأمر بالطعام فادُّخر بالمشقَّر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناسَ سَنةٌ شديدة ، ثم قال : مَنْ دخلها مِن العرب
٥ فأَميروه ما شاء (٢) .

فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أعظم مَنْ أتاها بنو سَعْد ، فنادى منادِى الأساورة : لا يدخلها عَرَبِىّ بسلاح ، فأُقيم بوَّابُون على باب المشقَّر ، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا : ضَعْ سلاحك ، وامْتَرْ ، واخرُجْ من الباب الآخر ، فيذهب به إلى رأْس الأساورة فيقتله ، فيزعمون أنَّ خَيْبَرِىَّ بن عبادة
١٠ ابن النوال بن مرة بن عُبَيْد — وهو مُقاعس — قال : يابنى تميم ، ما بَعْدَ السلب إلاّ القَتْل ، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون ، فانصرف منهم مَنِ انصرف مِنْ بقيَّتهم ، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم . هذا حديث المفضَّل .

وأما ما وجدعن ابن الكلبىّ فى كتاب حمَّاد الراوية ، فإن كسرى بعث
١٥ إلى عامله باليمن بعير ، وكان باذَام (٣) على الجيش الذى بعثه كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً (٤) ، فكانت تُبَذْرَقُ (٥) من المدائن حتى تدفعَ إلى النعمان ، ويبذرقها النعمان بخُفَراء من بنى ربيعة ومضر حتى يدفعَها إلى هَوْذَة ابن علىّ الحنفى ، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بنى حنيفة ، ثم تدفع إلى سَعْد ،

١٧/٧٩

(١) يقال : أصاب كنز النطف . وانظر الطبرى ٢ : ١٦٩
٢٠ (٢) أميروه : أعطوه الميرة .
(٣) ب ، س : « باذان » ، والمثبت من ا ، جـ ، وهو يوافق ما فى البلدان أيضاً .
(٤) ا ، جـ : « نبقا » . والنبع : شجر القسى .
(٥) تبذرق : تخفر .

وتجعل لهم جِعالَة ، فتسير فيها ، فيدفعونها إلى عُمَّال باذام باليمن .

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هَوْذة للأساورة : انظروا الذى تجعلونه لبنى تميم فأعطونيه ، فأنا أكفيكم أمْرَهم ، وأسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأمنكم ، فخرج هوذة والأساورةُ والعير معهم مِنْ هَجَر ، حتى إذا كانوا بنَطاع بلغ بنى سَعْد ما صنع هَوْذَة ، فساروُا إليهم ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه وقتلوا عامَّةَ الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هَوْذة بن علىّ ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هَجَر ، فأخذوا منه فداءه ، ففى ذلك يقول شاعر بنى سعد :

ومِنَّا رئيسُ القَوْمِ ليلةَ أدلَجُوا بِهَوْذَةَ مقرونَ اليدين إلى النَّحْرِ
ورَدْنا به نَخْلَ اليمامةِ عانياً عليه وَثاقُ القِدِّ والحَلَقِ السُّمْرِ

فعمد هَوْذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سُلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هَوْذَةُ رجلا جميلاً شجاعاً لبيباً ، فدخل عليه فقصَّ أَمْرَ بنى تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها وكساه قَباء دِيباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتُها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى[1] :

له أكاليلُ بالياقوت فصَّلها صَوَّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعا

وذُكِر أن كسرى سألَ هَوْذَة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه فى عَيْش رَغد ، وأنه يغزو المغازىَ فيُصيب .

فقال له كسرى فى ذلك : كَمْ ولَدُك ؟ قال : عشرة ، قال : فأيّهم أحبُّ

(١) ديوانه . ١٠٧ .

إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .
قال كسرى : الذى أخرج منك هذا العقل حَمَلك على أن طلبْتَ منى الوسيلةَ .
وقال كسرى لهوذة : رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتى ، وأخذوا مالى ،
أَبَيْنَكَ وبينهم صُلح ؟

٥ قال هوذة : أيها الملك بينى وبينهم حَساء[1] الموت ، وهم قتلوا أبى . فقال
كسرى : قد أدركْتَ ثأرك ، فكيف لى بهم ؟ قال هوذة : إنَّ أرْضَهم
لا تُطيقها أساوِرتُك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبِسْ عنهم المِيرة ، فإذا
فعلتَ ذلك بهم سنةً أرسلتَ معى جندا من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ؛ فإنهم
يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُك .

١٠ ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواقَ فى سَنةٍ مُجْدبة ، ثم سَرَّح
إلى هوذة فأتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشْفِنِي منهم ، واشْتَفِ . وَسرَّح معهم
جَوار بُودَار[2] ورجلاً من أرْدَشِيرخُرَّه . فقال لهوذة : سِرْ معَ رسولى هذا ،
فسار فى ألف أسوار حتى نزلُوا المشقر من أرض البحرين ، وهو حِصْن هَجَر .

وبعث هوذة إلى بنى حنيفة فأتَوه ، فدنوا منْ حيطان المشقَّر ، ثم نودى :
١٥ إنَّ كسرى قد بلغه الذى أصابكم فى هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتعالوا ،
فامتاروا . فانْصَبَّ عليهم الناس ، وكان أعظم مَنْ أتاهم بنو سَعْد ، فجعلوا
إذا جاءوا إلى باب المشقَّر أُدخلوا رجلاً رجلا ، حتى يُذهب به إلى المُكَعْبِر[3]
فتضرب عنقه ، وقد وضع سِلاَحه قبل أن يدخل ، فيقال له : ادْخُلْ من

---

(١) حساء الموت : شربه وتجرعه .
٢٠ (٢) كذا ضبط فى ا ، م وفى ج . « حوار يودار »
(٣) فى الطبرى : « وإنما سمى المكعبر ؛ لأنه كان يقطع الأيدى والأرجل . واسمه
آزاذ فروذ بن جشنس » .

١٧/٨٠

هذا الباب واخرُجْ من البابِ الآخر ، فإذا مرَّ رجُلٌ مِنْ بنى سعد بينه وبين هَوْذَة إخاء ، أو رجل يرجوه ، قال للمكعبر : هذا مِنْ قومى فيخلِّيه له .

فنظر خيبرىٌّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، وتُؤْخَذ أسلحتُهم ، وجاء ليمتار ، فلما رأى ما رأى قال : ويْلَكم ! أينَ عقولكم ! فوالله ما بَعْدَ السَّلْب إلا القتل .

٥

وتناول سَيْفاً من رجل من بنى سَعْد يقال له مَصاد ، وعلى باب المشقَّر سلسلة ورجل من الأساورة قابضٌ عليها ، فضربها فقطعها ويدَ الأسوار ، فانفتح البابُ ، فإذا الناس يقْتلون ، فثارَتْ بنو تميم .

ويقال : إن الذى فعل هذا رجلٌ من بنى عبس يقال له : عُبيد بن وهب ، فلما علم هَوْذة أنَّ القوم قد نَذِرُوا به أمرَ المكعبر فأطلق منهم مائةً من خِيارهم ، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة ، فتبعتْهم بنو سَعْد والرباب ، فقُتِل بعضهم ، وأفلت من أفْلت .

١٠

صوت

إذا سلكتْ حَورَانَ منْ رَمْلِ عالجٍ[1] فقُولاَ لها : ليس الطريقُ هنالكِ
دَعُوا فلَجاتِ[2] الشامِ قد حِيلَ دُونَها بضَرْبٍ كأفواه العِشار الأوارِكِ[3]

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لابن محرز ،
ولَحْنُهُ من القدر الأوسط من الثقيل الأول ، مطلق فى مجرى البنصر .

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقُرَيش حين تركت الطريقَ الذى كانت تسلكُه إلى الشام بعد غَزْوة بَدْر ، واستأجرت فُرات بن حيّان[4] العِجلىّ دَليلا ، فأخذ بهم غَيْرَها ، وبلغ النبىصلىالله عليه وسلم الخبر ، فأرسل زيد بن حارثة فى سرّية إلى العير فظفر بها ، وأعجزه القوم .

---

(١) الديوان ٢٩٥ : « إذا سلكت للغور من رمل عالج » .
(٢) الفلجات : الأودية الصغار .
(٣) فى الديوان :
. . . قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك
والأوارك : التى ترعى الأراك .
(٤) ب ، س : حبان بالباء ، والمثبت من ما ، وهو موافق لما فى كتب السيرة .

[ذكر الخبر فى[1] سرية زيد بن حارثة]

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفاف ، قال : حدثنا الحارث بن أبى أُسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدىّ ، قال :

كان سبب هذه الغَزْوة أنّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجرَنا[2]، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصَفْوَان بن أمية : إنْ أقمنا بمكة أكلنا رُءوس أموالنا . فقال زَمْعَةُ[3] بن الأسود : وأنا أدلّكم على رجُل يسلكُ بكم النّجدة[4] ، ولو سلكها مُغْمَض العين لاهتَدَى . فقال صفوان: مَنْ هو؟ قال : فرات بن حَيّان العجلىّ ، فاستأجَرَاه ، فخرج بهم فى الشتاء ، فسلك بهم ذات عِرْق ، ثم سلك بهم على غَمْرَةَ ، فانتهى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم خَبَرُ العير ، فخرج وفيها مالٌ كثير ، وآنية مِنْ فضة حملها صَفْوَانُ بن أمية .

فخرج زَيْد بن حارثة فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ، وكان الخُمْسُ عشرين ألفا ، فأخذه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقسّم الأربعة الأخماس على السَّرية[5] ، وأُتى بفُرات بن حَيّان العجلىّ أسيرا ، فقيل له : إن أسلَمْتَ لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما دَعَا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسلم ، فأرسله .

حدثنا محمد بن جرير الطبرىّ ، قال: حدثنا محمد بن حميد ، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق فى خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدىّ، وزاد فيها فيما رواه:

إن قريشاً لما خافت طريقَها إلى الشام أخذَتْ على طريق العراق ، وذكر أنَّ الوقْعَةَ كانت على القَرَدَة[6] : ماء من مياه نجد .

(١) فى النسخ : « ذكر الخبر فى ذلك » . (٢) عور علينا متجرنا : عرضه للضياع .
(٣) كذا فى ما ، والطبرى وفى ب ، س : « ربيعة » .
(٤) كذا فى ما وهو الصواب . (٥) كذا فى م وهو الوجه .
(٦) ضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة (معجم البلدان ونهاية الأرب) .

١٧/٨١

أخبرني حرميّ بن أبي العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال :

إبراهيم بن هشام يكتب إلى هشام ابن عبدالملك بدعوة بني مخزوم

كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبدالملك : إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دَعْوَةِ أعمامه بني عبد مناف أنْ يبدأ بدَعْوَة أخواله بني مخزوم .

٥ فكتب: إن رضيَ بذلك آلُ الزبير فافعل .فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه ببني مخزوم ، فناداه عثمان بن عروة ، وقال(١) :

إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أرْض(٢) عالج فقُولاَ لهـا : ليس الطريقُ هنالك .

فأمر مناديه فنادى بني أسد بن عبد العزّى ، ثم مضى على الدعوة .

النبي صلى الله عليه وسلم يقطع فرات ابن حيان أرضا بالبحرين

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرميّ إجازة ، قال : حدثنا ضرار بن صُرَد ، ١٠ قال: حدثنا عليّ بن هشام، عن عمار بن زُرَيق ، عن أبي إسحاق ، عن عديّ بن حاتم:

أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أتى بفرات بن حيّان فقال : إني مسلم ، فقال لعليّ صلوات الله عليه : إنّ منكم مَن أَكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان ، وأقطعه أرْضاً بالبحرين تغلّ ألفاً ومائتين .

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد ، قال : حدثنا محمد عُبيد الله بن عتبة ، ١٥ قال : حدثنا موسى بن زياد الزيات ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل(٣)، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن جارية(٤) بن مُضَرِّب ، عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه ، قال :

أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بفرات بن حيّان يوم الخَنْدَق ، وكان عَيْناً للمشركين ، فأمَر بقتْله ، فقال : إني مسلم ، فقال : إن منكم مَنْ أتألّفه على ٢٠ الإسلام وأَكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان .

(١) هو لحسان بن ثابت .
(٢) في هامش ا من نسخة : « من رمل عالج » ، وهي رواية الديوان أيضا ، وكذلك المختار .
(٣) في الإصابة . الأشهل .
(٤) وكذا في الإصابة ، وفي الإكمال . « حارثة بن مضرب » .

صـوت

إذا المرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسه ... شكى الفَقْرَ أولامَ الصَّدِيقَ فأ كثرا

وصار على الأدْنَيْنَ كَلاًّ وأوشكت ... صِلاَتُ ذَوِى القُرْبى له أن تَنَكَّرا

فسر فى بلادِ الله والتمس الغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أو تموتَ فتُعذرا

ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم ... وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا

عروضه من الطويل ، الشعر لأبى عطاء السندىّ . والغناء لإبراهيم . خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو الثانية .

ذكر أبى عطاء السندى

نسبه

أبو عطاء، اسمه أفلح بن يَسَار، مولى بنى أسد، ثم مَوْلَى عنْبَر[١] بن سِمَاك ابن حُصين الأسدىّ ، منشؤُه الكوفة ، وهو مِنْ مخضرمى الدولتين . مدح بنى أُميّة وبنى هاشم ، وكان أبوه يَسار سِنْدِيًّا أعجميا لا يفصح . وكان فى لسان أبى عطاء لُكْنَةٌ[٢] شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح[٣] . وكان له غلامٌ فَصيح سمّاه عطاء ، وتكنّى[٤] به ، وقال : قد جعلتُك ابنى ، وسميتك بكنيتى ، فكان يروِّيه شعْره ، فإذا مدح مَنْ يَجْتَدِيه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله[٥] . وكان ابن كناسة يَذْكُر أنه كاتَبَ مواليَه ، وأنهم لم يعتقوه .

أخبرنى بذلك محمد بن مزيد ، قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، قال :

يكاتب مواليه

١٧ / ٨٢

كَثُر مال أبى عطاء السندىّ بعد أن أُعْتِق ، فأعْنَتَه مواليه وطمعوا فيه ، وادّعوا رِقّه ، فشكا ذلكِ إلى إخوانه ، فقالوا له : كاتِبْهُمْ[٦]، فكاتَبُوه على أربعة آلاف ، وسعى له أهلُ الأدب والشعر فيها فتركهم ، وأتى الحرّ بن عبد الله القُرَشىّ ، وهو حليفٌ لقريش لا مِنْ أنفسهم ، فقال فيه :

شعره فى الحر ابن عبدالله القرشى

أتيتُك لا مِنْ قُرْبَةٍ هى بيْنَنَا ... ولا نعمةٍ قدّمتُها أستَثِيبُها
ولكن معالرّاجينأن كنتَ[٧] مَوْرِداً ... إليه بُغَاةَ الدَّيْن تَهْفُو قلوبها[٨]

---

(١) س، ج · مولى عمرو بن سماك » ، وفى المرزبانى ٤٥٦ : اسمه أفلح ، وقيل · مرزوق .
(٢) ج : « عجمة » .
(٣) ج : « وكان لا يكاد يفصح » .
(٤) ج : « وتبناه » .
(٥) ج . « ما قاله فيه » .
(٦) كاتب رقيقه : اتفق معه على مال يدفعه له فإن أداه صار حرا .
(٧) ا والمختار · « إذ كنت » .
(٨) المختار · « بغاة الرى » .

أغثْنِي بِسَجْلٍ مِنْ نَدَاكَ يكفُّنى وقاكَ(١) الرَّدَى مُرْدُ الرِّجالِ وشِيبُها
تَسَمَّى ابن عبد الله حُرًّا لوَصْفه(٢) وتلكَ العُلاَ يُعْنَى بها من يُصِيبُها(٣)

فأعطاه أربعة آلاف درهم ، فأدَّاها فى مكاتبته وعَتَق(٤).

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنى حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال :

وشعره فى سليمان ابن سليم

كان أبو عطاء السندىّ يجمَعُ بين لثغة ولكنة ، وكان لا يكاد يُفْهَم كلامه ، ٥ فأتى سليمان بن سُليم فأنشده :

أعوزَتْنى الرُّواةُ يا بْنَ سُليم وأبى أنْ يقيم شِعْرِى لسانى
وغَلَى بالذى أُجمْجِمُ صَدْرِى وجَفَانى بعُجْمَتى سلْطانى(٥)
وازْدَرَتْنى العيونُ إذ كان لَوْنِى حالكا مُجْتَوَى(٦) من الألوان
فضربتُ الأمورَ ظَهْرًا لبَطْن كيف أحتالُ حِيلةً للسانى(٧) ؟ ١٠
وتمنيتُ أننى كنت بالشِّعْـــر فَصيحاً وبانَ بَعْضُ بَنانى
ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابى عند رَحْب الفِناء والأعطان
فاكفِنى ما يَضيقُ عنه رُوَاتى بفصيح مِنْ صَالح الغِلمان
يُفْهِمُ الناسَ ما أقول من الشعـــر فإنَّ البيانَ قَدْ أعيانى
فاعْتَمِدْنى بالشكر يا بْنَ سُلَيم فى بلادِى وسائرِ البُلدان ١٥

(١) ا : « يقلنى .. فداك » . وفى المختار : « وقاك الردى مرد الكرام » . وسجل من نداك : نصيب عظم من عطائك — والسجل فى الأصل : الدلو العظيمة فيها ماء
(٢) س والمختار : « كوضعه » ، والمثبت من ا ، جـ .
(٣) كذا فى المختار : وفى ب ، س « يعيبها » .
(٤) جـ : « وأعتق » . ٢٠
(٥) فى المختار : « لعجمتى » .
(٦) مجتوى : مبغضا مكروها .
(٧) فى المختار : « لبيانى » .

ستُوافيهمُ قصائدُ غرٌّ فيك سَبَّاقةٌ لكل[1] لسان
فقديماً جعلتُ شكرى جزاء كلّ ذى نعمةٍ بما أولانى
لم تزَلْ تشترى المحامدَ[2] قِدماً بالرَّبيح الغالى من الأثمان

فأمر له بوَصِيف بَرْبَرىّ فصيح ، فسمَّاه عطاء ، وتكنّى به ، ورَوّاه

٥ شِعْرَه ، فكان إذا أراد إنشادَ مديح لمَنْ يَجْتديه ، أومذاكرة لشِعْره أنشده .

هجاؤه مولاه عنبر ابن سماك الأسدى

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا ثعلب ، عن أبى العالية الحُرّ بن مالك الشامىّ ، قال :

لما أثْرَى أبو عطاء أعنَتَه مولاه عنبر[3] بن سِماك الأسدىّ ، حتى ابتاع نَفْسَه منه ، فقال يهجوه :

١٠ إذا ما كنتَ متخذاً خليلا فلا تَثِقَنْ بكلّ أخى إخاء
وإنْ خُيِّرتَ بينهمُ فألْصِقْ بأهل العقل منهم والحياء
فإنَّ العقل ليس له إذا ما تُذُوكِرَت[4] الفضائلُ مِنْ كِفاء
وإنَّ النَّوْكَ للأحساب غُولٌ به تأوى إلى دَاءٍ عَيَاء
فلا تَثِقَنْ مِن النَّوكى بشىءٍ ولو كانوا بَنِى ماءِ السماء
١٥ كعَنْبرٍ الوثيقِ بناء بَيْتٍ ولكن عقلُه مِثْلُ الهَبَاء
وليس بقابلٍ[5] أدباً فدَعْه وكن منه بمنقطعِ الرَّجاء

١٧ / ٨٣

كان من شعراء بنى أمية ومداحهم

قال : وكان أبو عطاء مِنْ شعراء بنى أميّة ومُدّاحهم والمُنْقَطِعِين الهوَى إليهم ، وأدرك دولةَ بنى العباس فلم تكُنْ له فيها نَبَاهةٌ ، فهجاهم . وفى آخر

(١) فى المختار : « بكل » . (٢) فى المختار : « المدائح » .
٢٠ (٣) انظر ما سبق فى نسبه .
(٤) فى ب « تذكرت » ، والمثبت فى المختار . كفاء : شىء يقوم به ويعادله .
(٥) ا : « بقائل » ، والمثبت فى المختار أيضا .

أيام المنصور مات . وكان مع ذلك مِنْ أحسن الناس بديهة ، وأشدّهم عارضةً وتقدُّما ، وشهد أبو عطاء حَرْبَ بنى أُميّة وبنى العباس فأبلَى ، وقُتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة ، وانهزم هو ، وقيل : بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه .

شعره فى أبى زيد المرى وقد أعطاه فرسه فهرب به

أخبرنى الحسن بن علىّ ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنىّ ، قال :

كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة[1] ، وقدّامه رجُل مِنْ بنى مرَّة يكنى أبا زيد ، وقد عُقِر فرسه ، فقال لأبى عطاء : أعطنى فرسَك حتى أُقاتل عنّى وعنك ، وقد كانا أيقَنَا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسَه ، فركبه المرُّىُّ ، ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال أبو عطاء فى ذلك :

لعمـــرك إننى وأبا يزيد ... لـكالساعى إلى وَضَح السَّرَابِ

رأيْتُ مَخيلةً[2] فطمعتُ فيها ... وفى الطمع المذلَّةُ للرِّقاب

فما أعياك مِنْ طلبٍ ورزقٍ ... كما يعييك فى سَرَق الدَّواب[3]

وأشهد أنّ مرّة حىُّ صِدْقٍ ... ولـكن لستَ منهم فى النِّصاب

أخبرنى الحسن ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنىّ :

أنّ يحيى بن زياد الحارثىّ وحمَّادًا الراوية كان بينهما وبَيْن مُعَلّى ابن هُبيرة ما يكونُ مثْلُه بين الشعراء والرُّواة من النَّفاسة ، وكان معلّى ابن هُبيرة يحبُّ أنْ يطرح حماداً فى لسان شاعرٍ يهجوه .

أبو عطاء وحماد الراوية

قال حمَّاد الراوية : فقال لى يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبى عطاء السندىّ أن يقول فى زُجّ وجَرَادة ومسجد بنى شيطان ؟ قال : فقلت له :

(١) المسودة : يريد بنى العباس ومن والاهم لأن لباسهم كان السواد .

(٢) المخيلة : السحابة تخالها ماطرة لرعدها وبرقها .

(٣) ا : «كما أعياك من» .

فما تجعله لى على ذلك؟ قال : بَغْلتى بسرجها ولجامها . قلت : فعدِّلْها [١] على يَدَى يحيى بن زياد ، ففعل ، وأخذتُ عليه موثقاً بالوفاء .

وجاء أبو عطاء السندىّ فجلس إلينا ، وقال : مرحباً مرحباً ، هيَّا كم الله . فرحّبْتُ به ، وعرضْتُ عليه العشاء ، فقال : لا حاجَةَ لى به ، فقال : أعندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرَّتْ عيْناه ، واسترخت عَلَابِيه [٢] ، ثم قلت : يا أبا عطاء ، إنّ إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتة ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوى لى منها شىء ، ففرِّجْ عنى . قال : هات ، فقلت :

أبن لى إنْ سُئلْتَ أبا عطاء يقيناً كيف علمُك بالمعانى

فقال :

خبيرٌ عالم فاسأل تجدْنى بهـا طَبًّا وآياتِ المثانِى

فقلت :

فما اسمُ حدَيْدَةٍ فى رأس رُمحٍ دُوَين الكَعْبِ ليست بالسِّنان ؟

فقال أبو عطاء :

هو الزُّزُّ الذى إن بات ضَيْفاً لصدْرك لم تزَلْ لك عوْلتان

قلت : فرَّج الله عنكَ ، تعنى الزجّ . وقلت :

فما صفراء تُدْعى أمَّ عوف كأن رُجَيْلَتَيْها مِنْجـلانِ ؟

فقال :

أردتَ زَرادةً وأَزُنُّ زَنًّا بأنَّكَ ما أردتَ سِوَى لسانى

(١) عدلها : يريد اجعلها فى ضمان عدل .

(٢) علباء البعير : عصب عنقه ، وجمعه : « علابى » . وعلبى الرجل : ظهرت علابيه كبرا .

١٧ / ٨٤

قلت : فرجَ الله عنك ، وأطال بقاءك ! تريد جرادة ، وأظنُّ ظنا . وقلت :

أتعرِف مسجداً لبنى تميم ... فُوَيْقَ الميل دُونَ بَنى أبان ؟

فقال :

بنو سَيْطان[1] دُونَ بنى أبان ... كقُرْب أبيك من عَبْدِ المدان ٥

قال حماد : فرأيت عَينيه قداحمرّتَا ، وعرفت الغضب فى وجهه وتخوّفْتُه ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك النصف مما أخذته ، قال : فاصدقنى ، قال : فأخبرته . فقال لى : أولى لك ! قد سلمتَ وسلِم لك جُعْلُك ، خُذْه بُورِك لك فيه ، ولا حاجة لى فيه . فأخذته ، وانقلب يَهْجُو مُعَلَّى ابن هبيرة . ١٠

مدح أبا جعفر فلم يثبه

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنىّ : أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه ، فأظهر الانحرافَ عنه لعلمه بمَذْهبه فى بنى أميَّة ، فعاوَدَه بالمدح ، فقال له : يا ماصّ كذا من أمِّه ، ألَسْتَ القائل فى عدوّ الله الفاجر نصر بن سَيَّار ترثيه :

فاضَتْ دُموعى على نَصْرٍ وما ظلمت ... عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ ١٥

يا نَصْرُ مَنْ لِلقاء الحرب إن لَقِحَتْ ... يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ

الخِنْدِفىّ الذى يَحْمِى حَقيقَتَه ... فى كل يَوْم مخوف الشرّ والعارِ

---

(١) ا « تيطان » ، بالشين ، وفى الشعر والشعراء ٧٤٣ . - أيكم يحتال لأبى عطاء حتى يقول جرادة وزج وشبطان ، فقال حماد الراوية : أنا ، فلم يلبث أن جاء أبو عطاء ، فقال : ... مرحبا مرحبا ، هياكم الله ، قلنا : ألا تتعشى ؟ قال : قد تعشيت ، فهل عندكم نبيذ ؟ قلنا : نعم ، فأتى بنبيذ ، فشرب حتى استرخت علابيه ، وحذيت أدناه ، فقال حماد الراوية : كيف بصرك باللغز يا أبا عطاء ؟ قال : حسن ... إلى آخر الخبر . ٢٠

والقائد الخَيْل قبًّا فى أعنّتها بالقوم حتى تلفّ القار بالقار[1]
من كُلِّ أبيضَ كالمصباح مِنْ مُضَرٍ يَجْلُو بسُنَّتــه الظلماء لِلسَّارِى
ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فرَّارِ
إنْ قالَ قَوْلاً وَفَى بالقول مَوْعِدُه إنَّ الكسائىَّ وافٍ غيرُ غدَّارِ

٥ والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً . قال : فخرج من عنده ، وقال عدة قصائد يذمُّه فيها منها :

هجاؤه أبا جعفر

فليت[2] جَوْرَ بنى مَرْوَان عادَ لَنا وليتَ عَدْلَ بنى العبّاس فى النـار

وقال أيضاً :

أَلَيس اللهُ يعلمُ أنَّ قلبى يُحِبُّ بنى أُميّـة ما استطاعا
١٠ وما بى أنْ يكونوا أهل عَدْلٍ ولـكنّى رأيتُ الأمْرَ ضاعا

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنى الخراز[3] ، عن المدائنىّ ، قال :

شعره فى ابن هبيرة حين لم يصله بشىء

كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يَبْنِى مدينته التى على شاطئ الفرات ، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال :

قصائدُ حكتُهنّ ليَوْمِ فَخْرٍ[4] رَجَعْنَ إلىّ صُفْراً خَالياتِ
١٥ رَجعن وما أَفأْنَ علىّ شيئاً سوَى أنّى وُعِدت التُّرَّهات
أقام على الفرات يزيد حَوْلا فقال الناس : أيّهما الفراتى ![5]

(١) المختار : « الغار بالغار » .
(٢) الشعر والشعراء : « ياليت » .
(٣) ا : « الخزاز » .
٢٠ (٤) ا : « بقوم قيس » ، وفى المختار : « لعدم قيس » .
(٥) ا : « الفرات » .

فيا عجبا لبَحْرٍ باتَ يَسْقِى جميعَ الخَلْقِ لم يَبْلُلْ لَهَاتِى

شعره فى مدح يزيد بن عمر ابن هبيرة

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة : وكم يبلّ لهاتك يا أبا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابْنَه بدفعها إليه ، ففعل ، فقال يمدح ابنه :

أمَّا أبوكَ فعَيْنُ الجودِ تعرفُه وأنتَ أشبَهُ خَلْقِ الله بالجود[1]

لولا يزيد ولولا قَبْلَه عمر أَلْقَتْ إليك معدٌّ بالمَقاليد ٥

ما ينبتُ العودُ إلا فى أرُومته ولا يكون الجَنَى إلاَّ من العود

١٧ / ٨٥

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنا أحمد ، عن المدائنىّ ، قال :

وهب له نصر بن سيار جارية فقال فى ذلك شعرا

وَهَب نَصْر بن سيّار لأبى عطاء جارية ، فلما أصبح غدَا على نَصْر ، فقال : ما فعلتَ أنْتَ وهى ؟ فقال : قد كان شىء منّى منعنى مِنْ بعض حاجتى — يعنى النّوم — فقال : وهل قلت فى ذلك شعرا ؟ قال : نعم ، وأنشد : ١٠

إنَّ النكاحَ وإن هَرِمْتَ[2] لصالح خَلَفٌ لعَيْنِك مِن لذيذ الْمَرقَدِ

فقال نصر :

ذاك الشقاء فلا تَظُنَّنْ غَيْرَهُ ليس الشاهدُ مِثْلَ مَنْ لم يَشْهَدِ

فقال : أصلحك الله ، إنى قد امتدحتكَ فائذَن لى أن أنشدك ، قال : إنى لنى شغل ، ولكن ائتِ تميما ، فأتاه فأنشده ، فحمله على بِرْذَوْنٍ أبْلَق ، ١٥ فقال له نصر من الغد : ما فعل بك تميم ؟ فقال :

لئن كان أُغْلِقَ بابُ الندى فقد فُتِحَ البـــابُ بالأبلق

ثم أنشده قوله :

وهيكلٍ يُقال فى جَـــلالِهِ تقصُر أيدى الناسِ عَنْ قَذالِهِ

(١) المختار ١ : ٤١٣

(٢) فى ب ، س : « هربت » والمثبت من ما . ٢٠

شعره فى مدح نهيك بن معبد

سَلِيه البيعَ واستعْدِى عليه ... فإنَّكِ إنْ تُباعِى تسمنينا

أخبرنى الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائنىّ، قال:

١٧/٨٦

كان أبو عطاء منقطعاً فى طريق مكة، وخباؤه مطروحٌ، فمرّ به نَهِيكُ ابن مَعْبَد العطاردىّ، فقال: لِمَنْ هذا الخباء المُلْقى؟ فقيل: لأبى عطاء السندىّ، فبعث غِلْماناً له، فضَرَبُوا له خِباء، وبعث إليه بألطاف وكسوة، ٥ فقال، مَنْ صنع هذا؟ قالوا: نَهِيك بن معبد، فنادى بأعْلَى صوته يقول:

إذا كنتَ مُرْتَادَ الرجال لِنَفْعِهم ... فنادِ بصَوْت: يا نَهِيكُ بنَ مَعْبد

فبعث إليه نهيك: لا، زِدْناً يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء:

١٠ إنما أعطيناك على قَدْر ما أعطيتنا، فإنْ زِدْتنا زِدْناك. والله أعلم.

نسخت من كتاب ابن الطحان (1): قال الهيثم بن عدىّ: أخبرنا حمّاد الراوية، قال:

أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه فقال شعراً يصحح معناه

أنشدت أبا عطاء السندىّ فى أثناء حديثٍ هذا البيت:

إذا كنْتَ فى حاجةٍ مرسلا ... فأرْسِلْ حكيما ولا تُوصِهِ

١٥ فقال أبو عطاء: بئس ما قال! فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلتَ فى أمرٍ رسولا ... فأفهِمْه وأرسِلْه أديبا

وإنْ ضيَّعتَ ذاك فلا تَلُمْهُ ... على أن لم يكن عَلِمَ الغُيوبا

نسخت من كتاب عبيدالله بن محمد اليزيدىّ: قال الهيثم بن عدىّ، عن

(1) م: «النطاح».

حماد بن سلمة الكلبىّ ، قال :

شعره فى مدح سليمان بن سليم

دخل أبو عطاء السندىّ على سليمان بن سُليم بن بَشّار[1] ، فقال له :

أعوزَتْنى الرُّواةُ يابن سُليم   وأبى أن يقيمَ شِعْرِى لسانى

وغلاَ بالذى أُجَمْجِم صَدْرِى   وشَكانى من عجمتى شيطانى

وَعَدَتْنِي العيونُ أن كان لَوْنِى   حالكا مُظْلِماً مِنَ الألوان

وضربت الأمورَ ظهرًا لبطن   كيف أحتال حيلةً لبَيانى !

فتمنّيت أننى كنْتُ بالشعـ   ـر فصيحا وبانَ بَعْضُ بنانى

ثم أصبحت قد أنخْتُ رِكابى   عند رحب الفِناء والأعطان

فإلى مَن سِواكَ يابن سليم   أشتكى كُرْبَتِى وما قد عَنانى

١٠ فاكْفِنى ما يضيق عنه ذراعى   بفَصيح مِنْ صالحى الغلمان

يُفهِم الناسَ ما أقول من الشعـ   ـر فإنَّ البيانَ قد أعيانى

ثم خذنى بالشكر يابن سُليم   حيثُ كانتْ دارِى من البلدان

فأمر له بوَصيف فصيح كان حسن الإنشاد ، فقال أبو عطاء أيضاً :

فأقبلوا نحوى معا بالقنا   وكلّهم يسأل : ما شانى ؟

١٥ فقلت : شأنى كلّه أننى   فى تعب من لفظ جُرْدانى

يابْنَ بسليم أنتَ لى عصمة   من حدثٍ أفزع جيرانى

فقد رمانى الدّهرُ عن فقره   بسهم فقر غير لَغبان[2]

صادَ فؤادى بعد ما قد سلا   فصرت كالمقتبل العانى

(١) ا : « ابن كيسان » .

٢٠ (٢) اللغبان : الشديد الإعياء .

فانعَشْ فدَتْكَ النفس منى ومَن ... أطاعَنى مِنْ جِلِّ إخوانى
وهبْ فدتك النفسُ لى طَفلة[1] ... يقمع حِرها رأْسَ شيطانى
فإن أيرى قد عَتَا واعتدى ... وصار يبغى بغيةَ الزّانى
فاللهَ ثم الله فى قَمْعه ... من قبل أنْ أُمْنَى[2] بسلطان
يتركنى أضحوكةً بعدما ... أضرب فى سِرٍّ وإعلانِ

فأمر له بجارية قُنْدُهاريَّة[3] فارهة، فقال:

أحصنَنى اللهُ بكفَّىْ فتى ... مهذَّبٍ مِنْ سرِّ قَحْطَان
من حمير أهل السَّدى[4] والندى ... وعصمة الخائفِ والجانى
يا خَيْرَ خَلْقِ الله أنت الذى ... أيأسْتَ مِنْ فسقِى شيطانى

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا علىّ بن محمد النوفلىّ، عن أبيه، قال:

يغضب لخطأ راويته فى شعر قاله

كنتُ جالسا مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندىّ، إذ قام راوية أبى عطاء ينشد سليمان مَديحا لأبى عطاء، وأبو عطاء جالسٌ لا يتكلّم، إذ قال الراوية فى إنشاده:

فما فضلت يمينُك من يمين ... ولا فضلَتْ شمالُك عن شمال[5]

هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدحته إذاً! إنما هجوته، يريد فما مدحتُه إذاً إنما هجوتُه، ثم أنشده أبو عطاء:

فما فدَلت يمينَك من يمين ... ولا فدَلت شمالَكَ عن شمال

(١) الطفلة: الرخصة الناعمة.
(٢) ا: «أنمى».
(٣) قندهارية: منسوبة إلى قندهار (البلدان).
(٤) السدى: المعروف.
(٥) ا: «فما نزلت ولا نزلت»، وفى المختار ١: ٤١٤ «ولا فدلت» يريد: «ولا فضلت»

فكدتُ أضحك، ولم أجسر، لأنى رأيتُ القوم جميعا بهم مثل ما بى وهم لا يضحكون؛ خوفا منه.

ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثنى صالح بن سليمان، قال:

٥ وَفَد أبو عطاء السندىّ على نَصر بن سيّار فأنشده:

قالت تَرِيكةُ بَيْتي وهي عاتِبةٌ[1]. إنّ المقام على الإفلاسِ تَعذِيبُ

ما بال همٍّ دخيلٍ بات محتضرا رأس الفؤادَ فنومُ العَينِ توجيب

إنى دعانى إليك الخَيْرُ مِنْ بلدى والخيرُ عِنْدَ ذوى الأحساب مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

ينضب لأن ضيفه يرقب جاريته

١٠ أخبرنى محمد بن خلف وكيع والحسن بن علىّ، قالا: حدثنا عبد الله بن أبى سَعد، قال: حدثنى سليمان بن أبى شيخ، عن صالح بن سليمان، قال: دخل إلى أبى عطاء السندىّ ضَيْفٌ، فأتاه بطعام، فأكل، وأتاه بشراب وجلسا يشربان، فنظر أبو عطاءٍ إلى الرجل يلاحظُ جاريته، فأنشأ يقول:[2]

كُلْ هنيئاً وما شربت مَرِيئا ثم قُمْ صاغرا وأَنْتَ ذميمُ

١٥ لا أُحبُّ النديم يُومِض بالطر ف إذا ماخلا لعِرْسِ النَّديمِ[3]

---

(١) تريكة البيت: التى تترك فلا تتزوج، وهى العانس فى بيت أبويها. اللسان (ترك).

(٢) الأبيات فى الكامل: ٧٤ والبيان ٣: ٣٤٧

(٣) الكامل: «يومض بالعين إذا ما انتشى لعرس النديم» فى وفى البيت إقواء.

صــوت

تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجولُ ولا قُلْبا [(١)]

أُحبّ بنى العوّام طُرّا لحبّها ... ومِنْ أجلها أحببْتُ أخوالها كَلْبا

فإن تُسْلِمى نُسْلِم، وإن تتنصَّرى ... تخطّ رِجالٌ بين أعينهم صُلْبا

عروضه من الطويل. الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله فى زوجته رَمْلة بنت الزُّبير. والغناء ليحيى المكىّ، ثانى ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه وأبى العبيس [(٢)]، وفيه لعبيد الله بن أبى غسان رمل، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر، عن حبش.

(١) الكامل ١ : ٢٠٤ والمختار من شعر بشار ١٥١ ومعجم الأدباء ١١ : ٤١ . والقلب : سوار المرأة .

(٢) فى ا، جـ، م : «العميس».

١٧/٨٨

ذكر خالد ورملة

وأخبارهما وأنسابهما

نسبه

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف . وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنَى بذلك عمره ، وأسقط نفسه . وأمّ خالد بن يزيد أمّ هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

أخبرنى الطوسىّ وحرمىّ ، قالا : حدثنا الزبير ، قال : حدثنى عمّى مصعب ، قال :

كان عالما شاعرا

كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ، ويقول الشعر ، وزعموا أنه هو الذى وضع خبَر السُّفْيانىّ وكَبَّره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَرْوان بن الحكم على الملك ، وتزوّج أُمَّهُ أمّ هاشم ، وهذا وَهْمٌ من مصعب ؛ فإن السفيانىّ قد روَاه غيرُ واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامّة . وذكر خبَر أمره أبو جعفر محمد بن علىّ بن الحسين عليهم السلام ، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم .

حدثنى أبو عبد الله[1] الصَّيْرَفىّ قال : حدثنا محمد بن علىّ بن خلف العطار ، قال : حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبى الأسود ، قال : حدثنا صالح ابن أبى الأسود — يعنى أباه — عن عبد الجبار بن العباس الهمدانىّ ، عن عمار الدّهنىّ ، قال :

قال أبو جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام : كم تعدّون بقاء السفيانىّ فيكم ؟ قلت : حَمْلَ امرأة تسعة أشهر ، قال : ما أعلمكم يأهل الكوفة .

---

(١) ا : « أبو عبيد الله » .

حدثنى أبو عبد الله قال : حدثنا محمد بن علىّ ، قال : حدثنا الحسن بن صالح ، قال : حدثنا منصور بن الأسود ، قال :

أتيتُ جابراً الجعفىّ أنا والأسود أخى ، فقلنا له : إنا قومٌ نضربُ فى هذه التجارات ، وقد بلغنا أن الراياتِ قد قُطِع بها الفُرات ، فماذا تُشير علينا ؟ وماذا تأمرنا ؟ قال : اذهبوا حيث شئْتم من أَرْض الله تعالى ، حتى إذا خرج السُّفْيَانىّ فأَقْبِلوا عَوْدكم على بدئكم .

أخبرنى الطوسىّ وحرمىّ ، قالا : حدثنا الزّبير بن بكار، عن عمه ، قال :

أمه تكنى باسمه

لما ولدت أمُّ هاشم خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها ، واكتنَتْ بخالد ، وقال فيها يزيد بن معاوية :

وما نَحْنُ يوم استعبرَتْ أُمُّ خالد بمَرضَى ذوى داءٍ ولا بصِحَاحِ

ولها يقول ، وقد قدم من المدينة ، وقد تزوّج أُمَّ مسكين بنت عمر ابن عاصم بن عُمر بن الخطاب فحُملت إليه بالشّام ، فأُعجب بها ، وجفا أمَّ خالد ، ودخل عليها وهى تبكى ، فقال[1] :

مالكِ أُمَّ خالدٍ تبكينْ مِنْ قَدَرٍ حلَّ بِكُمْ تَضِجِّين !
بَاعَتْ على بَيْعِك أُمُّ مِسكينْ ميمونة مِنْ نِسوةٍ مَيَامينْ
حَلّتْ مَحلَّكِ الّذِى تَحُلِّين زارتك مِنْ يثرب فى جوارين
* فى مَنْزِلٍ كنْتِ به تكُونين *

أخبرنى الطوسىّ وحرمىّ ، قالا : حدثنا الزبير بن بكار ، عن عمه :

أنّ رملة بنت الزبير كانت أختَ مصعب بن الزبير لأُمه[2]، كانت أمّهما أمّ الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن عتّاب[3]

(١) نسب قريش ١٥٥

(٢) المختار : « لأبيه » ، وفى أنساب الأشراف للبلاذرى : « أخت مصعب لأبيه وأمه وأمهما الرباب » .

(٣) فى المختار : « بن جناب » .

ابن ذُهل[1] من كلب، وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، فولدت له عبد الله ابن عثمان ، وهو زوجُ سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

رملة تزوجت عثمان بن عبد الله قبل زواجها من خالد

١٧ / ٨٩

قال الزبير : فحدثني رَجُل، عن عُمر بن عبد العزيز ، وأخبرني أحمد ابن عبدالعزيز الجوهريّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال :

الحجاج يعاتب خالداً لخطبته رملة فيرد عليه ردا عنيفاً

لما قتِل ابن الزبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمْلة بنت الزبير بن العوّام ، فأرسل إليه الحجاجُ حاجبه عُبيد الله بن مَوهب ، وقال له : ما كنتُ أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ، وكيف خطبْتَ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدّك معاوية ، وهم الذين قارعُوا أباك على الخلافة ، ورَمَوْه بكل قبيحة ، وشَهِدوا عليه وعلى جدّك بالضّلالة .

فنظر إليه خالدُ طويلا ، ثم قال له : لولا أنّكَ رسول ، والرسولُ لا يعاقب لقطّعتُك إرْباً إرْبا ، ثم طرحتُك على باب صاحبك، قل له : ما كنتُ أرى أن الأُمورَ بلغَتْ بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء !

وأما قولك لى : قارعُوا أباك وشهدُوا عليه بكلّ قبيح ، فإنها قُريش يُقَارِعُ بعضُها بعضاً ، فإذا أقرّ اللهُ عز وجل الحقّ قراره ، كان تقاطُعهم وتراحمهم على قَدْر أحلامهم وفَضْلِهم .

وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك اللهُ يا حجّاج ، ما أقلّ علمك بأنساب قريش ! أيكونُ العوام كُفْؤًا لعَبْدالمطلب بن هاشم بتزوُّجه صفيّة ، وبتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أهلا لأبي سفيان ! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه .

شعره فى رملة

قال : وقال عُمر بن شبّة فى خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها[١] :

أليس يزيد السيرُ فى كل ليلة وفى كلّ يوم مِن أحبّتنا قُربا
أحِنّ إلى بنت الزبير وقد علَتْ بنا العِيسُ خَرقاً من تِهامة أو نقبا[٢]
إذا نزلت أرضاً تحبّبَ أهلها إلينا وإنْ كانت منازلها حرْبا
وإن نزلت ماء وإن كان قبْلَها مليحا[٣] وجَدْناماءه باردًا عَذْبا
تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرَى لرَمْلَة خلخالا يَجُولُ ولا قُلْبا
أَقِلّوا علىّ اللومَ فيها فإننى تخيّرتُها منهم زُبيريةً قَلْبا[٤]
أُحبُّ بنى العوّام طرًّا لحبّها ومِنْ حبها أحبَبْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد : وزادوا فى الأبيات :

فإن تُسلِمى نُسلِم وإن تتنصّرى تخطّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا

فقال له عبد الملك : تنصرْتَ يا خالد ، قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد : على مَنْ قاله ومَنْ نحَلنيه لعنَةُ الله .

يشير غضب الحجاج فيعنفه ويتطاول عليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنى عُمَر بن شبّة ، قال : حدثنى موسى بن سعيد بن سلم[٥] ، قال :

قدم الحجاج على عبد الملك ، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، ومعه بعضُ أهل الشام ، فقال الشامىّ لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزئ : هذا عَمْرو بن العاصى ، فعدل إليه الحجاجُ ، فقال : إنى والله ما أنا بعمرو بن العاصى ولا ولدت عَمرا ولا ولدنى ، ولكنى ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل

---

(١) معجم الأدباء ١١ : ٤٤
(٢) الخرق : الفلاة الواسعة . والنقب : الطريق فى الجبل .
(٣) المليح : الملح ضد العذب .
(٤) زبيرية قلبا ، يريد خالصة النسب .
(٥) كذا فى ا ، ب ، وفى جـ : « سالم » .

من قُريش، ولقد ضربتُ بسيفي هذا أكثرَ من مائةِ ألف، كلّهم يشهدُ أنك وأباك من أهل النار، ثم لم أجدْ لذلك عندك أجراً ولا شكرا، وانصرف عنه، وهو يقول: عَمْرو بن العاصى، عمرو بن العاصى!.

١٧/٩٠

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز [1]، قال: حدثنا المدائنىّ، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم القرشىّ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك:

محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص يتنقصه

أنّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصى قدم الشام غازياً، فأتى عمّته أميّة [2] بنت سعيد، وهى عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالدٌ فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظنّ محمدٌ أنه يعرِّضُ به، فقال له: وما يمنَعُهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضِح [3]، فنكحوا أمَّك وسلَبُوك مُلْكك، وفرَّغوك لطلب الحديث وقراءةِ الكتب، وعَمَلِ الكيميا الذى لا تقدرُ عليه. انتهى.

أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ، قال: حدثنا الخراز عن المدائنىّ، عن أبى أيوب القرشىّ، عن يزيد بن حصين بن نمير:

أنّ مَرْوان بن الحكم تزوّج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوما وأراد أنْ يضَعَ منه فى شىء جرَى بينهما، فقال له: يا بْنَ الرَّطبة، فقال له خالد: إنك لأمّى مختبر [4]، وأنتَ بهذا أعلم. ثم أتَى أمَّه فأخبرها، وقال: أنتِ صنعتِ بى هذا، فقالت له: دَعْه، فإنه لا يَقولها لكَ بعد اليوم.

(١) ف: «الخزاز».
(٢) المختار: «آمنة».
(٣) الناضح: البعير الذى يستقى عليه الماء، والأنثى: ناضحة، بهاء.
(٤) ا، ج: «فقال له خالد: الأمير مختبر»، وفى المختار: «إنك لأمين مختبر».

فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبركِ خالدٌ بشىء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، خالد أشدُّ تعظيما لك مِنْ أن يذكر لى خبراً جرى بينك وبينه .

فلما أمسى وضَعتْ مِرْفَقَةً على وَجْهه ، وقعدَتْ عليها هى وجَواريها حتى مات .

وأراد عبد الملك قَتْلها ، وبلغها ذلك ، فقالت : أما إنه أشدُّ عليك أنْ يعلمَ الناس أن أباك قتلَتْهُ امرأة ؛ فـكفّ عنها .

رملة تشكو سكينة بنت الحسين إلى عبد الملك بن مروان

أخبرنى محمد قال : حدّثنى الخراز ، عن المدائنىّ ، قال : وأخبرنى الطوسىّ ، عن الزُّبير ، عن المدائنِىّ ، عن جُوَيرية قال :

نشزت سكينة بنتُ الحسين بن علىّ عليهما السلام على زَوْجها عبد الله ابن عثمان — وأُمُّه رَمْلَة بنت الزبير — فدخلت رملةُ على عبدالملك بن مروان ، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا أنْ يُبتزّ أمرُنا[1] ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابنِى ، قال : يا رمْلَة ، إنها سُكينة ، قالت : وإن كانت سكينة ، فوالله لقد ولدنا خَيرهم ، ونـكحنا خَيرهم ، وأنـكحنا خَيرهم ، تعنى بمن وَلَدوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومَنْ نـكحوا صَفِيَّة بنت عبد المطلب ، ومَنْ أنـكحوا النبىّ صلى الله عليه وسلم .

فقال : يا رَمْلَة ، غرَّنى منك عُرْوَة بن الزُّبير ، فقالت : ما غرَّك ، ولـكن نصح لك ؛ لأنك قتلْتَ أخى مُصْعبا فلم يأمنى عليك .

شعر خالدى بنت عبد الله بن جعفر

أخبرنى الطوسىّ ، قال : حدثنى عمّى مصعب ، قال : تزوّج خالد

(١) المختار : « لو أن لنا من يدبر أمرنا » .

ابن يزيد بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيها :

جاءتْ بها دُهْمُ البغال وشهبها مقنَّعة فى جوْفِ حِدْجٍ[1] مُخدَّرِ
مقابلةً بين النبيّ محمـــد وبين علىّ والحَوَارِى وجَعْفَر
مَنَافِيَّةً جادَتْ بخالِص وُدِّها لعبدِ مَنَـــافىّ أغرَّ مُشهَّر

٥ قال مُصعب : ومِنَ الناس مَنْ ينكر تزويجَه إياها .

شُديد بن شداد يعير عبدالملك بن مروان بخالد

ومما يُشْبِتُه قولُ شُدَيد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وُهَيب ابن ضِبَاب بن حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص[2] بن عامر بن لؤىّ لعبد الملك ابن مروان هذا يُعَيِّرُه[3] بخالد فى تَزويجه بنت الزبير وبنتِ عبد الله ابن جعفر ، قال :

١٠ لايستوى[4] الحَبْلانَ حَبْلٌ تَلَبَّست[5] قُواهُ وحَبْل قد أُمِرَّ شَدِيدُ
عليكَ أميرَ المؤمنين بخـــالد ففى خالدٍ عما تُرِيدُ صُـدُودُ
إذا ما نظَرْنَا فى مناكح خالدٍ عرَفْنَا الذى يَهْوَى وحَيث يُرِيد

١٧ / ٩١

خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبدالملك

أخبرنا الطوسىّ ، قال : حدثنا الزُّبير ، قال : حدثنى مصعب بن عثمان ، قال : دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ

١٥ اليَوْمَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئْسَ ما هممتَ به فى ابنِ

---

(١) الحدج ، بكسر الحاء . الهودج ، مركب من مراكب النساء ليس برحل ولاهودج. اللسان (حدج)

(٢) س : « بغيض » ، والمثبت يوافق مافى جمهرة الأنساب ١٧٤ ، ١٧٢ وأنساب قريش ٤٣٥

٢٠ (٣) فى ف : « يغريه » ، والمثبت يوافق ما فى ا .

(٤) نسب قريش : « ولا يستوى » .

(٥) ا : « حبل تلبث » .

أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين ، قال : إنه لقى خَيْـلى فنفرّها ، وتلاعبَ بها ؛ فقال له خالد : أنا أ كْفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك ، وعنده الوليدُ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن ولىّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقى خَيْلَ ابنَ عمّه عبد الله بن يزيد فنفرّها وتلعّب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله ، فنـكس عَبْدُ الملك رَأْسه ، وقرع الأرض بِقَضِيب فى يده ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخلُوا قريةً أفسَدُوهَا وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلّة وكَذَلِكَ يَفْعَلون[1] ﴾ ، فقال له خالد : ﴿ وَ إذَا أرَدْنَا أنْ نُهْلِك قريةً أمَرْنَا مُتْرَفِيها ففَسَقُوا فِيها فحقَّ عليها القَوْلُ فدَمَّرْنَاها تَدْمِيرا[2] ﴾ ، فقال له عبد الملك : أتـكلمنى فيه ، وقد دخل علىّ لايقيم لسانه لَحْنا ، فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفعَلَى الوليد تعوِّل[3] فى اللّحن ؟ فقال عبد الملك : إنْ يكن الوليدُ لحَّانا فأخوه سليمان ، قال خالد : وإن يكن عَبْدُ الله لحَّانا فأخوه خالد ، قال الوليد لخالد : أتـكلِّمنى ولستَ فى عِير ولا نَفِير[4] ! قال : ألاَ تسمعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُ هذا ؟ أنا والله ابْنُ العِير والنَّفير ، سيِّد العِير جَدّى أبو سفيان ، وسيِّد النفير جَدِّى عُتْبَة ابن ربيعة[5] ، ولـكن لو قلتَ : حُبَيْلَات — يعنى حَبَلَة العِنب[6] — وغُنَيْمات والطائف لقلنا : صدَقْتَ ، ورحم الله عُثمان !

هذا آخر الحديث . قال مؤلف هذا الـكتاب : يعيِّره بأمّ مروان ، وأنها

---

(١) سورة النمل ٣٤ .
(٢) سورة الإسراء ١٦ .
(٣) كذا فى المختار ، وهو الوجه . وفى باقى الأصول . « تقول »
(٤) ليس فى عير ولا نفير ، أى ليس شيئا يعتد به .
(٥) فى ف : « جدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، وأبى أبو سفيان صاحب العير » .
(٦) الحبل : شجر العنب ، واحده حبلة .

من الطائف ، ويُعيِّره بالحكم ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف ، وترحَّمَ على عثمان لردِّه إياه .

حمـاقة معاوية بن مروان

حدثنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنىّ ، عن إسحاق بن أيوب :

٥ أنّ معاوية بن مروان كان ضعيفا ، فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المغيرة : ما الذى هوّن بك على أخيك فلا يوليك ولايةً[١] ، قال : لو أردتُ لفعل ، قال : كلّا ، قال : بلَى والله ، قال : فسَلْه أن يولّيَكَ بَيْتَ لِهْيا[٢] ، قال : نعم .

فغَدَا على عبد الملك ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألسْتُ أخاك ؟ قال : بلى واللهِ ، إنكَ لأخى وشقيقى ، قال : فولِّنى بيت لِهْيا ، قال : متى ١٠ عَهْدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال : إيَّاكَ أنْ تكلِّمه .

ودخل خالدُ فقال له : كيفَ أصبحتَ يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانَا هذا عن كَلامِك ، فغلب على عبد الملك الضَّحك ، فقام وتفرّق الناس .

قال : وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فَصَاحَ : أغْلِقُوا أبوابَ المدينة لايخرج ، قال: وقال له رجل : أنت الشَّريف ابن أمير المؤمنين ، وأخو أمير المؤمنين ، ١٥ وابن عم أمير المؤمنين عثمان ، وأمُّك عائشة بنت معاوية ، قال : فأنا إذاً مُرَدَّد فى بنى الخَنْخَاء تردادا[٣].

خـالد يتعصب لكلب على قيس

أخبرنى الطوسىُّ ، عن الزبير ، عن عمه ، قال : كان خالد بن يزيد

(١) فى المختار : « ما أهونك على أخيك ؛ ألا يوليّك ولاية .

(٢) بيت لهيا ، قرية مشهورة بغوطة دمشق (البلدان) .

٢٠ (٣) ف : « ترديدا » .

يتعصّب لكلبٍ على قَيْس فى الحربِ التى كانت بينهم ؛ لأنّ كلْبا أخوالُ أبيه يزيد ، وأخوال زوجته ، فقال شاعر قيس :

١٧/٩٢

يا خالد بن أبى سفيان قد قَرِحَتْ[1] منّا القلوبُ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ

أأنت تأمُرُ كَلْباً أنّ تقاتِلَنا جَهْلًا وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا

ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ولا تبَرَّكُ مِنْ لِكرائهِ الإبلُ

(١) كذا فى ف ، وفى ا ، ب ، جـ : « قدحت » .

صوت

خُمْسٌ دَسَسْنَ إلىّ فى لَطَفٍ حُورُ العيونِ نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنّ مع الجَرِىّ[1] وقد نام الرّقيبُ وحلّقَ النَّسرُ

عروضه من الكامل . الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، رمَل بالسبابة
٥ فى مجرى البنصر ، عن إسحاق .

(١) الجرى : الرسول ؛ وهو الخادم أيضا .

[خبر للأحوص]

أخبرنى حرمىّ[١] بن أبى العلاء ، قال : حدثنى الزبير بن بَكّار ، قال : أخبرنى إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى إسماعيل بن محمد المخزومىّ ، قال :

نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً ، فيقول فى ذلك شعرا

اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن : أَرسلى إلى الأحوص ، ٥ فإنّا نحبُّ أن نتحدثَ معه ونسمع من شِعره ، فقالت لهنّ : إذاً لا يزيدكنّ على أنْ يخرج إذا عرفكن ، فيَتَشَهَّرُكُنّ وينظم الشعرَ فيكُنّ ، فلم يزَلْنَ بها حتى أرسلت إليه رسولا يذكُرُ له أمرهنّ ولا يسميهنّ ، ويقول له أن يأتيهن مُخمَّرَ الرَّأْسِ ، ففعل ، وتحدّث معهنّ وأنشدهن . فلما أراد الخروجَ وضع يدَه فى تَوْرٍ[٢] بين أيديهن فيه خَلُوق ، فغطّى رأسَه ، وخرج ووضع ١٠ يَدَه على الباب ، ثم تفقّد الموضع الذى كان فيه ، فغدَا إليه ، وطاف حتى وجد أثر يَدِه فى الباب ، فقال :

خَمْسٌ دَسَسْنَ إلىّ فى لَطفٍ حورُ العيونِ نواعمٌ زُهْرُ

فطرقتهنّ مع الجرِىّ وقد نام الرقيبُ وحَلّق النسر

مستبطناً[٣] للحىّ إذ قرعوا عَضْباً يَلُوحُ بمَتْنِه أثر ١٥

---

(١) ف . « الحرمى » .

(٢) التور : إناء .

(٣) كذا فى جـ ، ف ، وفى ا ، ب : مستبطنا .

فسكفن ليلتهن ناعمة ثم استفقن[١] وقد بدا الفجر
بأشم معسول فكاهته غض الشباب رداؤه غمر[٢]
رزن بعيد الصوت[٣] مشتهر جيبت له جوب[٤] الرحى عمرو
قامت تخاصره لكلتها تمشى تأود غادة بكر
٥ فتنازعا من دون نسوتها كلما يسر كأنه سحر
كل يرى أن الشباب له فى كل غاية صبوة عذر
سيفانة أمر الشباب بها رقراقة لم يبلها الدهر
حتى إذا أبدى هواه لها وبدا هواها ماله ستر
سفرت وما سفرت لمعرفة[٥] وجهاً أغر كأنه البدر

١٠ قال إسماعيل[٦] بن محمد : فخرجت وأنا شاب ومعى شباب نريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا حديث الأحوص وشعره ، وقدامنا عجوز عليها بقايا من الجمال ، فلما بلغنا المسجد وقفت علينا والتفتت إلينا ، وقالت : يافتيان ، أنا والله إحدى الخمس ، كذب ورب هذا القبر والمنبر ما خلت معه واحدة منا ، ولا راجعته دون نسوتها كلاما .

١٧/٩٣

رواية أخرى فى سبب قوله هذا الشعر

١٥ قال الزبير : وحدثنى غير إبراهيم بن عبد الرحمن :

أن نسوة من أهل المدينة نذرن مشياً إلى قباء[٧] وصلاة فيه ، فخرجن ليلا ، فطال عليهن الليل فنمن ، فجاءهن الأحوص متشكيا على عرجون

(١) ف : « ثم افترقن » .
(٢) الغمر من الثياب : الواسع .
٢٠ (٣) كذا فى ا ، ب ، ف ، وفى حـ : « بعيد الصيت » .
(٤) كذا فى ف ، حـ ، وفى ا ، ب : « جيب الرحى » .
(٥) ف : « بمعرفة » .
(٦) كذا فى ف ، وفى باقى النسخ : « محمد بن إسماعيل » .
(٧) أى مسجد قباء .

ابن طَاب[١]، فتحدّث معهن حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفنَ، فقال قصيدته :

خمس دَسَسْنَ إلىّ فى لطف حورُ العيُونِ نَوَاعِمٌ زُهرُ

وحدثنى عمّى ، عن أبيه ، قال : قال حَبيب بن ثابت :

صدَرْتُ إلى العَقِيق ، فخلاَ لى الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه ، وعجوزٌ سَوْدَاء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها ، فقالت : كذبَ والله يا سيّدى ؛ إنَّ سيفَه ليلتئذ لعرجُون ابْن طَاب يتخصّر به ، وإنى لرسولهنّ إليه .

قال الزبير : وحدثنى عَمّى ، عن أبيه ، عن الزُّبير[٢] بن حبيب ، قال : كنْتُ أنشد قول الأحوص :

* خمس دَسَسْنَ إلىّ فى لَطف *

قال : فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء ، فأقْبَلْنَ على العجوز ، فقلن لها : لَمِنْ هذا الشعر؟ قالت : للأحوص، فقلت[٣]: للأحوص لعمرى، فقالت لهن : أنا والله الجرِىُّ ، خرج نسوة يصلّين فى مسجد قُبَاء ، ثم تحدّثْنَ فى رَحْبَة المسجد ، فى ليلةٍ مقمرة ، فقُلْن : لو كان عندنا الأحوص ! فخرجتُ حتى أتيتُهنَّ به ، وهو متخَصِّر بعرجون ابن طَاب ، فتحدَّث معهنّ حتى دَنا الصبح ، فقلن له : لا تذكر خَبَرنا ، ولا تذكر إلا خيراً ، قال : قد فعلت ، وأنشدهنّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات ، ثم استمرت بأفْواهِ الناس تغنّى :

* خمْس دَسسن إلىّ فى لَطف *

الأبياتِ كلّها ، والله ما قامَتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهن سِرّ[٤] .

---

(١) ابن طاب : جنس من تمور المدينة ، المضاف والمنسوب . وفى ف : « بعرجون مرطاب » .
(٢) كذا فى النسخ ، وتأمل السند السابق .
(٣) فى جـ ، ف : « فقلن » .
(٤) ف : « ستر » .

صـوت

يابْنَةَ الْجودِيِّ قَلْبِى كَئِيبُ   مُسْتَهامٌ عنـدها ما يُنِيبُ[١]
ولقد قالوا[٢] فقلْت : دَعُوهَا   إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيب
إنمـا أبْلَى عِظَامِى وجسْمِى   حبُّها ، والحبُّ شىءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل . الشعر لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، والغناء لمعبد ، ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، لم ينسبه إسحاق إلى أحد . وذكر أحمد بن يحيى المكىّ أنه لأبيه يحيى . والله أعلم .

---

(١) ف : « ما يثيب » .
(٢) المختار : « لاموا » .

ذكر عبد الرحمن بن أبى بكر

وخبره وقصة بنت الجودىّ

نسبه

عبد الرحمن بن أبى بكر ، واسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله — وكان اسمه فى الجاهلية عَتيقا ، فسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله — بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

١٧ / ٩٤

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

وأُمّه وأُمّ عائشة أم رُومَان بنت عامر بن عُويمر بن عَبْد شمس بن عَتّاب ابن أُذَينة بن سُبَيع بن دُهْمان بن الحارث بن [(1)] غَنْم بن مالك بن كِنانة بن خزيمة . هذا قول الزبير ، وعمه .

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عُوَيمر بن عتّاب بن دُهْمان ابن الحارث بن غَنْم .

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المروانىّ أنها بنت عامر بن عُويمر بن أُذَينة ابن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة .

له صحبة بالنبى صلى الله عليه وسلم

ولعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجِرْ مع أبيه صِغَراً عن ذلك ، فبقى بمكانه ؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيةٍ من قريش . وقيل : بل كان إسلامه فى يوم الفَتْح وإسلام معاوية بن أبى سفيان فى وقت واحد غير مدفوع . انتهى .

(1) ف : « بن عثمان » ، والمثبت يوافق ما فى نسب قريش وباقى النسخ .

أخبرنى الطوسىّ وحرمىّ[1] بن أبى العلاء ، قالا : حدثنا الزُّبير ، قال : حدثنى إبراهيم بن حمزة ، عن سُفْيَان بن عُيينة ، عن علىّ بن زيد بن جدعان: أنَّ عبدَ الرحمن بن أبى بكر خرج فى فِتْيَةٍ من قُرَيش مُهاجراً إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ، قال : وأحسبه قال : إنّ معاوية كان معهم[2].

٥ قال الزُّبير : وحدثنى عمِّى مُصعب قال :

وقف مُحَكَّمُ اليَمَامَةِ عَلَى ثُلْمَة[3] فحماها فلم يَجُزْ عليه[4] أحَد ، فرماه عبد الرحمن بن أبى بكر فقتله ـ وكان أحدَ الرُّماه ـ فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمَة ، وهو المخاطِبُ لمَرْوان يوم دَعَا إلى بَيْعَةِ يزيد ، والقائل : إنّما تُرِيدون أن تجعلوها كِسْرَوِيَّة أوْ هرقليّة ، كلما هلك كسرى أو هرقل مَلكَ كسرى

موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية

١٠ أو هرقل ، فقال مروان : أيُّها الناس ، هذا الذى قال لوالديه : أُفٍّ لكما أتَعِدَانِنِي أن أخرج وقد خلَتِ القرونُ من قبلى ، فصاحت به عائشة : ألِعَبْدِ الرحمن تقولُ هذا ؟ كذبْتَ والله ، ما هو به ، ولو شئت أن أُسمِّى مَنْ أُنزلت فيه لسميتُه ، ولكن أشهد أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعَن أباك ، وأنت فى صُلْبه ، فأنت فَضَضٌ[5] مِنْ لَعْنَةِ الله .

١٥ حدثنا بذلك أحمد بن الجَعْد ، قال: حدثنا أحمد بن زُهير ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، عن جُوَيرية بن أسماء ، وفى غير رواية : أنَّ عائشة قالت له : يامَرْوَان ، أفينا تتأوّل القرآن ، وإلينا تسوقُ اللعن ؟

(١) ف : «والحرمى» .

(٢) ف : «معه» .

٢٠ (٣) الثلمة : فرجة المكسور والمهدوم .

(٤) ف : «فلم يجز عليها» .

(٥) قال فى القاموس : أنت فضض من لعنة الله ، ويروى: فضض ، كعنق وغراب ، أى قطعة منها .

والله لأقومنّ يوم الجمعة بك مقاما تودّ أنى لم أقُمْه. فأرسل إليها بعد ذلك وتَرضّاها واستعفاها، وحلف ألاّ يصلى بالناسِ أو تؤمَّنه، ففعلت.

شعره فى ليلى بنت الجودى

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ، قال: حدثنا عُمر بن شبّة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله[1] ابن أبى الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وأخبرنى الطّوسى، ٥ قال: حدثنا الزُّبير، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن عبد الرحمن ابن أبى الزّناد، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، قال:

استهيم عبد الرحمن بن أبى بكر بليلى بنت الجُودِىّ بن عدىّ بن عمرو ابن أبى عمرو الغسّانىّ، فقال فيها[2]:

تذكّرتَ ليلى[3] والسماوةُ دُونَها ... وما لابنةِ الجُودِىِّ ليلى ومَاليا ١٠

وأنّى تُعاطِى قلبــه حَارِثيّةٌ[4] ... تَحلُّ ببُصْرَى أو تَحلّ الجَوَابِيا[5]

وكيف يُلاقيها، بلَى، ولعَلّها ... إذا الناسُ حجّوا قابلاً أن تلاقيا[6]

قال أبو زيد: وقال فيها:

يابنْةَ الجُودِىّ قَلْبِى كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عنــدها ما يُنيبُ

جاورَتْ أخوالها حَىَّ عَكٍّ ... فلِعَكٍّ[7] من فؤادِى نَصِيب ١٥

---

(١) ف: «عن عبد الرحمن»

(٢) الأبيات فى نسب قريش ٢٧٦، والبيت الأول فى الإصابة ٤: ٣٩٠، وانظر نسب قريش.

(٣) فى نسب قريش: «تذكر ليلى».

(٤) نسب قريش: «... ذكرها حارثية». ٢٠

(٥) كذا فى ف وفى ا، جـ، ب: «الحوانيا»، والمثبت يوافق ما فى نسب قريش.

(٦) فى نسب قريش

وأنى تلاقيها ... ... قابلا أن توافيا

(٧) ب، والمختار: «أخوالها حى هكل فلعكل ...».

١٧/٩٥

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم .

قال الزُّبير في خبره :

وكان قدم في تجارة ، فرآها هناك على طِنْفسة حولها ولائد ، فأعجبته .

وقال أبو زَيْد في خبره : فقال له عُمر : مالكَ ولها يا عبدَ الرحمن ! فقال:

٥ والله ما رأيْتُها قطّ إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَارٍ ونساءٍ يَتَهادَيْنَ ، فإذا عثرتْ إحداهنّ قالت : يابنة الجوديّ ، فإذا حلَفَتْ إحداهُنّ حلفت بابنة الجوديّ .

عمر يأمر بأن تكون ليلى لعبد الرحمن إذا افتتحت دمشق

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغْر الذي هي به : إذا فتح اللهُ عليكم دمشق فقد غنّمت عبد الرحمن بن أبي بكر لَيْلَى بنت الجوديّ . فلما فتح اللهُ عليهم ١٠ غنّموه إيّاها .

قالت عائشة : فكنتُ أُكلّمه فيما يصنَعُ بها ، فيقول: يا أُخَيَّة ، دَعيني ، فو الله لكأني أرشف[١] من ثَنَايَاها حَبّ الرمان. ثم ملّها[٢] وهانَتْ عليه ، فكنتُ أُكلّمُهُ فيما يُسيء إليها كما كنتُ أُكلّمُهُ في الإحسان إليها ، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها .

١٥ قال الشيخ في خَبَره :

يردها إلى أهلها

فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحبَبْتَ ليلى فأفرطت ، وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإما أنْ تنصفها ، وإما أنْ تجهزها إلى أهلها ؛ فجهَّزَها إلى أهلها .

قال الزُّبَيْرُ : وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ : عن هشام بن عُرْوة ، ٢٠ عن أبيه :

ليلى بنت ملك دمشق

أن عمَر بن الخطاب نفَّل عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجوديّ ، حين فتح دمشق ، وكانت بنت ملك دمشق .

(١) ف : « أترشف » . (٢) كذا في ب ، وفي ا ، ف ، ج : « بذل لها » .

روايتان أخريان فى أمر عبد الرحمن مع ليلى

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدثنا الصلْت بن مسعود ، قال : حدثنا محمد (١) بن شيرويه ، عن سليمان ابن صالح ، قال : قرأت على عبد الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة بنت مصعب ، عن عروة بن الزُّبير ، قال :

٥ كانت ليلى بنت الجودىّ بنت ملكٍ مِنْ مُلوكِ الشام، فَشبّب بها عبد الرحمن ابن أبى بكر ، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام ، فلما فتح اللهُ عزّ وجل على المسلمين، وقتلوا أباها أصابوها، فقال المسلمون لأبى بكرْ : ياخليفةَ رسولِ الله: أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن ، فقد سلّمناها له ، قال أبو بكر : أ كلّكم(٢) على هذا ؟ قالوا : نعم ، فأعطاه إياها ، وكان لها بساط فى بلدِها لا تذهَبُ إلى

١٠ الكنيف ولا إلى الحاجة إلاّ بسِط لها ، ورُمِىَ بين يديها برمّانتين من ذهب تتلهّى بهما فى طريقها . فكان عبد الرحمن إذا خرج مِنْ عندها ، ثم رجع إليها رأى فى عَيْنَيْها أثَرَ البُكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ اختارى خصالا أيها شئتِ فعلتُ بك : إما أنْ أعتقك وأنكحك ، فتقول : لا أشتهيه ، وإن شئت رددْتك على قومِك ، قالت : ولا أُريد ، وإنْ أحْببْتِ رَدَدْتُكِ

١٥ على المسلمين ، قالت : لا أُريد ، قال : فأخبرينى ما يُبكيك ؟ قالت: أبكى الملك من يوم (٣) البؤس .

أخبرنى أحمد ، قال : حدثنى أبو زيد ، قال حدثنى هارون بن إبراهيم ابن معروف ، قال : حدثنى حمزة بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، عن

---

(١) كذا فى ا ، ب ، وفى ج ، ف : « أحمد » .

٢٠ (٢) كذا فى ف وهو الوجه ، وفى ا ب . « أكلمكم ».

(٣) ف : « أبكى للملك فى يوم البؤس » .

عبد الله بن عَوْن(١)، عن يحيى بن يحيى الغسانىّ :

أنّ عبد الرحمن قدم على يَعْلَى بن مُنَبِّه ، وهو على اليَمَن ، فوجدها فى السَّبْى ، فسأله أنْ يدفعها إليه .

شعر آخر له فى ليلى

أخبرنى أحمد ، قال : حدّثنا عمر ، قال :

٥ كتب إلىّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها :

فإمّا تُصْبِحِى بعد اقترابٍ بسلْعٍ أو ثنيّات الوَدَاعِ
فلم أَلفظك مِنْ شبَعٍ ولكن لأقضى حاجةَ النفس الشَّعاعِ(٢)
كأنّ جَوانحَ الأضلاعِ مِنّى بُعَيْدَ النوم مُبْطَنَةُ اليَرَاعِ

١٧/٩٦

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ،

١٠ قال : حدثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن لاحق ، عن(٣) أبى مُليكة ، قال :

عائشة ترثيه

مات عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه بالحُبْشِىّ - جَبَل من مكّةَ على أميال(٤) - فحُمِل فدُفِن بمكة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ، ثم قالت(٥) :

١٥ وكُنّا كنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً من الدَّهْرِ حتى قِيل لن يتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأنّى ومالكاً لطُولِ اجْتِمَاعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

أمَا والله لو حضرتُك لدَفَنْتُك حيث متّ ، ولو شهدتك لزرتُك(٦).

(١) ف : « عوف » .

(٢) نفس شعاع . متفرقة ، وقد ورد هذا البيت فى اللسان (شعع) منسوبا إلى قيس
٢٠ ابن ذريح ، وفيه : « أقضى » .

(٣) فى ف : « لاحق بن أبى مليكة » .

(٤) فى البلدان : « جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك » .

(٥) البلدان (حبشى) .

(٦) ا ، ف : « مازرتك » ، وفى المختار : « لما زرتك » .

صــوت

أَمَاوِىَّ إنَّ المـالَ غادٍ ورائحٌ
وَيَبْقَى مِنَ المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ (١)

وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً أرادَ ثَرَاءَ المالِ أمسَى له وَفْرُ (٢)

أماوِىَّ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لدىَّ ولا خَمْرُ ٥

تَرَىْ أنَّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضائِرِى وأنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْرُ

عروضه من الطويل .

الثراء : الكثرة فى المال ، وفى عددَ القومِ أيضاً . والوَفْر : الغِنَى ، ووفور المال . والصَّدَى هاهنا : كان أهل الجاهلية يذكرون أنَّ طائراً يخرج مِنْ جسم الإنسان أو من رأسه ، فإذا قُتِل أقبل يُصوِّتُ على قبره ، حتى يُدْرَكَ ١٠ بثأره . والصِّفْر : الخالى . والصدى : العطش ، والصدى : ما يجيب إذا صُوِّت فى المكان الخالى . وصدأ الحديد مهموز .

الشعر لحاتم الطائىّ . والغناء لإسحاق ، رَمَل بالسبابة فى مجرى البنصر . وذكر الهشامىّ أنَّ فيه ثقيلاً أولَ ، ولمالك خفيفاً ، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابْنِ سُرَيج ثانى ثقيل بالوسطى ، وذكر عَمْرو بن بانَة أنَّ فيه لابن جامع ١٥ خفيف رَمَل بالوسطى .

---

(١) ديوان حاتم ١٩ .

(٢) الديوان : « كان له وفر » .

أخبار حاتم ونسبه

ذكر ابنُ الأعرابىّ، عن المفضل(١)، والأثرم، عن أبى عمرو الشيبانىّ، وابن الكلبىّ، عن أبيه والسكرىّ، عن يعقوب بن السِّكِّيت.

أنه حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عَدِىّ بن أخْزَم بن أبى أخزم، واسمُه هَزُومة بن رَبيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عَمْرو ابن الغَوْث بن طيِّئ.

وقال يعقوب بن السكيت: إنما سمى هَزُومة؛ لأنه شَجّ أو شُجّ؛ وإنما سمى طيِّئٌ طيئاً — واسمه جُلْهُمَة — لأنه أول مَن طَوَى المناهِلَ(٢)، وهو ابن أُدد ابن زَيْد بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويكنى حاتم أبا سَفّانة(٣)، وأبا عدِىّ؛ كُنى بذلك بابْنَتِه سفّانة، وهى أكبر ولده، وبابْنِه عدِىّ ابن حاتم. وقد أدركت سَفّانة وعدِىّ الإسلامَ فأسلما، وأُتى بسفّانة النبيّ صلى الله عليه وسلم فى أسْرَى طيِّئٍ فمَنّ عليها.

على يروى خبر لقاء ابنته بالنبى صلى الله عليه وسلم

أخبرنى بذلك أحمد بن عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثنى عبد الله ابن عمرو(٤) بن أبى سَعْد، قال: حدثنى سليمان بن الربيع بن هشام الكوفى — ووجدْتُه فى بعض نسخ الكوفيين: عن سليمان بن الربيع — أتمّ من هذا فنسختُه وجمعتُهما. قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلىّ البرجمى، قال: حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد الصُّهبانىّ، عن أبيه، عن كُمَيْل(٥) بن زِيَاد النخعىّ، عن علىّ عليه السلام، قال:

(١) ب: «ابن المفضل»، والمثبت يوافق ما فى ا، ف.

(٢) ف: «المنازل».

(٣) سفانة بنته، وأصل السفانة اللؤلؤة، كما فى القاموس.

(٤) ف: «عمير».

(٥) ا، ب، ج: «كهيل»، والمثبت من ف، وهو يوافق ما فى الإكمال ٢٢٩، والاشتقاق ٤٠٤.

يا سبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ! عجبْتُ لرجلٍ يَجيئه أخوه فى حاجةٍ فلا يرى نَفْسَه للخيْرِ أهلا ؛ فلو كنّا لا نرجو جنّةً ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لـكان يَنْبَغِى لنـا أنْ نطلُبَ مكارِمَ الأخلاق ؛ فإنها تدلُّ على سبيل النجاة .

فقام رجلٌ ، فقال : فِدَاكَ أبى وأُمّى يا أميرَ المؤمنين ، أسمعْتَه مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؛ لما أُتينا بسبَايَا طيئٍ كانت فى النساء جارية حمّاءُ[1] حوْراء العَيْنَيْنِ ، لَعْسَاء لَمْيَاء عَيْطَاء[2] شمّاء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[3] الـكعبين ، خدلّة الساقين ، لفّاء الفخذين ، خميصة الخصر ، ضامِرة الـكَشْحين ، مصقولة المَتْنين ،

فلما رأيتُها أُعْجِبت بها ، فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها مِنْ فيئى . فلما تـكلّمتْ أُنسيتُ جمالَها ؛ لِما سمعْتُ مِنْ فصاحتها ، فقالت :

يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِّيَ عنّى ، فلا تُشْمِتْ بى أحياء العرب ؛ فإنى بنْتُ سيّد قومى ، كان أبِى يفُكُّ العانىَ ، ويَحْمِى الذمارَ ، ويَقْرِى الضيفَ ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المـكروب ، ويطعم الطعامَ ، ويفشى السلام ، ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قط ؛ أنا بنتُ حاتم طيئٍ .

فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ، هذه صفةُ المؤمن ،

(١) ا ، جـ : « جماء » ، وحماء : بيضاء .

(٢) اللعس ، محركة : سواد مستحسن فى الشفة . واللمى : سمرة فى الشفه ؛ والعيط ، بالتحريك : طول العنق .

(٣) ا ، ب : « ردماء » . تحريف . وامرأة درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها . وخدلة : ممتلئة .

لو كان أبوك إسلاميًّا لترحمنا عليه ، خلُّوا عنها ؛ فإنّ أباها كان يحبّ مكارمَ الأخلاق ، والله يحبّ مكارمَ الأخلاق [١].

نسب أم حاتم

وأمّ حاتم عتبة [٢] بنت عَفيف بن عَمرو بن امرئ القيس بن عدىّ ابن أخزم . وكانت فى الجُود بمنزلة حاتم ، لا تدّخر شيئاً ، ولا يسألها أحدٌ ٥ شيئاً فتمنعه .

بلغ من سخائها أن حجر عليها إخوتها

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا الحرمازىّ [٣] ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه ، قال :

كانت عُتبة بنت عفيف ، وهى أمّ حاتم ذات يسار ، وكانت من أسخَى الناس ، وأقراهم للضيف ، وكانت لا تُليق [٤] شيئاً تملكه . فلما رأى إخوتها ١٠ إتلافَها حَجَرُوا عليها ، ومنعوها مالَها ، فمكثت دَهْراً لا يُدفع إليها شىء منه ، حتى إذا ظنّوا أنها قد وجدت ألمَ ذلك أعطوْها صِرْمة [٥] من إبلها ، فجاءتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها فى كلّ سنة تسألها ، فقالت لها : دُونك هذه الصِّرْمَةَ فخذِيها ، فو الله لقد عضّنى [٦] من الجُوع ما لا أمنعَ معه سائلا أبداً ، ثم أنشأت تقول [٧] :

من شعرها وقد سألتها امرأة من هوازن

١٥ لَعَمْرِى لَقِدْماً عضَّنى الجوعُ عَضّةً ... فآليْتُ ألاَّ أمْنعَ الدّهْرَ جائعاً

فقُولاَ لهذا اللائمى اليومَ : أعفِنى ... فإن أنتَ لم تفعلْ فعَضَّ الأصابِعَا

فماذا عساكم أنْ تقولوا لأختكم ... سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كانَ مانِعا

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٢٧٤ .

(٢) فى الشعر والشعراء : عنبة . وفى ف : « غنية » .

٢٠ (٣) كذا فى ف . وفى الديوان وباقى النسخ : « الجرموزى » .

(٤) كذا فى ف والديوان وفى ا : « لا تملك » : وفى ب « لا تمسك » .

(٥) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشر إلى الثلاثين ، أو إلى الخمسين والأربعين ، أو ما بين العشرة إلى الأربعين ، أو ما بين عشرة إلى بضع عشرة . القاموس .

(٦) ف : مضنى . (٧) ديوانه ٤٢ .

وماذا تَرَوْنَ[١] اليومَ إلاّ طبيعةً فكيف بتَرْكِي يابْنَ أُمّ الطَّبَائعا

قال ابن الكلبىّ : وحدثنى أبو مسكين قال :

سفانة ابنته من أجود نساء العرب

كانت سَفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يُعْطيها الصِّرْمَة بعد الصِّرْمَة من إبله، فتهبها وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم : يابنية، إنّ القَرِينَين إذا اجتمعا فى المال أتلفاه، فإما أن أعطى وتمسكى، أو أمسك وتعطى؛ فإنه لا يبقى على هذا شىء .

قال ابن الأعرابىّ :

١٧ / ٩٨

شعره يشبه جوده

كان حاتم من شعراء العرب، وكان جوادا يُشبه شعره جوده، ويصدّق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرِف منزله، وكان مظفَّرا، إذا قاتل غَلَب، وإذا غَنِم أنْهَب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أَسر أطلقَ، وكان يقسم بالله ألاّ يقتل واحدَ أمّه .

وكان إذا أهلّ الشهر الأصمُّ[٢] الذى كانت مُضَر تعظّمه فى الجاهلية ينحر فى كلّ يوم عَشْراً من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممّن يأتيه من الشعراء الحطيئة، وبشر بن أبى خازم .

فذكروا أن أمّ حاتم أُوتِيَت وهى حُبْلَى فى المنام، فقيل لها : أغلام سمح يقال له : حاتم أحبّ إليك أم عشرة غِلْمَة كالناس، ليوثٌ ساعةَ البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس[٣]، فقالت : بل حاتم، فولدت حاتما .

لا يأكل إلا اذا وجد من يأكل معه

فلما ترعرع جعل يُخرج طعامه، فإن وَجَدَ من يأكله معه أكل، وإن لم يجد

(١) ف : « وما إن ترون »، ا : « وما ترون »، وفى الديوان : « ولا ما ترون إلا ... طبائعا » .

(٢) قال فى القاموس : « رجب الأصم، لأنه لا ينادى فيه : « يالفلان ! ويا صباحاه » !

(٣) أوغال : جمع وغل، وهو الضعيف النذل الساقط المقصر . والأنكاس : جمع نكس، وهو الضعيف المقصر عن غاية الكرم . وفى ف : « بأوغاد » .

طرحه. فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحقْ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفِلْوَها[١] ، فلما أتى الإبلَ طفق يبغي الناسَ فلا يجدهم ، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً ، فبينا هو كذلك إذ بصر بِرَكْبٍ على الطريق ، فأتاهم فقالوا : يا فتى هل من قِرًى ؟ فقال : تسألوني عن القِرَى وقد ترون الإبل ؟ وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبيانيّ ؛ وكانوا يريدون النعمان ، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا بالقرى اللبَن ، وكانت تكفينا بَكْرة إذا كنت لا بدّ متكلفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكني رأيتُ وجوها مختلفة ، وألوانا متفرّقة ، فظننت أن البُلْدَان غيرُ واحدة ؛ فأردت أن يذكر كلُّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها ، وذكروا فَضْله . فقال حاتم : أردت أن أُحسن إليكم فكان لكم الفَضْل عليّ ، وأنا أُعاهِدُ اللهَ أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا[٢] إليها فتقتسموها. ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيرا[٣]، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه ، فقال له : أين الإبل؟ فقال: يا أبت، طوّقْتُك بها طَوْقَ الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوَضاً من إبلك .

عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني يمتدحونه فيهب لهم إبل جده كلها

فلما سمع أبوه ذلك قال : أبإبلي فعلتَ ذلك ! قال : نعم ، قال : والله لا أساكنك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ، ومعه جاريتُه وفرسه وفِلْوها ، فقال يذكر تحوُّلَ أبيه عنه[٤] :

(١) الفلو : المهر إذا فطم .
(٢) ف والمختار والديوان ٨٤ : «أو تقوموا إليها» .
(٣) ف والديوان والمختار : «تسعة وثلاثين بعيرا» .
(٤) ديوانه ٦ .

وإنى لَعَفٌّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى وتَارِكُ شَكْلٍ[1] لا يوافقه شَكْلِى
وشَكْلِىَ شكلٌ لا يقومُ لمثله مِنَ الناسِ إلّا كلُّ ذى نيقة مِثْلِى[2]
وأَجْعَلُ مَالِى دُونَ عِرْضِىَ جُنَّةً لنفسى وأستغنى بما كان مِنْ فضلى
وما ضَرَّنى أن سَارَ سَعْدٌ بأهلِه وأَفْرَدَنى فى الدارِ لَيْسَ معى أهلى
سيَكفِى ابتنائِى المجدَ سَعْدَ بن حَشرج وأَحمِلُ عنكم كلَّ ماضاع من ثِقْلِ[3] ٥
ولى مَعَ بَذْلِ المالِ فى المجد صَوْلَةٌ
إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عن نَوَاجذها العُصْلِ[4]

وهذا شعر يدلُّ على أنّ جَدّه صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه. وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت، وَوَصَفَ أنّ أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير، فكان فى حجر جَدّه سعد بن الحشرج، فلما فتح يدَه بالعطاء وأنهب ماله ضيَّق عليه جدُّه ورحل عنه بأهله، وخلّفه فى داره، فقال يعقوب خاصة: ١٠

١٧
——
٩٩

فبينا حاتم يوما بعدأن أنهب ماله وهو نائم إذْ انتبه، وإذا[5] حوله مائتا بعير أو نحوها تجولُ ويحطمُ بعضُها بعضا، فساقها إلى قَوْمِه، فقالوا: ياحاتم، أبقِ على نفسك فقد رُزقت مالاً، ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف، قال: فإنها نُهْبَى[6] بينكم، فانتهبت، فأنشأ حاتم يقول:

---

(١) الديوان: «وودك شكل». ١٥

(٢) النيقة، من قولهم: تنيق فى مأكله وملبسه: تجوّد وبالغ، كتنوق، والاسم النيقة، بالكسر. وفى الديوان: «إلا كل ذى خلق مثلى».

(٣) كذا فى ف، ج. وفى ا، ب: «من نفل»، وفى الديوان: «ما حل من أزلى»، والأزل: الضيق.

(٤) النواجذ: أقصى الأضراس، والعصل: المعوجة فى صلابة، جمع أعصل؛ وهو كناية عن اشتداد الحرب. ٢٠

(٥) كذا فى ا، ب، وفى ف: «ووهبه وهو نائم».

(٦) النهبى: كل ما انتهب.

تَدَارَكَني مَجْدِي بَسفحِ مُتَالِعٍ فلا يَيْأَسَنْ ذو نَوْمَةٍ أنْ يغنَّما (١)

قال : ولم يَزَلْ حاتم على حاله فى إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضَى لسبيله .

حاتم وبنو لأم

قال ابن الأعرابىّ، ويعقوب بن السكِّيت، وسائر من ذكرنا من الرُّوَاه :

٥ خرج الحَكَمُ بن أبى العاصى بن أُمية بن عبد شمس ، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة (٢) ، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمعُ إليه الناس كل سنةٍ . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لِبَنِى لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيئ رُبع الطريق طُعمةً لهم ؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند ١٠ النعمان ، وكانوا أصهارَه ، فمرّ الحَكَمُ بن أبى العاصى بحاتم بن عبد الله ، فسأله الجوارَ فى أرضِ طيئ حتى يَصيرَ إلى الحيرة ، فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزُود فنُحِرت ، وطبخت أعضاء ، فأكلوا ، ومع حاتم مِلْحان بن حارثة بن سَعْد ابن الحشرَج وهو ابن عمه ، فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحَكَمُ من طِيبة ذلك ، فمرّ حاتم بَسَعْد بن حارثة بن لأم ، وليس مع حاتم من بنى أبيه غير ملحان ، ١٥ وحاتمٌ على راحلته ، وفرسه تُقاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيّاكم الله ، فقالوا : مَنْ هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاءِ جيرانى ، قال له سعد : فأنتَ تُجير علينا فى بلادنا ؟ قال له : أنا ابنُ عمّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمته ، فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِحَ عامر بن جُوَيْن (٣) قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول سعد بن حارثة بن لأم

٢٠ (١) ديوانه ٥٢ ، وفى ف : « تداركنى جدى » .

(٢) ديوان حاتم . « ومعه عير له يريد العراق » .

(٣) ف . « بن حر » ، والمثبت يوافق ما فى باقى النسخ والديوان .

حاتماً ، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرْنَبةَ أنفه ، ووقع الشرُّ حتى تحاجزوا ، فقال حاتم في ذلك [١]:

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ لو أنَّ أنفَه ... هواءٌ فماتَ [٢] المُخَاطُ عن العَظْمِ
ولـكنَّما لاقاهُ سَيفُ ابنِ عَمِّهِ ... فآبَ ومرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ [٣]

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجِدُكَ [٤] ونضَع الرُّهن ، ٥ ففعلوا ، ووضعوا تسعةَ أفراس هنا على يدَىْ رجل من كَلْب يقال له : امرؤ القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَنَاب ، وهو جدُّ سكينة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهما ، ووضع حاتم فرسَه : ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائىّ ، فخاف أن يُعينهم النعمان بن المنذر يُقَوِّيهم بماله وسلطانه ؛ للصِّهْرِ الذى ١٠ بينَهم وبينه ، فجمع إياسُ رَهْطَه من بنى حية ، وقال : يابنى حيَّة ، إنَّ هؤلاء القوم قد أرادوا أنْ يفضحوا ابن عمكم فى مجاده ، أى مماجدته [٥] فقال رجل من بنى حية : [٦] عندى مائةُ ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أدْماء ، وقام آخر فقال : عندى عشرة حُصُن ، على كل حصانٍ منها فارس مدجَّج لايُرى منه إلاّ عيناه . وقال حسان بن جبلة [٧] الخير : قد علمتم أنّ أبى قد ١٥ مات وترك كَلاً كثيرا ، فعلىَّ كلُّ خَمْر أو لحم أو طعام ما أقاموا فى سوق الحيرة . ثم قام إياس فقال : علىَّ مثلُ جميع ما أعطيتم كلكم .

١٧/١٠٠

(١) ديوانه ٣٠ .
(٢) متّ العظم متًّا : سال ما فيه من الودك .
(٣) الخطم : مقدم الفم والأنف . ٢٠
(٤) هامش ا : « تماجد القوم فيما بينهم ، وماجدته ، أمجده ؛ أى غلبته بالمجد » .
(٥) ا ، جـ : « أى بماجدته » .
(٦) ف ، : « فقام رجل ... فقال : عندى » .
(٧) ف : « بن حنظلة الخير » .

قال : وحاتم لا يعلمُ بشيء مما فعلوا ، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال، فقال : يابن عم ، أَعِنِّى على مخايلتى[١] . قال : والمخايلة المفاخرة ، ثم أنشد[٢] :

يامالِ إحدَى خطوب الدَّهر قد طرَقَتْ يامالُ ما أنتُمُ عنها بزَحْزاحِ
٥ يامالُ جاءتْ حِياضُ الموتِ وارِدَةً من بين غمرٍ فخُضْناه وضَحْضاحِ[٣]

فقال له مالك : ما كنْتُ لأحْرِبَ نفسى ولا عيَالى وأعطيك مالى .

فانصرف عنه ، وقال مالك فى ذلك قوله :

إنّا بَنُو عمِّكم لا أنْ نُبَاعِلكم ولا نجاوِركم إلاّ على نَاحِ[٤]
وقد بلَوتُك إذ نلْتَ الثراء فلم ألقك بالمالِ إلاّ غير مرتاح

١٠ قال أبو عمرو الشيبانىّ فى خبره : ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له : وَهْم ابن عَمْرو ، وكان حاتم يومئذ مصارِماً له لا يكلِّمُهُ ، فقالت له امرأته : أىْ وَهْمُ ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلَع ، فقال : مالنا ولحاتم ! أثْبِتى النظر ، فقالت : هاهو ، قال : ويحك هو لا يكلِّمنى ، فما جاء به إلىّ ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامَهَ وحيّاه ، ثم قال له : ماجاء بك ياحاتم ؟ قال : خاطرتُ على حَسبك
١٥ وحَسَبى ، قال : فى الرُّحب والسَّعَة ، هذا مالى — قال : وعِدّته يومئذ تسعمائة بعير — فخُذها مائة مائة حتى تذهبَ الإبلُ أو تصيبَ ماتريد . فقالت امرأته:

(١) ا : « مخابلتى » ، بالباء تحريف .
(٢) ديوانه ٣١ .
(٣) ف : « بضحضاح » . والغمر : الماء الكثير ، والضحضاح : الماء اليسير .
٢٠ (٤) فى اللسان : باعل القوم قوما آخرين مباعلة وبعالا : تزوج بعضهم إلى بعض . وناح : يريد ناحيه .

يا حاتم ، أنْتَ تخرجنا مِنْ مالِنا ، وتفضح صاحبنا — تعنى زَوْجها — فقال : اذهبى ، عنك ؛ فوالله ما كانَ الذى غَمَّك ليردَّنى عما قِبلى . وقال حاتم[١]:

ألاَ أبلِغَا وَهْمَ بنَ عمرو رسالةً فإنكَ أنْتَ المرء بالخير أجْدَرُ
رأيتُكَ أدْنَى الناسِ منّا قرابةً[٢] وغَيْرِكَ منهم كنتُ أحبو وأنصُرُ
إذا ما أتَى يومٌ يُفَرِّقُ بيننـا بِمَوْتٍ فـكُنْ يا وَهْمُ ذُو يتأَخَّرُ ٥

ذو فى لغة طيئ[٣] : الذى .

قالوا : ثم قال إياس بن قبيصة : احملونى إلى الملك ، وكان به نِقْرِس ، فحُمِل حتى أُدخل عليه ، فقال : أنْعِم صباحا أبيتَ اللعن ، فقال النعمان : وحيَّاك إلٰهك ، فقال إياس : أتمدُّ أختانَك بالمال والخيل ، وجعلْتَ بنى ثُعَل فى قَعْرِ الكنانة ! أظَنُّ أختانُك أن يصنعُوا بحاتم كما صنعوا بِعامِر ١٠ ابن جُوَين[٤] ، ولم يَشْعروا[٥] أنَّ بنى حيَّة بالبَلَد ؛ فإن شئت والله ناجزْناك حتى يَسْفَحَ الوادى دَماً ، فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب .

فعرف النعمانُ الغضبَ فى وَجهه وكلامه ، فقال له النعمان : يا أحلمنا لا تغضب ؛ فإنى سأكفيك .

وأرسل النعمانُ إلى سَعْد بن حارثة وإلى أصحابه : انظروا ابْنَ عمِّكم ١٥ حاتماً ، فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذى أُعطيكم مالى تبذِّرونه ، وما أُطيق بنى حيَّة .

(١) ديوان حاتم ٣١ .
(٢) ف : « . . . أدنى الناس منى . . . » .
(٣) ف : « ذو : لغة أهل اليمن : الذى » . ٢٠
(٤) ف : « بن حر » .
(٥) ف : « ولا يشعرون » .

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له : أعْرِض عن هذا المِجاد ندع أرْشَ أنفِ ابن عمنا، قال: لا، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أرْشَ أنفِ صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها اللهُ وأبْعدها، فإنما هي مَقارف[1]، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك[2]:

١٧/١٠١

أبْلِغْ بنى لأمٍ فإنَّ خيولَهم عَقْرَى وإنَّ مجادَهم لم يَمْجُدِ[3]

هـا إنَّما مَطرَتْ سماؤكمُ دَماً ورفعْتَ رأسك مِثل رأسِ الأصْيَدِ

ليكونَ جيرانى أُكالاً[4] بينكم نُحْلاً[5] لِكنْدىّ وسَبْىِ مزيد

وابن النُّجُودِ إذا غدَا متلاطما وابن العذَوَّرِ ذى العِجان الأبرد[6]

ولثابتٍ عَيْنى جـذ متاوت وللمعظ أوْس قد عوَى لمقلد[7]

أبْلِغْ بنى ثُعَلٍ بأنِّىَ لم أكُنْ أبداً لأفعلَها طـوالَ المُسْنَدِ

لاجئْتُهمْ[8] فَلاً وأتركَ صُحْبَتِى نَهْباً ولم تَغْدِرْ بقائمـه يَدِى

وخرج حاتم فى نَفَرٍ من أصحابه فى حاجةٍ لهم، فسقطوا على عَمْرو بن أوس ابن طريف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ فى فَضَاءٍ من

(١) ف : «مقاريف»، والمقرف من الخيل : غير الأصيل.
(٢) ديوانه ٣٢.
(٣) فى الديوان : «بلغ بنى لأم بأن جيادهم ... لم يرشد».
(٤) كذا فى ف، وفى الديوان : * ليكون جيرانى كأنى بينكم *
(٥) ب، س : «بخلا» تصحيف.
(٦) العذوّر : السيء الخلق، والعجان : الاست، وفى ف، ج : «الأربد».
(٧) ف : «ولنابت».
(٨) ف : «لا حيتهم قتلا».

الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تَعْجَلُوا بقَتْلِهِ؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإنْ لم تَرَوْا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناسُ بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم[1]:

عَمرو بن أوس إذا أشياعه غَضِبوا   فأحرزُوه بلا غُرْمٍ ولا عارِ
إنَّ بنى عَبْدِ وُدٍّ كلّما وقعت   إحدى الهنات أتَوْها غير أغْمَارِ ٥

أخبرنى أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن علىّ بن حرب، عن هشام ابن محمد، عن أبى مِسكين جعفر بن المحرز[2] بن الوليد، عن أبيه، قال: قال الوليد جده، وهو مولى لأبى هريرة: سمعتُ محرز بنَ أبى هريرة يتحدَّث، قال:

خبر لأبى الخيبرىّ عند قبر حاتم

كان رجل يُقال له أبو الخَيْبَرِىّ مرَّ فى نَفَرٍ من قومه بقبر حاتم، وحوله ١٠ أنصاب متقابلات مِن حجارة كأنهنّ نساء نوائح. قال: فنزلوا به، فبات أبو الخيبرىّ ليلتَه كلَّها يُنادى: أباجعفر اقْرِ أضيافَك. قال: فيقال له: مَهْلاً، ما تُكلِّمُ مِنْ رِمَّةٍ[3] بالية! فقال: إنَّ طيئاً يزعمون أنه لم ينزل به أَحَدٌ[4] إلاّ قَرَاه.

قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخَيْبَرِىّ، حتى إذا كان فى السَّحَر ١٥ وثب فجعل يصيح: واراحِلَتَاه! فقال له أصحابُه: وَيْلَك! مالك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظرُ إليه حتى عقر ناقتى، قالوا: كذبْتَ، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هى مُنْخَزِلة[5] لا تنبعث، فقالوا: قد واللهِ قَرَاك. فظلُّوا يأكلون مِنْ لحمها، ثم أردفوه، فانطلقوا فساروا

٢٠

(١) ديوانه ٦٥.
(٢) ف: «المحرم».
(٣) الرمة: العظم البالى، وجمعه رمم.
(٤) ف: «لم ينزل به أحد وهو ميت إلا قراه».
(٥) منخزلة: منقطعة، وفى ف والمختار: «مختزلة».

ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَدِيّ بن حاتم راكباً قارِناً جملاً أسود ، فلحقهم ، فقال : أيّكم أبو الخيبريّ ؟ فقالوا : هو هذا ، فقال : جاءنى أبى فى النوم ، فذكر لى شَتْمَكَ إياه ، وأنه قرى راحلتَك لأصحابك[1] ، وقد قال فى ذلك أبياتاً ، وردّدها حتى حفظتُها ، وهى[2] :

٥ أبَا خيبرىّ[3] وأنْتَ امروٌ ظَلُومُ العشيرةِ شَتَّامُها

فماذا[4] أردْتَ إلى رِمَّةٍ ببادِيةٍ صَخب هَامُها[5]

تُبَغِّى أذاها وإعسارها وحولَكَ غَوْث وأنعامها[6]

وإنَّا لنُطعم أضْيَافنَا مِنَ الكُومِ بالسَّيْف نَعْتَامُها[7]

وقد أمرنى أنْ أحملك على جَمَل فدونكه ، فأخذه وركبه ، وذهبوا[8] .

١٠ أغارت[9] طيئ على إبل للنعمان بن الحارث بن أبى شَمِر الجفنىّ ، ويقال : هو الحارث بن عَمرو ، رجل من بنى جَفْنة ، وقَتَلُوا ابناً له . وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنّ وليسبينّ الذَّرارىّ ، فحلف ليقتلنّ من بنى الغَوْث أهل بيت على دَمٍ واحد ، فخرج يريد طَيئا ، فأصاب من بنى عدىّ بن أخزم سبعين رجلا[10] رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رَهْط حاتم — وحاتمٌ يومئذ بالحيرة عند

١٧/١٠٢

حاتم يطلق قومه من أسر الحارث ابن عمرو

١٥ (١) ف : « وأنه أقرى راحلتك أصحابك » .
(٢) ديوانه ١٨ ، ١١ .
(٣) فى الديوان : « أبا الخيبرى » .
(٤) فى ا : « ماذا » ، والمثبت من ف .
(٥) ا : « ببادية صخب هامها » ، وفى ف : « بداوية صيحت هامها » . وفى الديوان :
٢٠ « بداوية صخب هامها » .
(٦) ف والمختار ، « عوف وأنعامها » .
(٧) الكوم : جمع كوماء ؛ وهى الناقة العظيمة السنام .
(٨) فى الديوان : « وذهب » .
(٩) ديوانه ١٣ .
٢٥ (١٠) فى الديوان : « من أخزم تسعين رجلا » .

النعمان — فأصابتهم مُقدمات[١] خيله . فلما قدم حاتم الجَبَلَيْن جعلتِ المرأةُ تأتِيه بالصبيّ من ولدها[٢] فتقول : يا حاتم أُسِر أبو هذا . فلم يلبث إلاَّ ليلة حتى سار إلى النعمان[٣] ومعه مِلْحَان بن حارثة ، وكان لا يُسافر إلاَّ وهو معه ، فقال حاتم[٤] :

ألاَ إننى قَدْ هَاجَنِى الليلةَ الذِّكَرْ[٥] وماذاكَ من حبِّ النساء ولاَ الأَشَرْ[٦]

ولـكنه ممـا أصاب عَشِيرتى[٧] وقومى بأقْرَانٍ حَوَالَيْهم الصِّيَرْ[٨]

الأقران : الحبال . والصِّير : الحظائر ، واحدها صِيَرة .

ليالى نَمشى بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ[٩] تَشَاوَى لنا من كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ

فياليتَ خَيرَ الناس حيًّا وميِّتا يقول لنا خيراً ويُمْضى الذى ائتمرْ

فإنْ كان شرًّا فالعزاء فإننـا على وقعاتِ الدَّهرِ مِنْ قَبْلِها صُبُرْ[١٠]

سَقَى اللهُ ربُّ الناس سَحًّا ودِيمةً جنوبَ السَّرَاة من مَآبٍ إلى زُغَرْ[١١]

بلادَ امرئٍ لا يعرفُ الذَّمُّ بيتَه له المشربُ الصَّافى ولا يَطْعَمُ الكَدرْ[١٢]

(١) ف : معربات » ، وفى الديوان : « فأصابهم مقدمات الجند » .
(٢) فى ب ، س ، ا : « ولدها » .
(٣) فى الديوان : « حتى سار إلى الحارث » .
(٤) ديوانه ١٤ .
(٥) ف : «الذعر»
(٦) الأشر : المرح .
(٧) فى الديوان . « ولكننى مما أصاب » .
(٨) س، ب : « الصبر » ، بالباء تصحيف .
(٩) س . « جور » ، والمثبت من ا ، ج ، وفى الديوان : « ليالى نمسى بين حو » .
(١٠) ف : « ... بالعزاء ... من قبله صبر » ، وفى الديوان : « فإن كان شر فالعزاء » .
(١١) س ، ب : « من ما أتت إلى ذعر » ، والمثبت من ج، ف والديوان ؛ وهذا البيت والذى بعده فى البلدان ، قال : زغر ، بوزن زفر ، وآخره راء مهملة : قرية بمشارف الشام
(١٢) الديوان : « وليس له الكدر » .

تذكرتُ مِنْ وَهْم بن عَمْرٍو جَلادَةً وجُرْأةَ مَغْزاهُ[١] إذا صارِخٌ[٢] بَكَرْ
فأبْشِرْ وقَرَّ العينَ منك فإنّنى أحيِّى كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ

فدخل حاتم على النعمان[٣] فأنشده ، فأُعجب به ، واستوهبهم منه ؛ فوهب له بنى امرئ القيس بن عدىّ ، ثم أنزله فأُتِىَ بالطعام والخمر ، فقال له مِلْحان : أتَشْرَبُ الخمر وقومك فى الأغلال ؟ قُمْ إليه فسَلْهُ إياهم ، فدخل عليه فأنشده[٤] :

إنَّ امرأ القيس أضحَت[٥] من صَنيعتكم
وعبدَ شمس — أبيتَ اللّعن — فاصطنعوا

إنَّ عَدِيًّا[٦] إذا مَلَكْتَ جانبها
من أمْرِ غَوْثٍ على مرأى ومُسْتَمَعِ[٧]

أتبِعْ بنى عبد شمسٍ أمْرَ صاحبهم[٨]
أهلِى فِدَاؤُك إنْ ضرُّوا وإنْ نَفَعُوا

لا تَجْعَلنَّا — أبيتَ اللّعنَ — ضاحيَةً[٩]
كمعشرٍ صُلِمُوا الآذانَ أو جُدِعُوا

(١) الديوان : « وجرأه معداه » .
(٢) فى الديوان : « إذا نازح بكر » .
(٣) الديوان « على الحارث » .
(٤) ديوانه ١٤ ، ٩٥ .
(٥) كذا فى جـ ، وفى ا ، ب : « أضحى » .
(٦) ف : « إن العبيد » .
(٧) فى البيت إقواء .
(٨) ف : « أبلغ » ، وفى الديوان : « إخوتهم » .
(٩) كذا فى ف والديوان ، وفى ا ، ب : ضاحكة .

أو كالجناحِ إذا سُلَّتْ قوادِمُهُ
صارَ الجناحُ لفضْلِ الرِّيشِ يَتَّبِعُ

فأطْلَقَ له بَنى عبد شمس بن عدىّ بن أخزم ، وبقى قَيس بن جحدر ابن ثعلبة بن عبد رضىّ بن مالك بن ذُبْيان بن عَمْرو بن رَبيعة بن جرْول الأجئِىّ[1] ، وهو من لَخْم ، وأمه من بنى عدىّ ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم ابن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر ، فقال له النعمان : أفَبقِىَ[2] أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم[3] :

فككتَ عَدِيًّا كلَّها من إسارِها
فأفْضِلْ وشفِّعْنى بقَيْس بن جَحْدَرِ

أبُوهُ أبِى والأمهاتُ امّهاتنا
فأنعِمْ فدَتْكَ اليومَ نفْسِى[4] ومَعْشَرِى

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم[5] :

أبْلِغْ الحارثَ بن عَمْرو بأنّى
حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّوَابِ

ومُجيبٌ دُعاءه إنْ دَعَانى[6]
عَجِلاً واحداً وذا أصحابِ

إنما بَيْنَنا وبينك فاعلَمْ
سَيْرُ تِسْعٍ للعاجلِ المُنْتَابِ

فثلاثٌ مِنَ السَّراة[7] إلى الحَلَّةِ
للخَيْلِ جاهداً والرِّكَابِ

وثلاثٌ يُورِدْن تَيْماء رَهْواً
وثلاثٌ يُقَرِّبْنَ بالأعْجَابِ

(١) كذا فى ف وهو الوجه ، وفى الديوان : « الأجائى » .
(٢) انظر الديوان . (٣) ديوانه ١٥
(٤) ف : « فدتك السوء نفسى » . (٥) ديوانه ١٥ .
(٦) ب : « ومجيب دعاءه أن دعانى » . والمثبت رواية ا ، ف ، والديوان .
(٧) الديوان : « من الشراة » .

فإذا ما مَرَرْنَ(١) فى مُسْبَطِرٍّ(٢)

فاجْمَحِ الخيلَ مثل جَمْحِ الكِعابِ

اجْمَحْ : ارْمِ بهم كما يُرْمَى بالكعاب ، ويقال : إذا انتصب لك أمْرٌ فقد جمحَ .

بينما ذاك أصبحتْ وهى عَضْدَى مِنْ سبيٍّ مجموعةٍ ونِهاب(٣)

[عَضْدَى : مكسورة الأعضاد](٤) .

ليتَ شعرى متى أرَى قُبةً ذا تَ قِلاعٍ للحارث الحَرّابِ

بِيَفاعٍ(٥) وذاك منها محلّ فَوْقَ مَلْكٍ يدين بالأحساب

أيها المُوعِدِى(٦) فإنّ لَبُونِى بين حَقلٍ وبين هَضْبِ ذُبابِ(٧)

حيث لا أرهبُ الجُراةَ(٨) وحَوْلى ثُعَلِيُّون(٩) كالليُوثِ الغِضَابِ

وقال حاتم أيضا(١٠) :

لم تُنسِنى أطلال ماويّةٍ يأسِى ولا الزمن الماضى الذى مِثْلُه يُنسِى

إذا غرَبَتْ شَمْسُ النهارِ وردْتُها كما يرد الظمآن آتيةَ الخِمْسِ

(١) الديوان : « فإذا ما مررت » .
(٢) المسبطر : الممتد .
(٣) فى ف : « بين شتى مجموعة ونهاب » .
(٤) ليس فى ف .
(٥) ا ، ج : « بيقاع » ، وفى ب : « لبقاع » والمثبت من ف والديوان .
(٦) ب ، س : « إنها موعدى » والمثبت من ا ، ف والديوان .
(٧) كذا فى ف ، وهو جبل لبنى ثعل ، وفى ا ، ب ، ج : « ضباب » .
(٨) كذا فى ا ، ف ، والديوان . وفى ج : « الحرارة حولى » ؛ وفى ب . « الجراءة حولى » .
(٩) ا ، ف : « ثعلبيون » ، والمثبت فى الديوان أيضاً .
(١٠) ديوانه ١٦ .

حاتم وماوية بنت عفزر

قال : وكنا عند معاوية[1] ، فتذاكرْنا ملوكَ العرب ، حتى ذكرنا الزّبّاء[2] وابنة عفزر ، فقال معاوية : إنى لأُحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، وماويةُ بنت عَفْزَر ، فقال رجل من القوم : أفلا أُحدثك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . فقال : إنّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة ، وكانت تتزوج مَنْ أرادت ، وإنها بعثت غلماناً لها وأمَرَتْهم أن يأتوها بأوسمِ مَنْ يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم ، فقالت له: استقدم إلى الفراش ، فقال :حتى أخبرك ، وقعد على الباب ، وقال : إنى أنتظر صاحبين لى ، فقالت : دونَك أستدخل المِجْمَر . فقال : اسْتِى[3] لم تُعَوَّد المِجْمر ، فأرسلها مثلا . فارتابَتْ منه ، وسقَتْه خمراً ليسكر ، فجعل يهريقهُ بالباب فلا تراه تحت الليل ، ثم قال : ما أنا بذائقِ قِرًى ولا قارٍّ حتى أنظرَ ما فعل صاحباى . فقالت : إنّا سنرسلُ إليهما بِقرًى ، فقال حاتم : ليس بنافعى شيئاً أو آتيهما . قال: فأتاهما ، فقال : أفتكونان عَبْدَيْن لابنة عَفْزَر ، تَرْعَيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما[4]؟ فقالا : كلّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً ، وبعضُ الشَّرِّ أهون من بعض ، فقال حاتم : الرحيل والنجاة . وقال يذكُر ابْنَةَ عفزر، وأنه ليس بصاحب ريبة:[5]

حننتُ إلى الأجبال أجبالِ طيِّئٍ
وحَنَّت قَلُوصى[6] أن رأت سوط أحمرا

فقلتُ لها : إنَّ الطريقَ أمامنا وإنا لمحْيُو[7] رَبْعِنا إن تَيَسَّرَا

(١) ديوانه ٣٣ .

(٢) فى الديوان « الزباء ابنة عفزر » .

(٣) جـ ، ف والديوان : « است » . (٤) ف . أو لتقتلنكما .

(٥) ديوانه ٣٤ ، وفيه : «وابنة عفزر ، كانت بالحيرة ، وكان النعمان من يأتيه يريد كرامته أنزله عليها فقال : »

(٦) فى الديوان : « حنت ... وجنت جنونا » .

(٧) فى الديوان : « ... وإنا لمحيو ربعنا » .

فيا راكبيْ عَلْيَا جَدِيلَةَ إنما ... تُسامان ضَيْماً مستبيناً فتُنْظَرَا[1]

فما نَكراهُ غيرَ أنَّ ابنَ ملقَطٍ ... أراهُ وقد أعطى الظُّلامة أوْجَرَا[2]

وإنى لمُزْجٍ لِلْمَطِىِّ[3] على الوجا ... وما أنا من خِلاَّنكِ ابنةَ عفْزَرا

وما زلت أسعى بين نَابٍ ودَارَةٍ ... بلَحْيانَ حتى خِفْتُ أن أتَنَصَّرَا

٥ وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا ... حِصَانَيْنِ سيَّالَيْنِ[4] جَوْناً وأشْقَرا

لَشعْبٌ من الرَّيَّان أملِكُ بابَه ... أُنادى به آلَ الكبير وجَعْفَرا

أَحَبُّ إلىَّ مِنْ خطيب رأيْتُه[5] ... إذا قلتُ معروفا تبدل مُنْكَرا

تنادى إلى جاراتِها : إنَّ حاتما ... أراهُ لَعَمْرِى بعْدَنا قد تغَيَّرَا

تغيَّرْتُ إنى غيرُ آتٍ لِريبةٍ[6] ... ولا قائلٍ يوماً لذى العُرْفِ مُنْكَرا

١٠ فلا تسأليني واسْألى أىّ فارس ... إذا بادَرَ القومُ الكنيفَ المُسَتَّرا

ولا تسأليني وَاسألِى أىَّ فارس[7] ... إذا الخيلُ جالَتْ فى قَناً قد تكسَّرا

فلا هى ما تَرْعَى جميعاً عِشارُها ... ويُصْبِح ضيفى ساهِمَ الوجهِ أغبرَا

متى تَرَنِى أمشى بسيفىَ وَسْطَهَا ... تَخَفْنِى وتُضْمِرْ بينها أن تُجَزَّرَا

وإنى ليغشى أبعدُ الحىِّ جَفْنَتى ... إذاورَقُ الطَّلْحِ الطوالِ تَحَسَّرا[8]

---

(١) فى الديوان : « فيا أخوينا من حديلة . . » وفى ف : «ضيما مستعينا فبكرا ».

١٥ (٢) فى الديوان : « ... أعطى المقادة ... » .

(٣) فى ف والديوان : « وإنى لمزجاء المطى .. »

(٤) فى ف والديوان . « مشنالين » .

(٥) فى الديوان . « .. من خطيب لقبه » .

٢٠ (٦) فى ف والديوان . « آت دنية »

(٧) فى ف والديوان . « أى باسر » .

(٨) تحسر : سقط .

فلا تسألينى[١] واسألى بى صُحْبَتِي إذا ما المَطِيُّ بالفَلَاةِ تضوَّرا

وإنى لَوَهَّابٌ قُطُوعى[٢] ونَاقتى إذا ما انتشيْتُ ، والكميتَ المصدَّرَا

وإنى[٣] كأشْلَاءِ اللِّجَامِ ولَنْ تَرَى أخَا الحَرْبِ إلاَّ سَاهِمَ الوجْهِ أغبَرَا

أخُو[٤] الحَرْبِ إن عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها

وإنْ شمَّرت عن ساقها الحَرْبُ شَمَّرا ٥

وإنى إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَه قِدَى[٥] الشِّبْرِ أحمِى الأنْفَ أن أتأخرا

متى تَبْغِ وُدًّا مِنْ جَدِيلَةَ تَلْقَهُ مع الشَّنْءِ[٦] مِنْهُ باقياً متأثِّرا

فإلاَّ يُفادونا جِهَاراً نُلَاقِهِم[٧] لأعدائنا رِدْءًا دَليلا ومُنْذِرا

إذا حال دُونى منْ سَلَامان رَمْلَةٌ وَجَدْتُ تَوالى الوَصْلِ عِنْدِى أبْتَرَا

وذكروا أن حاتما دعَتْهُ نفسه إليها بعد انصرافِه من عندها ، فأتاها ١٠ يخطبُها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبِيت[٨] ، فقالت لهم : انقلبُوا إلى رِحَالِكم ، ولْيَقُلْ كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنى أتزوّج أكرمَكم وأشعرَكم .

---

(١) ف : « ولا تسألينى » .

(٢) القطع : طرف من الثياب الموشاة ، وجمعه قطوع . ١٥

(٣) ف والديوان : « رأتنى » .

(٤) ا ، جـ والديوان : « أخا الحرب » .

(٥) ا : قدى الشبر : قدر الشبر .

(٦) الديوان : مع الشَّنِّ

(٧) فى جـ ، ف والديوان : « فإلا يعادونا » . ٢٠

(٨) هم قبيلة من الأنصار .

فانصرفوا ونحر كلُّ واحد منهم جَزُوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأَمَةٍ لها وتبعتهم ، فأتتْ النَّبيتىَّ[١] فاستطعمته من جَزُوره فأطعمها ثيل جَمله[٢] فأخذته ، ثم أتت نابغةَ بنى ذبيان فاستطعمتْه فأطعمها ذَنَب جَزُوره فأخذته ، ثم أتت حاتما وقد نصب قِدْرَه فاستطعمته ، فقال لها : قِفِى[٣] حتى أُعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قِطَعًا من العَجُز والسنام ، ومثلَها من المِخْدَش ، وهو عند الحارِك[٤] ، ثم انصرفت . وأرسل كلُّ واحد منهم إليها ظهر جَمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية . وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتىّ[٥] :

١٧ / ١٠٥

هلّا سَأَلْتِ النَّبِيتِيِّينَ[٦] ما حَسَبِى ... عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ

ورَدَّ جازِرُهم حرفاً مُصَرَّمَةً[٧] ... فى الرَّأْس منها وفى الأصلاء تمليح[٨]

وقال رائدُهم[٩] : سِيَّان مالهُم ... مِثْلَانِ مِثْلٌ لمن يرعَى وتَسْرِيحُ

إذا اللِّقَاحُ غدت مُلْقًى أصرَّتُها[١٠] ... ولا كريمَ مِنَ الولدان مَصْبُوحُ

(١) فى الديوان : « فأتت النبيتى ، متنكرة » .

(٢) الثيل ، بالفتح والكسر : وعاء قضيب البعير .

(٣) ف : « قرّى » ، وفى الديوان : « اصبرى » ، والمثبت فى ا ، جـ ، ب .

(٤) المخدش كمنبر ومحدث : كاهل البعير ، والحارك : أعلى الظهر .

(٥) ديوان حاتم ٣٦ .

(٦) الديوان : « هلا سألت بنى النبيت » .

(٧) ف : « ورد جارهم حرفا مضرمة » ، والمثبت فى الديوان أيضا . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة ، ومصرمة ، كمعظمة : ناقة يقطع طبياها ليبس الإحليل فلا يخرج اللبن ليكون أقوى لها ، وقد يكون من انقطاع اللبن بأن يصيب ضرعها شىء فيكوى فينقطع لبنها .

(٨) الأصلاء : جمع الصلا : وسط الظهر ، وفى ف : « وفى الأعصاب تمليح » . وفى الديوان والمختار : « وفى الأصلاب تمليح » . والتمليح : السمن .

(٩) ف : « وقال قائلهم » . (١٠) أصرة : جمع صرار : ما يشد به .

فقالت له : لقد ذكرت مَجْهَدةً(١)

ثم استنشدت النابغة ، فأنشدها يقول(٢) :

هَلاَّ سألتِ بنى ذبيانَ ما حَسَبى
إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرَمَا(٣)

وهَبَّتْ الريحُ مِنْ تلقاءِ ذى أُرُلٍ(٤)
تُزْجِى مع الليل مِنْ صُرَّادِها(٥) الصِّرَمَا

إنّى أُتمم أيْسَارِى(٦) وأَمْنَحُهم
مَثْنَى الأَيادِى وأكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُمَا

فلما أنشدها قالت : ماينفكّ الناس بخير ماائتدموا .

ثم قالت : يا أخا طيِّء أنشدنى ، فأنشدها(٧) :

أماوِىَّ قد طال التَّجنُّبُ والهَجْرُ وقد عذَرَتْنِى فى طِلابكم العُذْرُ

أماوِىَّ إنَّ المالَ غادٍ ورَائِحٌ ويَبْقَى مِنَ المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

---

(١) الديوان : « مكرمة » .

(٢) ديوانه ٦٦ .

(٣) الأسمط . الذى خالطه الشيب . البرم . الذى لايدخل مع القوم فى الميسر .

(٤) ا ، ب ، جـ ، س . « أرل » ، والمثبت من الديوان والبلدان ، قال ياقوت . وأرل . جبل بأرض غطفان بينها وبين عذرة ، وأنشد للنابغة الذبيانى ... وذكر البيت . وفى ف . « أرك » بالكاف .

(٥) ف . « من رصادها » ، والمثبت فى الديوان أيضا . والصراد الغيم الرقيق لاماء فيه . الصرم . جمع صرمة ، وهى قطع السحاب ، وفى المختار و ف : « تزجى مع الصبح » .

(٦) فى الديوان « إنى أسامح » . الأيسار . جمع يسر ، وهم المقامرون .

(٧) ديوانه ١٩ .

أماوِىَّ إنى لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يَوْماً: حلّ فى مالنا النَّذْرُ[1]

أماوِىَّ إمَّا مانِعٌ فمبيِّن وإما عطاء لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

أماوِىَّ ما يغْنِى الثَّراء عَنِ الفَتَى إذا حشرجَتْ يَوْماً[2] وضَاقَ بِهاَ الصَّدْرُ

٥ إذا أنا دَلاّنى الذين أُحبّهم بملحودةٍ زَلْجٍ جوانِبُها[3] غُبر

ورَاحُوا سِراعاً ينفضُونَ أكفَّهم يقولون: قد دَمَّى[4] أناملَنا الحفْرُ

أماوِىَّ إنْ يُصبحْ صدَاىَ بقَفْرَةٍ من الأرْضِ لاماء لدىّ[5] ولا خَمْرُ

تَرَىْ أنَّ ما أنفقتُ[6] لم يَكُ ضَرَّنى وأنَّ يَدِى مما بخِلْتُ به صِفْرُ

أماوِىَّ إنّى رُبَّ وَاحِدِ أُمِّهِ أخذتُ[7] فلا قَتْلٌ عليه ولا أسْرُ

١٠ وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً أرادَ ثَراءَ المالِ كان لَهُ وَفْرُ

فإنىَ لا آلُو بمالِى صَنيعةً فأوَّلُه زَادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ

يُفَكّ به العاني ويُؤْكَلُ طيِّباً وما إنْ تعرِّيهُ القِدَاحُ ولا الخمرُ[8]

---

(١) فى الديوان : « النزر » ، يريد أنه أصبح قليلا . وفى ف : « نذر » .

(٢) فى الديوان : « إذا حشرجت نفس » .

١٥ (٣) فى س ، ا ، ب ، ج : « زلخ » . وزلج جوانبها : الزلج ، محرّكة : الزلق ، ويسكن . والزلج : المزلة تزل فيها الأقدام لندوته أو ملاسته .

(٤) فى الديوان : « وراحوا عجالا » . وفيه : « قد أدمى » .

(٥) فى الديوان « ... لا ماء هناك ولا خمر » .

(٦) فى الديوان : « أن ما أهلكت » .

٢٠ (٧) ف والديوان : « أجرت فلا قتل » .

(٨) ف : « ... ولا القمر » ، وفى الديوان : « وما إن تعريه » .

ولا أظلِم(١) ابنَ العمّ إن كان إخوتى
شُهوداً وقد أوْدَى بإخوته(٢) الدّهرُ
غنينا زماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنَى وكلاًّ سقاناه بِكأسهما الْعَصْرُ(٣)
فما زادنا بَغْيًا على ذِى قَرابةٍ غِناَنا ولا أزْرى بأحْسابِنا الفقْرُ
وما ضَرّ جاراً يابْنَةَ القومِ فاعْلَمى يجاورنى ألاّ يكون له سِتْرُ(٤) ٥
بعينَىَّ عن جاراتِ قَوْمىَ غَفْلَةٌ وفى السَّمْعِ منِّى عن حديثِهمُ وَقْرُ

فلما فرغ حاتمٌ من إنشادِه دعَتْ بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءها أنْ يقدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها ، فقدّمْن إليهم ما كانت أمرتهنّ أنْ يقدمنه إليهم ، فنكّس النَّبِيتىُّ رَأْسه والنابغة ، فلما نظر حاتم إلى ذلك رَمى بالذى قُدِّم إليهما(٥)، وأطعمهما مما قدم إليه ، فتسللا لِوَاذًا ، ١٠ وقالت : إنَّ حاتما أكرمكم وأشعركم .

فلما خرج النَّبيتىُّ والنابغة قالت لحاتم : خلِّ سبيلَ امرأتك ، فأبى ، فزوّدتْه وردَّتْه . فلما انصرف دعَتْه نفسُه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوّجته ، فولدت عَدِيًّا .

١٧/١٠٦

---

(١) فى المختار : « ولا ألطم » . ١٥
(٢) فى المختار : « بإخوانه » .
(٣) ب ، س : « عنينا » . وفى الديوان :
عُنينا زمانا بالتصعْلك والغنى كما الدّهر فى أيّامه العُسر واليُسرُ
لبسْنا صُروف الدّهر لينا وغلظةً وكلاًّ سقاناه بكأسهما العَصر
(٤) البيت ليس فى ديوانه ، وكذا ما بعده . ٢٠
(٥) ف : « بالذى قدمته إليها » .

إسلام عدى بن حاتم

وقد كان عدىّ أسلم وحَسُن إسلامه ، فبلغنا أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال له ، وقد سأله عدِىّ : يا رسول الله ، إن أبى كان يعطى ويحمل ، ويُوفى بالذِّمَّةِ ، ويأمر بمكارم الأخلاق ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أباك خشبة مِن خشبات جَهنّم .

٥ فكأن النبىّ صلى الله عليه وسلم رأى الكآبةَ فى وَجْهه : فقال له : يا عدىّ إنّ أباك وأبى وأبا إبراهيم فى النار .

ماوية وحاتم وابن عمه مالك

وكانت ماوية عنده زماناً ، وإن ابنَ عمٍّ لحاتم كان يُقالُ له : مالك قال لها : ماتصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّه ، وإن لم يَجِدْ ليتكلفنّ ، وإنْ مات ليتركنّ ولده عِيالا على قومك ، فقالت ماوية : صدقت ،
١٠ إنه كذلك .

وكان النساء — أو بعضهنّ — يُطلِّقْنَ الرجالَ فى الجاهلية ، وكان طلاقهن أنهن إنْ كنّ فى بيتٍ من شَعر حوّلن الخِبَاء ، فإن كان بابُه قِبَلَ المشرق حوّلْنَه قبَلَ المغرب ، وإن كان بابه قِبَل اليمن حوّلْنَه قِبَلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يَأْتِها . وإن ابنَ عم حاتم قال لماوية — وكانت
١٥ أحسنَ نساءِ الناس —: طلِّقى حاتما ، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه ، وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك ؛ فلم يزل بها حتى طلَّقَتْ حاتما ، فأتاها حاتم وقد حوّلت بابَ الخِبَاء ، فقال : يا عدىّ ، ما ترى أُمَّك عدِىّ[1] عليها ؟ قال : لا أدْرِى ، غير أنها قد غيَّرت بابَ الخِباء ، وكأنه لم يلحن[2] لما

(١) ف : « عدا » .
٢٠ (٢) لم يلحن : لم يفطن .

قال ، فدعاه فهبط به بطنَ وادٍ ، وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون ، فتوافَوْا خمسين رجلا ، فضاقَتْ بهم ماوية ذَرْعا ، وقالت لجاريتها : اذهبى إلى مالك فقولى له : إن أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلا فأرْسِلْ بنابٍ[1] نَقْرِهم ولَبنٍ نَغْبقهم[2] ، وقالت لجاريتها : انظرى إلى جَبينه وفَمه فإنْ شافَهكِ[3] بالمعروف فاقْبَلِي منه ، وإنْ ضرب بلحيته على زَوْرِه ، وأدخل يدَه فى رأسه فاقْفُلى ودعيه ، وإنها لما أتت مالكا وجدته متوسِّدا وَطْباً[4] من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ماأرسلَتْها به ماوية ، وقالت : إنما هى الليلةُ حتى يعلم الناسُ مكانَه .

فقال لها : اقرئى عليها السلام ، وقولى لها : هذا الذى أمرْتُكِ أنْ تطلّقى حاتما فيه ، فما عندى من كبيرة قد تركَتِ العمل ، وما كنتُ لأنحر صَفِيَّةً[5] غَزِيرة بشَحْمِ كُلاَها ، وما عندى لبنٌ يكفى أضياف حاتم .

فرجعت الجاريةُ فأخبرتْها بما رأتْ منه ، وما قال ، فقالت : ائت حاتما فقولى : إن أضيافَكَ قد نزلُوا الليلةَ بنا ، ولم يعلَمُوا بمكانك . فأرْسِلْ إلينا بنابٍ ننحرها ونقرهم وبلبن نَسقِهم ؛ فإنما هى الليـلة حتى يعرفوا مكانَكَ .

(١) الناب : الناقة المسنة .
(٢) الغبوق : ما يشرب بالعشى . وغبقه : سقاه ذلك .
(٣) الديوان : « فإن بادرك ... »
(٤) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه ، وجمعه أوطب ووطاب وأطاب .
(٥) الصفية : الناقة الصغيرة .

فأتت الجاريةُ حاتما فصرخَتْ به .

فقال حاتم : لبيكِ ، قريباً دَعَوْتِ . فقالت : إنَّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إنَّ أضيافَك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسلْ إليهم بناب ننحرها ولبَنٍ نَسقهم . فقال : نعم وأبِي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثَنْيتَيْن من عِقَالَيْهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عرَاقِيبَهما ، فطفقت ماويّة تصيح وتقول: هذا[1] الذى طلقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شىء ، فقال حاتم[2] :

١٧ / ١٠٧

هل الدَّهرُ إلاَّ اليومُ أو أمسِ أوغَدُ ... كذاكِ الزمانُ بيننا يَتَرَدَّدُ

يَرُدُّ علينا ليلةً بعد يَوْمِها ... فلا نَحْنُ[3] مانَبْقَى ولاالدهرُ يَنْفَدُ

لنا أَجَلٌ إمَّا تَنَاهَى أمامه ... فنحن على آثاره نتورَّدُ[4]

بنو ثُعَلٍ قومِى فما أنا مُدَّعٍ ... سِوَاهُمْ إلى قوم وما أنا[5] مُسْنِدُ

بِدَرْئِهِمُ أغْشَى دُرُوءَ مَعَاشِرٍ ... ويحنف عَنّى الأَبْلَخُ المُتَعَمِّدُ[6]

فهلّا فِدَاكِ اليومَ[7] أمِّى وخالتى ... فلا يأمُرَنِّى بالدَّنيــة أسْوَدُ

على حين أن ذَكيت[8] واشتدَّ جانبى ... أسامُ التى أعْيَيْتُ إذْ أنَا أمْرَدُ

---

(١) ا : « تصيح : هذا الذى » .
(٢) ديوانه ٣٩ .
(٣) الديوان : « ثم يومها فما نحن » .
(٤) ف : « نتزود » ، والمثبت من ا ، جـ ، ب والديوان .
(٥) فى ف ، والمختار : « فلا أنا مدّعٍ ... ولا أنا مُسْنَد »
(٦) الدرء : الدفع . ويحنف : يميل . والأبلخ : المتكبر . وفى الديوان . « ويجنف » .
(٧) فى الديوان : « فهلا فدى أمى ونفسى وخالتى » .
(٨) فى ف : « زكيت » ، وهو يريد عقرت وذبحت .

فهل تَرَكَتْ قَبْلِي حضورَ مكانِها ! وهل مَنْ أتى ضَيْماً وخَسْفاً مخلَّد ! (١)

ومُعْتَسَفٍ بالرُّمْحِ دونَ صِحَابه تعسَّفْتُه بالسَّيْفِ والقومُ شُهَّدُ (٢)

فخَرَّ على حُرِّ الجَبِين وذَادَه إلى الموت مَطرورُ الوَقِيعة (٣) مِذْوَدُ (٣)

فما رمْتُه (٤) حتى أزحْتُ عَوِيصَهُ وحتى علاه حَالِكُ اللَّوْنِ أسودُ

فأقسمتُ لا أمشِي على سرِّ جارَتِي (٥) يَدَ الدَّهْرِ ما دام الحَمَامُ يغرِّدُ ٥

ولا أشْتَرِي مالاً بِغَدْرٍ عِلمْتُهُ ألا كُلُّ مَالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ

إذا كان بعضُ المالِ ربًّا لأهْلِهِ فإنِّي بحمد الله مَالِي مُعَبَّدُ

يُفَكُّ به العانِي ويُؤْكل طيِّباً ويُعطَى إذا ضَنَّ البخيل المُصَرِّد (٦)

إذا ما البخيلُ الخبُّ أخْمَدَ نارَه أقولُ لِمَنْ يصْلَى بنارِي: أوْقِدُوا

توسَّعْ قليلا أو يكن ثَمَّ حَسْبُنَا ومُوقِدها البادِي أعفُّ وأحمدُ (٧) ١٠

كذاك أُمُورُ الناسِ رَاضٍ دَنِيَّةً وسامٍ إلى فَرْعِ العُلا مُتَوَرِّدُ

فمنهم جوادٌ قد تلفَّتَ حَوْلَه ومنهم لئيم دائم (٨) الطرف أقْوَدُ

(١) الديوان :

فهل تركت قبلى حصون مكانها وهل أنا إن أعطيت خسفاً مخلد

(٢) فى الديوان : «من دون صحبه ... والقوم هجد » . وفى المختار : ١٥

* تعسفته والسيف والقوم شهد *

(٣) ذاده : دفعه . ومطرور الوقيعة : السيف . وفى ا ، ب ، جـ : « مزود » .

(٤) ا : : فما رحته » .

(٥) فى الديوان : « وأقسمت ... إلى سر جارتى » .

(٦) كذا فى الديوان ، وفى ا : « إذا منّ » . والتصريد : التقليل . ٢٠

(٧) الديوان : « أعف وأنجد » .

(٨) رواية الديوان :

فإن الجواد من تلفت حوله وإن البخيل ناكس الطرف أقود

وَدَاعٍ دَعانى دَعْوَةً فأَجَبْتُه ... وهل يَدَعُ الدَّاعِين إلا اليَلَنْدَدُ[١]

حاتم ونساء من عنزة

أسرت[٢] عنزةُ حاتماً ، فجعل نساء عنزة يُدارِئْنَ[٣] بَعيرًا ليفصدْنه فضَعُفْنَ عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصِدُه أنتَ إنْ أطلقنا[٤] يديكَ ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يَدَيْه ، فوجأ لَبَّتَه فاستدمينه[٥] . ثم إنّ البعير عَضِد ، أى لَوَى عُنُقَه ، أى خرَّ ، فقُلن : ماصنعت ؟ قال : هكذا فصادتى ، فجرت مثلا . قال : فلطمته إحداهنَّ ، فقال : ما أنْتُنَّ نساء عنزة بكِرام ، ولا ذواتِ أحلام . وإن امرأةً منهن يقال لها : عاجزة أُعجبت به ، فأطلقَتْه ؛ ولم ينقِمُوا عليه ما فعل ، فقال حاتم يذكر البعير الذى فصده[٦] :

كذلِكَ فَصْدِى إنْ سألتِ مَطِيَّتِى ... دَمُ الجَوْفِ إذْ كلُّ الفِصَادِ وَخِيمُ[٧]

جُودُه وهو غلام

أقبل ركْبٌ من بنى أسد ومن قَيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتماً ، فقالوا له : إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيرا ، وقد أرسلوا إليك رَسُولاً برسالة . قال : وما هى ؟ فأنشده الأسديُّون شعراً لعبَيد ولبِشْر يمدحانه ، وأنشد القيسيُّون شعراً للنابغة ، فلما أنشدوه قالوا : إنا نستحى أن نسألكَ شيئاً ، وإن لنا لحاجة ، قال : وما هى ؟ قالوا : صاحب لنا قد أرجل[٨] ، فقال حاتم : خذُوا

---

(١) ف : « إلا النلدد » ، واليلندد : الخصم الشحيح الذى لا ينقاد .
(٢) ديوانه ٥٢
(٣) ف : « يدرن » .
(٤) ف : « إن أطلقنا إحدى يديك » .
(٥) أ : « فاسندمى منه » ، وفى ف : « فاسدمين منه » .
(٦) ديوانه ٥٣
(٧) فى ف : « دم الحوارك والفصاد وخيم » ولا يستقيم معه الوزن .
(٨) أرجل ، أى ليس له ما يركبه ، فهو راجل .

فَرسى هذه فاحملوا عليها صاحبَكم . فأخذوها وربطت الجارية فِلْوَها(١) بثوبها ، فأفلت ، فاتّبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم(٢) من شىء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفِلْو والجارية .

١٧

١٠٨

وإنهم وردوا على أبى حاتم ، فعرف الفَرَس والفِلْو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه ، فأعطى الجسيم . ٥

رواية أخرى فى خبر أبى الخيبرى

قال : وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجُود ، فقال رجل من القوم : أجودُ الناس حيًّا وميتاً حاتم ، فقال معاوية : وكيف ذلك ؟ فإن الرجل منْ قُريش ليعطى فى المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه ، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين، أنّ نفراً من بنى أسد مرّوا بقبْرِ حاتم ، فقالوا : لنبخلنّه ولنخبرنّ العرب أنّا نزلنا بحاتم ، فلم يقرنا ، فجعلوا يُنَادُون: ياحاتم ألا تَقْرِى أضيافك ! وكان رئيس القوم رجل يقال له : أبا الخَيْبَرِىّ ، فإذا هو بصوتٍ ينادى فى جوف الليل : ١٠

أبَا خَيْبرىٌّ وأنت امرؤٌ ظلوم العشيرة شَتّامُها(٣)

إلى آخرها ، فذهبوا ينظرون ، فإذا ناقةُ أحدهم تَكُوس(٤) على ثلاثة أرجل عقيراً . قال : فعجب القومُ من ذلك جميعا .

حاتم وأوس بن سعد

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر : أنا أُدخلك بين جبلى طَيِّئٍ حتى يدين لك أهلهما ، فبلغ ذلك حاتما ، فقال(٥) : ١٥

ولقد بَغَى بِخَلاد أوسُ قومَه ذُلاًّ وقد علمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ(٦)

(١) الفلو : المهر الذى فطم .
(٢) ف : « ما بلغكم » .
(٣) ديوانه ١١ ، وفيه : « حسود العشيرة » . ٢٠
(٤) تكوس : تمشى على ثلاث قوائم .
(٥) ديوانه ٤٩ .
(٦) خلاد : أرض فى بلاد طيئ عند الجبلين لبنى سنبس ، وسنبس هى من طيئ .

حَاشَا بَنِي عَمْرِو بنِ سِنْبِسَ إنهم مَنَعُوا ذِمارَ أبيهم أنْ يدنَسوا[(١)]

وتواعَدُوا وِرْدَ القُرَيَّة غُـدوَةً وحلفتُ باللهِ العزيز لنَحبِسُ[(٢)]

واللهُ يعلمُ لو أتَى بِسُلافِهم طَرَفُ الجَرِيضِ لَظَلَّ يومٌ مِشْكَسُ[(٣)]

كالنار والشّمسِ التي قالَتْ لها بيد الّلُوَيمِس[(٤)] عالمًا ما يَلْمِسُ

٥ لا تَطْعمنَّ الماء إنْ أوْرَدْتَهم لِتَمام ظِمْئِكُمُ ففوزُوا واحْلِسُوا[(٥)]

أو ذو الحصين وفارسٌ ذُو مِرَّة بكَتيبةٍ مَنْ يُدْرِكُوه يُفْرَسُ[(٦)]

ومُوطَّأُ الأكنافِ غيرِ ملعَّن فى الحىِّ مَشَّاء إليه المَجْلِسُ

شعره فى مدح بنى بدر

قال : وجاور[(٧)] فى بنى بَدْرٍ زَمَن[(٨)] احتربت جَدِيلة وَثُعَلُ ، وكان ذلك زَمن الفساد ، فقال يمدح بنى بدر[(٩)] :

١٠ إنْ كنْتِ كارِهةً مَعيشتنا[(١٠)] هاتِى فَحُلِّى فى بَنِي بدْرِ

جاوَرْتُهم زَمَنَ الفسادِ فَنِعْـمَ الحيُّ فى العَوْصاء[(١١)] واليُسْرِ

فُسقِيتُ بالماء النَّمير ولم يُنْظَرْ إلىَّ بأعيُنٍ خُزْرِ

---

(١) ف : « لا يدنس » .

(٢) الديوان : « لَيُحبس » .

١٥ (٣) المشكس : السيِّء الخلق ، السلاف : المتقدمون . الجريض : غصص الموت .

(٤) ف : «كالشمس والنار » . ولويمس : تصغير لامس .

(٥) المثبت من ف ؛ او فى ب ، ج : احبسوا . وحلس بالمكان : أقام .

(٦) ديوانه : « يغرس » ، بالغين .

(٧) ديوانه ٢٠ . وفيه : « وجاور حاتم بنى بدر » .

٢٠ (٨) ف : « لما » ، وفى ا ، ب ، ج : « وجاور فى بنى بدر من احترب من جديلة » .

(٩) ديوانه ٢٠ .

(١٠) الديوان : « لمعيشتنا ... » .

(١١) العوصاء . الشدة والعسر .

الضاربين لدَى أعنّتهم(١) والطاعنين وخَيْلُهم تَجْرِى
الخالطين(٢) نَحِيتَهم بنُضَارِهمُ(٣) وذَوِى الغِنَى منهم بذِى الفَقْرِ

يقيم مكان أسير فى قيده ويطلقه

وزعموا أنّ حاتما خرج فى الشهر الحرام يطلبُ حاجةً، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سَفّانة؛ أكلنى الإسار والقمل، قال: وَيْلَكَ! والله ما أنا فى بلادِ قومى، وما معى شىء، وقد أسأتَ بى إذ نوّهتَ باسمى، ومالكَ مَتْرَك. فساوم به العَنَزِيّين فاشتراه منهم، فقال: خَلُّوا عنه وأنا أقيمُ مكانه فى قَيْدِه حتى أُؤَدّى فِداءه، ففعلوا، فأتِىَ بفدائه.

ماوية تتحدث عن كرمه

وحدّث الهيثم بن عدىّ، عمن حدّثه، عن ملحان ابن أخى ماوية امرأة حاتم، قال: قلت لماوية: يا عمّة، حدّثينى ببَعْضِ عجائب حاتم، فقالت: كلُّ أمره عجب، فعن أيّه تسألُ؟ قال: قلت: حدّثينى ما شئْتِ، قالت: أصابت الناسَ سنةٌ، فأذهبت الخفّ والظِّلف، فإنى وإياه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ، قالت: فأخذ عديّا وأخذتُ سَفّانة، وجعلنا نُعَلِّلُهما حتى ناما، ثم أقبل علىّ يحدّثنى ويعلّلنى بالحديث كَىْ أنام، فرققْتُ له لما به من الجهد، فأمسكت عَن كلامه لينام، فقال لى: أنمتِ؟ مِراراً، فلم أُجب، فسكتّ فنظر فى فتق الخباء فإذا شىء قد أقبل، فرفع رأْسه فإذا امرأةٌ، فقال: ماهذا؟ قالت: يا أبا سَفّانة؛ أتيتُك من عند صِبْيةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جُوعا، فقال: أحضرينى(٤)

١٧/١٠٩

(١) كذا فى ف والديوان، وفى ا، ب، ج «لدىّ أعينهم»

(٢) ف والديوان: «والخالطين»، وفى اللسان: قال ابن برى. صوابه «والخالطون»، بالواو.

(٣) ا: «نجيبهم»، والمثبت من ف والديوان واللسان (نحت). قال: والنحيت: الدخيل فى القوم، قالت الخرنق أخت طرفة ... وذكر البيت والذى بعده، ثم قال: «والنضار»: الخالص النسب.

(٤) ف: «أحضرى صبيانك»، والخبر فى الديوان ٩٧ مع اختلاف فى الرواية.

صِبيانك ، فوالله لأشبِعنّهم . قالت : فقمتُ سريعا فقلت : بماذا يا حاتم ! فوالله مانام صِبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل[١] ! فقال: والله لأُشبعنّ صبيانك مع صبيانها .

فلما جاءتْ قام إلى فرسه فذبحها ، ثم قدح نارا ثم أجّجها ، ثم دفع إليها شفرة ، فقال : اشتوِى وكُلِى ، ثم قال : أيقظِى صبيانك . قالت : فأيقظتهم[٢] ، ثم قال : والله إنّ هذا لَلُؤْمٌ ؛ تأكلون وأهل الصِّرْمِ[٣] حالهم مثل حالكم ! فجعل يَأْتى الصِّرْمَ بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم بالنار . قال: فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفَرَس، وتقنّع بكسائه فجلس ناحيةً ، فما أصبحوا ومِنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عَظْمٌ وحافر ، وإنه لأشدُّ جوعا منهم ، وما ذاقه .

حاتم ومحرّق

أتى حاتم مُحرِّقًا[٤] فقال له محرّق : بايِعْنى ، فقال له : إنّ لى أخوين ورائى ، فإنْ يأذنا لى أبايعك وإلّا فلا ، قال : فاذهبْ إليهما ، فإنْ أطاعاك فأتنى بهما ، وإن أبَيا فأْذَنْ بحرب . فلما خرج حاتم قال[٥] :

أتانى مِن الرّيان[٦] أمْسِ رسالةٌ ... وغُدْرَى وغَىٌّ مايقول مُواسِلُ[٧]

---

(١) التعليل : شغل الصغير عن الطعام بشىء .

(٢) ف : « فأيقظتْها » .

(٣) الصرم : الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس .

(٤) محرق : لقب عمرو بن هند .

(٥) ديوانه ٥١ .

(٦) ب ، س : « الديان » ، والمثبت من ا ، ف والديوان .

(٧) كذا فى ف ، وفى ا ، ج : « وغدوا بحىّ » ، والريان ومواسل : جبلان ، وقد ذكرهما زيد الخيل فى شعره ، قال :

أتتمنى لسان لا أسر بذكرها ... تصدع منها يذبل ومواسل
وقد سبق الريان منه بذلة ... فأضحى وأعلى هضبه متضائل

وقد ذكر الريان حاتم فى قوله :

هُما سألانى : ما فعلتَ ؟ وإننى كذلك عما أحدثا أنا سائل

فَقُلْتُ: ألا كيف الزمانُ عليكما؟ فقالا : بِخَيْر كلُّ أرضِك سائلُ

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال[1] : طرفا الجَبل ، فقال : ومحلوفه لأُجلِّلنّ مُواسلاً الرَّيطَ مصبوغاتٍ بالزَّيْتِ ، ثم لأُشعِلَنَّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مر تَقّى بين مداخل سُبُلّات[2] . فلما بلغ[3] ذلك محرقا قال : لأُقدِمَنّ عليك قُرَيَّتَك[4] . ثم إنه أتاه رجل ، فقال له : إنك إن تقدم القُرَيَّة تهلك . فانصرف ولم يقدم .

حاتم وأسير له

غزت فزارةُ طيئاً وعليهم حصين[5] بن حذيفة ، وخرجت طيءٌ فى طلب القوم ، فلحق حاتم رجلا من بَدْر[6] ، فطعنه ثم مضى ، فقال : إنْ مَرّ بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم . فمرّ به أبو حَنبل ، فقال: مَنْ أنت؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنه يقتلك ، فإن زعمتَ لحاتم أولمَنْ سألك أنى أسرتك ، ثم صِرْتَ فى يدى خلّيتُ سبيلك . فلما رجعوا قال حاتم :

= لشعب من الريان أملك بابه أنادى به آل الكبير وجعفرا

وانظر ياقوت والبكرى .

(١) ف : « قيل » .

(٢) سبلات : جبل من جبال أجأ ومواسل أيضاً ، عن نصر (البلدان) .

(٣) ف : « فبلغ » .

(٤) قريّة : موضع بجبل طيء .

(٥) الديوان : « حصن بن حذيفة » .

(٦) الديوان : « من بنى بدر »

يا أبا حَنْبل[١] خَلِّ سبيلَ أسيرى ، فقال أبو حَنبل : أنا أسرتُه ، فقال حاتم : قد رضيتُ بقوله ، فقال : أسرنى أبو حنبل ، فقال حاتم[٢] :

إنَّ أباكَ الجَوْنَ لم يَكُ غادراً ألاَ مِنْ بَنِى بدر أتتْكَ الغَوائلُ

(١) ف : « جبيل » ، والمثبت من الديوان أيضاً .
(٢) ديوانه ٥٠ .

صـــوت

وهاجرةٍ مِنْ دُونَ مَيَّةَ لم تَقِلْ قَلُوصى بهاوالجُندبُ الجوْنُ يُرْمَحُ(١)

بِتَيْهاءِمِقْفارٍ(٢) يَكادُ ارْتكاضُها بآل الضُّحَى والهَجْرُ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ

ــ الهجر هاهنا مرفوع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . ويمصَح : يذهب بالطَّرْف ــ

١٧ / ١٠١

٥

كأنَّ الفِرِنْدَ المَحْضَ معصوبةٌ بهِ ذُرَا قُورِها يَنْقَدُّ عنها ويُنْصَحُ(٣)

إذا ارفضَّ أطرافُ السِّياطِ وهَلَّتْ جُرومُ المَهارِى عُدَّ مِنهنَّ صَيْدَحُ(٤)

عروضه من الطويل .

الهاجرة : تكون وقْتَ الزوال . والجندب : الجرادة . والجوْن : الأسود. والجَوْن : الأبيض أيضاً : وهو من الأضداد . وقوله : يرمح ، أى ينزو من شدة الحرّ لا يكاد يستقرّ على الأرض . والتَّيْهاء من الأرض : التى يُتَاه فيها . والمِقْفَار : التى لا أحد فيها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعىّ. وارتكاضها ، يعنى ارتكاض هذه التَّيْهاء ، وهو نزوها بالآل ، والآل : السراب . والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصَح ، رفع الهجر

١٠

(١) ديوان ذى الرمة ٨٦ . لم تقل ، من القيلولة . والجندب : شبه الجراد فى ظهره نقط. ١٥

(٢) فى الديوان : « وبيداء مقفار » .

(٣) ينقد : ينشق ، وفى ف : « ينقد عنه » .

(٤) كذا فى ف ، وفى باقى الأصول : « عذبتهن صيدح » .

بفعله كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر . يمصح : يذهب بالطَّرْف . والفرند : الحرير الأبيض. والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيَض ، وقد عصبت به ذرى قورها ، وهى الجبال الصغار والواحدة قارة ، فتارة يغطيها وتارة يَنْجابُ عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها ، وكأنه إذا غَطَّاها ينصَح عنها [1]؛ أى يخاط . ويقال[2] : نصحتُ الثوب ، إذا خِطْتَه ، والنّاصِحُ : الخيّاط ، والنِّصاح : الخيط . وقوله : ارفضّ أطراف السياط ، يعنى أنها انفتحت أطرافها من طُولِ السفر ؛ وأصل الارفضاض التفرّق . والجروم : الأبدان ، واحدها جِرم ،بالكسر . وقوله : هلت جروم المطايا ، يعنى أنها صارت كالأهلّة فى الدّقة[3] . وعَسْيدَح : اسم ناقته .

الشعر لذى الرمة ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ماخورىّ بالوسطى .

تم الجزء السابع عشر من كتاب الأغانى
ويليه الجزء الثامن عشر ، وأوله : (ذكر ذى الرمة وخبره)

---

(١) ف : « عليها » .
(٢) ف : « ويقول » .
(٣) كذا فى ف ، وهو الوجه ، وفى باقى الأصول « الرقة » .



الجزء السابع عشر من كتاب الاغانى

أنواع الفهارس

صفحة

تراجم هذا الجزء

صفحة

فهرس الموضوعات

صفحة

أخبار ابن الدمينة ونسبه

نسب المقنع الكندى وأخباره

خبر لاسحاق وابن هشام

نسب أبى قيس بن الاسلت واخباره

صفحة

أخبار عزة الميلاء

ذكر نسب الربيع بن زياد

حرب داحس والغبراء

أخبار يزيد بن معاوية

ذكر شريح ونسبه وخبره

خبر زينب بنت حدير وتزوج شريح اياها

أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

من أخبار عروة بن الزبير

اخبار زيد الخيل ونسبه

أخبار لابن قيس الرقيات

ذكر فند واخباره

أخبار نبيه ونسبه

ذكر خالد ورملة وأخبارهما وانسابهما

خبر للأحوص

ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصة بنت الجودي

أخبار حاتم ونسبه

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ن)

(هـ)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الاعـــلام

(أ)

(ب)

(ز)

(ش)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

فهرس القبائل والجماعات

(خ)

فهرس الأماكن

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
ألست	جنابِ	وافر	٢٢٧	٦
ويوم	ونابِ	»	٢٥٥	١٦
وسبية	والكلابِ	»	٢٥٧	٨
سمونا	واعتصابِ	»	٢٥٧	١٠
لعمرك	السرابِ	»	٢٣٠	٩
طرب	لم تصقبِ	كامل	٦٤	١١
ذهب	الأجربِ	»	٦٥	١٠
قالت	والجلبابِ	»	١٥٩ ، ١٦٠	٢٠ ، ١
أشهدتنا	القسبِ	»	٢٣٥	٧
ألا يا سلم	من تربِ	هزج	٣٧ ، ٣٨	١٥ ، ٧
لا أرى	ذوابِ	خفيف	٢٥٩	١٨
تخالك	في شعبهْ	»	٢٧١	١٤
أبلغ	للثوابِ	»	٣٧٨	١١
	(ت)			
دونك	هاتا	بسيط	٣٠٥	٩
أسرت	ما أتيتَ	وافر	١٢٨	١٤
سأبكيك	شلّتِ	طويل	٨	٢
وقلت لها	ذلّتِ	»	١٠١	١٧
قصائد	حاليات	وافر	٢٣٣	١٤
يا من أتانا	بحاجاتي	سريع	٧٠	١٦
	(ج)			
كسيت	ملهوجا	طويل	٣٣٥	٤
أبني	الحجّاجِ	كامل	٢٣١	١٨
وبعثت	بالعوسجِ	»	٢٧٥	٩
وردت	أفحجِ	»	٢٨٢	١٧

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
	(ح)			
قد نهانا	وصباحا	مديد	١١٣	٨
خروج	تامحُ	طويل	١٨	١٧
وهاجرة	يرمحُ	»	٣٩٨	٢
هلاّ	الريحُ	بسيط	٣٨٣	٩
بأهلي	سلاحِ	طويل	٩٧	٨
وما نحن	بصحاحِ	»	٣٤٢	١٠
يا مال	بزحزاحِ	بسيط	٣٧١	٤
إنّا بنو	ناحِ	»	٣٧١	٨
من يكن	القداحِ	خفيف	١١٤	١٥
	(د)			
وإن الذي	جدّا	طويل	١٠٧	٢
كورت	ندّدا	»	٢٦٢	١٠
ألا ودعت	يزوّدا	»	٢٦٧	١٠
يابن هشام	الردا	رجز	١١٠	٢
لئن نحن	لراكدُ	طويل	٢٦	٣
هل	يترددُ	»	٣٨٩	٧
لا يستوي	شاهدُ	»	٣٤٧	١٠
إذا قبضت	القصائدُ	»	٢	٦
اعمر لبيد	العهدِ	طويل	٥٩	١٥
ومن غفلة	وحدي	»	٨٠	٤
ألا لا أرى	لا يجدي	»	٨٠	٧
ألا يا صبا نجد	على وجدِ	»	١٠٤	٦
أمرتحل	منجدِ	»	٢٤٩	١١
إذا كنت	معبدِ	»	٣٣٦	٧
وقرت	صدودها	»	٤٧	٣
لبشرة	وبيدها	»	٤٩	٤
لن يبرح	والأحدِ	بسيط	٣٧	١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
عصيتُ	براسِى	خفيف	٦٩ : ١٢
أتانى	فى المرمسِ	متقارب	١٢٩ : ٢
	(ص)		
إذا كنت	ولا توصِهِ	متقارب	٣٣٦ : ١٤
	(ض)		
إنى أحرّض	تحريضِى	طويل	١٠٩ : ٩
	(ط)		
وبلدةٍ	معتاطهْ	بسيط	٣٣٥ : ٩
	(ع)		
وفقدى	وأضرعا	طويل	٥٠ : ١٥
إذا ما الثريا	فتسرّعا	»	١٣٠ : ١١
وكنا	يتصدعا	»	٣٦١ : ١٥
لعمرى	جائعا	»	٣٦٥ : ١٥
يلومنى	وقعا	بسيط	١٧٥ : ١
بانت	فالفرعا	»	١٧٤ : ١٥ و٢٢ ١٧٦ : ٣
جاء	قزعا	»	٢٠٩ : ٢ ، ٢١٢ : ٢
له أكاليل	طبعا	»	٣٢٠ : ١٦
فقل لبنى أمية	والقطيعا	وافر	١٤ : ٧
أليس	مااستطاعا	»	٣٣٣ : ٩
يارُبّ	مفزّعهْ	رجز	١٨٥ : ٦
أراها	تقشّعُ	طويل	١٥ : ٩
بلينا	والمصانعُ	»	٦٣ : ١٣
أقمت	صانعُ	»	٩٩ : ١٠
أفضى	جامعُ	»	١٠٠ : ٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
فلما غدوا	نزرعُ	طويل	١٣٦ : ٣
ولما هبطنا	نزرعُ	»	١٣٦ : ١٩
أتيتم	ربيعُ	»	١٨٢ : ٧
لقد أتى	فموضوعُ	بسيط	١٦٩ : ٧
إن امرأ القيس	فاصطنعُوا	»	٣٧٧ : ٧
بنو جنية	صنيعُ	وافر	١٨٢ : ٣
فإما	الوداعِ	»	٣٦١ : ٦
يا لهف	مودوعِ	كامل	٢٠٣ : ٨
قالت	أسماعِى	رجز	١١٨ : ٧
قد حصّت	تهجاعِ	سريع	١١٦ : ٢
	(ف)		
بانت	عفا	كامل	٢٨٣ : ١٧
أمن	وكيفُ	طويل	٢٢٤ : ٢ ، ٢٢٥ : ٨ ،
إذا همّ	وشنوفُ	»	٢٢٨ : ٤
أعتبت	تشريفُ	كامل	٢٢ : ١١
صبحناهم	وافِى	وافر	٨٩ . ١
هى شمس	الظرافِ	خفيف	٢٣ : ٨
	(ق)		
إذا أحببت	الخلقا	هزج	٦٩ : ٢
منبر	أفرقُ	طويل	٨٤ : ١٧
على لاحب	مهرقُ	»	٨٤ : ١٥
كبنيانة	أبلقُ	»	٨٤ : ١٣
إنى لتعدينى	وتعتقُ	»	٨٤ : ١١
وظلّ	مروّقُ	»	٨٥ : ٣
تراخى	عوهقِ	»	٨٥ : ٥
تحنّ	المتفلّقِ	»	٨٥ : ٧

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
كانت	الأباطيلُ	بسيط	٨٩ : ١٨
كأن مشيتها	ولاعجلُ	«	١٢٩ : ١٦
إنـــا	الطيّلُ	«	١٧٧ : ٨
إنّ نبيها	تفضيلُ	«	٢٨٠ : ١٣
يا خالد	والجبلُ	«	٣٥٠ : ٣
يحاولنى	سبيلُ	وافر	٢٥٩ : ١
من كان	مثلُ	كامل	٩١ : ٥
لو فات	وكلُ	منسرح	٢١١ : ٨
إلى آل	الأسهلُ	متقارب	١٣ : ١
خرجت	والمشلِ	طويل	١٨ : ١–٢
لقد زعمت	من فعلِ	«	٧١ : ١٧
تسمّع	قتيلِ	«	٧٤ : ٤
سنغضى	بالفضلِ	«	١١٥ : ٣
إذا ما الثريا	المفصّلِ	«	١٣٠ : ٩
إذا عركت	بنى عجلِ	«	٢٦٩ : ٥
ألا يكسّر	المحلِ	«	٢٦٩ : ١٣
إن لم يكن	مهلهلِ	«	٢٦٥ : ٤
وإنى	شكلِ	«	٣٦٨ : ١
تركت	العوالى	وافر	٢٠٦ : ١
سيخبرك	آلى	«	٢٠٦ : ٧
أقرّب	حيالِ	«	٢٤٦ : ٦
فما فضلت	شمالِ	«	٣٣٨ : ١٥
قاد الجيوش	فى أشعالِ	كامل	٣٥ : ١٢
أولاد	المفضلِ	«	١٧٣ : ٣ و٩
كلناهما	للمصبلِ	«	١٧٤ : ٢
إن الجياد	العقّالِ	«	١٨٨ : ١١
أعين	العقلِ	«	٢٣٤ : ١
قالت	مالِ	«	٢٨٢ : ١٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
قـل	الرجالِ	خفيف	٢٦٠ : ٧
قصر	حولى	«	٢٨٢ : ٥
وهيكل	قذالهِ	رجز	٣٣٤ : ١٩
ما رأينا	بالمسلّهْ	رمل	٢٧٧ : ١
	(م)		
يالَ	الكرمْ	رجز	٢٨٧ : ١٥
ماهاج	الخيامْ	سريع	١٧٠ : ٩
			١٧٢ : ٦
لك الخير	أظلما	طويل	٩٦ : ١٣
لو أن المنايا	واقما	«	١٢٨ : ١٧
فلو كان	واقما	«	١٢٨ : ٢٣
يضىء	أن تبسّما	«	١٢٩ : ١٤
فإن مات	التمائما	«	٢١١ : ٥
تداركنى	يغنّما	«	٣٦٩ : ١
هلاّ	البرما	بسيط	٣٨٤ : ٣
أمير المؤمنين	والسلاما	وافر	٢٧٤ : ٢١
يلتفت	انهدما	خفيف	٢٧٤ : ٥
وأنت الذى	يلومُ	طويل	١٠٠ : ١٢
			١٠٢ : ١٧
وأنت الذى	كليمُ	طويل	١٠١ : ٤
برزت	يعلمُ	«	٢٥٨ : ٨
كذلك	وخيمُ	«	٣٩١ : ٩
يعلّم	ما يريمُ	وافر	٢٠٦ : ١٣
غرّاء	أسحمُ	كامل	٢٢ : ١
إبلى	المدامُ	خفيف	١٩٩ : ١٠
لا أعدّ	الإعدامُ	«	٢٢٦ : ٨
كلٌ	دميمُ	«	٣٣٩ : ١٤
إن تك	همُ	متقارب	٢٠٠ : ١

فهرس أنصاف الأبيات

مرتبة حسب أوائل كلماتها

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

رقم الايداع بدار الكتب ١٨١٦ / ١٩٩٢

ISBN - 977 - 01 - 3239 - x